نَفَ الرِلْجَاتِ سِمَا إِخْتُهُمْ الْرَجِيِّ الدَّهْ اللَّهِ اللَّهِ الْمُعَالِمُ السَّهِ الْمُعَالِمُ السَّهُ الْمُ

الموسوعة التفسيرية 🕤

تفيدان المراد ال

للقُولِ الْكِتِكِ عَلَى الْكِيكِ عَلَى الْكِتِكِ عَلَى الْكِتِكِ عَلَى الْكِيلِ عَلَى الْلِيلِ عَلَى الْكِيلِ عَلَى الْلِيلِ عَلَى الْكِيلِ عَلَى الْلِيلِيْعِيلِ عَلَى الْلِيلِي عَلَى الْلِيلِي عَلَى الْلِيلِيْعِيلِ عَلَى الْلِيلِ ع



الشِّيغ فِحُسِنَّ الجَصِّانِيِّ



المناب البزول

الولاية عُطِب له المالية المالية المعانه

تَقَتَّرُيلِكِجَاتُ سِبِّالِحَيْدِ النَّهِ السِّنِهِ السِّنِيدِ السِّنِيدِ السِّنِيدِ السِّنِيدِ السِّنِيدِ السِّنِيدِ السِّنِيدِ ا

> بقلم: الشيخ محسن الجضاني





(لجنع لا الأكاليث

سند ، محمد ، ۱۳۴۰ سر شناسه اسباب النزول تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم، الولايه قطب القرآن عنوان عليها تستدير محكماته الجزء الثالث بحوث محمد السند؛ تاليف محسن الجصاني تكرار نام يديد أور تهران : نشر صادق، ۱۴۳۷ هـ =۲۰۱۶ م = ۱۳۹۵ ش مشخصات نشر مشخصات ظاهرى ISBN: 9VL-5--- 5710-47-V ۱۵۰۰۰۰ ریال بهاء وضعيت فهرست نويسي كتابنامه به صورت زيرنويس يادداشت تفسير ـ فن موضوع قرآن _ علوم قرآني موضوع قرآن ـ بررسی و شناخت موضوع جصانی ، محسن شناسه افزوده ۱۳۹۵ ، ۵۳ الف ۹ س / ۵/ 8 BP رده کنگره T9Y/101 رده دیویی **298848**4 شمارة مدرك

النزول ١٠٠٠ السباب النزول ١٠٠٠ المومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم ١٠٠٠ تقرير ابحاث سهاحة المرجع الديني الشيخ محمد السند (دام ظله)

تاليف: شيخ محسن الجصانى الطبعة: الاولى- ١٣٩٥ هـ.ش-٢٠١٦م - ١٤٣٧ هـ.ق المطبعة: طاهر

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٤٤٠ صفحة

قطع : وزيري ردمك:۷-۷۱ - ۲۱ - ۹۷۸ - ۹۷۸

الناشر: مؤسسة الصادق

مراكز التوزيع:

١ . العراق ، النجف الاشرف، المعرض الدائم للعتبة العلوية المقدسة

٢ . العراق ، النجف الاشرف ، شارع الرسول المنظرة ، قرب مدرسة النضال مكتبة دارالبذرة

٣. العراق، النجف الاشرف، شارع الرسول الماسطة ، سوق الحويش مكتبه سيد على البصري

٤ . العراق ، كربلاء المقدسة ، المعرض الدائم للعتبة العباسية المقدسة

٥ . العراق ، بغداد ، الكاظمية المقدسة المعرض الدائم للعتبة الكاظمية المقدسة

آبران، طهران، شارع ناصر خسرو، زقاق حاج نایب مسوق المجیدی، موسسة الصادق للطباعة و النشر
 ۱۹۲۱ ۱۹۶۹ (۲۹ مهر)

٧ . ايران، قم، شارع معلم، مجمع ناشران رقم • B٤ ، موسسة الصادق

FP. 7.1371P. \ 0V-3V073AVT (07 AP+)

٨ . ايران ، قم ، ابتداء شارع صفائيه ، سوق الامام المهدي بينيي ، مكتبة فدك

0 · VO 3 VVY (07 AP+)



هوية الكتاب

حقوق الطبع محفوظة
الإخراج الفنيالله الهاشمي
عدد الصفحات
الطبعةالأولى لسنة ٢٠١٠
المؤلفالشيخ محسن الجصاني
لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله
الجزء الثالث
عنوان الكتاب: تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

القاعدة الثامنت

الفهرس الإجمالي لقاعدة:

أسباب النزول:

- * البُعد التأريخي في أسباب النزول وأصل توثيقه.
 - * أهمية قَاعدة أسباب النزول
 - * مميزات قَاعدة أسباب النزول.
 - * تنبيهان.
- * ارتباط قَاعدِة أسباب النزول بترتيب القُرآن آياتاً وسوراً.
- * الوجود البلاغية لاستعمال كُلّ كلمة بنحو مستقل في الآية الواحدة.
- برهان عَلَى عدم التعويل عَلَى وحدة سياق الآية الواحدة فضلاً عَنْ
 وحدة السياق في الآيات في السورة الواحدة.
- * التأريخ وطمس وتحريف الوقائع وتأثيره في معرفة أسباب النزول وتفسير القُرآن.
 - * أسباب النزول وخطورة التنقيب عَنْ الحقائق المطموسة في السِّيرة.
 - * لماذا تُغَيَّب أسباب النزول.
 - * لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القُرآن وسوره فحسب.

- ٦....... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث
 - * نظرية الشوري وارتباطها بغزوة أحد.
 - * الأسباب المزعومة لفشل المسلمين في معركة أحد.
 - * يجب اعتماد مصادر أهل البيت المنافئ في أسباب النزول.
- * مُحكمات القُرآن والسنة العقل والوجدان يُعرض عَلَيْهَا متشابهات القُرآن والسنة والعقل والوجدان.
 - * مؤامرة اغتيال حمزة بن عبدالمطلب في معركة أحد.
 - * أسباب النصر لا تعتمد عَلَى الجانب المادي، بَلْ والمعنوي وَالرُّوحي.
 - * امتحان القلب وما في الصدور هُوَ أعظم الامتحانات الإلهية.
 - * قَاعدِة قَاعدِة الشورى قَاعدِة فقهية وسياسيّة وعقائدية.
 - * فلسفة تشريع الجهاد الابتدائي.
 - * لَيْسَ كُلِّ ملفات الحدث الأرضى حسية.
- * فلسفة الجهاد لَيْسَ الإرغام عَلَى العقيدة الفردية أو الباطنة أو قتل الأسرى.
- * شعار مدرسة أهل البيت الله لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان.
 - * الحافظ لسنة الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ وسيرته نصرةً ورعايةً لا يمكن إلَّا للوصى.
 - * ما هِيَ فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول.
 - * تشريعات وولاية وحاكمية الله عَلَى درجات.
- * إِنَّ حقيقة وحقائق القُرآن جُلّها مرتبط ببعد الولاية فِي الْنَبِيَّ عَلَيْلًا بخلاف التنزيل فَإِنَّ مشتمل عَلَى البعدين.

القاعدة الثامنت

أسباب النزول قاعدة تفسيريت أمقاعدة معرفية ولائية

للتنزيل حقيقتان:

حقيقة كونه: نبوة وأنباء.

وحقيقة: حاكمية وولاية.

إِنَّ تنزيل القُرآن لا يَتِمُّ بالنبوة والأنباء فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ حاكمية وولاية.

التنزيل للقُرْآن لا يَتِمُّ إلَّا بالولاية لا بانفراد النبوية.

البحث في هَذِهِ القَاعِدَة يقع في عِدَّة جهات:

الجهة الأولى: البعد التأريخي في أسباب

النزول وأصل توثيقه:

إنَّ البُعد التأريخي فِي أسباب النزول وأصل توثيقه وعدم أخذها إرسال السُلمات مِنْ دون تمحيص وتحقيق روايات أسباب النزول يُشكِّل عاملاً مُهماً

٨.....تفسير أمومة الولاية وللحكمات - الجزء الثالث في الشرآن ثانياً.
 في استظهار المفاد مِنْ آيات القُرآن الكريم أوَّلاً، وَمِنْ الدلالة فِي القُرآن ثانياً.

وقبل الخوض في بيان البُعد التأرخي لقاعدة أسباب النزول وما لأهميته منخطرة عَلَى تفسير القُرآن وَعَلَى الاستظهار مِنْ القُرآن حَتّى فِي آيات الأحكام فِي فقه فروع الدِّين، نذكر مُقدِّمة نتكلم فيها عَنْ أهمية قَاعدِة أسباب النزول.

أهمية قاعدة أسباب النزول:

إِنَّ قَاعدِة أسباب النزول مِنْ القَوَاعِد اللَّهِمَّة والخطيرة ذَاتَ مسائل مُتعدّدة ومُتشعّبة بتشعبات كثيرة تُضفي بظلالها الأكيدعلى تفسير القُرآن وَعَلَى كون القُرآن هُوَ المصدر الأوَّل في المعرفة الدّينية في العلوم الإسّلاميّة، وأنها مِنْ أوائل ما دُوِّنَ مِنْ علوم القُرآن، وَهَذَا ما أشار إليه أمير المؤمنين على بن أبي طالب الله الله عن كتاب الله فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آية إلَّا وَقَدْ عرفت بليل نزلت أو نهار أم في سهل أم جبل "(۱).

وأخرج ابن سعد في الطَّبقات وغيره عَنْ أبي الطُفيل، قَالَ: قَالَ عليُّ: «سلوني عَنْ كتاب الله فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آية إلَّا وَقَدْ عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل».

وأخرج ابن سعد أيضاً عَنْ ابن عباس عَنْهُ اللهِ ، قَالَ: «والله ما نزلت آية إلَّا وَقَدْ علمت فيمَ نزلت وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إنَّ ربي وهب لي

⁽١) طرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس: ص١٨٩ باب علم علي للتُّلِّا.

وَعَنْ ابن خالد الواسطي عَنْ زيد بن علي اللهِ قِيلَ قَالَ أمير المؤمنين اللهِ:
«ما دخل رأسي نوم ولا غمض عَلَى عهد رسول الله عَلَيْ حَتّى علمتُ مِنْ
رسول الله ما نزل به جبرئيل فِي ذَلِكَ اليوم مِنْ حلال أو حرام أو سُنة، أو أمر أو نهي وفيها نزلت وفيمن تنزل»(٢).

وفي تفسير العيّاشي عَنْ الصادق اللِّهِ: «إنّا أهلُ بيتٍ لَمْ يزل الله يبعث فينا مَنْ يَعلم كتابه مِنْ أوله إلى آخره (٣).

وفي رواية: «إنَّ مِنْ علم ما أوتينا تفسير القُرآن وأحكامه لو وجدنا أوعيةً أو مُستراحاً لَفُلْنا والله المُستعان»(٤).

وفي كتاب بشارة المُصطفى بإسناده عَنْ الأصبغ بن نباتة، قَالَ: لما بويع أمير المؤمنين الله بالخلافة خرج إلى المسجد، فَقَالَ: «سلوني قبل أنْ تفقدوني، فوالله إنِّي لأعلم بالقرآن وتأويله مِنْ كُلِّ مُدَّع علمه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عَنْ آية لأخبرتكم بوقتُ نزولها وفيمَ نزلت» الخبر (٥٠).

⁽١) الصواعق المُحرقة، ابن حجر العسقلاني: ص١٢٥ ـ ١٢٦؛ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج٠٤، ص١٧٩.

⁽٢) بصائر الدرجات: ص١٩٤ ب٨، ح١.

⁽٣) تفسير البُرهان، هاشم البحراني، المقدمة: ص٧٧.

⁽٤) المصدر السابق: ص٧٧.

⁽٥) المصدر السابق: ص٧٧ ـ ٢٨.

وفي البصائر عَنْ الأصبغ، قَالَ: قَالَ عليٌّ اللَّهِ: «لو كُسِرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوارتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفُرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلَّا وَقَدْ علمتُ فيمن نزلت، ولا أحد ممن مَرَّ عَلَى رأسه المواسي مِنْ قريش إلَّا وَقَدْ نزلت فيه آية وآيتان مِنْ كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار» الخبر(۱) والمواسي جمع موسى وهو ما يحلق به الرأس.

إنَّ مفاد هَذِهِ الروايات وغيرها تُبيّن ما يلي:

ا أهمية قاعدة أسباب النزول في تفسير القرآن ودورها الخطير في استحصال ظهور الآيات.

٢) إنَّه يجب استقاء أسباب النزول مِنْ أهل البيت التِكِلُّا.

٣) إنَّ غَيْر أهل البيت المَيْكُ لا يحيطون علماً بأسباب النزول لأسباب عديدة وكثيرة، إمَّا ترتبط بعظمة الوحي وغموضه وترجمانه، وَإمَّا ترتبط بعدم مواكبة وملازمة الْنَبِيَّ عَيَّالُهُ، وَإمَّا بسبب دواعي التعتيم والطمس وحرف الحقائق، أو لعدم قدرة البشر الإحاطة بالموضوعات والموارد الَّتِي هِيَ مورد نزول الآيات، وَهَذَا ما يُشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمُ أَمْرٌ مِنْهُمْ مَنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ عَوْلَ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

⁽١) المصدر السابق: ص٢٨.

أسباب النزول قاعدة تفسيرية السباب النزول قاعدة تفسيرية المستنطق المستنط المستنطق المستنطق المستنطق المستنطق المستنطق المستنطق المستنطق المستنطق المستنطق ال

فالآية الْمُبَارَكَة تُبيِّن أنَّ الإحاطة بالموضوعات مُتعذرٌ، بَلْ مُمتنع عَلَى غَيْر المعصوم وأوصياؤه أُولي الأمر، وأنَّ الالتباس في الموضوعات شديدٌ جداً، وَمِنْهُ تكون منافذ تسويل الشيطان ووساوسه.

ومثال ذَلِكَ مورد نزول قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنَعُمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَـمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَـمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتِّقِ ٱللَّهَ وَتُحْفِى فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُ أَن تَخْشَلُهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُ أَن تَخْشَلُهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا وَرَجْنَكُهَا ﴾ (٢).

فَقَدْ أَشَارِت الروايات وأسباب النزول إلى أنَّ زيد بن حارثة رغم عبته لرسول الله عَلَيْهِ وإخلاصه لَهُ، إلَّا أنَّهُ قَدْ اشتبه عَلَيْهِ الأمر فِي قول رسول الله عَلَيْهُ حول زوجته زينب بنت جحش، وكذلك أشتبه الحال عَلَى زينب بنت جحش، والظاهر أنه بقي الالتباسُ عليهما الى أنء تُوفيا، بينها يوضح الإمام الرضا عليها ذلك الالتباس، فلاحظ مجموع الرّوايات الواردة عن أهل البيت المِيَّا في خصوص هذه الواقعة وذيل هذه الآية المباركة.

عن علي بن محمد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون، وعنده الرضاطيّة علي بن موسى السيّة، فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك «إن الأنبياء معصومون» قال: «بلي» فسأله المأمون عن آيات في

⁽١) سورة النساء: الآية ٨٣.

⁽٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

فَقَالَ المؤمون: لقد شفيت صدري ـ يا بن رسول الله ـ وأوضحت لي ما كَانَ مُلتبساً عليَّ، فجزاك الله تَعَالَى عَنْ أنبيائه وَعَنْ الإسلام خيراً (١٠).

فَرَضَ اللهُ لَهُوْ ١٠٠٠».

وهكذا في رد الإمام الرضائل عَلَى على بن مُحمَّد بن الجهم حينها قالَ للإمام الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قَالَ الله عَلَى عَلَى الله عَلَى عَلَى عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَعَصَى ٓ ءَادَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَقَصَى ٓ ءَادَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتَ بِوَّء وَهِ قُولُه تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتَ بِوَّء وَجَلَّ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتَ بِوَّء

⁽١) عيون أخبار الرضائطي : ج١، ص١٨٠، ح١، عنه البُرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: مج٦ ص٢٨٨ ـ ٢٠.

أسباب النزول قاعدة تفسيرية. وَهُمَّ بِهَا﴾ فَقَالَ الرضاطِيِّة: «ويحك يا على اتقّ الله ولا تَنْسِب إلى الأنبياء الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فَإنَّ الله تَعَالَى يقول: ﴿ وَمَا يَعْــَكُمُ تَأْوِيلَهُۥۚ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْمِلْمِ ﴾ » وذكر للَّهِ الجواب عَنْ الآيات إلى أنْ قَالَ: «وَأَمَّا مُحَمَّدَيَيَّا اللهُ وَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي ٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَـمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتِّقَ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخَشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَلَهُ ﴾ فَإِنَّ الله تَعَالَى عَرَّفَ نبيّه اللَّهِ أسهاء أزواجه في دار الدُّنْيَا، وأسهاء أزواجه في دار الآخرة وأنهُنَّ أُمهات المؤمنين، وإحداهن مَنْ تسمَّى لَهُ: زينب بنت جحش، وَهِيَ يؤمئذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفى رسول الله عَيْنِ الله الله عَلَيْ الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَول أحد المنافقين إنَّهُ قَالَ فِي امرأة فِي بيت رجل إنَّها إحدى أزواجه مِنْ أمهات المؤمنين ... وأنَّ الله عَزَّ وَجَلُّ ما تولَّى تزويج أحدٍ مِنْ خلقه إلَّا تزويج حَوَّاء مِنْ آدم للَّهِ وزينب مِنْ رسول اللهَ عَلِيُّكُ بقوله فلما قضى زيدٌ مِنْهَا وطراً زوجناكها الآية، وفاطمة مِنْ على الله الله على على بن مُحمَّد بن الجهم، وَقَالَ: يا بن رسول الله، أنا تائب إلى الله تَعَالَى مِنْ أَنْ أَنطق فِي أَنبيائه المَيْ يَعْدَ

فضلاً عمّا سَطَّره مفسرو العامَّة وكتب السِيَر من قصص وأساطير.

يومي هَذَا إِلَّا بِهَا ذكرته (١⁾.

⁽¹⁾ عيون أخبار الرضالم الله : ج١، ص١٧٠ ح١ عنه البرهان في تفسير القرآن للبحراني: مج٦ ص٢٨٧_٢٨٨.

وتندرج هَذِهِ القَاعِدَة فِي نظام الاستعمال اللَّفظي للآيات والسُّور، والذي تَقَدَّمَ بحث سبعة قَواعِد مُهمّة قبلها؛ لأنها بمثابة قرينة لفظية ومقاليَّة، وأنَّ حقيقتها قرينة مقاميَّة وقرينة حاليَّة، وبالتَّالي تُعَدُّ هَذِهِ القرينة جزء الكلام، فمثلما هُنَاك تَحَفُّظ وتشدد عَلَى تواتر ألفاظ القُرآن الكريم كَذَلِكَ الحال وبنفس المستوى في أسباب النزول؛ لِأنَّ أسباب النزول تعطى طابعاً لظهور الآيات ودلالتها سواء في آيات العقائد أو فقه الفروع، وَعَلَيْهِ فمثلها اللَّفظ القُرآني عظيم ومقدّس، كَذَلِكَ أسباب النزول فَإنَّها بمثابة قرينة لفظية _ كَمَا مَرَّ _ مؤثرة فِي ظهور الآيات، وَعَلَيْهِ لا يمكن التغاضي والتَّهاون فِي قَاعدِهَ أسبابِ النزول وأخذها واغترافها مِنْ كُلُّ ما هبُّ ودَبُّ مِنْ المصادر، وكيف ما اتَّفق! وبالتالي فيجب التثبت الشديد والتحفُّظ الأكيد عَلَى كيفية استقاء أسباب النزول مِنْ منهلها الوحياني، وَهُوَ منهج مدرسة أهل البيت المِيَكِا؛ لِإِنَّهُ أمرٌ خطيرٌ مدلهم، ولذا فَإنَّ الغفلة والتسامح والتهاون ـ لا سامح الله ـ في توثيق أسباب النزول سوف يَكُون منشأ لانحرافات خطيرة فِي فَهُمْ القُرآن، وَالقُرآن كَمَا هُوَ معلوم المصدر الأوَّل فِي معارف علوم الدِّين فإذا قُدِّر _ أَنْ يَكُون فَهُمْ القُرآن يتكئ عَلَى منشا مغلوط أو مُحرّف أو مدسوس ـ والعياذ بالله ـ فَإِنَّ النتيجة سوف تكون مقلوبة و معكو سة.

علمًا أنَّ بحث هَذِهِ القَاعِدَة أمرٌ لا يمكن التهاون والتسامح به فَهُوَ

أسباب النزول قاعدة تفسيرية السباب النزول قاعدة تفسيرية المرا فنياً وترفأ فكرياً، بَلْ هُو أمر حقيقي علمي مؤثر عَلَى التفسير بقدر ما للقُرْآن الكريم مِنْ صدارة ومرجعية فِي المعرفة الدِّينية، وَقَدْ أَكَّدَ أَمير المؤمنين المُلِلِّ فِي جملة الروايات الجوامع المأثورة عَنْهُ اللِّهِ وَعَنْ باقي الأئمة اللَّلِي عَلَى أَنَّ الإلمام والإحاطة بأسباب النزول مؤثرٌ فِي تفسير القُرآن وفهم حقائقه.

عَنْ الأصبغ بن نباتة قَالَ لما بويع أمير المؤمنين الله خرج إلى المسجد مُتعماً بعمامة رسول الله عَلَيُ لابساً بردته ... «يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، وَهَذَا سفط العلم ... واهل القُرآن بقرآنهم حَتّى ينطق كُلّ كتاب مِنْ كتب الله فيقول: صَدَق عليٌّ لقد أفتاكم بها أنزل الله في، وأنتم تتلون القُرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله فيه، لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بها كَانَ وما يَكُون وما هُوَ كائن إلى يَوُم القيامة» وَهِيَ هَذِهِ الآية هُويَمَحُوا الله مَا يَنْ مَا يَشَاءُ وَيُثِبِثُ وَعِندَهُ وَ أَمُ الْكِتِسِ الله وَمِن النسمة، لو سألتموني «سلوني قبل أنْ تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرئ النسمة، لو سألتموني عَنْ آية آية، في ليل نزلت أم في نهار نزلت مكيّها ومدنيها، سفريها وحضريها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها وتنزيلها وتنزيلها وتنزيلها ...

وسوف نبحث فِي هَذِهِ القَاعِدَة المُهِمَّة السبب الذي مِنْ أجله نزلت

⁽١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

⁽٢) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٣١٣-٣١٣.

الآية الكريمة الفلانية أو السّورة المُبَارَكة حسب المنهاج الذي بيَّنته مدرسة أهل البيت المِيْكُ فِي أسباب النزول وكيف يتشعّب إلى مسائل مُتعدّدة، وما هِيَ طبيعة تأثير أسباب النزول عَلَى أحكام الفروع ـ الفِقْه ـ وكيفية بحث الفقيه فِي أبواب فروع الفِقْه عَنْ سبب نزول آيات الأحكام، وما هِيَ تأثيرها عَلَيْهِ، فكم مِنْ تحرير سبب نزول آيه مِنْ آيات القُرآن الكريم مثلاً يجعل بَعْض الفُقَهاء يستظهر مِنْ الآية الفُلانية الحكم الكذائي، بينها فقيه آخر يستظهر مِنْ سبب نزول آخر حُكماً آخراً فضلاً عَنْ العلوم الأُخْرَى كالعقائد والمعارف والتفسير ... الخ وبها أنَّ سبب النزول مُتَّصل مِنْ بَعْض زواياه بالتاريخ، وتوثيق التأريخ قَدْ كُتِبَ وَتَمَّ تدوينه فِي ظل الحكومات المناوئة لأهل البيت المِيَلِا، كَمَا هُوَ معلوم وواضح وتوثيقه فِي ظل الحكومات والسلطات الجائرة الَّتِي مرَّت عهد الصدر الأوَّل للإسلام وما بعده فتوثيقها يحتاج إلى منهج تدقيقي وتمحيصي لغربلة وفرز ما هُوَ الصحيح عن غيره، كَمَا سوف يتّضح كُلُّ ذَلِكَ فِي الجهة الأُولى مِنْ هَذِهِ القَاعِدَة.

مسلسل سيرة النبي مَلِيَوْالهُ

وتطابقها مع أسباب النزول:

تنبيه: ينبغي للباحث الكريم فِي قَاعدِهَ أسباب النزول الالتفات إلى ما ي:

أَوَّلاً: ملاحظة كيفية نزول الوحي عَلَى الْنَّبِيِّ الأكرم للَّئِلِّ فِي غار حرّاء،

ثانياً: ملاحظة كيفية بدء النّبِي عَلَيْ الله بِصْدع بها يُؤْمَر به، وكيفية الجهر بالرّسالة في مَكّة، وبدء الصّلاة في مَكّة ثمّ ... وتتابع الأحداث الّتي حصلت في مَكّة مِنْ وفاة أبي طالب الله وخديجة وتسمية ذَلِكَ العام بعام الحزن، ثمّ الهجرة إلى المدينة ثمّ الحروب والوقائع والغزوات ومنعطفات معراج النّبِي عَيِّلَهُ في مَكّة ثمّ في المدينة، وبعبارة أُخْرَى لابُدّ مِنْ تطابق وانطباق بين مسلسل موارد نزول الآيات مَعَ مواطن الأحداث في سيرة النّبي عَيَّلِهُ أو ضرورة التطابق ضابطة وآليّة تُقوّم الخلل في ضبط كُلّ مِنْ المجانبين، وَهَذَا ميزانٌ عظيمٌ في التوفيق والتحرّي لصحّة ما يُزعَمُ ويُدّعى النزول وكذا التنزيل لَيْسَ إلَّا تقصّي وسرد وقصٌّ لسيرة النّبِي عَلَيْهُ، وَهَذِهِ النول. في حقيقة أسباب النزول.

مميزات قاعدة أسباب النزول:

إنَّ بحث قَاعدِة أسباب النزول تُعطي طابعاً خاصًا ومُتميّزاً فِي الدلالة والتأثير عَلَى نمط تفسير المُفَسِّر بعدَّة مُميزات وتأثيرات:

الميزة الأُولى: إنَّ سَنَّ وبحث قَاعدِة أسباب النزولُ يلَوِّن ويكوِّن ظهوراً مُتميِّزاً للآيات والسّور فِي أغلب المناهج التفسيرية للمُفسرين، وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه القرينة الحالية أو المقامية الَّتِي تلوِّن الظهور، وَعَلَيْهِ

1۸....... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث فَإِنَّ أسباب النزول وإنْ لَمْ تكن قرينة مقالية ولفظية، لكنّها مُهمّة وخطيرة مقاملًا وحاليًا.

وتشخيص هَذِهِ القرينة والتثبث مِنْهَا لدى جملة مِنْ المُفسّرين أمرٌ بالغ الأهمية والخطورة، ورُبَّما بَعْض المُفسّرين أولوها أهميّة مِنْ بَعْض الزوايا تفوق القرينة اللفظية والمقالية.

الميزة الثَّانية: إنَّها تطبيق وحيانيا - فضلاً عَنْ كونه تطبيقاً عملياً لهاد الآية أو السورة أو المعادلة القرآنية أو المعادلة الدِّينية، فَهِيَ مِنْ هَذَا الجانب، ربها يَكُون فيها توضيح لهذا المفاد أكثر مِنْ بَعْض الزوايا مِنْ جهة التنظير اللفظي، وإذا كَانَ النزول تطبيقاً وحيانياً فَمِنْهُ يظهر أنَّ التدقيق في روايات وأقوال النزول أمرٌ بالغ الأهميّة لِأنَّهُ يَكُون مِنْ النسبة إلى الوحي وأفعال الوحي.

أسباب النزول بمثابت القرينت اللفظيت المقاميت والحال أنها مؤثر في الظهور

الميزة الثّالثة: أحياناً وَمِنْ بَعْض الزوايا تكتسب قاعدة أسباب النزول أهميّة أكثر مِنْ القرينة اللّفظية أو المقاميّة، كمّا لو طُبّقت الآية أو السّورة المُعيّنة بحذافيرها عَلَى مورد مُعيّن، وأفادت قاعدة أسباب النزول أنَّ الآية أو السُّورة لابُدَّ وأنْ يُركَّب مفادها وينتظم ويتطابق وينسجم مَعَ مورد التطبيق، وَهَذَا إلى حَدِّ ما يشبه ما يذهب إليه بَعْض الفُقهاء والأصوليين مِنْ أنَّ الشَّارع المُقدّس إذا مارس تطبيق الكبرى الكلية فَإنَّ مصاديقها تكون أبين وأوضح ويُفهم المفاد بشكل أبين، وَعَلَيْهِ فأسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقاميّة، وَأنَّها مؤثر فِي ظهور مفاد دلالة الآيات والسّور القرآنية في بعض زواياها، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضروري التثبت مِنْ أسباب النزول كقرينة مُهمّة في استظهار دلالات الآيات الكريمة.

يجب بناء مبحث أسباب النزول بشكل مقاسات صحيحة عَلَى وفق رؤى مدرسة أهل البيت الله الله ولا يظن الباحث غيابه عَنْ محطّ نظر الروايات فيكلف لتشيده بالرجوع إلى مصادر مِنْ كتب السِّيرة والآثار أو

المختصّة بتدوين أسباب النزول وجعلها المدار الأصلي فِي ذَلِكَ. لا أَنَّهُ مبحث غَيْر موجود ويجب أنْ نكتشف قواعده وأُسسه وما هُوَ مبنى الرّواية حوله.

إنَّ مِنْ أهم أسباب دراسة أسباب النزول وتأكيد القُرآن وروايات أهل البيت المنج التحقيق والتدقيق فيها وأخذها مِنْ أهلها وفرز أسباب النزول المُلفّقة الواردة مِنْ الطرف الآخر أيّ عَنْ المخالفين عَنْ أسباب النزول الصحيحة الواردة عَنْ مدرسة أهل البيت المِيَا اللهُ بَعْدَ تحقيقها وتدقيقها وبحثها بشكل تفصيلي يُشعرُنا كُلّ ذَلِكَ بمدى أهمية وخطورة دراسة أسباب النزول في الفِقْه والتفسير والعقائد والمعارف الدِّينية و ... الخ بسبب أنَّ القُرآن هُوَ المصدر الرئيسي والأول للتشريع وللمعرفة الدّينية، وَهُنَا تظهر ثمرة ما قاله الرسول الأكرم عَلَيْكُ وأَكَّدَ عَلَيْهِ مِنْ قرن العترة الطاهرة بالقرآن الكريم، وبخلافه ستظهر إفرازات خاطئة فِي فَهُمْ القُرآن ـ وفعلاً ظهرت ـ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ الآن بَعْض الحركات والاتجاهات المحسوبة عَلَى الإسلام والإسلام مِنْهَا بُراء؛ لأنها أظهرته بصورة مشوّهة لا تتناسب وعظمة الإسلام وَالدِّين الخاتم للأديان السماوية.

ويعبارة إنَّ ما وَرَدَ مِنْ روايات أهل البيت الْبَيْلُ بمنزلة ميزان لتمحيص ما يُذكر مِنْ أسباب النزول فِي كتب السِير والآثار، وَهَذَا احد مواطن معيّة الكتاب والعترة، وَهَذَا ما سوف يتّضح كُلَّهُ مِنْ خلال البحث.

أيضاً سنبيِّن أنَّ بحث الفتوحات الإسّلاميَّة إنْ كَانَ فيه جانب مُشرق

ولا يُفهم مِنْ ذكرنا لبيان هَذِهِ الجنبة أنَّ فيها تحامل عَلَى أحد، أو إجحاف في حقّ الغير، وَإِنَّها غرضنا بيان حقائق بينها القُرآن الكريم وَأنَّها مُرادة للباري تَعَالَى إلَّا أنهم يحاولون إخفائها أو سدل الستار عَلَيْهَا، وطمس معالم وحقائق الدِّين الذي أراد الله تَعَالَى إظهاره عَلَى الدِّين كُلَّهُ وَعَلَى كُلِّ أرجاء المعمورة مِنْ الكرة الأرضية ولو كره المشركون.

وَعَلَيْهِ فيجب إِزالة كُلّ الموانع والسدود والمهارسات الخاطئة لفهم معاني آيات القُرآن، وَالَّتِي حاول البعض أَنْ يختلقها ويجعلها سدّاً مانعاً أمام انتشار هَذَا الدِّين كُلَّهُ وَهَذَا النور القرآني والنبوي، وفعلاً كَانَتْ تلك السدود المُصطنعة مانعة مِنْ انتشار الإسلام والحدّ مِنْهُ وعدم نفوذه بالمستوى المطلوب مثل بلاد الصين وأوربا وأمريكا و ... الخ. ممّا أثّرتْ هَذِهِ التّصرفات السوداويّة سلباً مِنْ قبل مَنْ حُسبت تصرفاته عَلَى الإسلام عَلَى شعوب هَذِهِ البُلدان فاعتنقت النّصرانيّة - المسيحيّة - وَلَمْ تعتنق الإسلام.

كُل ذَلِكَ بسبب تصدي مَنْ لَيْسَ لَهُ أهليّة القيادة للإسلام بَعْدَ رسول الله عَلَيْهِ وحَمْلُه بأيدٍ غَيْر أمينة، بَعْدَ إساءتهم للإسلام والمسلمين وعتموا عَلَيْهِ مِنْ جميع الجهات الإعلامية مِنْهَا والسياسية والعسكرية والفكرية والاجتماعية والتربوية و ... الخ، وبالتالي كَانَتْ نظرة البعض مِنْ خلال أفعال وأقوال

٢٢...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

هؤلاء المحسوبين عَلَى الإسلام نظرة سوداوية بدلاً أنْ تكون بيضاوية نقيّة، وَهَذِهِ بالتالي تُشكِّل طامّة كُبري.

ولذا كَانَ سؤال الَّذِيْنَ جلبوا النظرة السّوداوية للإسلام هُوَ: لماذا تتحسسون مِنْ الأفعال والأقوال والتّصرفات الَّتِي كَانَتْ تصدر مِنْ سلطان بني أُميّة كيزيد بن معاوية؟

إِنَّ سبب تحسّسنا مِنْهُ لَيْسَ فَقَطْ مِنْ جهة قتل سيد الشُّهداء أبي عبدالله الحسين بن على اللِّه وحرمان البشرية مِنْ عطاءاته ونوره وهيهات وأنَّى لهم ذَلِكَ، بَلْ أنَّهم أزالوا الوجه الْمشرق في الإسلام بقتل الحسين للَّيلِا وأئمة أهل البيت المِيلِ فَإِنَّ الإسلام وَالدِّين لا يُشرق نورُه إلَّا بهم، فبإزالتهم لأهل البيت اللِّهِ أزالوا نور الإسلام وإشراقه فشوَّهوه بظُلمة واسوداد، وَإِنَّهَا مِنْ جهات أُخْرَى مِنْهَا أَنَّ أَمثال هؤلاء حاولوا تشكيل سدود بفعل تصرفاتهم غَيْر الإسلاميَّة وظلمهم وتسلطهم عَلَى رقاب المسلمين واسبتدادهم تمنع مِنْ انتشار نور القُرآن والنور المحمدي والنور العلوي والفاطمي والحسني والحسيني و ... الخ، وبذلهم قُصاري جهودهم لأجل الفصل بين الثقلين، وَهُمَا؛ الكتاب والعترة الَّتِي طالما أَكَّدَ رسول اللهَ عَيَّاللَّهُ عَلَى قرنهما، وبالتالي ليسوا فَقَطْ خسروا أتباع الثقل الثَّانِي وَهُمْ عترة الْنَّبِيِّ عَيَّا اللَّهُ وأهل بيته، بَلْ حَتَّى ضيّعوا الثقل الأوَّل وَهُوَ القُرآن الصامت لأنَّهم لايمكننهم أنْ يفهموا معاني الآيات وَالسُّور إلَّا بواسطة العِدْل الثَّانِي آل الْنَبِي عَلَيْهُ، كَمَا صَرَّح بَعْض كبارهم _ حَسْبُنا كتاب الله _ وَهُوَ لا يفهم

وَاللَّهِمِ الذِي نُرِيدِ أَنْ تسليطِ الأضواء عَلَيْهِ هُوَ: _ أَنَّ القُرآن الكريم هُوَ المصدر المعرفي العظيم للدين والبالغ الأهمية، فَلابُدَّ أَنْ يَكُون منهاج وبرنامج فَهُمْ معاني وحقائق آياته سوره أساسي موزون لا يمكن لأي باحث ومُفسِّر الاستغناء عَنْهُ، وَمِنْهَا روايات قَاعدِة أسباب النزول وَالَّتِي يجب فيها الرجوع إلى محكمات القُرآن الكريم الذي هُوَ حَكمٌ عَدْلٌ وَإلى أهل البيت المَيِّعُ؛ وَهُمَا الوحيدان اللّذان يُميزان ويَفصُلان بين الرّوايات المُلفقة والمُزيّفة وبين الصحيحة مِنْهَا في قَاعدِة أساب النزول.

وَمِنْ الأُمُورِ الَّتِي نُبيّنها أيضاً مِنْ خلال بحث قَاعدِة أسباب النزول هُو أهميّة القَاعِدَة وتأثيرها فِي يوميات استنباط الفِقْه وَالأُمُورِ العقائدية، وأنَّ أخذها أخذ المُسلّمات فادحة عُظمى، فمثلاً مَعْنَى الجهاد فِي نظر مدرسة أهل البيت المِيَّ غَيْر مَعْنَى الدفاع، وَبَعْدَ مُراجعة الرّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المِيَّا لَمْ أقف عَلَى تعبير تقسيم الجهاد إلى ابتدائي ودفاعي، وَإنَّما هَذَا التقسيم مِنْ اجتهادات مدرسة الطرف الآخر - أيّ المدرسة الأُخرَى، وتَسَرَّب إلى كتب الخاصة وعلينا تنقية بحوثنا الفقهيّة وتراثنا الفقهي مِنْ موروث مدرسة الرأي ونعكف عَلَى صفاء مدرسة أهل البيت المياب النزول عَلَى المنهج النفسيري، وتأثير الأخير عَلَى أسس الفِقْه والعقائد.

نعم، الوارد في الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المِيلِمُ كُمَّا فِي رواية

جعفر بن مُحمَّد عَنْ أبي جعفر المِلِي أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بعث محمداً عَلَيْهُ بخمسة أسياف فسيف عَلَى عَلَى مُشركي العرب، قَالَ الله جَلَّ وجهه: ﴿ فَاقَنْلُوا الله جَلَّ وجهه: ﴿ فَاقْنُلُوا اللهُ مَلَى عَبْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا (يعني فإنْ آمنوا ... فَإِخْوَنُكُمْ فِي ٱلدِينِ) لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِي الإسلام ولا يُسبى لهم ذريّة ومالهم في ع) (١٠).

وَعَنْ حفص عَنْ أَبِي عبدالله الله الله عَنْ حروب أمير المؤمنين للنَّا وَكَانَ السَّائِل مِنْ محبينا، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعَفُر للَّئِلا: بعث الله عمداً عَيْنَ بخمسة أسباب: ثلاثة مِنْهَا شاهره فلا تغمد إلى أنْ تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حَتّى تطلع الشّمش مِنْ مغربها، فإذا طلعت الشَّمس مِنْ مغربها آمن النَّاس كلهم في ذَلِكَ اليوم ﴿لَا يَنفُعُ نَفْسًا إِيمَنُهُ الَّمْ تَكُنُّ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْكُسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا خَيْراً ﴾ وسيف مِنْهَا ملفوف، وسيف مِنْهَا مغمود سلَّه إلى غيرنا وحكمه إلينا، فَأَمَّا السَّيوف الثلاثة الشاهرة فسيف عَلَى مشركي العرب، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَٱقَّنُكُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَثَّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍّ فَإِن تَابُواً ﴾ يعني آمنوا (فإخوانكم فِي الدِّين) فهؤلاء لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِي الإسلام وأموالهم وذراريهم سبى عَلَى ما سبى رسول اللهَ ﷺ فَإِنَّهُ سَبَى وعفا وقبل الفداء.

⁽١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٧٥ تفسير سورة البقرة آية ١٩٤، عنه بحار الأنوار: ج٩٧ ب٦ من أبواب الجهادح٦ ص٥٣.

أسباب النزول بمثابت القرينة اللفظية المقامية

والسيف الثَّانِي عَلَى أهل الذِّمة، قَالَ الله ﷺ جَلَّ ثناؤه ﴿ وَقُولُو اللِّنَاسِ حُسَنَا ﴾ نزلت فِي أهل الذِّمة ثمَّ نسخها قوله ﴿ فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ وَيَا اللَّهِ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ وِينَ الْمَحِقِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْمَحِتَنَبَ حَقَى يُعُطُوا الْمِجِزِيةَ عَن يَدِينُونَ وَهُمْ صَلِيغُونَ اللَّهِ فَمِنْ كَانَ مِنْهُ فِي دار الإسلام فلن يقبل مِنْهُ إلَّا يَدِ وَهُمْ صَلِيغُونَ فَا لَقتل ومالهم وذراريهم سبيٌ فإذا قبلوا الجزية حَرُم علينا سبيهم الجزية أو القتل ومالهم وذراريهم سبيٌ فإذا قبلوا الجزية حَرُم علينا سبيهم ... الخ.

والسيف الثَّالِث عَلَى مُشركي العجم يعني التُرك والديلم والخزر، قَالَ الله جَلَّ ثناؤه فِي أَوَّل السُّورة الَّتِي يُذْكر فيها الَّذِيْنَ كفروا فَقَصَّ قصتهم قَالَ ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَّبَ الرِّقَابِ حَقَّ إِذَا أَثَخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا فَالَ ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ اللَّهُ اللهِ عَلَى الله الله عني المفاداة بينهم وبين أهل بعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام فهؤلاء لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِي الإسلام ولا يَجِلُّ لنا نكاحهم ما داموا فِي الحرب.

وأمَّا السيف الملفوف فسيف عَلَى أهل البغي والتأويل ... الخ.

وأمَّا السيف المغمود فالسيف الذي يُقام به القصاص الخ.

فَهَذِهِ السيوف الخمسة الَّتِي بعث الله بها نبيه ﷺ فَـمَنْ جحدها أو جَحَدَ واحداً مِنْهَا أو شيئاً مِنْ سيرتها وأحكامها فَقَدْ كفر بها أنزل الله عَلَى 77...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث محمد عليه المعربية الثالث محمد المعربية المعربية

بتقريب: إنَّ هاتين الروايتين وَرَدَ فيها ذكر أقسام الجهاد، وَلَمْ يُجْعَلَ الدفاع قسمًا مِنْهَا مَعَ أنَّ هاتين الروايتين وغيرهما فِي صددالتحديد لماهيّة الجهاد وسبر أقسام.

إنَّ السيوف بمعنى الحرب، وَلَمْ يرد تعبير تقسيم الجهاد إلى ابتدائي ودفاعي، علماً أنَّ الدّفاع فِي مفهوم مدرسة أهل البيت اللَّلِيمُ غَيْر الجهاد.

وسيتضح لنا الأمر في أنَّ أغلب غزوات وحروب النَّبِي عَلَيْهُ ألد (٨٠) غزوة وحرب كَانَتْ دفاعيّة إمَّا لأجل استعادة الحقوق والأموال المسلوبة أو لدرء خطر المُشركين وعُتاة قريش عَنْ أعراض وأوطان المسلمين ... الخ، وإنْ كَانَ بعضها ابتدائياً كَمَا في غزوة بدر في الاصطلاح الفقهي تُعَدُّ جهاداً ابتدائياً لأنَّ نفس رسول الله عَلَيْهُ هياً وجهز الجيش والسلاح وكافة مُستلزمات المعركة إلّا أنَّهُ لَيْسَ عدواناً ابتدائياً وإنَّها كَانَتْ ذَاتَ غطاء دفاعي، إلَّا أنَّهُ وللأسف الشّديد عِنْدَمَا نرجع إلى روايات أسباب النول المُلفقة في المدارس الإسلاميَّة الأُخرَى غَيْر مدرسة أهل البيت الميلِيُّ نجد تلك الروايات قَدْ انقلبت رأساً عَلَى عقب في تبديل حقيقة مَعْنَى الجهاد عمّا هُو تلك الروايات قَدْ انقلبت رأساً عَلَى عقب في تبديل حقيقة مَعْنَى الجهاد عمّا هُو تكفُنُ لا عَلَيْهِ فِي القُرآن الكريم، والنظر إلى الجهاد بنظرة سوداوية ودمويّة، وَنَحْنُ لا

⁽١) تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ص ١٤٠، الكافي للكليني: ج٥، كتاب الجهاد: ٣٠ ح٢ الحديث المسلسل ٨٢١٨، ج ص ١٠؛ عنه بحار الأنوار: ج٩٧ ص ١٦ ب٢ من أقسام الجهاد وشر ائطه وآدابه.

أسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقامية نُريد أنْ نُبرر هَذِهِ النظرات الْمُتحاملة عَلَى القُرآن، ولكن نُريد أنْ نقف عَلَى بَعْض أسبابها ولا نحصرها بالصليبية والصهيونيّة ... الخ وَإِنَّمَا هدفنا إلفات النظر والفكر إلى أنْ أحد أسباب ما نَحْنُ فيه فِي مبحث أسباب النزول الملفقة الَّتِي وضعت رواياتها فِي المدارس الأُخْرَى تحت تأثير السَّلطة الأمويّة أو العباسيّة، مِنْ أنَّ غاية الجهاد الابتدائي عندهم هُوَ الإرغام عَلَى العقيدة بخلاف ما أسست لَهُ مدرسة أهل البيت اللِّهِ مِنْ أنَّ الهدف مِنْ تشريع الجهاد الابتدائي لأجل نشر العدالة في الأرض واسترداد الحقوق المُغتصبة أو الدَّفاع عَنْ الْمُسضعفين حَتَّى غَيْر المسلمين ﴿ٱلَّذِينَ عَهَدتً مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنَّقُونَ ﴿ ﴿ فَإِمَّا لَتُقَفَّنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿ اللَّهُ وَإِمَّا تَخَافَنَ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذَ إِلَيْهِمْ... اللهُ (١).

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآيات المُبَارَكَة تبيّن أنَّ غاية الحرب في بعضها، والعدوان وإنْ كَانَتْ هِيَ حرب ابتدائية استباقيّة، وَلَيْسَ المقصود مِنْ الجهاد هُوَ العدوانيّة والدمويّة والانتقام وفرض عقيدة مُعيّنة، فَإنَّ هَذَا منطق المدارس الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت المَيِّ وقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا مَعَافَنَ مِن قَوْمٍ خِيَانَةُ فَانَئِذَ إِلَيْهِمُ ... ﴿ حاولت أسباب النزول الملفقة أنْ تَعَالَى ﴿ وَقَلَهُ تَعَالَى ﴿ وَقَلَهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٥٦ ـ ٥٨.

والإلجاء، علماً أنَّ هَذِهِ الآية غَيْر قابلة للتخصيص والنسخ، كَمَا سوف يأتي توضيح ذَلِكَ كُلَّهُ وتفصيله فِي مبحث قَاعدِة الناسخ والمنسوخ إنَّ أعظم مشكلة فِي الباب هِيَ قَاعدِة أسباب النزول الملفقة، وَعَلَيْهِ فكيف تُدعى أسباب النزول أنَّ مثل قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُ ٱلْخَابِنِينَ ﴿ إِنَّ الله لا يحب الخائنين حسب ما جاء فِي آيات سورة الأنفال، وفي غزوة بدر وغيرها مِنْ سورة القُرآن والغزوات الأُخْرَى _ والعياذ بالله _.

والخلاصة: هل إنَّ الله يحب الخائنين أم ماذا؟ فَعَلَى أصحاب أسباب النزول الملفقة أنْ يجيبوا عَنْ هَذَا التساؤل مِنْ أنَّ القُرآن يُسمّي المباغتة والحرب مَعَ مُعاهد وذمّي خيانة، فكيف يمكن أنْ تنسخ هَذِهِ الآية فَإنَّ بَعْض الأحكام أبديّة مُعلّلة بعلّة أبدية غَيْر قابلة للنسخ.

التسديد الإلهي واليد الغيبية لثورة الإمام الحسين السِّلا :

إنَّ أهل البيت المِهِلِيُّ سطّروا أروع وأسمى مَعْنَى للجهاد وَلَمْ يستعملوا الغيلة والاغتيال؛ لِإنَّهُ لَيْسَ مِنْ مبدأ الإسلام وأهل البيت المِهِلِمُّ ذَلِكَ،

أسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقامية ٢٩ وَلَيْسَ مَعْنَى النصر عِنْدَ أهل البيت اللِّكِ أنَّ تسحق المبادئ مِنْ أجل النصر، وَإِنَّمَا النصر عندهم هُوَ أَنَّ تنهض لتثبيت المبادئ لا لطمسها أو التفريط بها، كَمَا صنع ذَلِكَ رسول اللهَ عَلِمَا أَلِيُّهُ فِي غزواته وحروبه وهكذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المُثَلِّةِ والحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة ونهضة عاشوراء الحسينية لا لأجل التفريط بالمبادئ، وهكذا ما صنعه مسلم بن عقيل الطُّلِهِ رسول الحسين إلى أهل الكوفة وقاد ثورة شعيبة لشهور مِنْ الزمن مَعَ وجود حكومة ظالمة وَهِيَ حكومة معاوية بن أبي سفيان فِي نفس الكوفة والبصرة أيّ حكومتان فِي مدينة واحدة، وَلَمْ يصدر مِنْ هَذِهِ التيارات الشعبيّة الَّتِي تنضوي تحت راية مسلم بن عقيل اللَّهِ أيّ خروقات تجاوزيّة، ولكن ما هِيَ العناية الإلهية الّتِي جعلت مِنْ ثورة الحسين اللَّهِ عدم حصول أيّ خَرْق وتجاوز عَلَى أيّ مُقرّر وحقوق للقاعدة الشعبية للطرف الآخر، وَهَذَا لَمْ يحصل حَتَّى لسيَّد الأنبياء مُحمَّد عَيَّاللَّهُ وَهُوَ عَيَّاللَّهُ جَدُّ الحسين وأفضلَ مِنْهُ، ولكن ما هِيَ تلك العناية الخاصّة بالحسين اللهِ ، فَإِنَّ للرسول الأكرم عَلَيْكُ عِنْدَمَا أراد أنْ يدخل مَكَّة المكرمة أرسل جيشاً بقيادة خالد بن الوليد إلَّا أنَّ خالداً صنع مجزرة ومقتلةً عظيمةً فِي بني جذيمة تبرّاً مِنْهُ الرسولَ ﷺ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك مما فعله خالد بن الوليد إلى أنْ أرسل على بن أبي طالب الله وصالح بن جذيمة وودي قتيلهم ورضّاهم إلى أنْ رضوا عَنْ رسول الله الله الله عناه أنَّهُ حصل خرق مِنْ قبل خالد بن الوليد، وَهُنَا تتجلَّى الجنبات الغيبية فِي نهضة سيد الشهداء

الحسين ابن على الله المتناغمة والمتسقة والمنتظمة مَعَ مبدأ القُرآن فِي عدم الخيانة وذمّها وعدم التجاوز عَلَى المبادئي ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَ مِن فَوْمِ خِيَانَةُ الخيانة وذمّها وعدم التجاوز عَلَى المبادئي ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَ مِنْ مبادئ القُرآن فَانَيْذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُ الْمُنَابِينَ الله فَإِنَّ مِنْ مبادئ القُرآن وَالدّين الإسلامي الحنيف عدم الخيانة، وتطبيق مثل هكذا أمر لَيْسَ بالسّهل وَإِنَّا هُوَ مِنْ الصعوبة بمكان أنْ يقود القائد الميداني جيشه فِي الميدان وَلَمْ يستلزم حصول أيّ خرق ولا هدم ولا دم ولا ... الخ؛ ولذا خاطبهم الحسين الله يَوْم عاشوراء: «أتطالبوني بدم سفكته منكم أو مال أجترحته أو ... الخ» وَعَلَيْهِ كيف استطاع الإمام الحسين الله ومسلم بن عقيل المنظل التحكّم بذلك مِنْ دون أيّ خرق شعبي فِي قَاعدَة الطرف الآخر، وما هَذَا لو تأملت به إلّا تسديد غيبي إلهي.

الخلاصة: فَإِنَّ مِنْ مبادئ الإسلام عدم الخيانة وتطبيق مثل هَذَا لَيْسَ بسهل تنفيذه لِكُلِّ أحد فَإِنَّ المحافظة عَلَى المبادئ والأُسس يُترك تنفيذها لأهلها أمثال سيد الأنبياء عَلَيْ أوأمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله والحسن والحسين الميالي والتسعة المعصومين مِنْ ذرية الحسين الميالي لا لِمَنْ هبّ ودبّ، وَعَلَيْهِ إِذَا أردت أَنْ تبني الإسلام فَلابُدَّ مِنْ إظهار بنائه بصورة نيرة ورائعة وجميلة تجذب بها قلوب الآخرين تلقائياً وتُحبِّب لهم الإسلام، لا أن تبني الإسلام عَلَى أساس العنف والقوّة والبطش بالآخرين والإرغام عَلَى فرض العقيدة والأحكام العرفية، والفرق واضح بين المسيرين مسير مدرسة أهل البيت الميالي ومسير مدرسة العامّة والخلفاء.

أسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقامية

والحاصل: إنَّ أسباب النزول لها تأثير بالغ في استنباط أحكام الفروع وكمثال باب الجهاد وكنظام علاقة الدولة الإسّلاميَّة مَعَ الشعوب والدول الأُخْرَى، وَأَنَّهُ أمر حضاري ومصيري خطير وكبير.

إنَّ أحد أهم أسباب بحث قَاعدِة روايات أسباب النزول لما لها تأثير خطير في القَوَاعِد الفقهية والتفسيرية والعقائدية وميادين أُخْرَى عديدة في علوم الدِّين، بَلْ وتؤثِّر حَتَّى عَلَى مسيرة الدِّين؛ لِأنَّ الدِّين رهينٌ بأعمدة وأحد تلك الأعمدة الرئيسية والإساسية له هُوَ القُرآن الكريم، وَكُلِّ ذَلِكَ لِأَنَّ التمسّك بالقرآن الكريم وكيفية فهمه أمرٌ بالغ الخطورة.

إنَّ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُو تحريف فَهُمْ الآيات عَنْ طريق خلق روايات لأسباب النزول، والتحريف عبارة عَنْ إلقاء ستارٍ أمواج ضبابيّة عَلَى ظهور ألفاظ القُرآن الكريم كي لا يُبصر المسلمون حقائق القُرآن، وسبب عِظم خطورته هُو لأننا نتعامل ونتعاطى مَعَ أعظم مصدر للمعرفة الإسلاميّة والدِّينيّة ألا وَهُو القُرآن الكريم، ومثل هكذا تحريف معناه المساعدة عَلَى إيجاد خطوات ومواطئات مجهضة للعقل الإسلامي، ولعقل أجيال فاضلة علميّة للبشر، وَهَذَا ممّا يدعو ويُحفّز الأخوة الباحثين وحرِّف مِنْ دعاوى أو أقوال فِي أسباب النزول.

المعهود عِنْدَ الكثير مِنْ المُفَسِّرِين أنَّ دور موطن النزول هُوَ عبارة عَنْ موطن زماني ومكاني وحدث مُعيّن لإبلاغ آية مِنْ الآيات أيِّ أنَّ الآية لها موطن نزول جغرافي وزماني وإحداثي، إلّا أنّه سيتضح مِنْ خلال بحث مورد أسباب النزول أنّ الأمر لَيْسَ كَذَلِكَ، وأنّ مورد النزول للآية وإنْ كَانَ لَهُ موطن خاص، إلّا أنّ لَهُ جهات وحقائق أُخْرَى مُهمّة مؤثرة وأنّ نزول الآية في الموطن الخاص يعني فيها يعنيه أنّه إعمال لولاية الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إدارة شؤون العباد وفي الجانب السياسي والعسكري والتجاري والاقتصادي و ... الخ، ولا تنحصر ولا تتقزّم الولاية أيّ ولاية الله تَعَالَى الاجتماعي أو ... الخ فَإنّ أحد دعائم الولاية هُوَ الهداية ولا سيها الملكوتية مِنْهَا وَهُنَاك هداية إيصالية و ... الخ وَعَلَيْهِ فَإنّ مقام الولاية لا ينحصر في مقام الحاكمية السياسية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿) ... المَا مَقَام الحاكمية السياسية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿) ... المَا مَقام الحاكمية السياسية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿) ... المَا مَقام الحاكمية السياسية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿) ... المَا مَقام الحاكمية السياسية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿) ... المَا مَقام الحاكمية السياسية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَكُلُولُ وَلَاكُولُ وَالْمُ المِلْهُ الله الله المُناكِولُولُ المَا المُناكِولِ الله المُناكِولُ مَا المُحَالِقُولُ الله المُناكِولُ المُناكِولُ الله المِن الله المُناكِولُ الله الله المَاكِولُولُ المُناكِولُ المُناكِولُ المُناكِولُ السياسية السياسية المَاكمية السياسية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرً وَلَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ المُناكِولُ اللهِ اللهُ المُناكِولُ اللهُ الل

إنَّ لأسباب النَّزُول جُملة مِنْ المؤدّيات والمفادات فِي روايات أهل البيت المَّكِلُ لَمْ يتعرّض إليها المُفَسِّرون وتعرّضوا لبعض المؤدّيات والمفادات العامّة كالنبوّة وحصر أسباب النزول بالزمان والمكان المعروف بموطن النزول وتبليغ النَّبِيّ الأكرم اللَّهِ والأحكام الواردة فيها، بينها هُنَاك

⁽١) سورة الرعد: الآية ٧.

⁽٢) كمال الدِّين وتمام النِّعمة للصدوق: ج٢، ص٦٠٥ ب٥٨ ح١٠.

تنبيهان.....

مفادات وأبعاد أُخْرَى وَرَدَتْ فِي بيانات أهل البيت المِلِيَّة كالولاية والحاكمية وأنَّ النزول والتنزّل نوع مِنْ أعمال الولاية الإلهية وتدبير شؤون البشر، وَهَذَا هُو المفاد العقيدي المُهم فِي القُرآن الكريم الذي غَفَلَتْ عَنْهُ المدارس والمذاهب الأُخْرَى، علماً أنَّ القُرآن الكريم قُرِنَ نزوله بكلِّ مِنْ النبوّة والولاية.

إِنَّ منهجنا التفسيري المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم يُفسِّر لنا أسباب النَّزول بمعنى ولائي فضلاً عَنْ المعنى التنظيري، وبعبارة أُخرَى أَنَّ كُلِّ قَواعِد التفسير فِي نظام الاستعمال اللّفظي ونظام معاني القرآن ونظام الحقائق لأبُدَّ أَنْ تكون لها صبغة ولائية كَما لها صبغة نبويّة، فَإِنَّ القرآن كتاب لا ينحصر بالنبوّات مبنعة ولائية كَما لها صبغة نبويّة، فَإِنَّ القرآن كتاب الولاية أيّ كتاب فيه أيّ ليْسَ فَقَطْ كتاب نبوّة وتنظير _ وَإِنَّها يشمل كتاب الولاية أيّ كتاب فيه برنامج حكم وإدارة كونيّة، ولا يستطيع المُفسِّر أَنْ يقصتر عَلَى البُعد الأوَّل أيّ التنظيري أيّ بُعْدُ النبوّة، بَلْ لابُدَّ لَهُ مِنْ الخوض فِي البُعْد الثَّانِي.

تنبيهان

التبيه الأول: إنَّ الرُّوايات المزعومة والمُلفَّقة فِي أسباب النزول عِنْدَ الطرف الآخر هِيَ ليست منسوبة إلى الْنَبِيّ الأكرم عَيَّا ولا مُسْنَدةً إليه عَيَّا ولا ألله ولا مُسْنَدةً إليه عَيَّا ولا إلى أحد أوصيائه المعصومين مِنْ أئمة أهل البيت الميلان، وَإنَّما هِي منسوبة إلى جُملة مِنْ الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين؛ ولذا عِنْدَمَا نعبر بالرُّواية المقصود الرُّواية التأريخية وليست الرُّواية النبويّة ولو عندهم بالرُّواية المقصود الرُّواية التأريخيّة وليست الرُّواية النبويّة ولو عندهم بالرُّواية المقاود الرُّواية التأريخيّة وليست الرُّواية النبويّة ولو عندهم بالرُّواية المقاود الرُّواية التأريخيّة وليست الرُّواية النبويّة ولو عندهم بالرُّواية المقاود الرُّواية التأريخيّة وليست الرُّواية النبويّة ولو عندهم المُنْ ولي اللهُ ولي المُنْ ولي عندهم المُنْ ولي اللهُ ولي المُنْ ولي اللهُ ولي المُنْ ولي ال

العامَّة ـ هَذَا هُوَ حال أسباب النزول المُلفَّقة والمحرَّفة وَمَعَ ذَلِكَ وللأسف حَتّى عِنْدَ بَعْض مُفسّري الخاصّة يعتمدها رغم أنَّها ليست مُسندة إلى النَّبِيِّ عَيْشٍ أو أهل بيته اللَّهِ وَإنَّها مُسندة إلى غَيْر مَنْ يؤثِّق بحاله.

النتبيه الثّاني: مِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم يفصح عَنْ حقائق كثيرة بشرط أنْ لا تحجبنا أسباب النزول المُلفّقة والمزعومة والمُزيّفة لديهم مِنْ قبل أتباع السّلطة الأمويّة والعباسيّة ومدرسة الطرف الآخر عَنْ حقائق القُرآن ومفاهيمه النيّرة وَعَنْ مفاد ظاهر القُرآن البيّن، فاللّازم عدم التأثّر وعدم الاحتجاب بها والتخلّص مِنْ تلاوينها المنعكسة عَلَى إطار ظهور الآيات وقوالب معانيها، كما سوف يتضح كُلّ ذَلِكَ مِنْ خلال الآيات والرّوايات، كما في قوله تَعَالى: ﴿إِذْ يَكُولُ ٱلْمُنَفِقُونَ وَاللّذِينَ فِي قُلُوبِهِم وَالرّوايات، كما في قوله تَعَالى: ﴿إِذْ يَكُولُ ٱلمُنَفِقُونَ وَاللّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَنْ مَنْ خَلَلُ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ حَكِيمُ مُن خَلَلُ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ حَكِيمُ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ حَكِيمُ مَنْ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ حَكِيمُ مَنْ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ حَكِيمُ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ حَكِيمُ مَنْ اللّهِ فَإِنَ ٱللّهُ عَزِينُ مَنْ حَلَى اللّهِ فَإِنَ اللّهُ عَنْ يَتَوْكُ مَكُونُ وَاللّهُ عَنْ مِنْ حَلَى اللّهِ فَإِنَ اللّهِ فَإِنَ اللّهُ عَلَى اللّهِ فَإِنَ اللّهُ عَلَى اللّهِ فَإِنْ اللّهُ عَنْ يَنْ حَلَى اللّهُ عَنْ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهِ فَإِنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ فَإِنَ اللّهُ عَنْ مِنْ اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَنْ مِنْ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ ع

بتقريب: إنَّ الآية المُبَارَكة تشير إلى حقائق خطيرة وتحاول أسباب النزول المُلفّقة المزعومة فِي غزوة بدر مثلاً أنْ تُشير إلى أنَّ الذي يتبع الدِّين هُوَ إنسانُ بسيط ساذج، مَعَ العلم أنَّهُ اعتمد عَلَى أكبر وأضخم قوّة أزليّة وتوكّل عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَن يَتَوَكّلَ عَلَى الله عَزْ وَجَلَّ ﴿ وَمَن يَتَوَكّلُ عَلَى الله عَنْ يِنْ حَكِيمُ الله عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ الله عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ الله

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

تنبيهان............. ٣٥

بتقريب: أفهل مَنْ يتوكّل عَلَى الله يُنعت بالسّذاجة وما شاكلها، هَذَا ما نُريد أنْ نثبته فِي أسباب النّزول.

الجهة الثانية: ارتباط قاعدةِ أسباب النزول

بترتيب القرآن آياتا وسورا:

بيان العلاقة الوطيدة

بين قاعدةِ ترتيب سور القرآن وقاعدةِ النزول:

إنَّ منهاج مدرسة أهل البيت اللَّهِ مِنْ أَتَمَ وأسدَّ مناهج المدارس الإسلاميّة الأُخْرَى حقاً، وَعَلَى الإطلاق أحاطة بأسباب النّزول، إلَّا أَنَّهُ تواجهنا مشكلة فِي مبحث أسباب النّزول وَهِي: _

إِنَّ هُنَاكِ جُملة مِنْ أَكَابِرِ المُفَسِّرِينِ اعتمدوا واتّكلوا وللأسف فِي أسبابِ النَّزول فِي موارد عديدة مِنْ الرُّواية أو القصّة المرويّة وغيرها عَلَى مصادر العامّة فِي أسبابِ النَّزول وتركوا المنابع الغنيّة لأسباب النَّزول الموجودة لدينا فِي مدرسة أهل البيت المَيِّكِ، بَلْ وَقَدْ يتعدّى الأمر فِي بَعْض الحالات إلى اعتباد واتّكال كبار المُحقّقين مَعَ جلالة قدرهم فَإنَّهُ حصلت لديهم هَذِهِ الهفوة والزلّة أمثال على بن إبراهيم القُمي صاحب تفسير القمي، فَإنَّهُ فِي جُملة مِنْ الموارد أخذ أسباب نزول الآيات مِنْ أسباب النّزول المزعومة لدى العامّة، وإرسالها إرسال المُسلّمات مِنْ دون أَنْ يسندها إلى روايات أهل البيت المِنْ في الفِقْه العقائدي وَالفِقْه السياسي، وفي بَعْض

الحالات حَتّى فِي فقه الفروع وغيره، وَهَذِهِ الرّوايات الَّتِي اعتمدها علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي مِنْ طرق العامّة لَمْ يقف عَلَيْهَا بنفسه الله وَهَذَا يُشكِّل خَطَراً كبيراً عَلَى سير عمليّة الاستنباط بمختلف اتجاهاتها، وَلَهُ تداعيات عديدة وخطيرة جدّاً فِي الفِقْه والعقائد والتفسير وغيرها؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أسباب النّزول - كَمَا مَرَّ - تُشكِّل قرينة دالَّة عَلَى الظهور، وَهَذِهِ الدلالة تكوّن وتُملي ظهور الآية بهادّة سبب النّزول غَيْر الموثوق بها والملفقة، وَهَذَا ما يُؤثِّر سلباً عَلَى النتيجة، وتكون النتيجة تابعة لهذا الخلل وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الاعتهاد عَلَى مثل هكذا أسباب للنزول صناعياً وعلمياً قرينة دامغة حالية ومقاليّة لتكوين الظهور، ويرسوا عَلَى شاكلة مُعيَّنة، ويُقلب إلى قَالب آخر ومقاليّة لتكوين الواقع الخارجي.

وهكذا الحال في تفسير التبيان للشّيخ الطوسي الله فَإنَّهُ اعتمد عَلَى جملة مِنْ أسباب النّزول مِنْ طُرق العامّة فِي تفسير وبيان جملة مِنْ الآيات، والحال أنَّ تلك الأسباب مزعومة ومُحرّفة ومغلوطة.

ونفس الكلام يأتي فِي تفسير البيان للطبرسي فَإنَّهُ هُوَ الآخر اعتمد عَلَى جملة مِنْ أسباب النّزول المُلفّقة والمزعومة مِنْ طرق العامّة.

علماً أنَّ هذين المصدرين _ أعين التبيان للشيخ الطوسي، والبيان للطبرسي _ مِنْ مفاخر كتب التفسير إلى يومنا الحاضر، بَلْ وَحَتَّى مُعتمد عَلَيْهَا لدى المذاهب الإسلاميَّة الأُخْرَى، فضلاً عَنْ أغلبية مراكز البحوث

تنبيهان.....

في اللَّغَة العربية، بَلْ وَحَتَّى فِي مبحث القراءات العشر - كَمَا سيأتي بحثها فِي علها المُناسِب إِنْ شاء الله - فَإِنَّ جملة مِنْ مفاخر رجال الإمامية أمثال حمران بن أعين، وأبان بن تغلب، وعاصم والكسائي والفرّاء وغيرهم بذلوا جهودهم في سبيل حفظ القراءات القُرآنية إلَّا أَنَّهُ وللأسف فِي نفس الوقت تسربت إلينا موارد كثيرة مِنْ الفرق الأُخرَى إلى الوسط الداخلي.

وكفى به شاهداً ما قاله الذهبي وَهُو مِنْ عُلَمَاء ومفسري العامّة أنّهُ لو حَذَفنا الأحاديث الَّتِي يرويها أبان بن تغلب وأضرابه مِنْ الشيعة الإمامية لاندرس واندثر جزءاً مُهماً مِنْ تراثنا^(۱) وسنبين شيئاً فشيئاً _ إنَّ شاء الله تعَالَى _ كيف التلاعب والتحريف الذي دَبَّ إلى باب أسباب النّزول المزعومة لدى العامّة، وَهَذَا أمرٌ مهم جداً فِي منابع المعرفة الدِّينية وتقييمها، فَإنَّهُ مِنْ الخطورة بمكان أنْ يقع جملة مِنْ الأعلام الكبار _ رضوان الله تَعَالَى عليهم _ فِي هَذِهِ الغفلة ويُرى منهم متابعة المدارس الأُخْرَى، وَلَيْسَ الغرض مِنْهُ المتابعة، أو النقد فَقَطْ بلا توثيق علمي صحيح، فَإنَّ تثبيت مثل الغرض مِنْهُ المتابعة، أو النقد فَقَطْ بلا توثيق علمي صحيح، فَإنَّ تثبيت مثل هكذا مطلب بلا مستند علمي أمرٌ غَيْر صحيح.

وبالتالي لا تأمننَ ولا تطمننَ أيُّهَا الباحث الكريم فِي موارد أسباب النّزول المزعومة عِنْدَ الطرف الآخر _ العامّة _ ما لَمْ يُدقّق ويُحَقّق فيها، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يكن فيه تلفيق وتزييف، فلا أقل فيها تعقيد وتعتيم، بأنْ ينقل لك

⁽١) ميزان الاعتدال: ج١.

٣٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

سبب النّزول ويصوِّور بَعْض الحقيقة ويطمس كثير مِنْ الحقائق إلى حدٍّ إرضاء السلطان الحاكم وإنْ كَلَّف الأمر قلب وعكس الحقيقة والواقعة.

قاعدة فرعية:

في تعدد أسباب النزول لأبعاض الأية الواحدة وآحاد كلماتها وتأثير ذلك على تفسير الآية فضلا عن الآيات في السورة الواحدة:

تنبيه: سنبيّن في جهات بحث نظام أسباب النّزول عِنْدَ أهل البيت المهيّلاً ون شاء الله تَعَالَى - إنّهُ تختلف حقيقة سببيّة أسباب النّزول وحقيقة مورديّة مورد النّزول عِنْدَ مدرسة أهل البيت المهيّلاً عَنْ بقيّة المدارس والمذاهب الأُخرَى، وَهَذَا مما يوجب لكثير مِنْ الباحثين الوقوع في الخلط إذَا مَزَج في الاعتهاد بين ما وَرَدَ عِنْدَ العامّة، وما وَرَدَ في روايات أهل البيت الميّلاً، وَلَيْسَ الاعتهاد بين ما وَرَدَ عِنْدَ العامّة، وما وَرَدَ في روايات أهل البيت الميّلاً، وَلَيْسَ دائماً هَذَا التلفيق والتحريف عمديّاً في أسباب النزول، وَإنّها في بَعْض الأحيان يَكُون سبب القصور هُو أَنَّ الطرف الآخر غَيْر مُلم بحقيقة أسباب النّزول كَمَا تعيه إحاطة أئمة أهل البيت الميّلاً؛ ولذا نُلاحظ انجرار بَعْض مُفسِّري الحاصّة وراء أو مَعَ أَهل البيت النّزول عِنْدَ الطرف الآخر نتيجة غفلته، أو ابتعاده عَنْ التعرُّف عَلَى نظام أسباب النّزول عِنْدَ أهل البيت الميّلاً.

ونتيجة هَذَا الابتعاد وَهَذِهِ الغفلة هُوَ أَنَّهُ يتولَّد لديه توهمٌ أنَّ تفسير الآيات والسّياق فِي أسباب النُّزول واحدٌ وَهُوَ خطأٌ، وسيأتي فِي نظام

تنبيهان.....

أسباب النُّزول عِنْدَ أهل البيت المَّيِّ أَنَّهُ لا وحدة أسباب ولا وحدة سياق وَاللَّهُ يَقلُّ أَنْ يَكُون فِي الآية والآيات وحدة سياق ووحدة سوق، نعم هُنَاك وحدة غرض ووحدة هَدَفِ مِنْ الآية الواحدة والسورة الواحدة، ووحدة الغرض، ووحدة الهدف تغاير وحدة السياق، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ، فَإِنَّ كثيرًا مِنْ الآيات لها عِدَّة أسباب نزول بلحاظ صدرها ووسطها وذيلها، بَلْ فِي جملة مِنْ الموارد، الكلمة الواحِدة مِنْ الجملة لها سبب نزول يختلف عَنْ بَقيَّة كلمات الجملة الواحِدة، ولَعَلَّ هَذَا مِنْ غرائب الأُمُور عَلَى مَنْ لَمْ يأنس بألوان وأنواع الاستعال التركيب القُرآني بحسب ما نبّه عَلَيْهِ أهل البيت المَّيِّ وبيَّنوا أَنَّ مِنْ أكبر العوائق أمام البشر فِي فَهُمْ كلام الله البناء عَلَى وحدة الموضوع في الآية الواحِدة فضلاً عَنْ الآيات مَع كونه كلاماً مُتصلاً عَنْ الآيات مَع كونه كلاماً مُتصلاً عَنْ الآيات مَع

روى العياشي بسنده عَنْ الباقر اللهِ فِي قوله: «إِنَّ للقُرْآن بطناً وللبطن بطن وَلَهُ ظهرٌ وللظهر ظهر ... وَلَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إِنَّ الآية لتكون أوّلها فِي شيء وآخرها فِي شيء وَهُوَ كلامٌ مُتَصِلٌ يتصرّف عَلَى وجوه»(٢).

روى العيّاشي بسنده عَنْ جابر، قَالَ: قَالَ أَبُو عبدالله «يا جابر أَنَّ للقُرْآن بطناً وللبطن ظهر» ثمَّ قَالَ: «يا جابر، وَلَيْسَ شيءٌ أبعد مِنْ عقول

⁽١) الاحتجاج للطبرسي، احتجاج الزنديق على أمير المؤمنين: ج١، ص٢٩٢-٢١٦.

⁽٢) العيّاشي: تفسير: ج١، ص٨٦.

.٤....... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

الرجال مِنْهُ إنَّ الآية لينزل أولها فِي شيء وأوسطها فِي شيء وآخرها فِي شيء، وَهُوَ كلامٌ مُتصِلٌ يتصرف عَلَى وجوه ...» (١١).

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنين الله في احتجاجه عَلَى الزنديق ... وَمِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يَكُون تأويله عَلَى غَيْر تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبّك بمثال لذلك تكتفي به إنَّ شاء الله تَعَالَى، وَهُوَ حكاية الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إبراهيم الله ﴿وَقَالَ إِنِي ذَاهِبُ إِلَى رَقِي ﴾ فذهابه إلى ربه توجهه إليه في عبادته واجتهاده، ألا ترى أنَّ تأويله غَيْر تنزيله، وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ ٱلْأَنْعَم ثَمَنِيكَ أَزْوَجٍ ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا لَكُم مِنَ ٱلْأَنْعَم ثَمَنِيكَ أَزُوجٍ ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا

وكذلك قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّمْءَنِ وَلَدُّ فَأَنَا أُوَّلُ ٱلْعَنبِدِينَ ﴿ أَنَّ أَيِّ أَيِّ الْجَاحِدين والتأويل فِي هَذَا القول باطنه مضاد لظاهره.

وَمَعْنَى قوله: ﴿ عَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَن تَأْتِيهُ مُ الْمَلَتَ كُةُ أَوْيَأْتِى رَبُّكَ أَوْيَأْتِى وَمَعْنَى قوله: ﴿ عَلَى يَنْظُرُ الْمَالَةِ يَعْمُ الْمَالِئَةِ كُمَّ الْمَالِئَةِ هَلَ يَتَظُر المنافقون والمُشركون إلَّا أَنْ تأتيهم الملائكة فيعاينونهم، أو يأتي بَعْض آيات ربك يعني بذلك: أمر ربّك والآيات هِي العذاب فِي دار الدُّنْيَا، كَمَا عَذَّب الأمم السالفة والقرون الخالية، وَقَالَ: ﴿ أَوْلَمُ يَرُوا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ يعني بذلك ما يهلك مِنْ القرون فسيّاه إتياناً، وَقَالَ: ﴿ قَالَ لَهُ مُ اللّهُ أَنَّ اللّهُ أَنْ اللّهُ اللّهُ أَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

⁽١) المصدر السابق: ج١، ص٠١، ح١، عنه البحار: ج٨٩ ص٩١.

⁽٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

تنبيهان......

يُؤْفَكُونَ فَسَمّى اللعنة قتالاً، وَقَالَ: ﴿ قَالَ الْإِنسَانَ وَقَالَ: ﴿ قَالَ: ﴿ قَالَ اللَّهَ مَا لَكُمْ مُ وَلَكِحَ اللَّهَ قَالَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِحَ اللَّهَ رَمَيْ فَا فَاللَّهُمْ فَا لَا ترى تأويله غَيْر تنزيله، ومثل قوله: ﴿ بَلْ هُم فَسَمّى فعل الْنَبِي عَلَيْ فعلاً لَهُ، ألا ترى تأويله غَيْر تنزيله، ومثل قوله: ﴿ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴾ فسمّى البعث: لقاءاً، وكذلك قوله: ﴿ اللَّهُ يَظُنُّ وَلَا يَظُنُّ اللَّهُ مَنْ عُوثُونَ ﴾ أيّ يوقنون أنّهم مبعوثون، ومثله قوله: ﴿ أَلَا يَظُنُّ اللَّهُ مَنْ عُوثُونَ ﴾ أيّ يوقنون أنّهم مبعوثون، واللقاء عِنْدَ المؤمن: البعث، وَعِنْدَ الكافر: المعاينة والنظر.

وَقَدْ يَكُونَ بَعْض ظن الكافر يقيناً، وَذَلِكَ قوله: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوَاْ أَنَهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ ، أيّ تيقّنوا أنّهم مواقعوها.

أمَّا قوله فِي المنافقين ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ ('')، فَلَيْسَ ذَلِكَ بيقين، ولكنَّه شكّ، فاللَّفظ واحدٌ فِي الظاهر، ومخالف فِي الباطن ('').

وروى العيّاشي عَنْ أبي جعفر الطِّلاِ، قَالَ: لَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، أنَّ الآية ينزل أولها فِي شيء ووسطها فِي شيء

⁽١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

⁽٢) سورة عَبَسَ: الآية ١٧.

⁽٣) سورة المطففين: الآية ٤ ـ ٥.

⁽٤) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

⁽٥) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٣٠٢_٣٠٣ في احتجاج أمير المؤمنين على الزنديق، وكذا المحاسن للبرقي: ص٣٠٠.

روى العيّاشي بسنده عَنْ جابر، قَالَ: سألت أبا جعفر السَّلِا عَنْ شيء في تفسير القُرآن فأجابني، ثمَّ سألته ثانية فاجابني بجواب آخر، فقلت جُعِلْتَ فداك كنتَ قَدْ أجبتَ فِي هَذِهِ المسألة بجوابِ آخر غَيْر هَذَا قبل اليوم، فَقَالَ لِي يا جابر: _ إنَّ للقُرْآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر لَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية لتكون أولها فِي شيء وَهُوَ كلام مُتَّصلٌ يتصرف عَلَى وجوه (٢).

⁽١) العيّاشي: ج١، ص٩٥، في منء فَسَّرَ القرآن برأيه: ج١.

⁽٢) العيّاشي: ج١، ص٨٧ ح٨ باب تفسير الناسخ والمنسوخ، والظاهر والباطن.

الوجوه البلاغية لاستعمال كل كلمة بنحو مستقل في الآية الواحدة

مِنْ الجهات المُهِمَّة فِي قَاعدِة أسباب النُّزول جهة الوجوه البلاغيّة الاستعمال كُلِّ كلمة بنحو مستقل فِي الآية الواحدة، ونذكر: _

أُوَّلاً: روى العيّاشي عَنْ أبي عبدالرحمن السلمي: أنَّ علياً مَرَّ عَلَى قاضٍ، قَالَ: «تعرف الناسخ والمنسوخ، فَقَالَ: لا، قَالَ: هلكتَ وأهلكتْ، تأويل كُلِّ حرفٍ مِنْ القُرآن عَلَى وجوه»(١).

ووجه دلالتها: هُوَ أَنَّ الْمُراد مِنْ كُلّ حرفٍ مِنْ القُرآن أَيِّ كُلّ كلمةٍ مِنْهُ، وإِنْ كَانَ الحرف قَدْ يُطلق عَلَى الجُملة أيضاً، وكذلك يُطلق عَلَى مجموع الآية، ولكنّه يُطلق بكثرة أيضاً عَلَى كُلّ كلمة، فإذا كَانَتْ كُلّ كلمة لها وجوه وتعاريف عديدة فَعَلَى ما تقدّمت الإشارة إليه مِنْ أَنَّ كُلّ كلمة في الآية قَدْ يَردُ فيها سبب للنُّزول يختلف عَنْ سبب النُّزول للكلمة الأُخْرَى سواء لوحظت الكلمة بمفردها أم بمثابة الجملة أو لمَ تلحظ.

⁽¹⁾ العيّاشي: ج١، ص٢٨٧ ح٩ باب الناسخ والمنسوخ.

وروى العيّاشي عَنْ الأصبغ بن نباتة، قَالَ: _ وَقَالَ: لما قَدِمَ أمير المؤمنين الله في الكوفة صلّى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم _ سَبِّح أَسْمَ رَبِكَ المؤمنين الله في الكوفة صلّى بهم أربعين الله الله أنْ يقرأ القُرآن، المنافقون لا والله ما يحسن ابن أبي طالب أنْ يقرأ القُرآن، ولو أحسن أنْ يقرأ القُرآن لقرأ بنا غَيْر هَذِهِ السُّورة، قَالَ فبلغه ذات، فقال: ويلٌ لهم إنِّ لأعرف ناسخه مِنْ منسوخه ومحكمه مِنْ مُتشابهه وفصله مِنْ فصاله وحروفه مِنْ معانيه، والله ما مِنْ حرفٍ نزل عَلَى مُحمَّد عَيَا الله الله الأعرف فيمَن أُنزِل وفي أيّ يَوُم، وفي أيّ مَوْضِع الله الله ويمَن أنزِل وفي أيّ يَوُم، وفي أيّ مَوْضِع الله والله الله الله الله على المُحمَّد الله الله الله على المؤخوفة الله الله الله على المؤخوفة الله الله المؤخوفة الله الله المؤخوفة الله الله المؤخوفة الله الله الله المؤخوفة الله الله المؤخوفة الله الله المؤخوفة الله الله المؤخوفة المؤخ

بتقريب: أَنَّهُ اللَّهِ فَرَّق بين الحروف والمعاني ممّا يُشير إلى أنَّ كُلِّ حرف أيِّ لِكُلِّ كلمة جملة مِنْ المعاني.

روى العيّاشي عَنْ إبراهيم بن عمر، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عَلَيْهِ: «إِنَّ فِي القُرآن ما مضى وما يَحْدُثُ وما هُوَ كائن، كَانَتْ فيه أسهاء الرِّجال فأُلقيت، وَإِنَّمَا الأسم الواحد مِنْهُ فِي وجوه لا نَحْصى، يَعْرِف ذَلِكَ الوصاة»(٢).

بتقريب: فِي هَذِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وأنَّ المُرَاد مِنْ الاسم الكلمة الواحدة، وَقَدْ قُيِّدَ بكونه الواحد إشارة إلى انفراد الكلمة، وأنَّ الكلمة الواحِدة ذَاتَ وجوه فِي المعاني لا تُحْصى؛ لأنَّها مُتكثِّرة فَقَطْ.

فَعَلَى ما تقدّمت الإشارة إليه مِنْ أنَّ كُلّ كلمة فِي الآية قَدْ يَردُ فيها

⁽١) المصدر السابق: ص٩١ باب علم الأئمة الم بالتأويل ح١.

⁽٢) بصائر الدرجات، للصفّار: صُ ٢١/٦؛ العيّاشيّ: ج١، ص٨٨ باب تأويل كل حَرْفٍ من القرآن على وجوه: ح١.

الوجوه البلاغية لاستعمال كلكلمة البلاغية لاستعمال كلكامة

سبب للنزول يختلف عَنْ سبب النُّزول للكلمة الأُخْرَى، سواء لوحظت الكلمة بمفردها أم بمثابة الجملة.

ثانياً: كَمَا فِي الوجوه التالية:

الوجه الأوَّل: كَمَا هُوَ الحال فِي التأويل البلاغي.

الوجه الثَّانِي: أو لوحظت الكلمة ضمن مجموع بَعْض جُمَل الآية مَعَ عدم ضم الكلمة الأُخْرَى لذلك المجموع فيتعدّد المفاد والتركيب.

الوجه الثَّالِث: أو يُؤخذ مِنْ كُلِّ كلمة أخذ تأويل معانيها ويُضَم إلى أحد معاني تأويل الكلمة الأُخْرَى، فتعدَّد مناسبات المعاني المُتكثِّرة فِي كُلِّ كلمة مَعَ ضريب تكثّر المعاين لِكُلِّ كلمة مِنْ الآية مَعَ تكثّر ضريب التناسب والمُناسبات فتتكثّر وجوه الآية عدد مِنْ المعاني لا تُحْصَى عدداً.

وَهَذِهِ الوجوه الثَّلاثة تقريبٌ لغويٌّ بلاغيٌّ لكيفية كون كُل كلمة في الآية لها سبب نزول يختلف عَنْ الكلمة الأُخْرَى فضلاً عَنْ تعدد أسباب النُّزول للجُملة المُتعددة في الآية الواحِدة، فَإنَّهُ أسهلُ وضوحاً.

الوجه الرَّابع: وَهُوَ ما يُسمَّى بقاعِدَة الالتفات فِي علم البديع مِنْ علم البلاغة، ولكن بنحو التّوسعة لقاعِدَة الالتفات أوسع ممّا ذكره عُلَمَاء البلاغة فَيَكُون اللَّتَكلِّم يتحدَّث عَنْ موضوع ما ثمَّ يُحُوِّل خطابه أو حديثه إلى أو عَنْ موضوع أو شخص آخر، فَيُقَال لَهُ: _ إنَّهُ التفت فِي كلامه مِنْ موضوع إلى آخر، أو مِنْ شخص إلى آخر فكأنَّه أدار وجهه أو كلامه مِنْ

جهة إلى أُخْرَى، وَمِنْ شخص إلى آخر، وَقَدْ بحثنا قَاعدِة الالتفات فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فلاحظ ذَلِكَ.

ولا يخفى أنَّ أُسلوب الالتفات قَدْ يُرْتكب فِي أبعاض الجملة الواحِدة فَيُقصد مِنْ كلمة وَصْف شخص، ثمَّ يُقصدُ مِنْ كلمة الوصف الثَّانِي شخص ثالث وهلم جرّا.

ولا يخفى أنَّ قَاعدِة الالتفات نحو مِنْ أسلوب الإشارة والتلويح الخفي في البين، وَهَذَا ممّا ترك أثراً سلبياً عَلَى كثير مِنْ المُفَسِّرِين وضيَّعَ عليهم الكثير مِنْ حقائق التفسير الموجودة عِنْدَ أهل البيت التَّكِيُّ، وغابت عنهم، كُلِّ ذَلِكَ بسبب اعتبادهم عَلَى روايات أسباب النُّزول للطرف الآخر وَلَمْ يحققوها ويمحصوها بأنفسهم، كَمَا غابت الحقيقة عَنْ مُفسري الطرف الآخر.

والخلاصة: مِنْ كُلِّ هَذَا سيتضح جليّاً فِي أسباب النُّزول حسب منهاج مدرسة أهل البيت اللِّيُ أَنَّهُ لا وحدة أسباب ولا وحدة سياق فِي البين، وَهَذَا مما ترك أثراً سلبياً عَلَى كثير مِنْ مُفسّري الخاصّة وضيَّعَ عليهم الكثير مِنْ حقائق التفسير الموجودة عِنْدَ أهل البيت المَيْكِيُّ.

الترتيب داخل الأيت الواحدة

فضلا عن الآيات داخل السورة فضلا عن السورة فيما بينها ليسكما أنزل برهان على عدم التعويل على وحدة سياق الآيت الواحدة فضلا عن وحدة السياق في الآيات في السورة الواحدة

وَهَذَا أحد أسباب تعدّد أسباب نزول لأبعاض الآية الواحدة، وَقَاعدة ترتيب الآيات القرآنية، كمّا سيأتي بحثها فِي محلّها المُناسِب فِي مبحث القراءات ـ إنْ شاء الله ـ إلّا أنّهُ نشير وبوجازة لهذه القاعِدة لحاجتنا إليها فِي مقامنا فَإنَّ الغفلة عَنْ بيان قَاعدة ترتيب السّور والآيات بَلْ الترتيب فِي الآية الواحد فِي القُرآن الكريم أوْقَعْت جُلَّ المُفسِرين وَمِنْ الفريقين، سواء فِي فقه الفروع ـ آيات الأحكام ـ أو فِي فقه العقائد أو التفسير أو غيرها في التباسات عديدة وشديدة، وعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدة أمر فِي غاية الأهميّة لأنّها في التباسات عديدة وشديدة، وعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدة القَاعِدة أمر فِي غاية الأهميّة لأنّها في التباسات عديدة وشديدة، وعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدة القَاعِدة أمر فِي غاية الأهميّة لأنّها دخيلة فِي تركيب ظهور الآيات والسّور، فإنّها بمثابة حلقات السلسلة والمسلسل فبدلاً أنْ تبدأ مِنْ حلقة رقم واحد ابتدأ مِنْ النهاية إلى البداية ـ أيّ بالعكس ـ أو مِنْ الوسط إلى البداية، فحينئذٍ ابتدأ مِنْ النهاية إلى البداية ـ أيّ بالعكس ـ أو مِنْ الوسط إلى البداية، فحينئذٍ

إذَا فُقِدَ الترتيب وَلَمْ تسلكه سوف تكون الصورة أمامك مرتبكة وفوضى في الملفات، فَإِنَّ سور القُرآن الكريم الـ «١١٤» سوره وآياتها أكثر مِنْ ستة آلاف آية إذَا لَمْ ترتبها لا تستطيع أنْ تخرج ببناء سليم وقويم، وَعَلَيْهِ فالترتيب أمر خطير ومهم ولا يمكن التفريط والتساهل به، وكأنَّما أصل الاستفادة مِنْ شيء مرهون بتركيبه وترتيبه الصحيح النظم والنظم في شيء أمر مهم.

إنَّ أحد أهم الأُمُور الأساسيّة فِي تركيب مشاهد القُرآن الكريم بترتيب آيات السُّور والسُّور فيها بينها هُوَ تاريخ أسباب النُّزول، وَهَذَا مَّا أَكُده أمير المؤمنين اللَّهِ فِي حواريات عِدَّة مَعَ أصحابه وأطراف أُخرَى يتحدون فِي معرفة أسباب النُّزول مَعَ جهلهم بها فيقول لهم أمير المؤمنين اللَّهِ ما معناه ومضمونه «إذَا كنتم تجهلون أسباب النُّزول كيف يمكنكم معرفة ترتيب القُرآن وإذا كُنتم تجهلون ترتيب وتركيب القُرآن كيف يمكن أنْ تفهموا النَّاسخ مِنْ المنسوخ والعام مِنْ الخاص وغيرها».

وبعبارة أُخْرَى: كيف تصلون إلى معرفة أقسام الظهور؟ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَحد المفاتيح الأساسية الأولى فِي أقسام بحوث الدلالة والظهور فِي القُرآن الكريم هِيَ مسألة ترتيب الآيات والسور، وَهَذَا الترتيب للآيات والسور وليدٌ ومعلول لمعرفة تاريخ أسباب النُّزول.

ليسالمراد من ترتيب السور ترتيبها حسبما أنزل

هُنَاكُ أُمرٌ مُتّفق عَلَيْهِ بِين الفريقين مِنْ المسلمين، وَهَذَا الاتّفاق يعطينا دليل آخر عَلَى أهميّة البحث في تاريخ قَاعدِة أسباب النُّزول وتوثيقها وتريب آيات القُرآن ألا وَهُو أَنْ ترتيب سور القُرآن لَيْسَ حسب ما أنزل، وَهَذَا ممّا لا يمكن أنْ ينكره مكابر؛ لأنّنا نلاحظ السُّور المدنية متقدِّمة في المصحف الشريف والسور المكيّة متأخّرة مَعَ أَنَهُ بحسب أسباب النُّزول يُفترض أنْ يَكُون موقع السُّور المكيّة قبل السُّور المدنية، بَلْ حَتّى المدنية لَمْ ترتّب في المصحف الشريف حسب أسباب النُّزول، فمثلاً سورة المائدة هِيَ ترتّب في المصحف الشريف حسب أسباب النُّزول، فمثلاً سورة المائدة هِيَ مِنْ أواخر السُّور نزولاً، بحسب ما رواه العيّاشي عَنْ أبي جعفر اللهِ ، قال: «قَالَ عليُّ بن أبي طالب اللهِ نزلت سورة المائدة قبل أنْ يقبض النّبِي عَلَيْهُ بشهرين أو ثلاثة» (۱).

وسورة الأنفال مِنْ أوائل السُّور نزولاً تقريباً لا أوَّل السُّور ـ عِنْدَ أَكثر المُفَسِّرِين مَعَ أَنَّ التَّرتيب الذي عَلَيْهِ القُرآن هُوَ أَنَّ سورة المائدة تسبق الأنفال، وهكذا الحال بين سورتي الأنفال والتوبة _ الَّتِي تسمَّى البراءة _

(١) تفسير العيّاشي: سورة المائدة.

.٥...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وسيأتي في مبحث مُستقل أسهاء السُّور أسهاء السور وأنَّ السورة الواحدة لها أكثر مِنْ اسم، فَإنَّهُ سورة التّوبة هِيَ مِنْ أواخر السور المدنيّة نزولاً، بينها سور الأنفال مِنْ أوائل السور المدنية نزولاً، ولو لاحظنا ترتيب سور المصحف لوجدنا أنَّ سورة التّوبة تعقب الأنفال مُبَاشَرَة مَعَ أنَّ الفاصل الزمني بين نزوليها كبير.

وهكذا الحال بالنسبة للآيات الناسخة والمنسوخة فالمفروض وبحسب الترتيب وأسباب النُّزول تتقدم الآية المنسوخة عَلَى الآية النَّاسخة، مَعَ أَنَّهُ نجد فِي كثير مِنْ السور. تَقَدَّمَ ذكر الآية النَّاسخة والمنسوخة، وَهَذَا يُخالف مورد نزولها، وبالتالي فَإنَّ مِنْ عدم الترتيب هَذَا بتقديم المُتأخّر نزولاً عَلَى المُتقدّم نزولاً تتشكل لدى الباحث في التفسير أو الفِقْه أو العقائد أو في أي عجال صوراً غَيْر واضحة في مادّة بحثه، وَعَلَيْهِ فكيف يتسنّى للباحث أي بجال صوراً غَيْر واضحة في مادّة بحثه، وَعَلَيْهِ فكيف يتسنّى للباحث الكريم أنْ يقرأ سيرة النَّبِي عَلَيْهِ وكيف تطوّرت وتدرّجت وتكاملت ومنسلسلت وأنَّ هُنَاك آيات قُرآنية ناسخة ومنسوخة وعام وخاص ومُطلق ومُقيَّد ومبين ومجمل و... الخ.

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ للباحث الكريم مِنْ إحكام وضبط تأريخ أسباب النُّزول، وَإِلَّا لَمْ يضبط المُفَسِّر والباحث مفاد آيات وسور القُرآن الركيم وتفسيرها؛ ولذا إذا أردت أنْ تجعل الصورة واضحة أمام القارئ الكريم للمصحف الشريف سواء مِنْ عامّة النَّاس أو كَانَ باحثاً فِي بَعْض المعارف فَلابُدَّ مِنْ الإتيان بحلقات الآيات والسور متتابعةً ومتسلسلةً حسب تاريخ

وَعَلَى أيّ حال فإنْ ترتيب آيات القُرآن وسوره لَيْسَ حسب تاريخ نزولها لا ينكره أحدٌ ومُتّفق عَلَيْهِ مِنْ قبل المسلمين جميعاً مِنْ كلا الطرفين.

فَإِنَّهُ وَمِنْ دون معرفة التَّرتيب بين أسباب نزول الآيات والسور لا تتشكل ظهورات كاملة وصحيحة لدى المُفَسِّر والباحث حَتَّى يستطيع أنْ يقرا مِنْ خلالها الحدث والواقعة والموقف و ... الخ

فمثلاً لو أراد البَّاحث الكريم أنْ يخرج بصورة كاملة عَنْ موقف القُرآن الكريم عَنْ الشعوب الكافرة وسائر المجتمعات الأُخْرَى، وتحديد صورة النِّظام العالمي الموجَّد الذي يريد القُرآن أنْ يقيمه ويُظهره عَلَى الدِّين كُلَّهُ، هل هِيَ أسلمت النظام العالمي بالعدل وأسلمت الأنظمة السياسية بالعدل كَذَلِكَ، أم الغاية أسلمتُ عقيدةُ الأفراد، فهل يدعو القُرآن إلى سفك دمائهم حَتّى يقولوا لا إله إلَّا الله؟ أو أنَّ هُنَاك شيء آخر بأنْ يدعو المعتربة المُعتدي عَنْ طريق تشريع أُمُور للحدِّ مِنْ تحركاته العدوانية وعتوّه تمدده كتشريع الجهاد الابتدائي الذي يعني الحرب الاستباقيّة لِمَنْ هُوَ عدواني ويريد أنْ يَعُدَّ العُدَّة ويشنّ الحرب عَلَى البُلدان والمُجتمعات الإستلاميَّة، لا بمعنى أنَّ الجهاد الابتدائي هُوَ قهر غَيْر المسلم حَتّى يقول لا

فنجد أنَّ الآيات الواردة في الجهاد مبثوثة ومتوزّعة في عِدَّة سور قرآنية إلَّا أنَّ الباحث الكريم لمَ تكن لديه صورة واضحة حول آيات الجهاد الابتدائي أيُّهَا أولاً لها نزولها وأيها آخرها نزولاً، وكم يستعلم المُفسِّر الكريم موقف القُرآن الكريم مِنْ حققة وغاية الجهاد الابتدائي أيِّ حقيقة ما يرسمه ويبيّنه القُرآن الكريم مِنْ علاقة بين المسلمين والمُجتمعات الأُخْرَى.

ولذا أحد الأشياء الَّتِي حَذَّر مِنْهَا أمير المؤمنين على بن أبي طالب اللَّهِ ا وَالَّتِي تُسبب الضلال والإظلال والتيه والالتباس هُوَ التمسُّك بالآيات القرآنية مِنْ دون معرفة تاريخ أسباب النُّزول أو أيُّهَا ناسخ وأيها منسوخ وأيها المتقدم وأيها المتأخر، وكيف تحدد مصير بشر يعيش عَلَى كوكب الأرض مِنْ خلال آيات القُرآن الكريم؛ وَذَلِكَ مِنْ خلال ما رواه النعماني فِي كتابه تفسير القُرآن .. عَنْ إسماعيل بن جابر، قَالَ سمعت أبا عبدالله جفعر بن مُحمَّد الصادق اللهَّلِيُّا: «واعلموا رحمكم الله أنَّهُ مَنْ لَمْ يعرف مِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ النَّاسخ مِنْ المنسوخ والخاص مِنْ العام والمحكم مِنْ المتشابه والرخص مِنْ العزائم، والمكّي والمدني وأسباب التنزيل، والمبهم مِنْ القُرآن فِي ألفاظه المنقطعة والمؤلفة ... والتقديم والتأخير، والمبين والعميق والظاهر والباطنة ... وَمَعْنَى حلالِه وحرامه الذي هلك فيه الملحدون ... فَلَيْسَ عالم بالقرآن، ولا هُوَ مِنْ أهله، ومتى ادّعى معرفة هَذِهِ الأقسام مُدَّعِ

وهكذا لا يمكنك أيَّهَا الباحث وَالْمُفَسِّر الكريم معرفة نظام القُرآن الكريم تَجاه العلاقة الدوليَّة وكيفيَّة تحديدها ولا يمكن التمسّك به مِنْ دون معرفة نظم وترتيب أسباب نزول الآيات القُرآنيَّة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ ارتباط قَاعِدَة أسباب النُّزول بقاعدة ترتيب السور والآيات مصيريّة فِي تفسير القُرآن فَإِنَّ الفقيه يترجل والمُتكلِّم يتبلبل إذَا لَمُ عِلَّ هَذِهِ المشكلة وَهُو معرفة ترتيب أسباب النُّزول، فمثلاً قوله تَعَالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيماً وَأُسِيرًا ﴿ اللهِ اللهِ مَا اللهِ هُوَ مرتبط بقوله تَعَالَى: ﴿وَيُوْرُونَ عَلَى أَنفُسِمٍ مَ وَلَو كَانَ يَهِمْ خَصَاصَةً ﴾ (٢) كَمَا أَنّهُ وَرَدَ بقوله تَعَالَى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِمٍ مَ وَلَو كَانَ يَهِمْ خَصَاصَةً ﴾ (٣) كَمَا أَنّهُ وَرَدَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ أَدْرِعَ لَعَلَهُ وَتَنَةٌ لَكُو وَمَنَعُ إِلَى حِينِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

 ⁽١) عن تفسير النعماني المعروف بتفسير الشريف الرضي، وهو ليس كذلك؛ النعماني عنه؛
 بحار الأنوار: ج٠٩، ص٤ ب٨٢٨ من أبواب ما ورد في أصناف آيات للقرآن.

⁽٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

⁽٣) سورة الحشر: الآية ٩.

⁽٤) سورة الأنبياء: الآية ١١.

30 تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث كانوا يمنعون (١).

فمثلاً هُنَاك شبهات أخلاقية تثار في فلسفة القُرآن الكريم فمثلاً بَعْض آيات القُرآن، تقول: ﴿ وَلَا بَجْعَلَ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا نَبْسُطُهَا كُلَّ ٱلْبَسَطِ ﴾ كيف نجمعها مَعَ الآية المُبَارَكة ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٓ أَنفُسِمٍمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً ﴾.

وبالتالي كيف يمكن للباحث الكريم أنْ يحلّ المشاكل في الاستظهارات في النظام الأخلاقي في القُرآن، وَهَذَا الباحث الكريم في علم العرفان كيف يمكنه حلّ الاستظهارات العرفانية في القُرآن الكريم، وكذلك الفيلسوف بالنسبة إلى الاستظهارات الفلسفيّة مِنْ الآيات المرتبطة بها يتوخونه مِنْ أبحاث.

إنَّ السبيل الوحيد للتّخلص مِنْ كُلّ هَذِهِ المشاكل هُوَ معرفة قَاعدِة الترتيب بين آيات وسور القُرآن وَقَاعدِة تأريخ أسباب النُّزول، وبالتالي يتبيِّن العام مِنْ الحاص والناسخ مِنْ المنسوخ، والمطلق مِنْ المقيّد، والمجمل مِنْ المبين ... الخ.

تنبيه: سيأتي إنْ شاء الله تَعَالَى _ في بحث قَاعدِة القراءات القرآنية بحث قَاعدِة حفظ وصيانة القُرآن عَنْ التحريف، وسنتطرق في كلتا القاعدتين إلى بحث ترتيب السور وتركيب آياتها وَهُوَ مِنْ المباحث الهامّة والخطيرة والحساسة جداً وَالَّتِي يغفل عنها وللأسف_الكثير مِنْ المُفسِّرِين

⁽١) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص١٩.

لخطورة تأثير ترتيب السور وتركيب آياتها وفي هَذَا المجال أجمع مفسرو المسلمين مِنْ العامّة والخاصّة ـ السنة والشيعة ـ عَلَى أَنَّ ترتيب السور وتركيب آياتها ليست مرتبة حسب تأريخ نزولها المكّية ثمَّ المدنية والأسبق فالأسبق، فمثلاً في سورة الأنفال ذكرت غزوة بدر، وَمِنْ المعلوم تأريخياً أَنَّ غزوة بدر وقعت في أوائل هجرة النَّبِي عَلَيْ في السنة الثَّانية للهجرة في المدينة، بينها لو رجعنا إلى ترتيب سور القُرآن الكريم لوجدنا سورة المائدة مثلاً في أواخر حياة النَّبِي عَلَيْ عَلَى ما نقله العيّاشي المناده عَنْ الإمام الباقر قَالَ: «قَالَ عليٌّ بن أبي طالب نزلت سورة المائدة قبل أَنْ يُقبض النَّبِي عَلَيْ بشهرين أو ثلاثة» (1) مقدمةً عَلَى سورة الأنفال، وهكذا.

ولذا مبحث أسباب النَّزول ترتيبه مِنْ المباحث الخطيرة، فَإِنَّ مَنْ يَجِهله لا يستطيع أَنْ يقرأ بدقة ما فِي القُرآن مِنْ أحداث ووقائع مُتكاملة، بَلْ تبقى عنده الصُّورة فيها تشويش وضبابيّة، ولذا تحدّى أمير المؤمنين كُلِّ المسلمين والصحابة أَنَّهُ لَيْسَ هُنَا مَنْ أعلم منّي بالقرآن فِي موارد مُتعدّدة مِنْ خطبة وأقواله مِنْهَا:

عَنْ سليهان الأعمش عَنْ أبيه قَالَ عليٌّ ما نزلت آية إلَّا وأنا علمتُ فيمن نزلت وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طِلْقاً (٢).

⁽١) تفسير العيّاشي: سورة المائدة.

⁽٢) تفسير العيّاشي: جا، ص٢٨، ح٩؛ البرهان في تفسير القرآن هاشم البحراني: ج١، ص٤٢، ح٢٤.

وَعَنْ الأصبخ بن نُباتة، قَالَ: لما قدم أميرُ المؤمنين الكوفة ... فَقَالَ: «ويل لهم إنِّي لأعرف ناسخه مِنْ منسوخه ومحكمه مِنْ متشابهه، وفَصْلَه مِنْ فصاله، وحروفَه مِنْ معانيه، والله ما مِنْ حرف نزل عَلَى مُحَمَّد عَيِّلِهُ إلَّا وأنا أعرف فيمن نزل، وفي أيّ يَوُم وفي أيّ موضع ... ويل لهم والله أنا الذي أنزل الله فيَّ ﴿وَتَعِيمَا أَذُنُ وَعِيمَةٌ ﴾ فَإنَّها كُنّا عِنْدُ رسول الله عَيْلُهُ فيُخبُرنا بالوحي فأعيه أنا وَمَنْ يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قَالَ آنفاً؟»(١).

عَنْ سلم بن قيس الهلالي، قَالَ: سمعت أمير المؤمنين يقول: «ما نزلت آيةٌ عَلَى رسول الله عَلَيّ الله أقر أنيها، وأملاها عليّ، فأكتبُها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وحا الله لي أنْ يعلمني فهمها وحفظها، فيا نسيتُ آية مِنْ كتاب الله، ولا عليًا أملاه عليّ فكتبه مُنْذُ دعا لي بها دعا، وما ترك شيئًا علّمه الله مِنْ حلالٍ ولا حرامٍ، ولا أمر ولا نهي كَانَ أو لا يَكُون، مِنْ طاعةٍ أو معصيةٍ، إلّا علمنيه وحفظته، فَلَمْ أنسَ مِنْهُ حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده عَلَى صدري، ودعا الله أنْ يملأ قلبي عِلْمًا وفَهماً وحكمةً ونوراً، وَلَمْ أنسَ شيئاً وَلَمْ يَفُتني شيئاً لمَ أكتبه فقلت يا رسول الله أو تخوقت عليّ النسيان فيها بَعْدَ؟ فقال: لستُ أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً، وقَدْ أخبرني ربّي أنّهُ قَدْ استجاب لي فيك، وفي شركائك الّذِيْنَ يكونون بَعْدَك ... الخ»(٢).

⁽١) المصدر السابق: ص ٩٠ م ٢، باب علم الأثمة الله التأويل عن بصائر الدرجات. (٢) المصدر السابق: ص ٩٢، ح٢.

التأريخ وطمس وتحريف الوقائع

وتأثيره في معرفت أسباب النزول وتفسير القرآن

إنَّ المشكلة الأساسية في المدارس الإسلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت المَّكِيُّ هِيَ أَنَّهَا مدارس تابعة للسّلطة بَعْدَ وفاة رسول الله عَنَيْ إلى يومنا هَذَا ويعتبرون ويتعاملون مَعَ أسباب النُّرول أَنَّها ذَاتَ طابع تأريخي، وإذا كَانَتْ تعامل معاملة التأريخ فينبغي توخي أقصى درجات الحذر والانتباه في التعالم معها والأخذ عنها؛ لأنبًا بثهابة التعامل مَعَ مصادر التأريخ ومواده لتيار السّلطة الحاكمة والدولة أثرها عَلَيْه دون المضطهدين والمستضعفين؛ وَذَلِكَ لِأنَّ السلطة الحاكمة في كُلّ زمان تحاول أنْ تكتب التأريخ بها يتلائم ومصلحة النظام الحاكم، وَمِنْ الواضح أنَّ مثل هكذا أمر التأريخ بها يتلائم ومصلحة النظام الحاكم، وَمِنْ الواضح أنَّ مثل هكذا أمر فيه ما فيه مِنْ طمس للحقائق، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ توخي الحذر حين التعامل معه كَذَلِكَ إذَا صُبغت أسباب النُّرول بصبغة تأريخية يُخاف عَلَيْهَا ما يُخاف مِنْ التأريخ وما فيه مِنْ تزييف للحقائق عَلَى يَدِّ وعّاظ السلاطين ومفسريهم.

ولا يفهم مِنْ هَذَا أَننا نُريد أَنْ نسلب التأريخية عَنْ أسباب النَّزول مِنْ جميع الزوايا كلا، فإنّنا لا ننكر الجنبة والزاوية التأريخية، فَهَذَا مِنْ زاوية

صحيح ويجب أنْ يَكُون التعاطي معها بموازين دقيقة، وفي نفس الوقت ينبغي الالتفات إلى أنَّ التعامل مَعَ أسباب النُّزول لَيْسَ كُلَّهُ مبنياً عَلَى أساس تأريخي وَإِلَّا فَالقُرآن خالد بخلود البشر، بَلْ خالد بخلود عوالم خلقة الله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى في عالم البرزخ والآخرة ... الخ.

وسبب التخوّف والحذر مِنْ التعامل مَعَ التأريخ يعود إلى أنَّ الكثير مِنْ الوقائع والحوادث التأريخية تُلوعب فيها إلى ما شاء الله وطُمِستْ أو حُرِّفت رغم أنَّها كَانَتْ بمشهد الألوف المُؤلِّفة مِنْ البشر، فها ظنَّك بأحداث ووقائع وحقائق يُشكِّل التأريخُ بعضَ زواياها، وحدثت أمامَ قلائل مِنْ البشر وَلَمْ يشهدها الألوف ولا المئات ولا العشرات مِنْ البشر، كيف ترجو لتلك الأحداث أنْ تحفظ وتُصان، كَهَا فِي بَعْض حروب وغزوات ومعارك النبي عَلِي الله والدي هي مثال حيٌّ فِي أسباب النُّزول.

تأثير أسباب النزول

عُلى الآيات المتصلة بالعقيدة وغيرها:

إنَّ تأثير آيات النُّزول فِي تفسير الآيات المُتَّصلة بالعقيدة وبأسس الفِقْه السياسي والاجتهاعي والتربوي و .. الخ لها أثرها البالغ كَمَا فِي واقعة أُحُد الَّتِي نزلت فيها أكثر مِنْ أربعين آية فِي سورة آل عمران:

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّ وَمِنِينَ ﴿ إِن اللَّهُ مُواللَّهُ اللَّهُ اللّ

وهكذا الآيات القرآنية النازلة في واقعة الخندق كقوله تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمُ مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَنْرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ

وما بعدها.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٣٨ _١٤٣.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

⁽٣) سورة الأنفال: الآية ٤٣.

⁽٤) سورة الأنفال: الآية ٥ ـ ٨ .

وقوله تَعَالَى: ﴿ فَذَيْ يَعْلَمُ اللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذَاً... ﴿ (٢). وقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ (٣).

وغزوة تبوك إذْ نزل فيها آيات مِنْهَا: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ (٤).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَن يَكُولُ آثَـٰذَن لِي وَلَا نَفْتِنِيَّ أَلَا فِي الْفِتْـٰنَةِ سَكَالًى: ﴿ وَمِنْهُم مَن يَكُولُ آثَـٰذَن لِي وَلَا نَفْتِـنِيَّ أَلَا فِي الْفِتْـٰنَةِ سَكَالُوا أَ... ﴾ (٥).

وقوله تَعَالَى: ﴿لَآ أَجِدُمَآ أَجِمُلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعَيْنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾(١٠).

وغيرها مِنْ الآيات الَّتِي نزلت فِي سائر فتوحات وغزوات الْنَبِيَّ عَلَيْكُ اللهُ وَعَرُواتِ الْنَبِيِّ عَلَيْكُ و وأمير المؤمنين مِنْ فتح خيبر وَمَكَّة واليمن وغيرها.

كَمَا وأنَّ هُنَاك فتوحات حصلت في عهد الخليفة الأوَّل والثاني والثالث والمعروف نسبة تلك الفتوحات إليهم كُلُّ فِي زمنه، بينها هُنَاك كلام لأمير

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

⁽٢) سورة النور: الآية ٦٤.

⁽٣) سورة النور: الآية ٦٢.

⁽٤) سورة التوبة: الآية ٨١.

⁽٥) سورة التوبة: الآية ٤٩.

⁽٦) سورة التوبة: الآبة ٦٥.

المؤمنين على بن أبي طالب الله في نهج البلاغة يرويه ابن أبي الحديد المُعتزلي - وَهُوَ مِنْ كبار عُلَمَاء السُّنة فِي شرحه لنهج البلاغة «... ثمَّ نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحُسْن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكَّد عِنْدَ الناس نباهة قوم وخمول آخرين فكنّا نَحْنُ ممّن خَمُلِ ذكرهُ وخبت نارُه وانقطع صوته وصيته حَتّى أكل الدهر علينا وشرب ومضت السنون والأحقاب بها فيها، ومات كثير ممّن يعرف ونشأ كثير ممّن لا يَعْرِف ... الخ»(۱).

وَقَدْ جاء عِدَّة نصوص تأريخية فِي ذَلِكَ:

مِنْهَا: ما قاله أبو بكر لعمر عِنْدَمَا فشل الجيش الذي بعثه أبو بكر لقتال كِندة وَلَمْ يفلح المدد أيضاً فاضطرب لذلك أبو بكر، وَقَالَ: "إنِّي عزمت عَلَى أَنْ أُوجّه إلى هؤلاء على بن أبي طالب؛ فَإنَّهُ عَدْلُ رضا عِنْدَ أكثر النَّاس لفضله وشجاعته وقرابته وعلمه وفهمه ورفقه بها يحاول مِنْ الأمور»(٢).

بتقريب: إنَّ تلك التفوحات كُلَّهَا كَانَتْ إدارتها وتدبيرها بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللِلِا، وسواء كَانَ هَذَا النصّ الذي ذكرنا قبل قليل فِي كلام ابي بكر أو عمر أو عثمان، فَإنَّهُ بالتّالي يكشف النقاب عَنْ دور علي ومكانته فِي نفسية وقلوب المسلمين وسائر القبائل المُتمرّدة عَلَى استخلاف

⁽١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج٢٠، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ غرر الحكم/ ٤١٤؛ وأيضاً عنه استشهد به الشيخ محمد السند في كتابه الصحابة بين العدالة والعصمة: ص٣٥٨_٣٧٥.

⁽٢) ذكره الشيخ تحمد السند في كتابه الصحابة بين العدالة والعصمة: ص٣٧٧.

أبي بكر، كَمَا فِي إقرار واعتراف مِنْ نفس أبي بكر بالإحْكام فِي تدبير علي اللهِ اللهُ للمُور. للأمور.

إِنْ كُنّا لا نسى العملاق الأكبر الذي بنى أصل صرح الدولة الإسلامية وَهُوَ رسول الله عَلَيْ الله عَلَى الرسول الأكرم عَلَيْ الله الله على الإسلام، وفي هَذَا الحديث كفاية وغنى عَنْ باقي الأحاديث والاستشهاد بكلام الصحابة وغيرهم في الاستنجاد بعلي ابن أبي طالب الله ، وقت اللهات والمواقف المصيرية العَسِيرة، وَهُنَاك شواهد مِنْ كتب التأريخ وَالسِّيرة عِنْد جمهور العامة تشتمل عَلَى قصاصات كثيرة شاهدة عَلَى ذَلِك، وَقَدْ جمعناها في كتابنا الصحابة بين العدالة والعصمة، وقام بجمع شواهد أُخرَى بَعْض الباحثين أيضاً كَمَا أَنَّهُ وقفنا عَلَى كثير مِنْ الشواهد الأُخرَى زيادةً عَلَى ذَلِكَ سواء في الفتوحات الإسلاميّة الّتِي حدثت في زمن الخلفاء الثلاث أو في عهد بني الفتوحات الإسلاميّة الّتِي حدثت في زمن الخلفاء الثلاث أو في عهد بني أميّة وبني العباس مِنْ الأدوار الّتِي قام بها بَقيّة أئمة أهل البيت المَيَّا.

ولذا مِنْ الخطأ أنْ يُقرأ التأريخ قراءة سطحيّة ساذجة بَلْ لابُدَّ مِنْ قراءته بقراءة علميّة وبفن العلم والحس الأمني و الجنائي وعلم التحقيقات و ...الخ.

وسبب كُلَّ هَذَا الفحص والتدقيق والتمحيص؛ لِأنَّ التأريخ اشتمل عَلَى مدلهات وظلمات وشبكات تآمريّة ضدّ البشريّة جمعاء والإسلام والمسلمين خاصّة، وتكتلات لا تَرى إلَّا المصالح الكسبيّة والنفعيّة الخاصّة

بها ولا تنظر هَذِهِ التكتلات إلى التأريخ إلَّا مِنْ طرف وجهة واحدة وَهُوَ ما يصبّ بخدمة ومصلحة النظام الطاغوتي الحاكم وإلقاء التعتيم الإعلامي عَلَى كُلِّ مَنْ خالفهم، ولذا وجدنا كيف كُتِبَ التأريخ فِي العصر الاموي والمرواني والعباسي و ... الخ، وبذلوا الأموال الطائلة والهائلة في سبيل التعتيم الإعلامي والصحفي والكتبي عَلَى كُلِّ منقبة قالها الْنَبِيِّ عَلَيْ فِي حقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين المَيْلِيُ والتسعة المعصومين المَيْلِيُ .

ولذا أعطى وأولى القُرآن الكريم عنايةً خاصة بحياة الْنَبِي عَلَيْ ووثقها وأصلها حَتّى لا تُغَيّر ولا تُطمس، ولذا مِنْ الضروري جداً التعرُّف عَلَى المهام العظيمة فِي تفسير القُرآن الذي هُوَ المصدر الأوَّل فِي المعرفة الدِّينية والتفقه في الدِّين، فَإنَّ معرفة الآيات والسُّور النازلة والمرتبطة بغزوات وحروب النبي عَلَيْ ومشاهد أحداث سيرته عَلَيْ لها بالغ الخطورة فِي فَهُمْ الإسلام وسيرة الْنَبِي الأكرم عَلَيْ وتفسير آيات القُرآن.

ولذا لا نستطيع قراءة التأريخ بقراءة ساذجة بسيطة أنْ تفطن إلى كشف مثل هكذا أُمُور، بَلْ يفوتَ الكثير الكثير.

فها هُوَ التأريخ يحاول ـ وحاوَل أَنْ يَطْمِس حقائق وقعت وأمام المئات أو الآلاف مِنْ البشر مثل حقيقة واقعة الغدير الَّتِي وقعت أمام مرأى ومسمع أكثر مِنْ (١٠٠) مئة ألف مسلم وَمَعَ ذَلِكَ عمدوا إلى التّحاكم بمبدأ نظرية الشورى والمدرسة السقيفية وحاولوا خلط الأوراق وَلَمْ يفلحوا في ذَلِكَ.

وهكذا مواقف أمير المؤمنين الله في معركة أحد وكيفية هزيمة المشركين، وتقدم ذكر الآيات الدَّالَّة عَلَيْهَا وَهِيَ أكثر مِنْ أربعين آية في سورة آل عمران تعرضت وبشكل تفصيلي إلى واقعة أحُد، ولكن وللأسف انظر وقارن بين ما كُتِبَ في كتب تواريخهم العامّة وكيف صوروا الواقعة بشكل منكوس ومقلوب الحقيقة كَمَا فِي تاريخ الطبري وابن الأثير، والمغازي للواقدي، وكتب السِير وغيرها، وبين ما كشف القناع عَنْهُ أهل البيت الميني بشواهد وحقائق دامغة ستجد بوناً واسعاً وطمساً للوقائع والحقائق بحسب ما يتماشى ومصلحة النظام المُتسلّط في وقته.

التحريف في واقعة أحد:

فمثلاً تسرد كتب العامّة التأريخية واقعة أُحُد مِنْ أَنّها واقعة في بدايتها ظفر المسلمون بالمُشركين، إلّا أنَّ المسلمين اشتغلوا بالغنائم وأنَّ الرُّماة عَلَى جبل أُحُد عصوا وخالفوا أمر الرَّسول الرَّسول الرَّسول وَلَمْ يغادروا الجبل، فنزلوا للغنائم عدا رئيس الرُّماة وقلائل مِنْ المسلمين بقوا عَلَى طاعة الرسول وَلَمْ يُغادروا الجبل، فاستغل هَذَا الموقف خالد بن الوليد وأتى بكتيبة مدجّجة بالسّلاح وأغار عَلَى المسلمين مِنْ خلفهم وَمِنْ وراء الجبل وقتلهم ورشقوا النّبي المُسلاح وأغار واثقلوه بالجراحات فشجّوا وجهه وكسروا رباعيته فانعكس الأمر مِنْ ظفر ونصر المسلمين إلى ظفر ونصر المشركين، وَهُنَا فانعكس المروع إلى دين الأوائل وما كانوا عَليْهِ مِنْ الشّرك بالله العظيم وراودهم الرجوع إلى دين الأوائل وما كانوا عَلَيْهِ مِنْ الشّرك بالله العظيم وعبادة الأصنام والأوثان؛ ولذا وصفهم القُرآن الكريم بقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا

هَذَا هُوَ تصوير تأريخ العامّة لواقعة أُحُد، وغيّبوا وحذفوا المشهد الأخير مِنْ واقعة أحد وعتموا عَلَيْهِ، وَهُوَ المشهد الذي تنقله مصادرنا وفيه موقف مُشرِّف لعلي بن أبي طالب اللهِ وخزي وعار عَلَى بَعْض الصحابة الذي يعدّونه مِنْ عِليّة القوم ألا وَهُوَ الخليفة الثَّالِث الذي فرَّ وولّى هارباً مِنْ ساحة المعركة وذهب بها عريضة، وَلَمْ يرجع إلَّا بَعْدَ ثلاثة أيام وعيّروه بها وأنَّ كُلّ مَنْ فرَّ رجع بَعْدَ المعركة إلَّا أَنْتَ ... الخ.

ولذا تعمّدوا لطمس هَذَا المشهد الثَّالِث لِأنَّ فيه منقبة لعليّ بن أبي طالب اللهِ، علماً أنَّ هَذَا المشهد وقع أمام أنظار المئات، بَلْ الآلاف مِنْ البشر، وَمَعَ ذَلِكَ بذلوا كُلِّ ما بوسعهم لتغييبه عَنْ أصل واقعة أُحُد.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

تصوير المشهد الثالث من معركت أحد في روايات أهل البيت عليهم السلام

إِنَّ الآيات القُرآنيّة النَّازلة في غزوة أُحُديها يقرُّب الـ (٦٠) ستين آية في سورة آل عمران(١) عدد لَيْسَ بالسهل في هكذا غزوة، وَهَذَا يُدَلل عَلَى أنَّها تَتَضَمَن الشيء الكثير مِنْ الدلالات والإشارات المُهمَّة المطالب ترتبط بالمعارف وَمِنْهَا العقائد، والذي يهمنا الآن بحثه هُوَ ما يرتبط بمحل بحثنا ألا وَهُوَ مبحث أسباب النُّزول المرتبط بترتب الآيات وَأَنَّهُ كيف وقع التحريف والتزوير في أسباب النَّزول ممَّا أدَّى إلى الخروج باستنباطات واستظهارات _ حَتّى لدى الخاصة _ في أبحاثهم التفسيريّة أو حَتّى فِي أبحاث الفِقْه السياسي أو الفِقْه الاعتقادي أو ... الخ مُلفَّقة يُزَرَّق ويُجِرَّع بها السذِّج مِنْ الناس إلى أنْ قريشاً ربحت الغزوة وخرجت منتصرة، وأنَّ الْنَّبِيَّ عَلَيْلِلَّهُ خَسِرَ المعركة، وانكسر جيش المسلمين وظهرت شهاتة اليهود حَتّى قالوا: «**لو كَانَ نبيّاً ما** ظهروا عَلَيْهِ ولا أصيب مِنْهُ ما أُصيب حينها رَشِق العدو بالحجارة وجه رسول الله عَيْثِيُّ فَأَثْقَلُوه جُراحاً فشجّوا وجهه وكسر وا رباعيته» وأنَّ الرسول عَيْثِيُّ كان

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٢١ ـ ١٨٠.

يقول لأحد أصحابه بعدما انتصرت قريش، انظر: إنْ ركبت قريش الخف _ يعني الجمال _ فسيذهبون إلى مَكَّة، وإنْ ركبوا الحوافر فإنَّهم سوف يغزون المدينة فذهب وأتى بالبشارة وأنَّهم ركبوا الجِفَّ، ولولا أنَّ هُنَاك رجالاً مُخلصين نجدوا رسول الله عَيَّالَةُ، لقُضِيَ الأمر ولكنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب عَلَى نفسه نصر المؤمنين واعزاز رسول الله وتمكين دعوته، هكذا صوّر تأريخ العامّة غزوة أُحُد.

بتقريب: فِي رواية زيد الشَّحام عَنْ جعفر بن مُحَمَّد اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللهُ اللهُ

⁽١) سورة النساء: الآية ٨٤.

⁽٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٤٢٣ ح٤٢١، عنه البحار: ج١٦ ص٠٣٠ ح٠٣.

تصوير المشهد الثالث من معركة أحد

مأمور بالجهاد والقتال حَتَى لو بقي وحده، وتحريض المؤمنين وحثّهم عَلَى القتال ﴿ يَكَأَيُّهَا النَّيِّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ مَعْلِ الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ مَعْلِ الْفَا مِن اللَّذِينَ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يُعْلِبُوا الْفَا مِن اللَّذِينَ كَفَرُوا بِالنَّهُ مُ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ اللَّهُ عَيْثُ بِلغ شهداء أُحُد (٤٩) تسعة وأربعون شهيداً بضمنهم عَمّ النَّبِيّ الأكرم عَيْنُ وَهُو حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله تَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَمْ يبقَ فِي ساحة القتال إلَّا النَّبِي عَيْنَ وحوله أمير المؤمنين عَلَيْ الذي كَانَ قَدْ اختفى تحت فرسه وقريش المُدجّجة بالسلاح قَدْ أحاطت برسول الله عَيْنَ فاقتحمهم أمير المؤمنين اللَّهِ وعَمَد إلى رئيس الألوية وقدّه بالسيف نصفين فانفكت الحلقة الأُولى مِنْ مُسلحيّ قريش المُحيطة برسول الله عَيْنَ فافتحمهم أمير المؤمنين المؤمنين عَلَيْ أصحاب المُحيطة برسول الله عَيْنَ فانفكت الحلقة الأُولى مِنْ مُسلحيّ قريش المُحيطة برسول الله عَيْنَ فاقتحمهم جميعاً وفرّت كُلّ قريش. المُولوية واحداً تلو الآخر حَتَى قتلهم جميعاً وفرّت كُلّ قريش.

ولنا وقفة فيها عِدْة تساؤلات:

الأوَّل: لو كَانَ ما تدّعيه المصادر التأريخية للعامّة مِنْ أَنَّ رسول الله عَلَيْهِ فَرَّ مِنْ ساحة القتال لما تَعَرَّضَ إليه مِنْ قبل عتاة قريش مِنْ الرمي بالحجارة وشجّوا وجهه وكسروا رباعيّته وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الأعمال الشنيعة، وَهَذَا دليل عَلَى بقائه هُوَ عَلَيْهُ مَعَ أمير المؤمنين اللهِ وصمدوا إلى أَنْ حققا النَّصر بإذن الله تَعَالَى.

⁽١) سورة الأنفال: البية ٦٥.

الثَّانِي: نسأل محقّقوا المصادر التأريخية للعامّة أين الفصل الثَّالِث _ إنْ صَحَّ التعبير _ مِنْ غزوة أُحُد وما هُوَ موقفكم مِنْهُ، وماذا جرى بَعْدَ هزيمة المسلمين، علماً أنَّ هَذَا الفصل قَدْ ذكرته وثبتته مصادر التأريخ الشيعية؟

الثَّالِث: بتغييبكم للفصل الثَّالِث مِنْ غزوة أُحُد ما الذي تريدون إيصاله إلى أجيال البشرية والمسلمين القادمة؟

الرَّابِع: لو تنزَّلنا وسلَّمنا أنَّ غزوة أُحُد حُسِمَت لصالح قريش، فلماذا.

أ) لَمْ يقوموا بغارة عَلَى أهل المدينة.

ب) لَمْ يسبوا نساءهم وذراريهم؛ لِأنَّ مِنْ عادة وطمع المتصر وحرصه على أخذ الغنائم لا سيّما قريش، فهل اتّصفت ـ قريش بالنزاهة والمسامحة في هَذَا الموضع فَقَطْ، وَلَمْ يكن طبعهم ذاك المُتّصف بالغِلظة والسلب والنّهب والقتل؟

علماً أنَّ غزوة بدر لَمْ يَمْرُرْ عَلَيْهَا سوى سنة واحدة، وَالَّتِي انتصر فيها المسلمون عَلَى المشركين واستعادوا الحقوق المسلوبة، وَأَيِّ شبهة هَذِهِ عِنْدَ قريش، أو عِنْدَ الكفّار، أو عِنْدَ القبائل آنذاك في حروبها وغزواتها قبل الإسلام بأنَّ لا يسلبوا ولا يَسْبُوا النساء ولا يغنموا أصلاً؟! أم كَانَ واقعهم العكس وَهُوَ العنيمة بَعْدَ الظفر والسّلب والسّبي حَتّى بَعْدَ دخولهم الإسلام الحنيف، ويكفي شاهداً عَلَى ذَلِكَ ما فعلوه بكربلاء وبمعسكر الحسين الميلا مِنْ سلب الخيام وَمَنْ كَانَ فيها مِنْ فعلوه بكربلاء وبمعسكر الحسين الميلا مِنْ سلب الخيام وَمَنْ كَانَ فيها مِنْ

تصوير المشهد الثالث من معركة أحد النّساء والأطفال وحرقها، حَتّى عمدوا إلى سلب الخاتم الذي كَانَ بخنصر النّساء والأطفال وحرقها، حَتّى عمدوا إلى سلب الخاتم الذي كَانَ بخنصر الحسين المِثَلِّة بَعْدَ استشهاده وَغَيْر ذَلِكَ، فكيف الآن بقريش بَعْدَمَا انتصرت انتصاراً صورياً مزعوماً وَلَمْ تسلب الأموال وَلَمْ تغنمها وَلَمْ تَسْب النساء، وَأنّها ترفّعت شأناً!! كيف يُعقل كُلّ هَذَا وكيف ينطوي عَلى ذوي الألباب والعقلاء.

ج) ولو تنزّلنا وسلّمنا انتصار قريش وحسم المعركة لها كَمَا تذكرها مصادرهم _ العامّة _ التأريخيّة كتاب الطبري وسائر كتب السير عندهم، وأنَّ الْنَبِي عَلَيْكُ فُرَّ فوق الجبل _ والعياذ بالله _ وهل هَذَا إلَّا إزراءٌ برسول الله عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللهُ عَلِيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُولُهُ عَلَيْكُولُولُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُولُولُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُولُولُهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللمُعْلِمُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ

وَمِنْ خلال الإجابة عَنْ هَذِهِ التساؤلات وغيرها يتضح جليّاً أهميّة معرفة الباحث الكريم بأسباب النُّرول حلقة حلقة، وأنْ لا تفتقد حلقة واحدة مِنْها؛ لانه بفقدها واحدة مِنْها يحدث للباحث ما حدث في تدوين غزوة أُحُد كَمَا فعلت الأقلام المأجورة أتباع بني أميّة وبني العباس وغيرهما بتغييب وقطع هَذَا المقطع مِنْ مسلسل حلقات معركة أُحُد، لَيْسَ ذاك إلَّا لأجل أنَّ فيه منقبة بيان الدور الرئيسي والأساسي لرسول الله عَنَّ ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ وهَذَا شيءٌ لمَ يُرق معقوداً عَلَى ساعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ، وَهَذَا شيءٌ لمَ يُرق ذكره لهم حَتّى لو استلزم مِنْ حذف هَذَا المقطع نسبة الفرار مِنْ الزَّحف، وارتكاب النَّبِي عَنَيْ للكبيرة _ وحاشاه عَنَيْ مِنْ ذلك _ علماً أنَّ الواقعة نزل فيها قرآن، وَعَلَيْهِ فعدم تتبع ذاك يوقع الباحث الكريم والمتتبع بمثل هكذا

٧٢ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث نتائج سلبية.

وَالْنَّبِيِّ الأَكْرِمَ اللَّهُ لِمَا كَانَ يَوُم الغد مِنْ بَعْدَ معركة أُحُد خَرَجَ لطلب العدو واستنفرهم لمطاردة العدو عَلَى أَنْ لا يخرج معه اللَّهُ مِنْ المسلمين إلَّا مَنْ حَضَر واقعة أُحُد وجُرِحَ.

وفعلاً خَرَج الْنَبِي عَلَيْ وخرج مَنْ معه وَعَلَى رأسهم أمير المؤمنين حَيْثُ بلغو حَمْراء الأُسْد وَهُوَ مَوْضِع عَلَى ثَهانية أميال مِنْ المدينة المنوّرة والمعْرُوفة ببدر الصغرى، وأقام بها الْنَبِي عَلَيْ ثلاثة أيام، وَكَانَ أبو سفيان وأصحابه بالرُّوحاء، وَمَرَّ بهِم معبد الخزاعي وَكَانَ قَدْ مَرَّ بالنَّبي عَلَيْ وَمَنْ مَعَه فَسَأَلَ عَنْ شَأَنَهم فَقَالَ معبد: _ إنَّ محمداً عَلَيْ قَدْ خرج فِي أصحابه يطلبكم فِي جمع لَمْ أرَ مِثْلَه قَط يَتَحرّقون عليكم تَحرُّقاً و ... ولما سَمَعَ أبو سُفيان مَقَالة معبد خاف عَلَى نفسه وأصحابه فَرَجعوا إلى مَكَّة وَقَدْ خشوا أنْ يَكُون للنّبي عَلَيْ أَهُ وأصحابه قتالاً غَيْر الذي كَانَ فِي أَحُد.

فَإِنَّ هَذَا المشهد الأخير أيّ الفصل الثَّالِث قَدْ غُيِّبَ مِنْ معركة أُحُد فِي مصادر العامّة التأريخية _كَمَا مَرَّ _علماً أَنَّهُ قَدْ حصل أمام أعيُن المئات، بَلْ الالاف مِنْ النَّاس آنذاك.

وهكذا الحال في غدير خم وتنصيب الرسول على المؤمنين على ابن أبي طالب الله خليفة شرعياً عَلَى المسلمين أيضاً حاولوا أنْ يطمسوه ويُغيّبوه، وَهُمْ بأنفسهم نقلوه، وِأنَّ عدد الرواة الَّذِيْنَ رووا حديث الغدير مِنْ طرق أهل السنة (١١٠) مئة وعشرة راوٍ مِنْ الصحابة و (٨٠) تابعياً و

وَهَذِهِ الأعداد تشكل تواتراً وَهِيَ تكفي لإثبات أيّ حديث يُراد إثباته، إلّا فيها إذا كَانَتْ فيه منقبة مقام وولاية فِي الدِّين لعليّ بن أبي طالب اللِّهِ فالأمر مُحْتَلَفٌ فيه.

وَهُنَاكُ رُواية يُرُويها الشَّيْخِ المُفيد اللهِ فِي أَمَالِيهِ عَنْ أَبِي بَكُرٍ مُحُمَّدُ بِنَ عمر الجعابي عَنْ ابن عُقدة أحمد بن مُحمَّد بن سعيد، قَالَ: حدَّثنا على بن الحسين بن فضال التيملي وجدتُ فِي كتابي أبي _ أيّ الحسن بن فضّال _ حدثنا مسلم الأشجعي عَنْ مُحمَّد بن نوفل ابن عائذ الصيرفي، قَالَ: كنتُ عِنْدَ الهيثم بن حبيب الصيرفي فدخل علينا أبو حنيفة النَّعمان بن ثابت فذكرنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله ودار بيننا كلامٌ في غدير خم، فَقَالَ أبو حنيفة: _ قَدْ قلت لأصحابنا لا تُقِرّوا لهم بحديث غدير خم فيخصموكم، قَالَ فتغيَّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي، وَقَالَ لَهُ ـ لأبي حنيفة ـ لِمَ لا يُقرُّون به أما هُوَ عندك يا نعمان؟ قَالَ: بلي هُوَ عندي وَقَدْ رويته، قَالَ فَلِمَ لا يقرُّون به وَقَدْ حدّثنا به حبيب بن أبي ثابت عَنْ أبي الطفيل عَنْ زيد بن أرقم أنَّ علياً نشد الله في الرحبة مَنْ تسمعه، فَقَالَ: أبو حنيفة أفلا ترون أنَّهُ قَدْ جرى فِي ذَلِكَ خوضٌ حَتَّى نشد عليٌّ الناس فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ الهيثم، فَنَحْنُ نكذب علياً أو نَرّد قولَه؟ فَقَالَ أبو حنيفة ما نكذب علياً ولا نرد قولاً قَالَ: ولكنَّك تعلم أنَّ الناس قَدْ غلا منهم قومٌ، فَقَالَ الهيثم: يقوله رسول اللهُ عَلِيلًا ويخطب به ونُشْفق نَحْنُ مِنْهُ ونتقيه بغلو

٧٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث غال أو بقول، قَالَ (١).

بتقريب: أنّه بمجرد فرض وجود فئة عَلَى أنهم غلات فهل هَذَا يعني أنّه يجب علينا أنْ نطمس الحقّ لئلا يغل غالٍ أو يقول قائل، فَهَذَا هُو قول وفكر أبي حنيفة في إنكار الحقّ وطمس الحقائق، وَعَلَيْهِ إِذَا سرّينا هَذِهِ القضية إلى كُلّ الحقائق الدِّينية والإلهيّة فحينئذ سوف تكون النتيجة: أنَّ كُلّ الحقائق قَدْ يغلو بها غالٍ أو يقول بها قائل حَتّى التوحيد حَيْثُ تَذَرَّعَ به أيّ التوحيد إبليس لجحد الانقياد لقيادة آدم اللهِ الذي هُوَ مِنْ أوضح الواضحات قَدْ ينحرف به منحرفٌ.

علماً أنَّ أبا حنيفية لا يُؤمن بذلك ولا يراه قطعاً، وَإِنَّمَا يؤمن بذلك فِي خصوص ما يرتبط بأمر الإمامة والإمام أمير المؤمنين الله وحديث غدير خم وما تلك إلَّا شنشة أعرفها مِنْ أخزم.

وهكذا هُنَاك رواية يرويها العيّاشي في تفسيره عَنْ الإمام الصادق اللهِ في بيان مظلومية أمير المؤمنين اللهِ ما مضمونه: لو كَانَ لأحدكم دار وتخاصموا بها ... وترافعوا إلى الحاكم أفيكفي لإثبات حقّه اثنان، قَالَ: نعم، وأمير المؤمنين اللهِ جاء بـ (١٢٠) ألف شاهد وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يتمكّن مِنْ إثبات حقّه.

وَمِنْ كُلِّ هَذَا يُستفاد أنَّ:

⁽١) أمالي المفيد: ص٢٦ ح٩ من المجلس الثالث بتصرف.

الحقائق عِنْدَ المدارس الإسلاميَّة الأُخْرَى والتلاعب بأسباب النُّزول _ عدا خط مدرسة أهل البيت المَيِّلُ _ أمرٌ فِي غاية السهولة والكثرة إذْ هُمْ طمسوا أكبر الحقائق التأريخية المشهود كجموع جَمِّ غفير فكيف لما دونها فِي المشهد والمرأى مِنْ قلة الرائين.

وهكذا نشأت جملة غفيرة مِنْ حقائق التأريخ، ورغم هَذَا الطمس فَقَدْ بقيت قصاصات عديدة مِنْ الشّواهد الدَّالَّة عَلَى أَنَّ تدبير الفتوحات كُلَّهَا كَانَتْ مِنْ نصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الطِّلِا.

وما هَذَا إِلَّا الكشف عَنْ أَنَّ هؤلاء سادرون وماضون فِي غَيِّهم، وَهُنَاك مشاهد عديدة فِي تأريخ الإسلام وسيرة الْنَّبِيَّ عَيِّلًا والأئمة الأطهار اللَّكِانَّ حضرها الألوف مِنْ النَّاس وَمَعَ ذَلِكَ طُمست لأسباب ودواعي مصلحيّة

خاصّة، فكيف بالأحداث والمشاهد الَّتِي حضرها عدد الأصابع أو العشرات أو المئات ولا تُطْمَس؟ بَلْ هُنَاك مشاهد أُخْرَى كثيرة طمست وحُرمت مِنْهَا الأجيال مِنْ الاطّلاع والوقوف عَلَيْهَا لأجل أنْ تستنتج موقفاً وصورة كاملة عَنْ الحدث، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الحال هكذا فَإِنَّ تسالماتهم في التأريخ خطيرةٌ جدّاً لأنَّها تسالمات عَنْ غيِّ وباطلٍ؛ ولذا كَانَ التَّشديد مِنْ قبل مدرسة أهل البيت الله عَلَى التدقيق فِي توثيق التأريخ وترتيب أسباب النَّزول بالشكل الذي لا يطمس الحقائق ويُضيّعها، وَهَذَا ما يُناغم عقول البشر خاصّة النُّخب العلمية مِنْهُ في زماننا بَعْدَ أَنْ اتّضحت الحقائق وأُسدل الستار عَنْ كثير مِنْهَا أمام عقول البشر منقطعاً لو دار الأمر بين أنْ يُصغى إلى تدوين السَّلطان والحكَّام أو يصغى إلى تدوين الأقلام الحُرَّة الْمُستقلَّة، بَعْدَ إدراك العقول السليمة والصحيحة لقبح الظلم وحُسْن العدل؟ فَإِنَّ العقول السليمة تختار ما كتبته الأقلام الحُرَّة دون الْمُتحيّزة لفئة أو جهة لِأنَّ المتحيز لتلك الجهة أو السّلطة لا يكتب إلَّا لصالح سلطويَّة تلك الجهة أو السلطة، فَمِنْ الغريب مَعَ كُلِّ ما يُشاهَد مِنْ سعي حكومات الجور بَعْدَ السقيفة مِنْ طمس الحقائق سذاجة عِدَّة مِنْ الباحثين باسترسالهم لظاهر ما دُوِّنَ مِنْ التأريخ مِنْ دون يَقضَّةٍ ونباهةٍ لتجميع القصاصات والتنقيب عَنْ تناثر الشُّواهد لحقائق التأريخ المطموسة مما يتطلّبه البحث والتحقيق، نظير الباحث المُحقِّق فِي مجال الجنايات وعلم التحقيقات الجنائية، فَإِنَّهُ لا يسترسل بظاهر الحال ولا يكتفي بالمُترائى السطحي بَلْ يدأبُ مُنّقِباً ويفحص مُتتبعاً

تصوير المشهد الثالث من معركة أحد لِكُلِّ شاردة وورادة حَتَّى يجتمع لديه قصاصات عَنْ أبعاد الحقيقة المطموسة.

فالباحث في أسباب النَّزول أو سيرة الْنَّبِيَ عَلَيْ اللهِ وتاريخ الإسلام وسيرة أهل البيت المَّلِيُ لا يتوهم الأمانة مِنْ الكتب الَّتِي كُتبت بأقلام وعاظ السلاطين والكتّاب المُقرّبين مِنْ حكومات الجور فَإنَّ هَذَا أَمرٌ مُحال بَلْ لابُدَّ عَلَيْهِ مِنْ التفتيش والتنقيب وشمشمة رائحة الحقيقة مِنْ عَلَى بُعْد مسافاتٍ مِنْ وراء طبقات الطمس والإخفاء.

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الكُتّابِ لأسبابِ النُّرول أو الكُتّابِ للتأريخ تحت رعاية هكذا سلطات ظالمة فرعونيّة فَإِنَّهُ لا يمكن التعويل عَلَى هكذا نمط من الكُتّابِ للتأريخ ولأسبابِ النُّرول.

ولا يظنّن الباحث في علم التأريخ عِنْدَمَا يودعه المبطلون، هكذا روايات مُزيّفة أو مُحرّفة أنّها سوف تنطلي ولا تنكشف، هي وإنْ لَمْ تنكشف في فترة معيّنة إلّا أنَّ الأُمَّة مليئة بالشّخصيات العلمية والمحقّقين والمدققين وإنْ كَانَ بعضهم انضوى تحت مظلّة السّلطة الحاكمة، إلّا أنَّ البعض الآخر بقي عَلَى ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حريّة الفكر والقلم ويتمتع بقدرات علميّة واستراتيجية ضخمة وَلَهُ النقد البناء والعميق المُبتني عَلَى ضوابط وموازين وقوّة ودقة تحليل يستطيع مِنْ خلالها أنْ يفطن إلى بَعْض حقائق التأريخ وفرز الغث مِنْها عَنْ السمين والمُحرَّف والمُزيّف عَنْ الصحيح؛ لِأنَّ الخطورة في التأريخ وفرز الغث تُضْفي وتُلقي بظلالها عَلَى العقيدة والمعتقد الذي يعتقد به الباحث والكاتب وَعَلَى مصادر المعرفة الدِّينية وغيرها، وَعَلَيْهِ فلا يمكن التعاطي

مَعَ التأريخ بقدرات بسيطة ومتواضعة وساذجة، فَإِنَّ التأريخ لَيْسَ فَقَطْ عقيدة مُتجسّدة مُؤرِّخة ومنبع ومدار ومستندات ووثائق دينيّة وحياتية مُهمّة كلا، وَإِنَّهَ الأمر أوسع واكبر مِنْ ذَلِكَ، ولذا اقتصرنا عَلَى ذكر أمثلة ترتبط ببدو تأريخ الإسلام لبيان أهميّة التحقيق في مصادر المعرفة الدّينية وَمِنْ أهمها وأمثلتها المُهمّة جدّاً البالغة الأهمية هِيَ أسباب النُّزول وتأثيره في تفسير القُرآن.

أسباب النزول وخطورة التنقيب عن الحقائق المطموسة في السيرة

أسباب النزول لها بعدان:

تَحصَّل ممَّا سبق تَقَدَّمَ أنَّ أسبابِ النُّزول لها بُعْدان:

البُعد الأوّل: تاريخي باعتبار أنَّ مورد نزول الآيات حَدَثٌ تأريخي.

البُعد الآخر: مرتبط بخلود القُرآن، ثَمَّة كَانَ أمر التدقيق والتوثيق في التأريخ حساسٌ للغاية؛ لِأنَّ التَّأريخ في الغالب كُتب بأقلام سلطوية - كَمَا مَرَّ - وَهِيَ عادة تسمح لأقلام كُتّابها الكتابة بها يروق لهم ولمصالحهم، لا كتابة الحقائق كَمَا هِيَ والشواهد عَلَى مَرِّ العصور كثيرةٌ، واقتصرنا عَلَى ذكر جانب مِنْهَا فيها يخصّ سيرة النَّبِيّ الأكرم اللَّهُ وأسباب النَّزول للقُرْآن الكريم وتاريخ الإسلام وسيرة المعصومين المَيَّانِيُّ، فَإِنَّ هَذَا التأريخ لَيْسَ لونه تأريخ فَقَطْ، وَإِنَّا عقيدة مُتأرخة فَإِنَّ هُنَاك تواتر نظري أي لا يمكن الوقوف عَلَى آحاد مفرداته وَالَّتِي تُشكِّل في النّهاية بتراكمها تواتر إلَّا بإعمال الوقوف عَلَى آحاد مفرداته وَالَّتِي تُشكِّل في النّهاية بتراكمها تواتر إلَّا بإعمال

النظر والبحث والتنقيب، يحتاج إلى مَلَكَةٍ ونظر فِي استنباطه، ويُفتش عَنْ موارد التّواتر الموزّعة والمغيبة وَالَّتِي طُمِست بأقلام السّلطات الأمويّة وغيرها حول شهادة الإمام الحسين الله أو سيرة المعصومين المَكِلُا وما جرى عليهم كَمَا هُو الآن فِي جُملة مِنْ الأماكن المُقدّسة كمكّة المُكرّمة والمدينة المُنورة وكربلاء والنجف والكاظمية وسامراء وخراسان و ... الخ فَإِنَّ مواطن المعصومين مقدّسة كَمَا يفصح القُرآن الكريم عنها وَأنَّها عديدة فِي الأرض ﴿ يَنقَوْمِ ادْخُلُواْ الْمُرَضَ الْمُقَدِّسَةَ اليِّي كَنَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا نُرْنَدُواْ عَلَى اللَّهُ لَكُمْ وَلَا نُرْنَدُواْ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَلا نُرْنَدُواْ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَلا نُرْنَدُواْ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ

بتقريب: إنَّ الأراضي المُقدّسة عديدة ولها بُعْد جغرافي، إلَّا أنَّ هَذَا البُعْد لَهُ فيها مساس حقيقي بالعقيدة المُقدّسة، وَهَذَا أمر يجب أنْ يوضع بالحسبان وبنظر الاعتبار، ولذلك _ وللأسف _ أنَّهُ قَدْ يحصل تهاون في ضبط الأجيال المُتأخّرة لمصادر سيرة الْنَبِي عَيَّلِيُّ وَالَّتِي تَمثِّل جانب مهم مِنْ أسباب النُّزول فِي تفسير القُرآن الكريم، فَإنَّ سيرة الْنَبِي عَيِّلُ نفسها منبع للشريعة وللعلوم والمعارف الدِّينية، وَعَلَيْهِ فكيف يتهاون فِي هَذَا المنبع مِنْ المصادر وتؤخذ الأُمُور عَلَى عواهنها، فَإنَّ مثل هكذا أمر في غاية الخطورة، ولذا نحتاج إلى باحث لَهُ علم أمني وجنائي يعتمد عَلَيْهِ في استخراج هَذَا التواتر الذي حاولت السلطات الظالمة التعتيم الكامل عَلَيْه؛ لِأنَّ تأريخنا كُلَّهُ مُنْهَتَكِ ومُنتَهَك بالصراعات ولا يُفرَّط به ولو بمقدار قصاصة يسيرة

⁽١) سورة المائدة: الآية ٢١.

وغرضنا مِنْ التشديد عَلَى هَذِهِ الجنبة؛ لِأَنَّ الكثير مِنْ الباحثين فضلاً عَنْ المُشرفين عَلَى الدراسات الأكاديمية العُليا وللأسف يستقون مباحث سيرة النَّبِي عَيِّلَا مثلاً، أو روايات أسباب النُّزول أو تاريخ الإسلام مِنْ مصادر مُتشرِّقة ومُغَرِّبة وكأنَّهم يَغفلون عَنْ الأقلام الَّتِي حاكت ونسجت الكثير مِنْ الزيف والتحريف كابن الأثير في الكامل أو ابن هشام في أوَّل سيرته الَّتِي فيها عبارة «لَمْ أذكر كثير مِنْ الأُمُور الموجودة في الأبحاث لأنَّها لا يُرْضى بها كثير مِنْ النَّاس والسلطة ... الخ»(۱).

وَهَذَا إلى حدِّ ما يشبه عمل المؤرخين والصحفيين أو الإعلاميين سواء المقروء مِنْهُ أو المسموع أو المرئي الموالي للسلطة الحاكمة الَّتِي لا تسمح بأنْ يكتبوا وينقلوا للأجيال المعاصرة أو الآتية كُلِّ ما فِي الحقيقة إلَّا لما فيه ترويج لمصالحهم الشخصية.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الحقيقة دائمًا لن تنعكس مِنْ خلال ما يكتبه ويسطّره الباحثون ولا تظننَّ أنَّ سهاء التأريخ صافية وَلَمْ يكن فيها مُنْذُ القِدم صراع وإرهاب ورعب مِنْ حكّام الدولة إلى الرعيّة كدولة بني أميّة وبني العبّاس

⁽١) سيرة ابن هشام

و ... الخ، فَإِنَّ أقلام كُتَّابِهم تصفهم بوصفِ ينطلي عَلَى كثير مِنْ الباحثين يأتيهم مِنْ الحُثين يأتيهم مِنْ الحُثِكَام والساسة المنصفين والمُهتمين بشؤون رعيتهم وذوو مرؤة وأنَّهم كانوا يعيشون النظام الديمقراطي والحريّة ... الخ.

وَعَلَيْهِ لأجل أَنْ نستخرج التواتر النظري فِي كثير مِنْ الأحداث فِي التأريخ الَّتِي عتّمت عَلَيْهَا سُلطات الظُلم والجور فنحتاج إلى باحث مُتتبع ومنتبه ويقظ ومُلتفت وفطن حتى يبين لنا بَعْض الشيء مِنْ الحقائق الَّتِي عُتِّمَ عَلَيْهَا مِنْ قبل الظالمين، كَذَلِكَ الحال بالنسبة إلى أسباب النُّرول وسيرة النَّبِي عَيِّلَيُّ والأئمة المَيِّلِ، فَهُنَاك الكثير مِنْ الحقائق مغمورةٌ تحتاج إلى تنقيب، وَمِنْ الواضح لدى المُحققين والمُتتبعين فِي هَذَا المجال أَنَّ التنقيب والتدقيق هُوَ سيد الموقف فِي القضايا العلميّة لا التطفّل عَلَى ما توصّل إليه الغير، أو الاعتهاد فِي البحث عَلَى أصالة العدم، أيّ الأصل عدم وجود هكذا مباحث وَإِنَّمَا هِيَ مستحدثة و ... الخ فَهَذِهِ أُمُور ليست أصلية ولا يعني إهمالها بالمرّة، وَإِنَّمَا يستطيع الباحث أَنْ ينظر إلى ما توصَّل إليه الغير كعامل مساعد إنْ كَانَ ما توصل إليه الغير صحيح وَعَلَى الضوابط والموازين العلميّة.

والشَّاهِد عَلَى ذَلِكَ هُوَ التلاعب بأسباب النُّزول، فَإِنَّ نتيجة عدم التنقيب والتدقيق والتمحيص والتحقيق في روايات أسباب النُّزول وللأسف حَتّى مِنْ كبار العُلَمَاء انطلت عليهم كثير مِنْ الحقائق وطمست، فَإِنَّ كثيراً مِنْ أسرار القُرآن الكريم طمست وغيبت بطمس أسباب النُّزول الحقيقية الصادقة، وخيرُ شاهدِ ما حصل في غزوة تبوك فَإِنَّهُ لَمْ يحصل في

بتقريب: إنَّ الْنَبِي الأكرم عَلَيْ قاد جيشاً عربياً مِنْ المدينة المنورة إلى منطقة تبوك بَعْدَ وصول أنباء إلى رسول الله عَلَيْ عَنْ جيء جيش الرُّوم لغزوا المسلمين والهيمنة عَلَى البلاد الخاضعة لحكم الإسلام بَعْدَمَا قويت الحكومة الإسلاميّة وَأَمَّها قوّةٌ لا تُقهر، فقام الْنَبِي الأكرم عَلَيْ بعزم شامخ لتهيئة جيش قوي يغزو به الرُّوم ويكسر شوكتهم (١) فلو لاحظنا المصادر التأريخيّة لِمَنْ يُنقِّب: _ أنَّهُ حصل في تبوك اصطدام عسكري مَعَ الروم في بداية الأمر وهُزِمَ المسلمون لأنَّ على بن أبي طالب لمَ يكن فيهم، وَأَنَّهُ نَدَب النَّبِي الأكرم عَلَيْ علياً بطريق المعجز بطي الأرض وجاء مِنْ المدينة وحَقَّقَ النَّبِي الأكرم عَلَيْ الله والإسلام والمسلمين وعادَ عليٌّ بطريق المعجز فضلاً عَنْ المصادر التأريخية للعامّة الَّتِي ما أنْ سمعت بمنقبة بعليٌ الله إلاً فضلاً عَنْ المصادر التأريخية للعامّة الَّتِي ما أنْ سمعت بمنقبة بعليٌ الله إلاً المستها وإنْ لمَ تكن واقعاً.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا الحدث شاهده وعاشه الآلاف مِنْ البشر مِنْ المسلمين وغيرهم، والمسافة بعيدة عَلَى ما تنقل المصادر التأريخية، وأنَّ الْنَبِيّ عَلَيْكُ النّبِيّ الْنَبِيّ الْنَبِيّ عَلَيْكُ الْنَبِيّ اللهجرة وَكَانَ

⁽١) الإرشاد للمفيد: ج١، ص١٥٤.

⁽٢) موسوعة سيرة أهل البيت الكلام، باقر شريف القرشي: ج٢، ص٥٠.

٨٤...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

خروجه في ٢٥/رجب/٩ هج (١) فَكَانَ سفر تبوك (٢٠) عشرين ليلة، وأقام بها عَنَيْ عشرين ليلة، وهرقل يومئذ في حمص (٢) وفترة مسيرة الْنَبِيّ الأكرم عَنَيْ إلى تبوك ليست باليسيرة والقصيرة حَتّى تُطمَس وتغيب، علماً أنَّ لها مصادرها وموادها وَمَعَ ذَلِكَ غيبت وطُمِسَتْ تماماً، وَعَلَيْهِ فَلا بُدَّ أَنْ نتساءل لماذا تُعَيَّبُ الحوادث الواقعة وَمِنْهَا أسباب النُّزول.

لماذا تُغَيَّبُ أسباب النزول

⁽١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٦٨، وأعلام الورى: ج١، ص٢٤٤.

⁽٢) المغازي للواقدي : ج٢، ص١٠١٥.

بتقريب: إنَّ الآية المُبَارَكَة انتقلت مِنْ ضمير التثنية إلى ضمير الجمع [... إِذْ يَحْكُمُ انِ فِي ٱلْحَرُفِ] إلى [وَكُنَّ الْحَكْمِهِمْ شَهِدِينَ] وَهَذَا تَقَدَّمَ فِي مبحث قَاعِدَة الالتفات (٢)، والوجه فِي ذَلِكَ: هُو أَنَّ الحكم الذي حُكِم به، لَيْسَ الحاكم به هُو نبي الله داود الله و سليهان الله حتى يُثنى الضمير وَيَكُون تطابق بين [يَحْكُمُ ان كَانُوا مَعَ داود وسليهان الله وتسَرَّع عُلَها الذي حكم هُنَا هُو عُلَهاء اليهود الَّذِيْنَ كانوا مَعَ داود وسليهان الله وتسَرَّع عُلَهاء اليهود فِي الحُكم فحكموا فقطعوا بذلك؛ ولذا صار الضمير جمعاً بِهذَا الله الله المنت المنتقل المنت والله المنت المنتقل المنت المنت المنت المنتقل المنت ا

ويبقى البحث ناقصاً، ولا تقتصر تداعيات ذَلِكَ عَلَى بحث أسباب النُّزول.

⁽١) سورة الأنباء: ٧٨_٧٩.

⁽٢) تفسير أمومة الولاية على المُحكمات فضلاً عن المُتشابهات في القرآن: ج١ للشيخ السّند.

كيف نقرأ السيرة النبوية والولوية والتأريخ بالقراءة الصحيحة

لايختص منهج أسباب النزول بآيات القرآن وسوره فحسب

إنَّ أحد أهم منهجيات تحقيق السّيرة النبويّة والولويَّة والتأريخ الصحيح والدقيق والمنقح، هُوَ أَنْ تجعل العَرْض عَلَى نفس رواية القُرآن ومحُكهات روايات المعصومين أيِّ تحكيم الثقلين مِنْ التأريخ، وَقَدْ يتساءل جملة مِنْ الباحثين عَنْ وجه الصّلة بين التأريخ والكتاب والعترة الطاهرة وَهُمْ الثقلين، فَإِنَّ الدِّين كتشريع أيِّ صلة لَهُ بالأحداث التأريخية الَّتِي وقعت وَكَانَتْ؟

والجواب: إنَّ البحث لَيْسَ فِي التأريخ بها هُوَ ترقيم وتوريخ وتأرُّخ أحداث، بَلْ البحث فِي التأريخ هُو نشاة الدِّين وترعرعه وبنائه وبها ينعكس كمصدر ومنبع ومستند ومدرك لاستنباط واستكشاف بُنية الدِّين؛ لِأنَّ المقصود هُوَ البحث عَنْ سيرة الوحي وَهُوَ الْنَبِي عَلَيْهِ فِي المواطن والأحداث المختلفة واستكشاف الصور الحقيقيّة لموقف الوحي في المواطن والموارد المختلفة وتوجيهها للأحداث لاستخراج صورة واقعيّة ملوطن والموارد المختلفة وتوجيهها للأحداث لاستخراج صورة واقعيّة حقيقية لمنظومة الدِّين ولكن بمنهجية يقظة نبهة لا أنَّ تؤخذ السير مِنْ

الكتب القديمة والمشوشة أو الكتب الَّتِي كتبت بأقلام مأجورة تحت ظل السلطات الظالمة والغاشمة كالسلطة الأموية والمروانية والعباسيّة و ... الخ وتؤخذ عَنْ مثل هكذا مصادر أخذ المُسلّمات، علماً أنَّ هَذِهِ المصادر تعكس رأي السلطات الحاكمة فَقَطْ ووجهة نظرها وما يصب بمصلحتها، ونترك ما يُسْنده لنا القُرآن الكريم مِنْ سيرة الْنَبِي عَيَالِيُ أو الأئمة وَهَذَا بالتالي يُشكل الأخذ بها طامة كبرى.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَاعدة أسباب النُّزول لا تختصّ بالتّالي ببيان واقع أسباب النُّزول لآيات القُرآن وسوره، بَلْ تتعدّى إلى السِّيرة النبوية، وسيرة أهل البيت وتاريخ مبدأ الإسلام، وَكُلِّ الوقائع والحوادث الَّتِي وقعت وحدثت وَلَمْ يُشِر إليها القُرآن الكريم؛ لِأنَّ هُنَاك بَعْض الوقائع لَمْ يتعرّض القُرآن لذكرها وَهِيَ بالتالي تُسَجَل كحدث فِي تاريخ الإسلام، وَلَهُ موقعيَّته وفهمه بالصورة الحقيقية مِنْ دون تلاعب به، وَهَذَا لَهُ أثره الكبير في تثبيت الحقائقن وسبب الاهتمام بهَذَا التأريخ لِإنَّهُ لَيْسَ موغل بالتأريخية المحضة وَإِنَّهَا هُوَ تأريخ عقيدة فَلا بُدَّ مِنْ عرضه عَلَى مُحكمات الكتاب والسنّة والثقلين؛ لِأنَّ هكذا تأريخ عقيدي يعكس بظلاله عَلَى فَهُمْ الدِّين، وَمِنْ الواضح إنَّ أيّ بحث يجري فيه معرفة الدِّين فَإنَّ الميزان فيه هُوَ العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسنَّة أيِّ الثقلين ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِنَبَ مِنْهُ عَايَنَ أَنْ كُمْ كُمُ اللَّهِ مُنْ أُمُّ ٱلْكِئْكِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

وَعَلَيْهِ إِذَا صار الميزان هُوَ العرض عَلَى المُحكمات والرّاسخون فِي العلم وَهُمَا الثقلين فَإِنَّهُ يتسنى للمفسرين والباحث الكريم أنْ يُنقي التراث مِنْ شوائب ما كتبته أقلام السّلطة والحكّام عَنْ ما هُوَ حقيقة ببركة هَذَا المنهج والميزان أيّ منهج أمومة الولاية والمُحْكَمات ويحذر هَذَا المنهج مِنْ الابتعاد عَنْ تحكيم الكتاب والسنة في تدوين وتحقيق التأريخي الدّيني وَإلَّا يقع الباحث فِي المعارف الَّتِي تخصّ العقيدة فِي تيه وضلال.

ولذا مِنْ دون الرجوع إلى ميزان العرض عَلَى الكتاب والسنة والثقلين وأمومة الولاية لا يمكن وعي حقائق التأريخ ؛ لِأنَّ أيّ حدث يقع سواء كَانَ صغيراً أم كبيراً فلأجل الإحاطة بكُلِّ زواياه فَإنَّهُ يحتاج إلى متابعة ومراقبة مِنْ عِدَّة جهات وزوايا ولا يمكن لمؤرخ أو باحث بجهود محدودة أنْ يحيط بذلك ما لمَ يَتَبع منهاج العرض عَلَى المُحكمات وأمومة ولاية أهل البيت المَيْكِيْ.

والخلاصة مِنْ كُلِّ هَذَا هُو آنَهُ لأجل أَنْ نقرأ سيرةً نبويةً أو ولوية أو تاريخية مضبوطة ومحققة ومدققة لأبُدَّ أَنْ نقراها بعدسة التصوير القُرآني، وإنْ كُنّا لا ننكر أَنَّ أحد أسباب الغفلة عَنْ العدسة التأريخية في القُرآن الكريم هُوَ إرباك تركيب وترتيب السور والآيات في القُرآن، وأحد أسباب الإرباك هَذَا هُوَ عدم جمع آيات وسور القُرآن الكريم حسب روايات أسباب النُّزول الصَّحيحة والواردة عَنْ الْنَبِي عَيْنِهُ وأهل بيته المَّلِيُ إِذْ لو البُعت لَكَانَتْ العدسة التأريخية كَمَا فِي المثل أوضح مِنْ شمس وأبين مِنْ الْبَعت لَكَانَتْ العدسة التأريخية كَمَا فِي المثل أوضح مِنْ شمس وأبين مِنْ

أمس، وَإِلَّا ما كَانَ هَذَا الالتباس الذي أوقع الأُمَّة الإسّلاميَّة فِي متاهات وظُلِّل وطمس كثير مِنْ الحقائق تعتيمها، كُل ذَلِكَ كَانَ ضريبة عدم اتباع المنهجة الصحيحة والحقّة ووقوع أو إيقاع الكثير مِنْ أفراد الأُمَّة الإسّلاميَّة فِي الزيغ والضلال، إذْ لو أتبعت المنهجة الصحيحة فِي قَواعِد التفسير وأحدها واهمها - هُوَ أسباب النُّرول الَّتِي لها تأثير كبير عَلَى دلالة تفسير القُرآن لكشفت وفضحت زيغ الأقلام الَّتِي استؤجرت مِنْ قبل السّلطات الظلة كالأموية والعباسية وغيرهما، إلَّا أنَّهُ وللأسف مَعَ هَذَا التزييف والتظليل؛ لذا نجد الأكثر وللأسف يأخذون بِهَذَا التأريخ أخذ المُسلّمات مِنْ دون تنقية وتمحيص لرواياته وطرقه اتّكالاً عَلَى تتبع الغير وتحقيقهم في ذلك، ولذا حدث ما حدث:

إلا أنّه ولله الحمد بدأت عِنْدَ عِدَّة مِنْ المحققين الخاصة أخيراً بادرة جيدة وَهِيَ كيفية قراءة التأريخ مِنْ خلال عدسة القُرآن الكريم، وإنْ كَانَ هَذَا قَاعِدة أُخْرَى سنتعرض إليها مُستقلاً في البحوث اللاحقة إنْ شاء الله وأحد الأُمُور المُهِمَّة فيها جداً هِيَ معرفة تاريخ النُّزول الذي سوف يطعلنا على مسلسل الحدث التأريخي والذي قَدْ يستعرضه القرآن في سورة واحدة، أو في سور متعددة وَهُوَ الأكثر وَهَذَا مما يجب الالتفات إليه ببركة المنهج التفسيري المُختار وَهُوَ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القُرآن، أيّ مُحكمات السنة النبوية وسنة المعصومين المَشِيْد.

ارتباط قاعدة أسباب النزول بقاعدة ترتيب آيات القرآن الكريم ٩١ الجهة الثالثة: في بحث قاعدة أسباب النزول:

ارتباط قاعدة أسباب النزول بقاعدة ترتيب آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة فضلا عن سائر سوره

إنَّ أهم ما ينبغي ملاحظته ومتابعته للباحث الكريم فِي قَاعدِة أساب النُّزول جُملةٌ مِنْ الأُمُور مِنْهَا:

أَوَّلاً: الإلمام بالحوادث الَّتِي وقعت فِي مَكَّة المكرَّمة مرتبة بحسب التعاقب الزّمني، وَالَّتِي نزلت فيها آياتٌ ينبغي المحافظة عَلَى ترتيب أسباب نزولها كَمَا هِيَ، ثمَّ ملاحظة سلسلة الأحداث الَّتِي وقعت فِي المدينة المنوّرة مُترتبة بحسب التعاقب الزمني مِنْ بدء الهجرة ونزول الآيات بشأن تلك الحوادث الَّتِي حدثت فِي المدينة مِنْ غزوات وحروب وفتوحات، وتشكيل الْنَّبِيِّ الأكرم عَيَّا اللَّهُ للحكومة والمجتمع الإسلامي الجديد وغيرها الكثير مِنْ الحوادث الَّتِي وقعت فِي حياة رسول الله عَيَّالِلهُ، وَالَّتِي تشكِّل مُنعطفاً كبيراً وحسَّاساً فِي حياته عَيَّالِلهُ، وَعَلَيْهِ فالإلمام بسيرته عَيَّالِلهُ شيء مهم للغاية؛ لِأنَّ مُتجسّمة ومُؤثِّرة في معرفة أسباب النُّزول في القُرآن وترتيب آياته وسوره، وبالتالي نستطيع أنْ نقول أنَّ أمواج هَذَا البثِّ الوحياي، لَهُ لاقطات ومحطّات أرضية راصِدَة لهذا الوحي وَهِيَ عبارة عَنْ سيرة الْنَّبِيّ عَيْرَاللهُ وسيرة الأثمة المجال وعاريخ صدر الإسلام وغيرها الَّتِي تشكِّل بمجموعها أسباب النَّزول.

ثانياً: الإلمام بالسُّور والآيات الَّتِي تتعرّض إلى ذكر الاحداث، وَأَنَّهُ فِي أَيِّ سورة تعرّضت للحدث الفُلاني، وهل توجد سورة أُخْرَى تعرّضت لهذا الحدث أو لا؟ وَهَذَا بالتالي يُعطي فائدة علميّة مُهمّة جداً، وَهُوَ أَنْ يَكُون لدى الباحث الكريم ميزاناً إجمالياً عامّاً لتحديد الصحّة والخطأ في مباحث وأبحاث أسباب النُّزول.

ثالثاً: وَعَلَى ضوء هَذَا الميزان الإجمالي العام _ المتقدم _ تبيّن مدى صحة مرويات الرّاوي بَعْدَ خضوعها لهذا الميزان الخطير والحسّاس، وكأنه تحقيق جنائي، فمثلاً: مرويات أبي هريرة الَّتِي أعدادها بالآلاف إذَا عرضت عَلَى هَذَا الميزان الإجمالي العام هل يتناسب هَذَا الكمّ الكبير مَعَ عمره ومُدَّة لقائه القصير بالرسول الأكرم عَيَّا الله سواء في مَكَّة أو المدينة مَعَ كونه إنساناً عادياً ويتلقّى الأحاديث بشكل طبيعي، فهل يتناسب هَذَا مَعَ ما يدّعيه ويرويه عَنْ النّبِي عَيَّا الله وعدد لقاءاته مَعَ النّبِي عَيَا الله وَعَديق وتمحيص ما يدّعيه توقيف الباحث الكريم عَلَى تحقيق نفيس وتدقيق وتمحيص للتراث، يستطيع المُدقِّق والمُحقِّق مِنْ خلال هَذَا فرز ما هُوَ صحيح عمّا هُوَ مُلفق ولا واقع لَهُ.

ولذا نرى علمائنا الأبرار أمثال الشَّيْخ المفيد في كتابه الإرشاد، والشَّيْخ الطوسي في جُمَلهِ وكتبه الأُخْرَى وغيرهما مِنْ الأعلام يتحدَّثون كثيراً عَنْ كتب السِّيرة والآثار ومصادرها لأنها _ السِّيرة _ أصل التُّراث فَلابُدَّ أَنْ يُمحَّص؛ لذا فَإنَّ أحد آليات قدرة المُفَسِّر عَلَى التفسير هُوَ إلمامه بسيرة الْنَبِّيَ عَلَيْكُ لللهِ في

في السورة الواحدة فضلا عن سائر سوره الإلمام الدقيق بسيرة النبي عَلَيْ مِنْ دين وعقيدة مُتجسِّمة ومُؤثِّر فِي معرفة السباب النُّرول فِي القُرآن الكريم، ولا ينحصر الأمر بالمُفسِّر بَلْ ويتعدّى إلى الفقيه أو الباحث فِي علم الأخلاق أو العلوم الأُخْرَى، فإذا أراد الباحث أنْ يستقي معرفته فِي مجاله مِنْ دون أنْ يُلِّم بسيرة النَّبِي عَلَيْ فَإنَّهُ سيكون بحثه يستقي معرفته فِي مجاله مِنْ دون أنْ يُلِّم بسيرة النَّبِي عَلَيْ فَإنَّهُ سيكون بحثه تجريدي وسطحي وبعيد عَنْ كثير ممّن الحقائق والواقعيّات، وَهَذَا يكشف لنا أنَّ الإلمام بسيرة النَّبِي عَلَيْ خطوة خطوة مِنْ أفعاله وأقواله وتقريره حجّة وأمثولة يُحتذى بها، وكم بَيَّنَ أئمة أهل البيت المَيِّلُ أنَّ الإنحراف فِي مذاهب العامّة فِي الأحكام وأبواب الفِقْه وَقُواعِد الدِّين فضلاً عَنْ المعارف والمعتقدات نشأ مِنْ عدم ضبط السِّيرة النبويّة وبسبب عدم الوقوف عَلَى حقائق وقائع السِّيرة النبويّة.

وكم مِنْ مُعتقدات اعتقدوا بها مغلوطة مُنعكسة عَلَى فَهمِ مغلوطٍ لغزى سيرة أفعال الْنَبِي عَلَيْكُ وللجهل بحقيقة تأويل كلمات الْنَبِي عَلَيْكُ فِي وقائع السِّيرة المُختلفة، حَتّى أنَّ أئمة أهل البيت المَهِ يَنوا أنَّ بَعْض خُلَّص الصحابة مِّن لَمْ يكُن يَحمِل نفاقاً ولا عداوة للنبي عَلَيْكُ ، بَلْ عَبَّة ونَصْرَة وولاء وتُوفِي شهيداً وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يكن يعي تأويل موقفٍ ومغزى كلام للنبي عَلَيْكُ ، وهيّا ها الله سُبْحَانَهُ بنحو تكون عِبْرَة لِكُلِّ أجيال البشر، وَعَلَيْهِ فالإلمام بها أمرٌ فِي بالغ الأهمية.

التأريخ يحتاج إلى آلات متعددة لتمحيصه

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعلْم أَنَّ التأريخ لا يمكن تمحيصه بأدوات تأريخية بحتة فَقَطْ، وَإِنَّما يحتاج إلى آلات مُتعدِّدة لتمحيصه وتنقيته، فيحتاج إلى علم عسكري في البحوث العسكرية، والتقنيّة العسكريّة، وإلى علم أمني في البحوث الأمنية، وعلم استراتيجي في البحوث الاستراتيجية، وعلم سياسي في البحوث السياسية، واجتماعي في العلوم الاجتماعيّة، ونفسي في العلوم النفسانيّة، وعَلَيْهِ فالتأريخ مُشتمل عَلَى مجالات وعلوم وميادين كثيرة.

وَذَلِكَ لارتباط التأريخي بموضوعات مِنْ أبواب وعلوم مُخْتَلِفَة ولا يمكن الإحاطة بحقيقة الوقائع التأريخية وَكُل واقعة واقعة إلَّا بالموضوع أو الموضوعات الَّتِي ترتبط بها تلك الواقعة، فَقَدْ يَكُون حدثاً عسكرياً وَقَدْ يَكُون حدثاً أمنياً، وَقَدْ يَكُون مناورة سياسية مُعيّنة، وَقَدْ يَكُون أزمة اقتصادية.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الحقول والبيئات المُختلفة الَّتِي تحيط بالمجتمع البشري، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فالواقعة المُعيّنة مِنْ التأريخ لا يَتِمُّ فحصها

وضبطها واتقانها بمجرد الرُّواية التأريخية وسلسلة السند والطَّرق إلى تلك الواقعة نظراً لارتباط الإحاطة والإلمام بتلك الواقعة بقرائن وقصاصات وشواهد مُرتبطة بالعلم الباحث عَنْ تلك البيئة وَعَنْ ذَلِكَ الحقل المحتف بحياة المجتمع البشري، وأنَّى لغير المطلع عَلَى ذَلِكَ العلم المرتبط بذلك الموضوع مِنْ الإلمام بحقيقة وحقائق تلك الواقعة، وَهَذَا ما يُلاحظ عَلَى كثير مِنْ الاعتراضات والتساؤلات والاستبعادات حول واقعة الطَّف يَوُم عاشوراء، فَإِنَّهَا تدور حول حقول وبيئات مُعيّنة لا يلم بها المُعترض أو المُستنكر لوقوعها؛ وَذَلِكَ لعدم إلمامه بالمُلابسات الموضوعيّة المأخوذة بعين الاعتبار في العلم الباحث في تلك البيئة وَذَلِكَ الحَقّ، وَمِنْ ثُمَّ أَنَّ التأريخ وإنْ كَانَ علمًا لبقية العلوم إلَّا أنَّ حقائق التأريخ لا يمكن التوصّل إليها بمُجرَّد هَذَا العلم فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ مُشارِكة جُملة مِنْ العلوم الأُخْرَى الباحثة عَنْ حقول وبيئات مرتبطة بوقائع ذَلِكَ التأريخ، وَهَذَا دور العقل التجريبي وعقل التجارب وعقل العلوم فِي قراءة التأريخ نظير ما مَرَّ مِنْ دور العلوم النقلية للوحي في قراءة حقائق التأريخ.

وبالتالي فَإِنَّ علم التأريخ مُجَرَّد ركام قصاصات ومواد خام يحتاج في استخراج معادن وجواهر حقائقه إلى علوم أُخْرَى عديدة، وَهَذَا ما أغفله عُلَهَاء التأريخ وما أغفله عُلَهَاء بَقيَّة العلوم الأُخْرَى فِي استنادهم إلى التأريخ ومروياتهم ورواياتهم فَإِنَّ اللازم تمحيص وتنقيح وتنسيق تلك المواد للخروج بصفوة صافية شفافة مِنْ الدلائل الكاشفة عَنْ حقائق التأريخ.

نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد

نبحث في هَذِهِ النَّظَرَيَّة كيفية التَّحريف والتلفيق الحاصل في روايات أسباب النُّزول والذي انطلى عَلَى أكابر العُلَمَاء حَتّى عَلَى جملة مِنْ عُلَمَاء الخاصّة، وكيف أثَرت تلك التلفيقات عَلَى الاستظهارات في الآيات القرآنية.

موك النظرية: قوله تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةِ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمَّ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظً ٱلْقَلْبِ لَا نَفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكِ ... وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَنَهُتَ فَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (اللهُ اللهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (اللهُ اللهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (اللهُ اللهُ اللَّهُ اللهُ الل

بتقريب: إنَّ قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ فَإنَّ ﴿وَشَاوِرُهُمْ ﴾ أمر بنحو الإلزام والوجوب مِنْ الله تَعَالَى لنبيه ﷺ بالمشاورة لِـمَنْ لَهُ أهلية المشورة والرأي.

ييان مَعْنَى الشوى: ولأجل أنْ يتّضح المُرَاد مِنْ الشورى والمشاورة فِي الأمر، لابُدَّ مِنْ بيانها عَلَى وفق اتّجاهين: ــ

التجاه الله: مِنْ الأساس التشريعي الثّابت هُوَ المشاركة وَهُوَ المعروف بقاعدة الشّورى لا بالمعنى الذي انتهج فِي السّقيفة ومذاهب أهل السنة، بَلْ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

بالمعنى المُتبنّى عِنْدَ مذهب الإماميّة، فَإِنَّ موادّها تحكيم الحقيقة والوصول إليها عَلَى الطريق المُدَلّل والمُبرهن عَلَيْهِ، وَهُوَ الذي يُحكّم عَلَى الآراء سواء كَانَتْ أكثريّة أو أقليّة فَقَاعدِة الشُّورى فِي مذهب الإماميّة: هِيَ حاكميّة العلم والفحص عَنْ المعلومات عَلَى الآراء والميول والأهواء وحاكمية العقل كَذَلِكَ وَهُوَ عين مفاد الحديث الشّريف «أعقل النَّاس مَنْ جمع عقول النَّاس إلى عقله» وَهُوَ شعار آخر الحضارات الَّتِي توصَّلت إليها البشريّة والنمط التمدّني الذي انتهى إليه حضارة المعلومات والعلم الجمعي والعقل الجمعي لا الاهواء والميول الجمعيّة والنزعات الهيجانيّة النفسيّة والعقل المجموع وَهَذَا المفاد لقاعدة الشورى في مذهب الإماميّة يُطابق قَاعدِة أُخْرَى لديهم وَهِيَ:

الحسن والقبح العقليان الذاتيان للأشياء:

حَيْثُ إِنَّ مُؤدِّى هَذِهِ القَاعِدَة الثانيَّة هُوَ الحُسْن للواقعيات أو القُبح لا يتأثر بالآراء، والأهواء والميول وَلَيْسَ هُما أمران تُصَادِق عليهما الأكثريّة، ولا يتولّد مِنْ تباني الأكثريّة عليهما، بَلْ هُمَا ينبعان مِنْ حاقّ الواقع، فمثلاً النّظام المالي العادل حَسَنٌ وإنْ صَوَّبت الأكثرية بها يخالِفه، وكذلك في مثل النظام النقدي والقضائي والحقوقي، فعدالة الأشياء لا ترتهن برأي ولا بإدراك الأكثرية ولا الأقليّة، بَلْ بحسب الواقع الخارجي للحقائق، وَمِنْ ثمَّ باعترف الغرب في الأزمة الاقتصادية الَّتِي عصفت بهم طوال عشرات السنين ولا زالت مستمرة تلك الأزمة الَّتِي بركنت وزلزلت أعمدة الاقتصاد

نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد ٩٩

لديهم هِيَ تراكم أنظمة خاطئة عديدة فِي الاقتصاد سواء فِي نظام النقد المالي واكتشف أنَّهُ غَيْر عادل، أو النظام المصرفي، أو نظام الضريبة الكمركي أو نظام التجارة أو غيرها.

وخطأ هَذِهِ الأنظمة أنَّها غَيْر عادلة ومُجحفةٍ، وهادمة للطّاقة المالية مَعَ أَنَّها قَدْ صُوِّبت بأكثريّة الآراء ومالوا إليها واستهوتهم.

وَيَتِمُّ اكتشاف الواقع والواقعيات مِنْ خلال إجراء تحقيق عبر اتخاذ هياكل وقنوات وآليات مُتناسبة مَعَ كُلِّ عصر ومكاد وبلاد (١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اتَّجَاه مدرسة أهل البيت اللَّكِائِ، ونظرية الإمامية فِي نظرية الشورى تقوم عَلَى دعائم مِنْهَا: _

أوَّلاً: لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ الشورى بمعنى حاكمية وسلطة الأكثرية، وَإِنَّمَا بمعنى العقل الجمعي والانفتاح أمام المعلومات انفتاحاً واسعاً ورجباً، وانطلاقاً مما وَرَدَ فِي الرِّوايات: «أعقل النَّاس مَنْ جمع عقول النَّاس إلى عقله، واعلم النَّاس مَنْ عَلِمَ باختلاف النَّاس».

⁽١) أسس النظام السياسي عند الإمامية للشّيخ محمد السند: ج١، ص٣٤.

وقد بسط شيخنا الأستاذ محمد السند_حفظه الله في كتاب الإمامة الإلهية: ج١، ص١١ الفصل الثاني في مبحث نظرية الحكم على ضوء الإمامة الإلهية في المبحث الثاني: ص١١٩ _ ١٨٩ والكلام حول النظريات المختلفة في إدارة شؤون الحكم ودور الشورى، وكذلك بشكل أكثر تبسيطاً في النظام السياسي.

وكذا في كتاب الحاكميّة بين النصّ والديمقراطية للشيخ النسد_حفظه الله_ج٢، الفصل الأول: ص٤٠ عــ ١١٩ ومنء أراد الإحاطة بالموضوع أكثر ومزيد البسط والتفصيل وبرأي شيخنا السند حفظه الله، مراجعة المصدرين المذكورين.

ثانياً: إنَّ مَعْنَى الشورى هِيَ مراقبة الأُمَّة لِكُلِّ نظام الحكم مِنْ رأسه إلى طبقاته المُتوسّطة إلى تفرّعات قاعدته وشُعُبها أيّ حس المسؤوليّة تجاه الشأن العام، حَيْثُ نجد هَذَا التّشريع مُتأصّلاً فِي النهج الديني بدءاً بأولى خطواته، فَإنَّ الاعتقاد بالنبوّة والإمامة والمُتابعة والإنقياد لهذين الأصلين المُقدّسين مشروط بإحراز الأُمَّة لمواصفات الْنَبِي عَلَيْكُ والإمام عِبر المعجزة والدليل العلمي واتصافها بهذين العنوانين فضلاً عَنْ بَقيَّة مراحل النهج الديني.

نماذج من أنحاء مراقبة الأمة:

ومما يُشير إلى هَذِهِ الصلاحيّة للأُمَّة ما قُرِّرَ فِي مباحث المعارف الدِّينية مِنْ حجيّة العقل ولو بنحو محدود ومُفيد باليقينيّات، فَإنَّ ذَلِكَ يُعطي مُؤدّى نحو مشاركة للأُمَّة بها لهم مِنْ عقل فِي النظام بها لهم مِنْ عقل فِي النظام الديني عَلَى صعيد التنظير والتطبيق.

وَمِنْ النهاذج الأولى لمشاركة ومحاسبتها ومُتابعتها لمسيرة الحكم، هِيَ ما صرَّحت به الآية الكريمة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآهُ بَعْضٍ مَا صرَّحت به الآية الكريمة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُ الْمُنكرِ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ الآية المُبَارَكَة فيها إشارة إلى عموم ولاية النَّاس، لا إعطاء الحاكم الولاية؛ فَإنَّ ولاية الحاكم بمقتضى الآيات العديدة لله ولرسوله والأولى الأمر مِنْ ذي القُربى، بَلْ ولا يتّهم فِي المراقبة والمحاسبة

⁽١) سورة التوبة: الآية ٧١.

نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد ولا ريب أنَّ والنظارة عَلَى مسير الحكم، وَهُوَ ما قَدْ يُعبَّر عَنْهُ بالنّصيحة ... ولا ريب أنَّ شكلَ وأدوات وآليات المُراقبة هِيَ خاضعة للعقل التّجريبي والخبروي الَّتِي تتبادلها المُجتمعات البشريّة في ما بين بعضها مَعَ البعض الآخر، واستخدام الآليات المُناسبة العصريّة هُوَ الجانب المُتغيّر في مقام الأداء لما هُوَ واستخدام الآليات المُناسبة العصريّة هُوَ الجانب المُتغيّر في مقام الأداء لما هُوَ

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اتَّخاذ الآليات مِنْ تجارب العقلاء والأُمم، سواء عَلَى صعيد الحكم، أو صعيد آليات الدِّينية قابلة للانحفاظ في شكل تلك الآليات.

الشورى عند أهل البيت عليهم السلام:

الثّابت الدِّيني (١).

إذَنْ الشورى حسب فكر ومنهج مدرسة أهل البيت المهلا معناها عدم الاستبداد بالرأي النابع مِنْ ضيق المعلومات الفرديّة، وتقوقع النفس في معلوماتها فَقَطْ وحدود القدرة العقلية للباحث الكريم، بَلْ تَحْتُ عَلَى جَمع وضمّ العقول المُختلفة إلى عقلك بضوابط وموازين علميّة، وَهَذَا البحث غَيْر بحث حاكميّة الأكثرية، وَإنَّها هُوَ بحث كيفي ويدعو إلى جمع المعلومات الدقيقة وَالَّتِي فيها جنبة شموليّة، ولذلك نرى بوضوح تأثير جانب الخبرة والخبروية والنخبة والنخبوية عَلَى هَذِهِ المدرسة الشّريفة، فالعالم فيها لَيْسَ الكمّي وَإنَّها المنظور العامل الكيفي، ولا يعني هَذَا إهمال العامل الكمّي،

⁽١) أسس النظام السياسي: ج١، ص٣٧ ـ ٣٨ الشيخ محمد السند.

وَإِنَّهَا يُنظر العامل الكمّي مِنْ جهة توسعة الأفق لا مِنْ جهة أنَّ الكمّ بها هُوَ كُمُّ لَهُ دُورٌ، وَإِنَّها مِنْ جانب الانفتاح عَلَى أكبر قدر مِنْ المعلومات وَمِنْ التّجارب، هكذا يَكُون الفضاء رحبٌ وسيعٌ لنظريّة الشورى في نظر مدرسة أهل البيت اللّهِ ولذا حَتّى لو نظرنا إلى شعار الحضارات الحديثة المُعبَّر عنها بثورة المعلومات تارة، وبوسائل شبكة الاتّصال الجّمعي لتبادل المعلومات تارة أُخْرَى، وإنْ كَانَتْ شعاراتهم السَّابقة الديمقراطية والأكثرية إلاّ أنّهم عدلوا عنها ورفعوا مكانها شعار آخر، وهُو تحكيم ثورة المعلومات والدلائل وإنْ كَانَ هُنَاك جدلاً يجري الآن حَتّى في شعار الديمقراطية وَأَنّهُ هل المُحكَّم هُوَ الكمّ _ أيّ صفوة الأكثرية، أو آراء الأكثريّة، أو الرأي العلمي الذي يستند إلى معلومات ودلائل، وعَلَيْهِ بالتّالي هُنَاك فرق بين حقوق الأكثر، وآراء الأكثريّة والرأي العلمي.

فَإِنَّ الْمُحكم هُوَ الرأي العلمي والنخب العلمية، ويشهد لَهُ أَنَّهُ إلى الآن حَتَى النّظام الانتخابي الرّئاسي العالمي في الدُّول الكُبرى لا يقوم عَلَى اكثريّة الأصوات بقدر ما يقوم عَلَى انتخاب النخب العلميّة الَّتِي هِيَ صمّام الأمان في انتخاب الأكفأ والأصلح ... الخ وبالتالي حَتّى أصحاب المدرسة الأُخرَى بَلْ والمدارس القديمة أو الجديدة الديمقراطيّة لَمْ يكن لهم بُدّ مِنْ تحكيم نظرية ومنهاج واتّجاه أهل البيت المي في نظريّة الشّورى وَهُو تحكيم جانب الخبروية والنخبوية.

الاتجاه الثَّانِي: اتِّجاه مدرسة أهل سنة الخلاف فِي نظريَّة الشُّوري

نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد القائلة بأنَّ «السلطان ظل الله في الأرض» (١٠ ولا يصحّ التمرُّد عَلَيْه إلَّا أنْ يُعلِن المباح، وأنَّ الأكثريّة هِيَ الحاكمة وإذا اختارت الأكثريّة للحاكم فَهُوَ يمثِّل ظل الله في أرضه، وَهَذَا بخلاف ما تذهب إليه مدرسة أهل المبيت المبيّل حكما مرّ بيانه في الاتجاه الأوّل وأنَّ مِنْ عناصره أنْ تراقب الأُمَّة المبيت المبيّل حكومتها انطلاقاً مِنْ حديث النّبِيّ الأكرم عَيَّا اللهُ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته» (٢).

بتقريب: أنَّ الحديث الشَّريف يُؤكِّد عَلَى تحمَّل الجميع مسؤوليَّة الحدث دون أنْ ثُحَمَّل جهة مُعيَّنة مسؤوليَّة ذَلِكَ الحدث، وَعَلَيْهِ إِذَا حُمِّلَ بعضٌ مسؤوليَّة ذَلِكَ الحدث لوحده، فَهَذَا تبرير خاطئ حسب منطق الْنَّبِيِّ عَلَيْلِللهُ وَمِنْ قبله القُرآن الكريم.

أمَّا أنَّ درجات تحمَّلُ المسؤولية تختلف مِنْ زمان ومكان إلى آخر فذاك بحث آخر، وأنَّ مسؤوليّة الرقابة مفتوحٌ للجميع.

عودة إلى صلب الموضوع، وربط وصياغة أسباب النُّزول وفق المعتقد في الشورى.

وَهُوَ أَنَّ الآيات النازلة فِي غزوة أُحُد لُفِقت لها أسباب النَّزول ودُوِّنت بنمط يُثبت الشورى بالمعنى والاتّجاه الأوَّل،

⁽١) السنن الكبرى للبيهقي: ٨/ ١٦ أمالي الطّوسي.

⁽٢) عوالي اللثالي ابن أبي جمهور الأحسائي: ج ا ص ١٢٩؛ بحار الأنوار، للمجلسي: ج٧٧ ص٣٨.

ولكن وللأسف انطلي هَذَا التزوير عَلَى كبار مِنْ مُحقَّقي الخاصَّة، وأنَّ أسباب النُّزول الَّتِي زُوِّرت حسب الروايات المزعومة والمكذوبة والمُختلقة الَّتِي صورت أنَّ رأي الْنَّبِيِّ الأكرمُ عَلِّيلًا هُوَ أنَّ يمكث ويلبد فِي المدينة، وَأَنَّهُ عَيِّاللَّهُ لَهُ تَكن عنده همّة للخروج ومقاتلة الكفّار مِنْ قريش، وَإِنَّمَا يُحارب قريش داخل المدينة وفي سككها وبيوتها وشوارعها هَذَا مِنْ جهة، وَمِنْ جهة أُخْرَى كَانَ رأي عبدالله بن أبي بن أبي سلول رأس المُنافقين عَلَى عدم الخروج وأنَّ الْنَّبِيُّ عَلَيْكُ إِذَا لَمْ يُخرِج سوف يَكُون النصر حليفهم، وأنَّ ذَلِكَ هُوَ رأي عِلية الصحابة، ولكن الذي أكره الرسول عَلَيْكُ عَلَى الخروج هُوَ رأي الأكثريّة المُتمثّلة بالشباب المُتحمِّس والمندفع إلى الخروج ومقاتلة قريش، وأنَّهم لا يتهيبون الموت إلَّا أنَّهم قليلو الحنكة، وَكَانَ سبب اندفاع الشّباب هُوَ بسبب عدم توفيقهم للشّهادة في بدر لعدم مشاركتهم فيها ورأوا مديح القُرآن وتعظيمه لمكانة مَنْ استشهد فأرادوا أنْ يندفعوا إلى الشهادة واستجاب الْنَبِي عَيْدِ لللهُ لرأي الأكثريّة ولبس لامته إلَّا أنَّهم اعتذروا_ الشباب _ لرسول الله عَلَيْلَ وَأَنَّهُ لَعَلَّنا أكرهناك يا رسول الله عَلَيْلَ عَلَى الخروج، فَقَالَ عَيْمِ اللَّهُ؛ «لِأَنَّهُ لا يَنْبَغِي للنبي ولا للوصي إذًا لبس لامته وقصد لعدوه وقصد لعدوّه أنْ يرجع أو ينثني حَتّى يُقتل أو يفتح الله له »(١) وكذا ما وَرَدَ فِي مناقب آل أبي طالب: «وَكَانَ إِذَا لبس لامته لَمْ ينزعها حَتَّى يُقاتل، ولا يرجع إذًا خرج، ولا ينهزم إذًا لقى العدَّق وإنْ كثروا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَفْرس

⁽١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي: ص٢١٨.

وأمَّا أهل الحَجا والحنكة فأشاروا عَلَى الْنَبِيَّ عَلَيْكُ بالمكث في المدينة؛ لِإِنَّهُ فِي الحروب السّابقة في المدينة لَمْ ينهزم لِأنَّ النّساء والولدان تساعد الجيش والمقاتلين برمي الحجارة ومشاعل القصب و ... الخ وَنَحْنُ نحتمي بالسكك والبيوت ولا يستطيع العدو آنذاك أنْ يظفر بنا، هكذا مذكور في الروايات العامة الزاعمة لذلك إلَّا أنَّهم تحيّروا بَعْدَ ذَلِكَ فِي كيفية هيكلة ما ذكروه مَعَ ما يتناسب ومبدأ الشوري في الاتّجاه الثَّاني.

الأكثرية لها موضوعية في مبدأ نظرية الشورى

في مدرسة الخلافة:

وفي مقابل هَذِهِ الدّعوى ـ وَهُوَ الصحيح ـ هُوَ أَنَّ رأي رسول اللهُ عَلَيْهُ كَانَ عَلَى الخروج مِنْ أَوَّل الأمر وسنذكر لَهُ عِدَّة شواهد قُرآنيّة وروائيّة، نعم رأي كبار الصّحابة كَانَ مُنعقداً عَلَى خلاف رأي رسول الله عَلَيْهُ وَهُوَ

⁽١) مناقب آل أبي طالب بن شهر آشوب: ج١، ص١٢٤ _١٢٥.

١٠٦..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

عدم الخروج مِنْ المدينة، وَكَانَ نظر هؤلاء الكبار مِنْ الصّحابة مُنصبًا وتابعاً إلى رأي رأس المُنافقين عبدالله بن أبي بن أبي السلول لا رأي رسول الله عَيْظِيُّهُ.

سؤال: ما هُوَ السبب الرئيسي فِي هزيمة المسلمين فِي وسط معركة أُحُد؟

الجواب: إنَّ الاتباع لغير رأي رسول الله عَيَّا والتمرّد وعصيان أمر الرسول عَيَّا وعدم اتباع خطّته العسكرية بتجافي الرَّماة عَنْ مواقعهم هُوَ السبب الرئيسي في هزيمة المسلمين في وسط غزوة أُحُد، مُضَافاً إلى فرار كُلِّ صحابة رسول الله عَيَّا عَلَى بن أبي طالب اللهِ وعكاشة ونفر واحد مِنْ الصّحابة ثبتوا مَعَ رسول الله عَيَّا في وَإِلَّا فالصّحابة فرّوا أو بَعْض وَلّى مُدْبراً وذهب بها عريضة و ... الخ.

الأسباب المزعومة لفشل المسلمين وسط معركة أحد:

إنَّ التوثيق والتثبت مِنْ أسباب النُّزول أمرٌ بالغ الأهميّة والخطورة في تفسير القُرآن، ولربها الفقيه أو المُتكلِّم في علم الفِقْه أو العقائد أو في أيّ علم مِنْ علوم المعرفة الدِّينية يَضِل عَنْ الحقيقة في البحث إذا اعتمد عَلَى أسباب نزول مُحرَّفة؛ ولذا نذكر بَعْض أهم الأسباب الَّتِي ادُّعيت وزُعمت ولا مثبت لها، وسنذكر بَعْدَ ذَلِكَ بَعْض النهاذج القُرآنيّة عَلَى العكس مِنْ ذَلِكَ وتدحضها.

وَمِنْ بَعْض أهم تلك الأسباب المزعومة لفشل المسلمين وسط

نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحدمعركة أُحد وهزيمة وتضعضع جيش المسلمين بأمور تشبثوا فيها مِنْهَا.

السبب الأول: استجابة النّبِيّ الأكرم عَلَيْكُ لرأي الأكثريّة وَهُمْ الشّباب المتحمّس، أيّ أدّعي أنّ النّبِيّ عَلَيْكُ كَانَ رأيه الشّريف عَلَى البقاء والمكث في المدينة المنوّرة في معركة أُحُد، بينها كَانَ رأي أكثريّة الأنصار عَلَى الذّهاب خارج المدينة للدفاع عنها ومقاتلة كفّار قريش، ورغم ذَلِكَ تَنزّل سيد الأنبياء عَنْدَ رأي الأكثريّة، وَأَنّهُ دالٌ عَلَى أَنْ رأي الأكثر مُلْزِمٌ للأخذبه.

وفيه

أُوَّلاً: إِنَّ هَذَا الرأي غيرُ حصيفٍ ولا سديد للتشبث به فِي مَعْنَى الشَّورى بالمعنى الثَّانِي، فَإِنَّهُ مُجُرَّد دعوى ولا مثبت لها، بَلْ لدينا شواهِدَ قُرآنيَّة وغيرها_ستأتي بَعْدَ قليل ذكرها_تثبت وتدلّ عَلَى العكس.

ثانياً: إنَّ مثل هكذا قرائن كالأكثريّة وغيرها لا تصلح لتثبيت اتّجاه أو منهاج مدرسة وغيرها؛ ولذا كَانَ مِنْ الضروري جدّاً بيان الآيات والرّوايات الَّتِي تفنّد نظرية الشّورى بالمعنى الثَّانِي.

السبب الثاني: عدم تكامُل ونضوج الخطّة العسكرية المرسومة في المعركة. وفيه: أنَّ الْنَبِي عَلِيْكُ كَانَتْ خطته مُحكَمة إلَّا أنَّهُ تخاذَل بَعْضُ المسلمين وعدم الاستجابة لأوامر الْنَبِي عَلِيْكُ أدّى إلى الانهزام في وسط المعركة.

السبب الثالث: عدم استجابة الْنَّبِي عَلَيْهُ لرأي واقتراح عِلْية الصّحابة الذي كَانَ يدعو إلى عدم خروج الْنَبِي عَلَيْهُ والمكث فِي المدينة ويُحارب كفّار

١٠٨......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

قريش فِي سكك وطرق المدينة، وَأَنَّهُ عَلِيهُ إِذَا بقي فِي المدينة كَانَ النَصْرُ حليفه، وَكَانَ هَذَا الرأي أيضاً يذهب إليه رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن أبي سلول، وَقَدْ استجاب لرأي هَذَا المنافق ما يقرب مِنْ ثلث جيش المسلمين فِي المدينة.

وفيه:

أَوَّلاً: إِنَّ الْنَبِيَ عَلَيْ اللهِ عِنْدَمَا خرج مَعَ الجيش لمقاتلة الكفّار خارج المدينة لأجل أَنْ يُجنّب المدينة وأهلها الَّذِيْنَ فيهم الشَّيْخ الكبير والمرأة الكبيرة والطفل الصَّغير والمريض وذي الأعذار وغيرهم، ضرر الحرب داخل المدينة؛ لأِنَّ الحرب داخل المدينة تُؤدِّي إلى أضرار بليغة بالمُمتلكات وبغير المقاتلين فأراد الْنَبِي عَلَيْ أَنْ يجنبهم كُلِّ ذَلِكَ.

ثانياً: إنّه لو بقي الْنَبِي عَيْلِ وسمح لكفّار قريش بالدّخول إلى المدينة، فَلَعَلَّ الأَضْرار تكون أبلغ وأكثر، وتحصّن الكفّار وتترسهم بالمسلمين، وقَدْ يجد الكفّار مِنْ قريش أنصاراً لهم في المدينة؛ لأنَّ المدينة كَانَتْ حديثة عَهْدِ بالنبي عَيْلِ وَلَمْ تكن كُلَّهَا تابعة لَهُ عَيْلًا ففيها اليّهود والنصارى وطوائف وأديان مُخْتَلِفَة، وَلَعَلَّهُ وجدت جيوب معارضة للنبي عَيْلِ لَمْ يُحْسَم معهم الأمر بَعْدُ، فَلَعَلَّ هؤلاء إذا دَخل جيش الكفّار إلى المدينة تواطئوا وتعاونوا معهم، وآنذاك يصعب الظفر بالنصر.

السبب الوابع: تمرُّد وعصيان الصّحابة لأمر رسول الله عَيَّالَهُ إلَّا أميرَ المؤمنين اللَّهِ وَمعه نفرٌ قليل جدًا مِنْ الصحابة ثبتوا مَعَ رسول الله عَيَّالَهُ وأمَّا

وَعَلَيْهِ فَمَا تَشْبَثُوا بِه لِترسيخ مبدأ الشَّورى بمعنى تحكيم رأي الأكثريّة عَلَى حساب ترسيخ هَذَا المبدأ بالمعنى الثَّانِي، تَحَمَّل الرسول عَلَيُّ الضريبة الكبيرة لانكسار وانهزام عسكر المسلمين وسط معركة أُحُد، وَهَذَا يُدلِّل عَلَى أَنَّ مبدأ الشّورى بالمعنى الثَّانِي كم هُوَ غَيْر مُتأصِّلُ وخطير حَتّى لو أدّى إلى مثل هكذا زعم خطير.

تطبيق عملي للجهة الأولى من قاعدة أسباب النزول:

الشواهد والنماذج القرآنية التي تفند أسباب النزول المزعومة:

وغرضنا الأساسي مِنْ استعراض هَذِهِ الشَّواهد القَّرآنية هُوَ بالحقيقة تطبيق عملي للجهة الأُولى مِنْ قَاعدِة أسباب النُّزول، ورغم ما مَرَّ مِنْ تأكيد عَلَى أهميتها إلَّا أنَّ أهميّة الإحساس العملي التطبيقي كُلّما كَانَتْ أكثر كُلّما كَانَ يُشْعُرُ الإنسان بمدى خطورة هَذِهِ الخطوة وكثرة الابتلاء بهذه الجهة في أسباب النُّزول، وَهِيَ الروايات المُزيّفة، ولا يَظُنُّ أحدُ أنَّ الروايات المُزيّفة قليلة بَلْ هِي كثيرةٌ وجُلُها مِنْ مدرسة الطرف الآخر.

نعم، قَدْ يحصل فِي بَعْض الأحيان تطابق بين روايات أسباب النَّزول الواردة عَنْ أهل البيت اللَّهِ مَعَ روايات الطرف الآخر المُزيَّفة تقيَّة، إلَّا أَنَّهُ تَخْفَى فِي أُغلب الأحيان عَلَى كثير من الباحثين ما لَمْ يتقيّد الباحث الكريم

بمنهج تحكيم مفاد مجموع الآيات والسور والروايات ويخرج بنتيجة قَدْ تُطابق الطرف الآخر أو تخالفه ولا نقصد بأسباب النُّزول الملفّقة والمُزيّفة أنَّها كَذَلِكَ مِنْ جميع الجّوانب والزوايا، فإنَّها مِنْ بَعْض الجهات ليست مُزيَّفة، إلَّا إنَّهُ بحسب المهارسة والتتبع الدقيقين لسور وآيات عديدة في القُرآن حول عرض مسلسل أحداث سيرة النَّبِيّ الأكرم عَيَّا وأحداث صدر الإسلام، فَمِنْ النَّادر جدّاً أنْ تقف عَلَى موردٍ مِنْ موارد روايات أسباب النُّزول للطرف الآخر وَلَيْسَ فيها تزييف ولو مِنْ زاوية، ولا أقل فإنَّهم يُحاولون عدم إظهار بَعْض الملفات الَّتِي لا يروق لهم الإفصاح عنها ويُفتضحون بعرض تلك الملفات؛ لان كُلّ روايات أسباب النُّزول كَانَتْ مرتبطة ولا تزال بكتل بشريّة في عهد الرسول عَيَّا ولذا مِنْ الصعوبة بمكان نشرها.

ولذا سوف نخرج بنتيجة نَحْنُ عَلَى قناعة تامّةٍ بها ـ إنْ شاء الله ـ هُوَ أَنَّهُ: لا تأمننَّ ولا تطمئن في كُل مورد تكون فيه روايات أسباب النُّزول مِنْ الطّرف الآخر هِيَ صادقة ومطابقة وسليمة تماماً، فَإنَّ مَنْ يعتقد بصحّتها ويطمئن بها عنده نَوع مِنْ الغفلة.

أمثلت وشواهد قرآنيت

على دحض نماذج من أسباب النزول الملفقة

وسنذكر عَلَى الترتيب الَّتِي بيَّنت نهاذجاً مِنْ سورة آل عمران بها يتعلَّق بمعركة أُحُد، وَمِنْ سورة الأنفال ما يتعلَّق بمعركة بدر، وَمِنْ سورة براءة ما يتعلَّق باعتراض عمر عَلَى الْنَبَى عَيَّالِهُ.

أُولًا: نماذج منِ سورة آل عمران ما يتعلق بمعركة أحد:

إِنَّ مفاد الآيات القرآنيَّة الَّتِي بيَّنت غزوة أُحُد فيها وعدُّ إلهي بالنصر، الآله وسطها وانقطع ألَّ مَذَا النصر الآلهي في آخر المعركة، وَهَذَا لَيْسَ خلفٌ مِنْ الله لوعده مَمَّ عاد هَذَا النصر الآلهي في آخر المعركة، وَهَذَا لَيْسَ خلفٌ مِنْ الله لوعده حاشاه لله و وَإِنَّمَا فرَّ طبه بَعْض المسلمين وتمرَّ دوا وعصوا الله ورسوله عَمَّ الله ورسوله عَمَّ ولذا هُزموا وسط المعركة بسبب ذَلِكَ العصيان والتمرُّد وعدم إطاعة أوامر الرسول عَمَّ وعدم انصياعهم لوصاياه العسكرية، فالسبب في الهزيمة كَمَا الرسول عَمَّ الله الموركة، وَإِنَّمَا تُعزى الآيات سبب الهزيمة إلى تفريط بَعْض لنصرهم في أوَّل المعركة، وَإِنَّما تُعزى الآيات سبب الهزيمة إلى تفريط بَعْض

١١٢...... تفسير أمومة الولاية والمكمات الجزء الثالث

المسلمين وَهُمْ الرُّماة حَيْثُ غادروا مواقعهم مِنْ فوق الجبل وطمعوا فِي الغنائم، وَهَذَا داحضٌ لما زعموه مِنْ أسباب النُّزول فِي آيتي الشورى كَمَا سيأتي.

وَبَعْدَ معرفة هَذَا فكيف يدّعون فِي أسباب النَّزُول ـ بحسب طرق العامّة ـ أنَّ الرسول اللَّيُ انصاع لرأي الأكثرية، وَأَنَّهُ اللَّيْ خرج مُكرَها عَلَى خلاف رأيه اللَّيْ والذي كَانَ عَلَى عدم الخروج مِنْ المدينة، وما هَذَا إلَّا تناقض وتدافع فِي أسباب النَّزُول مَعَ مفاد الآيات.

النموخج الأوَّل:

قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِّ وَٱللَّهُ سَمِيعُ عَلِيمُ ﴿ اللَّهُ ﴾ (١).

بتقريب: إنَّ القُرآن يمدح الخروج إلى خارج المدينة ويصف النعمة التَّتِي كَانَ عَلَيْهَا المسلمون وَهِيَ أنَّ رسول الله عَلَيْلِللهُ كَانَ (يبَّوِئ) أيّ ينشر الجيش في ساحة المعركة خارج المدينة، أو لا أقل في ضواحي المدينة لمواجهة المشركين، وعَلَيْهِ فَهَذِهِ نعمة لا نكسة، وكيف تدّعي روايات العامّة في أسباب النَّرول خلاف ما جاء في القُرآن وتناقض وتدافع القُرآن في ذَلِكَ.

ويستمر القُرآن فِي تصوير الحدث ﴿إِذْ مَمَّت مَّلْآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَاوَاللَّهُ وَلِيُّهُمَ أُوعَلَى اللَّهُ وَلِينَ مَا اللَّهُ وَلِينَهُمَ أَوَعَلَى اللَّهُ وَلِينَهُمُ اللَّهُ وَلِينَهُمَ اللَّهُ وَلِينَهُمَ اللَّهُ وَلِينَهُمُ اللَّهُ وَلِينَهُمُ اللَّهُ وَلِينَهُمُ اللَّهُ وَلِينَا اللِّلْمِنِينَا اللَّهُ وَلِينَا الللَّهُ وَلِينَا اللَّلِينَا لِللْمُؤْمِنَا اللَّهُ وَلِينَا اللَّهُ وَلِينَا الللَّهُ وَلِينَا اللَّهُ وَلِينَا اللَّهُ وَلِينَا اللَّهُ وَلِينَا اللَّهُ وَلِينَا اللَّهُ وَلِينَا الللَّهُ وَلِينَا لِللْمُؤْمِنِينَا لِلْمُؤْمِنَا الللْمُوالِينَا الللْمُوالِينَالِينَا الللْمُؤْمِنِينَا الللْمُؤْمِنَا اللْمُؤْمِنِينَا الللْمُؤْمِنِينَا الللْمُؤْمِنَا اللْمُؤْمِنِينَا اللْمُؤْمِنِينَا اللَّلْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنِينَا الللْ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٢١.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٢.

أمثلة وشواهد قرآنيةأمثلة وشواهد قرآنية

بتقريب: إنَّ أسباب النُّرُول فِي القُرآن الكريم بيَّنت سبب الفشل ﴿ إِذَ هَمَّت طَّآ بِفَتَانِ مِنكُمُ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَّا وَعَلَاللَّهِ فَلْيَتُوكُلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ يتنازع جماعة عبدالله بن أبي بن أبي سلول وسط الطريق ورجوعهم إلى المدينة وإصرارهم عَلَى القتال داخل المدينة. وخذلانهم جيش النَّبِي عَيُلِللهُ قبل المعركة؛ ولذا ذَمَّ القُرآن فِعْلَ عبدالله بن أبي بن أبي سلول بقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشَرَىٰ لَكُمْ وَلِنَظُمَ إِنَّ مَنَ اللَّهُ الْمُعْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَظُمَ إِنَّ الْمُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللَّهِ الْمَعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللَّهُ الْمُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللَّهُ الْمُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللَّهُ الْمُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللَّهُ الْمُعْرِيرُ اللَّهُ الْمُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللَّهُ المُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ اللهُ المُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ الْمُحَمِيرُ الْمُعْرِيرُ الْمُعَمِيرُ الْمُعْرِيرُ اللهُ الْمُعْرِيرُ الْمُحَمِيرُ الْمُعْرِيرُ الْمُعْرَالِيرُ الْمُعْرَالُونَ الْمُعْرَالُهُ الللهُ اللهُ الْمُعْرَالُهُ الْمُعْرِيرُ الْمُعْرَالُولُ الْمُعْرِيرُ الْمُعْرِيرُ الْمُعْرِيرُ الْمُعْرِيرُ اللهُ الْمُعْرَالُهُ اللْمُعْرِيرُ الْمُعْرِيرُ الْمُعْ

هَذِهِ الآيات القرآنية الكريمة وغيرها فِي النموذج الأوَّل تُفنِّد أسباب النُّزول المزعومة والمُلفَّقة مِنْ قبل العامّة، وَعَلَيْهِ فالهزيمة ليست بالخروج خارج المدينة والجانب الجغرافي كَمَا يُدَّعى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة المزعومة.

وأمَّا مسألة النَّصر فَهُمْ موعودون بها مِنْ قِبَل السَّمَاء، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ سبب الهزيمة شيء آخر غَيْر ما لُفِّقَ فِي أسباب النُّزول لتحريف معاني الآيات القرآنية الكريمة، وَهَذَا أمرٌ بالغ الخطورة فِي أسباب النُّزول فينبغي أخذ الحذر ومتابعته بدقة.

التمييز بين مدرسة أهل البيت الله والمدارس الأخرى في مبدأ الشورى على مستوى الفقِه السياسي والاقتصادي والعقائدي:

إنَّ مِنْ أهم الفوارق بين نظرية الشورى فِي مدرسة أهل البيت المَيْكُ وبين نظرية الشورى فِي مدرسة السّقيفة يتلخّص بها يلي:

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

أنَّ طابع الشورى في مدرسة أهل البيت المِيْلِيُّ هُوَ طابع علميٌّ وفكريٌ، بينها طابع الشّورى في الطرف الآخر، أو مدرسة السقيفة هُوَ طابع الغلبة والقهر والقوَّة؛ وَذَلِكَ لِأنَّ عنوان الشّورى والمشاورة حسب النَّظَريَّة الأُولى _ عِنْدَ مدرسة أهل البيت المِيْلِيُّ _ مأخوذة مادّة ومفهوماً مِنْ مداولة الآراء والانفتاح عَلَى التّجارب والعقول كبنك معلومات، وكدعاء تجتمع فيه روافد المعلومات وقواعِد البيانات بغية الوصول إلى الصورة الواسعة عَنْ الحقيقة والواقعية المتسعة، وَمِنْ الواضح أنَّ النظر في هَذَا القالب لا ينظر إلى الأكثرية كعامل كمّي دخيل في القوّة والقهر والغلبة، بَلْ ينظر إلى العامل الكمّي كنظرته إلى العامل الكيفي بُغية تحصيل أكبر عدد مِنْ المعلومات والخبرات والتجارب وطرق الاستكشاف الواقعيَّة والحقيقة.

نعم، النَّظَرَيَّة الأولى - عَلَى منهج مدرسة أهل البيت المَّلِيُّ - يُلاحظ فيها بُعدُ آخر للأكثرية وَهُوَ مِنْ ضمن الحقيقة والواقعية، بينها في النَّظريَّة الثَّانية - عَلَى منهج السّقيفة - تلاحظ الحقيقة لا مِنْ حَيْثُ البُعد الحقوقي، بَلْ مِنْ بُعد الغلبة والقوّة والقهر، ويترتّب عَلَى هَذَا الفارق جملة مِنْ الفوارق الكثيرة مِنْهَا: -

أَوَّلاً: إنَّ القوّة والقهر والغلبة هُوَ الأصل فِي مشروعية الشورى فِي النَّظَريَّة الثَّانية ـ نظرية السّقيفة ـ بينها فِي النَّظَريَّة الأولى ـ منهج مدرسة أهل البيت المَّكِ ـ لا يُنظر إلى الأكثرية مِنْ جهة القوّة والغلبة والقهر، بَلْ ينظر إليهم مِنْ أبعاد أُخْرَى ترتبط بإدراك الواقعية والحقيقة، أيّ أنَّ الأصل فِي

أمثلة وشواهد قرآنية

مشروعية الشّوري الذي تعتمد عَلَيْهِ نظرية أهل البيت العِيْظُ هُوَ العلم والمعلوم.

ثانياً: إنّه فِي نظرية الشّورى عِنْدَ أهل البيت اللّهِ يُنظر إلى الأكثرية إمّا مِنْ جهة مِنْ جهة رعاية حقوق الأكثريّة، وَحَيْثُ إنّ النّظر إلى الأكثرية مِنْ جهة حقوقية لا مِنْ جهة الكثرة والقهر والغلبة، فيُراعى نحو توازن بين حقوق الأكثر وحقوق الأقليات بنحو عادل ومتوازن، وَهُوَ غَيْر مرعي فِي نظرية الشّورى عِنْدَ مدرسة السّقيفة.

وَإِمَّا مِنْ جهة كثرة التّجارب عِنْدَ الأكثرية وكثرة الخزائن العقلية، وَمِنْ ثُمَّ يُراعى فِي ذَلِكَ أيضاً الجانب والعامل الكيفي مِنْ الخبروية والنخبوية والأعلمية أو مِنْ جهات أُخْرَى ستأتي ـ إِنْ شاء الله تَعَالَى ـ .

ثالثاً: إنَّهُ بمقتضى أساس القوّة والغلبة فَإنَّهُ يشرعَن كُلَّ آليةٍ وأسلوبٍ يُحَقِق القوَّة والغلبة والقهر، وَمِنْ ثمَّ ذهبوا إلى مشروعيّة المتغلّب بالسيف، وَمِنْ ثمَّ أنَّ طابع القدرة والغلبة والقهر هُوَ طابعٌ مشروع فِي تلك النَّظرية - أيّ نظرية السّقيفة - بخلاف نظرية أهل البيت المَيِّ فَإنَّ طابع الاستحقاق مِنْ الخبروية والكمال هُوَ الأصل في المشروعيّة.

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضروري جداً تسليط الأضواء عَلَى التّمايز بين مدرسة أهل البيت المَيْلِيْ، وبين المدارس الأُخْرَى عَلَى المستوى النظري والعملي في مبدأ الشّورى، علماً أنَّ بينهما بوناً كبيراً يتّضح هَذَا الفرق الشاسع بين النهجين في أحد الفوارق المتقدِّمة وفي مثل فرق أسباب النَّزول في الآيات النازلة في غزوة أُحُد، كَمَا فِي سورة آل عمران إذْ لَفَقت وزوَّرتْ مدرسةُ

الطرف الآخر _ مدرسة السقيفة _ أسباب النُّزول بها يتهاشى ويتلائم مَعَ تثبيت مبدأ نظرية الشّورى لديهم الذي انطلى هَذَا وللأسف حَتَى عَلَى كبار مُفسّري الحَاصَة أمثال علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي صاحب التفسير المعروف، والشَّيْخ الطبرسي صابح تفسير مجمع البيان وغيرهم، وما ارتضوه مِنْ أقوال العامّة فِي النُّزول وأخذهم منهم أخذ المُسلّهات، فَإنَّ هَذَا يحتاج إلى تحقيق وفرز الأسباب النُّزول للآيات الوارة فِي الحوادث والوقائع كغزوة أُحُد الَّتِي لفقت أسباب النُّزول العامّة مبدأ نظرية الشّورى بها يتلائم ومبدأ الأكثرية ويتهاشى مَعَ مقولتهم القائلة: _ بأنَّ الحاكم ظلَّ الله فِي أرضه و ... وتحقيق كُلِّ هَذَا موكول إلى الأخوة الباحثين فِي هَذَا المجال فِي فرز ما وَرَدَ عَنْ طريق أهل البيت المَيْكِيُّ وهُو الصحيح دون ما وَرَدَ عَنْ طريق أهل البيت المَيْكِيُّ

فمثلاً مَعْنَى مبدأ نظرية الشّورى عِنْدَ أهل البيت المَيْلِيّ: _ إِنَّهُ يجب عَلَى الكل كُلّ المسلمين أنْ يتحمّلوا ويساهموا في مسؤوليّة الرقابة وَأَنَهُ يجب عَلَى الكل أنْ يكونوا مطلعين ومرتبطين بمصير الأُمَّة وَالدِّين، فَهَذِهِ هِيَ الشورى النَّي أوجدها الْنَبِي عَيِّلًا وربّى الأُمَّة عَلَيْهَا، وكذلك مِنْ بعده أمير المؤمنين علي أبي أبي طالب الله والأئمة المعصومين المَيْلِي، حَتّى وصل الأمر ذَاتَ يَوُم بمعاوية أنْ قَالَ لامرأة «تجرأتِ وانتقدتِ أداء أعمال وسياسة معاوية وعمّاله الله خلاقية والدمويّة وأنَّ الذي جرّاكم عَلَى الولاة وانتقاد أدائهم هُوَ علي بن أبي طالب الله وَهَذِهِ حقيقة وينبغي تسليط الأضواء عَلَيْهَا وَهِيَ: _ تربية أبي طالب الله ومُراقبة الولاة».

فِي محاسبة ومراقبة الولاة^(١):

هُنَاك حقيقة لابُدَّ مِنْ تسليط الأضواء عَلَيْهَا ألا وَهِيَ تعليم وتدريب الأُمَّة عَلَى انتخاب الأصلح والأكفأ والذي يهتم بشأن الرعيّة وانطلاقاً مِنْ قوله عَلَيْ انتخاب الأصلح وكلكم مسؤول عَنْ رعيته "(). وأنَّ الْنَبِي عَلَيْ هُوَ الرّاعي والمعلّم الأوَّل لأمته، وَمِنْ بعده أمير المؤمنين اللهِ على بن أبي طالب والأئمة المي مِنْ أهل البيت النّبي عَلَيْ فَإنَّ منهجهم المي قائمٌ عَلَى تجذير والأئمة الشورى عَلَى رقابة الأُمَّة، وَهَذَا مما يُزيل ويُقوِّض بناء حكومة مين أمية والعباس وغيرهما مِنْ جذورها شيئاً فشيئاً.

بتقريب: إنَّ مَنْ يلجي الأُمَّة عَلَى شيء ويكرها عَلَيْهِ، فَإنَّ مثل هَذَا الفرض لَيْسَ مشروعاً باعتبار أنَّ الأُمَّة لابُدَّ لها مِنْ المساهمة في أمر الخلافة لا التسلّط عَلَيْهَا بالاستبداد والانفراد دونها بالدكتاتورية، إلَّا أنَّهُ لابُدَّ مِنْ التمييز بين أمرين مهمّين:

⁽١) وإن كان التعبير بالجرأة لعلَّه يتبادر منه المعنى السلبي، إلا أنَّ المراد به هنا تربية الأمة على محاسبة ومراقبة الحاكم والذي لا يقوم بأداء مسؤوليته بالوجه الصحيح والمطلوب.

⁽٢) قد فصل شيخنا الأستاذ السند حفظه الله ذلك في الإمامة الإلهية ج١، الفصل الثاني نظرية الحكم على ضوء الإمامة الإلهية: ص١١٣ ط الثّانية.

⁽٣) المصدر السابق: ص١٧٢.

١١٨.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث
 الأمر الأوَّل: مساهمة الأُمَّة ودخالتها في مراقبة ومحاسبة الحاكم إذاً

الأمر الثَّاني: حقوق الأكثر.

قَصَّهَ في واجباته.

وخلاصة ذَلِكَ إنَّ الواجب عَلَى الأُمَّة تمكين الواجد المتوفر عَلَى شر ائط وصفات الحاكم الأصلح وَهُوَ المنصوص عَلَيْهِ مِنْ قبل السَّمَاء بتوفر صفات الكمال اللازمة للقائم والحاكم والوالي لا سيما إذا اتسعت صلاحيته وارتفقت وتصاعدت رتبة ولايته وَهُوَ مَنْ يَكُون إماماً للمسلمين وإماماً للأُمة فَإنَّ خطورة المسؤولية والصّلاحية تقتضي عقلاً وكتاباً وسنة ووجداناً توفر الحاكم والوالي عَلَى صفات وأهليّة وكفاءة وإمانة عالية جداً، تفوق ما عِنْدَ الجميع، وَإِنَّمَا يَتِمُّ الكشف عَنْ توفر الشخص مِنْ خلال وبواسطة الوحى، وَهَذَا هُوَ فحوى نظرية النَّص والإمامة الإلهية، فاللازم عَلَى الأُمَّة تمكين مَنْ نصَّت عَلَيْهِ السَّمَاء والمساهمة فِي إقامة المشروع الإلهي والمهانعة عَنْ تصدي العتاة والمُستأثرين والفاقدين للكفاءة والأهلية لَيْسَ عَلَى صعيد القمّة والرأس فحسب، بَلْ كَذَلِكَ الحال فِي بَقيَّة المواضع والمراتب الَّتِي هِيَ دون ذَلِكَ مِنْ مواقع الصلاحيات والدرجات المتوسطة الكثيرة، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى النَّصيحة لإمام المسلمين العادل أيّ جهاز الدول، فَالأُمَّة واجبها تمكين الأصلح والمانعة عَنْ تسلّط العتاة والظلمة وإزالتهم في حالة تسلَّطهم عَلَى مقاليد الأُمُور، وَهَذِهِ أحد المسؤوليات العظيمة الملفات عَلَى عاتق الامة، سواءٌ في أصل التولية للولاة،

أمثلة وشواهد قرآنية أمثلة وهانعة غَيْر المؤهلين وإزاحتهم عَنْ مواقعهم، أو مراقبة سير أعمالهم، هَذَا كُلَّهُ بلحاظ مساهمة الأُمَّة ودخالتها في مراقبة ومحاسبة الحاكم إذا قَصَّر في واحاته.

وأمَّا بلحاظ حقوق الأكثرية فاللازم مراعاة التّوازن بين حقوق الأكثرية سواء بلحاظ الحقّ العام أو بلحاظ حق الأكثرية وحق الأقلية، أو حق الفرد مَعَ الحَقّ العام، فَإنَّ هُنَاك معادلة توازن لا يُحيف فيها الطرف الآخر.

وَهَذَا بخلاف مَعْنَى مبدأ نظرية الشّورى الجديد في مدرسة الخلفاء _ مدرسة الطلف الآخر _ أو الديمقراطية الغربية القائلة: _ بأنَّ الأصل المتجذِّر عندهم هُوَ عدم الاعتراض عَلَى الحاكم بشيء ومماشاته؛ لِأنَّ الحاكم ظل الله في أرضه، هَذَا حسب ما تعتقده مدرسة الطرف الآخر.

خطورة كتب السير والتاريخ ...

أسباب النزول على الاستنباط في العلوم الدينية:

يجب اعتماد مصادر مدرسة أهل البيت

في أسباب النزول:

نلاحظ كثيراً مِنْ الدراسات فِي الفِقْه السياسي أو الاقتصادي، بَلْ حَتّى العقائدي للحكومة الإسّلاميَّة صدرت استناداً إلى أسباب النُّزول ورواياتها الملفَّقة الموضوعة والمدسوسة، وَقَدْ غفل عَنْ ذَلِكَ جملة مِنْ كبار

المحققين _ كَمَا تَقَدَّمَ _ منهم امثال صاحب تفسير القمّي علي ابن إبراهيم بن هاشم القمّين والشَّيْخ الطّوسي فِي تبيانه، والشَّيْخ الطّبرسي فِي بيانه و ... الخ أخذوا واعتمدوا بَعْض أسباب النَّزول عَلَى ما ذكرته مصادر العامّة أخذ الْمُسلّمات؛ ولذا يحتاج هَذَا التُّراث لمزيد مِنْ التحقيق والتصفية لأسباب النُّزول وغيرها المأخوذ مِنْ مصادر العامَّة، وَلَيْسَ بالأمر الهين وَإِنَّمَا يحتاج إلى تظافر جهود المحققين فِي هَذَا المجال؛ ولذا مَنْ أخذ مِنْ مصادر العامّة تَحيَّر فِي كيفية هيكلة مبدأ الشّورى وأنَّ الْنَّبِيّ الأكرم عَيَّا اللَّهُ كَانَ مأموراً مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ بأخذ رأي الأكثرية وملزماً به بدليل ما وجدناه فِي أسباب النُّزول للآيات الخاصة بغزوة أُحُد كَمَا فِي سورة آل عمران، وإنْ كَانَ الرسول اللَّهِ اللَّهِ عَدْ خولف رأيه الصائب الذي كَانَ يقول بالمكث بالمدينة وعدم الخروج لمقاتلة كفَّار قريش خارج المدينة المنوِّرة، وذكرت مصادر العامّة أنَّ هَذَا الذي كَانَتْ عَلَيْهِ كبار الصحابة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَعِمدة بناء أسباب النَّزُول فِي منهج التفسير يجب بناؤه عَلَى مصادر وفق الحقائق القرآنية ومصادر مدرسة أهل البيت المَيِّلِيُّ لا عَلَى مصادر غيرهم، فَإِنَّ هَذِهِ المصادر موجودة فِي تراث أهل البيت المَيِّلِيُّ إلَّا أنَّها تحتاج إلى بذل المزيد مِنْ الجهود وتظافرها فِي سبيل استكشاف هَذِهِ الحقائق لا أنَّها غَيْر موجودة أصلاً؛ ولذا كَانَ الاعتهاد عَلَى أسباب النُّرُول الواردة مِنْ جهة العامّة وإرسالها إرسال المُسلّمات فِي بَعْض الآيات أحد أسباب تغييب جملة مِنْ الحقائق الثابتة عَلَى أرض الواقع ممّا تَقَدَّمَ ذكره فِي غزوة أُحُد وتغييب مِنْ الحقائق الثابتة عَلَى أرض الواقع ممّا تَقَدَّمَ ذكره فِي غزوة أُحُد وتغييب

بَعْض مقاطعها الحيوية خاصّة المقطع الأخير الذي كَانَ فيه منقبة لعلي بن أبي طالب الحِلِي، بَلْ كَانَ ذَلِكَ سبب فِي تغيب كثير مِنْ الحقائق فِي تاريخ صدر الإسلام وسيرة الْنَبِي عَلَيْكُ ومشاهد الأحداث، وَمِنْ ثُمَّ تغييب الحقائق.

وأحد الشواهد عَلَى ذَلِكَ ما نقرأه فِي زيارة الإمام الهادي اللهِ يَوُم الغدير «... يَوُم أُحُد إِذْ يصعدون ولا يلوون عَلَى أُحُد والرسول يدعوهم في أخراهم وانت تذود بهم المشركين عَنْ الْنَبِيّ ذَاتَ اليمين وَذَاتَ الشهال حَتّى ردّهم الله عنكما خافين ونصر بك الخاذلين ... »(۱).

بتقريب: إنَّ الضَّمير المُنفصل (أَنْتَ) المُرَاد به أمير المؤمنين علي بن أبي ﷺ، والضّمير (عنكها) أيّ رسول الله وأمير المؤمنين ووصي رسول ربّ العالمين، ونصر (بك) أيّ ونصر الله بك يا علي الخاذلين.

و «... شهدت مَعَ الْنَبِيّ جميع حروبه ومغازيه تَحْمِل الراية أمامه تضرب بالسيف قدّامه ثمَّ لحزمك المشهور وبصيرتك في الأُمُور أمّرك في المواطن وَلَمْ يكن عليك أمير وكم مِنْ أمرٍ صَدَّك عَنْ إمضاء عَزْمك فيه التُقى واتبع غيرك في مثله الهوى، فظنَّ الجاهلون أنَّكَ عجزت عما إليه انتهى، ضَلَّ والله الظان لذلك وما اهتدى، ولقد أوضحت ما أشكل مِنْ ذَلِكَ لِـمَنْ تَوهَم وامترى بقولك صلى الله عليك قَدْ يرى الحُوَّلُ والقُلَّب وجه الحيلة ودونها حاجزٌ مِنْ تقوى الله فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها وجه الحيلة ودونها حاجزٌ مِنْ تقوى الله فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها

⁽١) مفاتيح الجنان: ص٤٤٢.

177......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث مَنْ لا حريجة لَهُ فِي الدِّين صَدَفْتَ وخَسِرَ الْمُلطون ... "(١).

بتقريب: إنّنا نجد هَذِهِ الزيارة المُبَارَكَة اشتملت عَلَى بيان جملة مِنْ أسرار التأريخ المطموسة والممحيّة وأنّ أحد الأُمُور الَّتِي أقدم عليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله وأوّل شيء خطط لَهُ عسكرياً في معركة أُحُد هُوَ مواجهة الفارّين مِنْ المعركة قبل مواجهة قريش: «... والله لأنتم أحق بالقتل مِنْ كُفّار قُريش»

وَقَدْ بَيَّين لنا القُرآن الكريم أسباب الهزيمة أوَّلاً، ثمَّ أسباب النَّصر الذي تحقق بَعْدَ الهزيمة وبذلك يُلاحظ كيفية التلفيق لأسباب النُّزول هَذِهِ، ولوقوع التلفيق والتحريف والتزييف وقلب الحقائق وغربلة روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ قبل مدرسة السقيفة وبنو أميّة وبنو العباس يَكُون التدبّر فِي دلالة الآيات والروايات الواردة عَنْ أهل البيت المَيِّكُ ميزاناً بالغ الأهميّة فِي اكتشاف خيوط التلفيق والتحريف، وَمِنْ ثمَّ الوصول إلى خيوط وقصاصات الحقيقة.

والحاصل: إنَّ غربلة وتنقية كتب السِيَر والتأريخ بها فِي ذَلِكَ تاريخ أسباب النُّزول بالغ الخطورة والتأثير عَلَى استظهارات الفقيه فِي الفِقْه السياسي وَالفِقْه القضائي والاجتهاعي فضلاً عَنْ الفِقْه الفردي، وكذلك مؤثر عَلَى استظهارات المُتكلِّم وما يستنتجه.

(١) المصدر السابق.

أمثلة وشواهد قرآنية

وكذلك فِي ما يكتبه الْمُفَسِّر مِنْ تفسير للآيات والسُّور، وكذلك فِي استظهارات عَلَى الأخلاق والآداب وغيرهم مِنْ عُلَمَاء العلوم الدِّينية.

والطّامَّة الخطيرة استرسال كثير مِنْ الباحثين سواء فِي الأوساط العلميّة الدِّينية أو الأكاديمية مَعَ تلك المصادر وأخذها إرسال المُسلّمات مِنْ دون وقفة تمحيص وتدقيق وبحث وتنقيب جنائي، وتمحيص مختبري للقصاصات والشواهد والبصهات وكيفية تناسقها وتناسبها، فاليقظة والانتباه والاستطلاع والتنقيب مِنْ الضرورة بمكانٍ.

وَعَلَيْهِ لأجل التغلُّب عَلَى هكذا ظاهرة _ أيّ ظاهرة طمس الحقائق وتثبيت ما هُوَ الحَقّ مِنْهَا والواقع فعلاً _ لابُدَّ مِنْ اتّباع شرائط خاصة في تمحيص وتنقية أسباب النُّزول، وَهَذَا ما سنتعرَّض لَهُ فِي العنوان التالي.

منهج أمومة ولاية أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فضلا عن المتشابهات في القرآن هو المحور لكِل قواعدِ التفسير، ومنها أسباب النزول:

[يُشترط فِي تحقيق وتنقية أسباب النُّزول]:

إِنَّ مِنْ أَهُمُ الأُمُورِ الَّتِي ينبغي مُراعاتها فِي تحقيق وتمحيص منهج أسباب النُّزول ما يلي:

الأمر الأوَّل: العرض عَلَى آيات الكتاب الكريم:

إِنَّ مِنْ أَهُم شرائط التحقيق لروايات أسباب النُّزول هُوَ عرضها عَلَى

نفس آيات القُرآن الكريم، وإنْ كَانَ لَعَلَّهُ لأوَّل وهلة قَدْ يُتسائل أَنَّهُ كيف تعرض روايات أسباب النُّزول عَلَى آيات القُرآن مِنْ دون لزوم محذور الدُّور، والحال أنَّ دلالة الآيات إنَّها تستحصل الاستعانة بقرائن أسباب النُّزول، بَعْدَ اعترافنا أنَّ أسباب النُّزول لها تأثيرها الفاعل في تفسير آيات القُرآن الكريم، فكيف الآن نجعل العرض عَلَى آيات القُرآن شرطاً في تنقية أسباب النَّزول مِنْ دون الاصطدام بمحذور الدور؟ وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه عرض الآيات عَلَى السنة النبويّة الشريفة وروايات سنة المعصومين الجُّلِّثُ أو عرض السنة النبوية وروايات المعصومين اللِّكِ عَلَى القُرآن الكريم مِنْ دون حصول تدافع، بدليل أنَّ نفس القُرآن يقول: ﴿...وَأُخَرُمُتَشَنِيهَنَّ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ فَيَنَيِّعُونَ مَا تَشَكِبَهُ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ - وَمَا يَصْلَمُ تَأْوِيلَهُ ۚ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَٱلرَّسِيخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلُّ مِّنْ عِندِ رَيِّنا ۗ وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُوا ٱلأَ لَبُكِ ﴿ ﴿ ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم يدعوالى عرض تأويل المُتشابه مِنْ آيات القُرآن عَلَى الرَّاسخين فِي العلم وَهُمْ الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ وأهل بيته اللَّيْكِيُّ.

وَهَذَا أَيضاً مَا أَرَادَ إِثْبَاتُهُ أَمِيرُ المؤمنينُ علي بِن أَبِي طَالَبِ اللَّهِ فِي معركة صفّين وأنّكم لا تستطيعون تفسير مُتشابه القُرآن لوحدكم والاستغناء عَنْ العَرْضُ عَلَى المعصوم فَإِنَّ المُعَلِّم الإلهي الوحيد الذي يستطيع أَنْ يحلّ متشابهات القُرآن وإرجاعها إلى المُحْكَمات أو يخصّص العمومات أو يُقيد

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

المثلة وشواهد قرآنية في القُرآن هُمْ الْنَبِي عَلَيْ وأهل بيته المَيْ ، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ عرض الآيات في القُرآن الصّامت عَلَى القُرآن النّاطق المُتمثّل بالمعصوم المَيْد.

محكمات القرآن والسنت والعقل والوجدان يعرض عليها متشابهات القرآن والسنت والعقل والوجدان

ولأجل رفع غائلة الدور إنْ كَانَ نذكر أُمُور لرفعه.

أُوَّلاً: إِنَّ حديث الْنَبِي عَلَيْ والرّوايات الواردة عَنْ الأئمة المعصومين المَّيِّ عَلَيْ والرّوايات الواردة عَنْ الأئمة المعصومين المِيْكِ بطرق قصيرة هُمَا كَذَلِكَ يُعْرضان عَلَى كتاب الله فَإِنَّ كتاب الله نورٌ وبيانٌ وهدى، فإذا كَانَ هُنَاك تدافع فِي الأحاديث والرّوايات فَعِنْدَ عرضها عَلَى كتاب الله فَإِنَّهُ سوف يُدْفع ويرفع ذَلِكَ التّدافع مِنْ خلال عرض مجموع كتاب الله فَإِنَّهُ سوف يُدْفع ويرفع ذَلِكَ التّدافع مِنْ خلال عرض مجموع مُتشابهات القُرآن والسنة عَلَى مجموع محكمات القُرآن والسنة.

ولا يستطيع أحدٌ أنْ يقوم بِهَذَا العرض الذي وصفه القُرآن الكريم إلَّا بالاستعانة بالراسخين فِي العلم وَهُمْ الْنَبِي عَلِيُّ : ﴿ إِنَّمَا يَنَذَكَّ أُولُوا الْعَلَم وَهُمْ الْنَبِي عَلِيْهُ: ﴿ إِنَّمَا يَعْقِلُهُ الْعَلَمُ وَهُمْ الْنَبِي عَلِيْهُ النسبة إلى عرض الأَلْبَبِ ﴾ (١) و ﴿ وَمَا يَعْقِلُهُ كَا إِلَّا ٱلْعَكِلِمُونَ ﴾ (٢) هَذَا النسبة إلى عرض متشابه الكتاب والسنة عَلَى مُحكم الكتاب والسُّنة.

⁽١) سورة الزمر: الآية ٩.

⁽٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

كَذَلِكَ النسبة إلى مُتشابهات العقل والوجدان فَإنَّ العقل والوجدان كَذَلِكَ فيها مُتشابهات مُتمثِّلة بالظّنيات وَالأُمُور النَّظَريَّة الَّتِي هِيَ غَيْر البديهيّة، ومثل هَذِهِ عادةً يحصل فيها اختلاف؛ ولذا المرجع الوحيد لحلّ كُلِّ مُتشابهات العقل هُوَ الرجوع إلى مُحكهات القُرآن والسنة.

ثانياً: لو تنزّلنا وسلّمنا بوجود محذور الدور والتدافع بين الأحاديث والرّوايات والآيات القُرآن، فَإِنَّهُ عِندنا طريق آخر لرفع التّهافت والتّدافع مِنْ خلال وجود نافذة أُخرَى مِنْ نوافذ العلم غَيْر الوحي الإلهي والعقل ألا وَهِيَ بديهيات الوجدان، فَإِنَّ نافذة المشاهدات والمُكاشفات هِيَ أيضاً فيها بديهيات وفيها مُتشابهات، أما الوجدانيات الضرورية هِيَ المُحكمات النّي تجدها فِي نفسك وممّا يقضي بها قلبك فَإِنَّهُ بديهي عِنْدَ الكُل، وَهَذَا ممّا وصفه القُرآن بالفطرة ﴿ فِطَرَتَ ٱللّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنّاسَ عَلَيْما لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ وَصفه القُرآن بالفطرة ﴿ فِطْرَتَ ٱللّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنّاسَ عَلَيْما لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ وَسَلْمَ النّاسَ عَلَيْما لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ وَسَلْمَ النّاسَ عَلَيْما لَا لَكُونَ وَهَذَا مَا اللّهِ وَاللّهَ وَاللّهِ اللّهِ وَاللّهَ وَاللّهَ وَاللّهِ اللّهِ وَلَيْهَ مُنْ اللّهِ اللّهِ وَلَاكُ اللّهِ اللّهُ وَاللّهَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَلَاكُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَلَاكُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَلَاكَ اللّهُ وَلَاكُ اللّهِ اللّهِ وَلَاكُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ وَلَالَاكُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَلَاكُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ وَلَاكَ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَاكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

ثالثاً: اكتشاف وَحْدَة النَّظم ووحدة الاتساع فَإِنَّ الحاكم والقانون القاهر في التكوين هُو وحدة النُّظم ووحدة الاتساق فالتناقض والتهافت والتدافع لا يمكن افتراضه بخلاف الاتساق والنسق والوحدة في تأليف وتوليف القصاصات والشواهد لترتسم صورة كاملة واضحة لا يتخلّلها بقع وفراغات مُبهمة.

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

الأمر الثَّاني: عرض أسباب النُّزول عَلَى روايات أهل البيت المِيِّكِ ا المُعتبرة والمُستفيضة، بَلْ والطرق الضعيفة لتلك الرّوايات، فَإنَّ استعراض الروايات لأسباب النَّزول للآيات لا يقتصر عَلَى ذكر الرّوايات الواردة في ذيل الآيات أيّ المُتضمِّنة للتعرض لألفاظ الآيات بَلْ إنَّ فِي كثير مِنْ الرّوايات التعرّض إلى أحداث تاريخ الإسلام وسيرة الْنَّبيّ عَلِّيَّا اللّهُ والْمُتقدّمين مِنْ أَئْمَةً أَهُلَ البيت اللِّيكِ مِنْ دُونَ التَّعرُّضِ إِلَى أَلْفَاظُ الآيات، بَلْ قَدْ لا تتعرّض إلى العناوين والأحداث الكبيرة للحدث، لكنَّها تتعرّض إلى فصول أو زوايا هِيَ مِنْ أبعاض وَبَعْض ذَلِكَ الحدث، وَمِنْ تجميعها يتمكّن مِنْ لملمة مجموع فقرات الحدث، ولربّم يَستْغرب الباحث عِنْدَمَا نشير إلى أنَّ الكُتب الأربعة فضلاً عَنْ غيرها رغم أنَّ المعروف عنها كتب الحديث في فقه الفروع إلَّا أنَّها تشتمل عَلَى الكثير الكثير مِنْ بحوث السِّيرة النبوية وسيرة حياة المعصومين، بَلْ الكثير الكثير مِنْ أبواب المعرفة رغم أنَّ اسئلة الرّواة في تلك الرّوايات متّجهة ابتداءاً إلى أسئلة فِي فقه الفروع، هَذَا فضلاً عمّا في بَعْض مجلّداتها مِنْ أبواب وفصول في السّيرة وأحداث المكي والمدني مِنْ تاريخ الإسلام.

الأمر الثَّالِث: العرض عَلَى بديهيات العقل لا نظرياته فَإنَّها - النظريات - استبعادات ظنيَّة لا قيمة علميَّة لها، وَهَذَا التفصيل ضابطة مُهمَّة فِي التمييز بين القراءة الَّتِي هِيَ عَلَى طبق الاستذواق الظنّي القاصر لإدراكات العقل، فَإنَّ الكثير مِنْ الأحكام الَّتِي تُطلق عِنْدَ مَنْ يتمشدق بعنوان البحث العلمي

هِيَ أحكام مبنيةٌ عَلَى قصور علمي عَنْ الإحاطة بأبواب أو فصول أو مسائل مِنْ علوم مُخْتَلِفَة ذَاتَ صلة بقراءة ذَلِكَ الحدث، ولقلَّة بضاعة ذَلِكَ الباحث المتقحّم عَنْ الإطلاع عَلَى تلك المسائل مِنْ تلك العلوم تراه يبني تصوراته وأحكامه عَلَى مجهولات كثيرة لديه، بَلْ يُرى هَذَا الحال حَتّى بالنسبة إلى العلوم الحديثة العصرية فلا يواكب المستجدات مِنْ النظريات والاكتشافات العلمية فيها ويبقى يشتر معلومات ثقافية سالفة في تحصيله العلمي مِنْ دون أنْ يجدد تلك المعلومات، فضلاً عَنْ عدم الاطلاع عَلَى العلوم النقليّة، وكم غفلة تقع عِنْدَ جملةٍ مِنْ الباحثين مِنْ التفرقة بين ما هُوَ طحقيقة علميّة وبين ما هُوَ فرضيّة علميّة، وبين ما هُوَ نظريّة وبين ما هُوَ فرضيّة علميّة، وبين ما هُوَ خيال علمي.

مؤامرة واغتيال حمزة بن عبدالمطلب

في معركة أحد:

إنَّ هُنَاك جُملة مِنْ التساؤلات الَّتِي تسترعي انتباه ذهن الباحث عِنْدَمَا يقف عَلَى حادثة استشهاد حمزة بن عبدالمطلب اللِّهِ وتقوده هَذِهِ التساؤلات إلى نظرية القول بأنْ استشهاد حمزة لَمْ يكن يَتِمُّ بفعل المقاتل وحشي ورميه لَهُ بالحربة فَقَطْ، بَلْ إنَّ هُنَاك تواطئ مِنْ المُنافقين فِي معسكر النَّبِي عَلِيهِ تَمَّ التنسيق والتواطئ معهم وبني أميّة للقيام بعملية اغتيال حزة أثناء المعركة.

أُوَّلاً: إِنَّهُ كيف تَمَّ اختراق وحشي لصوف المسلمين ورمي حمزة

ثانياً: إنَّ القُرآن الكريم فضلاًعن مصارد السير ومصادر الحديث يشير إلى أنَّ ثلث جيش رسول الله عَنَّ المعركة قبل وقوعها بَعْدَ خروجهم مِنْ المدينة المنوَّرة معه عَنَّا في واتبعوا ابن أبي سلول وغيره مِنْ رؤوساء المنافقين.

ثالثاً: إِنَّهُ قَدْ وقع قتل أحد المسلمين غيلةً في جيش رسول الله عَلَيْهُ مِنْ منافق كَمَا ذكرته فصادر العامّة كنقل الواقدي في تفصيل قصة قتل المجذر بن ذياد لسويد بن الصامت، قَالَ: _ جاء خُضَير الكتائب إلى أبي لُبابة ابن عبدالمنذر وخوّات بن جُبير وسويد الصامت بن الصّامت، فَقَالَ لهم تزوروني فأنحر لكم وأسقيكم وتقيمون أياماً، فقالوا: نأتيك يَوُم كذا وكذا فلما كَانَ ذَلِكَ اليوم جازوه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثة أيام حَتّى فلما كَانَ ذَلِكَ اليوم عاروه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثة أيام حَتّى تغيّر اللحم، فقالوا لنرجع إلى أهلنا، وكانَ سويداً شيخاً كبيراً، وكانَ خضير قَدْ سقاهم خَراً مخرج أبو لُبابة وخوّات يحملان سويداً مِنْ الثمل حَتّى كانوا قريباً مِنْ بني عصبته تجاه بني سالم فجلس سويد يبول، وَهُو سكران فبصر به إنسان مِنْ الخزرج فذهب إلى المجذر بن ذياد، وَقَالَ لَهُ هَذَا سويد ثمل أعزل لا سلاح لَهُ وَكَانَ سويد قَدْ قتل معاذ بن عفراء فخرج

مجذر مُصلتاً سيفه، فلما رآه أبو لُبابة وخوّات وَهُمَا أعزلان لا سلاح معهما فانصر فا سريعين وثبت سويد لا حَرَاك به فوقف عَلَيْهِ المجذر، وَقَالَ: قَدْ أَمكن الله منك! فَقَالَ ما تُريد منّي؟ قَالَ أقتلك فقتله، فكانَ قَتْله هُوَ الذي هَيَّجَ وقعة بُعات، فلما قدم رسول الله عَلَيْلُهُ المدينة أسلم المجذّر والحارث بن سويد وشهدا بدراً، وجعل الحارث يطلب مجذراً ليقتله فَلَمْ يقدر عَلَيْهِ يومئذِ.

فلما جاء يَوُم أُحُد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث مِنْ خلفه فضرب عنقه ونظر إليه حُبيب بن يساف فجاء إلى الْنَّبِيَّ عَلَيْكُ فأخبره، فلما رجع رسول الله عَيْنِ اللهُ عَمْنُ حمراء الأسد أتاه جبرائيل فأخبره بأنَّ الحارث بن سويد قتل مجذراً غيلة وأمره بقتله، وَكَانَ رسول اللهُ عَيَّالِللَّهُ يأتي قباء كُلِّ يَوُم سبتٍ واثنين،، وركب إليه في اليوم الذي أخبره جبرئيل ـ وَكَانَ يوماً حارّاً لا يُذهب فيه إلى قباء _ فلما دخل رسول الله عَيْرَاللهُ مسجد قباء صلَّى فيه وسمعت الأنصار فجاءت تسلّم عَلَيْهِ فجلس رسول الله عَلَيْكُ يتحدّث ويتصفّح النَّاس حَتّى طلع الحارث بن سويد فِي ملحفةٍ مُورَّسة (أيّ مصبوغة بالورس، وَهَذَا هُوَ نبات أصفر كَانَ يُصْبغُ به) فلما رآه رسول الله عَيْنِ اللهُ عَلَيْهِ مِن ساعدة، فَقَالَ لَهُ: قَدِّم الحارث ابن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد فَإنَّهُ قتله يَوُم أحد، فأخذه عويم، فَقَالَ الحارث، دعني أُكَلِّم رسول الله ﷺ ونهض رسول الله ﷺ يُريد أنْ يركب ودعا بحجارة فجعل الحارث يقول: قَدْ والله قتله يا رسول الله والله

محكمات القرآن والسنة والعقل والوجدان

ما كَانَ قتلي أيّاه رجوعاً عَنْ الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنَّه حميّة الشّيطان وأمرٌ وكلتُ فيه إلى نفسي وَإنّي عدي وردّ الرسول فيه عَلَيْهِ فيجبر بِهَذَا كسره بذلك، وَلَعَلَّهُ يُدرك كَذَلِكَ فضل ما وُسِمَ به الرسول ﷺ عَمَل ابن عدي.

رابعاً: إنَّ حمزة بن عبدالمطلب لَمْ تكن جثّته مضروبة بحربة وحش، بَلْ كَانَ عَلَى جسمه جراحات وضربات عديدة مما يُدلِّل عَلَى أنَّ هُنَاك جماعة اشتركوا فِي قتله وَلَمْ يكن وحشى بحربته فَقَطْ.

خامساً: أنَّ القتل فِي المعسكر الواحد لَيْسَ بالغريب، بَلْ معهود فِي الحروب العسكرية كَمَا حصل فِي معركة الجمل مِنْ قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيدالله.

سادساً: إنَّ الرُّماة الَّذِيْنَ أوصاهم رسول اللهَ اللَّهُ وَهُمْ فوق الجبل كانوا حماية قبل نزولهم وَلَمْ يكن فِي بداية المعركة قَدْ نزلوا عَنْ مواقعهم فكيف تَمَّ الاختراق.

سابعاً: إِنَّهُ قَدْ عرفت أَنَّ فِي معركة أُحُد طُمِسَتْ حقيقة نهاية المعركة مِنْ انتصار المسلمين بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب الحِلِيْ، وَكَانَ ذَلِكَ بمرأى المثات المثات والفئام ورغم ذَلِكَ طمسوا هَذِهِ الحقيقة فها بالك باغتيال حمزة سيد الشُّهداء لا سيا في اشتباك المعركة تختلط الأوراق وتلتبس الحقيقة.

وبالتالي فَإِنَّ كُلِّ هَذِهِ القرائن وغيرها تؤشِّر بمجموعها أنَّ تواطئاً حصل بين المنافقين في جيش رسول الله عَلَيْ أُمّة بني أُميّة في جيش الكُفّار، وَقَدْ تَمَّ تدبيره، وَهَذِهِ مِنْ الملفات الَّتِي طُمست حقيقتها في طيّات التعتيم والإخفاء لحقائق الأحداث، وكم مِنْ حقيقة طُمست في أحداث صدر الإسلام وغيّب أصحابُ السقيفة وبنو أُميّة صفحاتها وخيوطها.

الأمر الرَّابِع: العرض أو موافقة مُحكمات الوجدان أيّ بديهيات وضروريات الوجدان ولا يُخفى أنَّ هُنَاك عناصر مؤثِّرة فِي تحليل الأحداث والوصول إلى ما وراءها تتوقَّف عَلى شعور وجداني يقرأ الكثير مِنْ الأُمُور عَيْر المرئية ممّا هِيَ مؤثِّرة فِي فَهُمْ صورة حقيقة الحدث فَإنَّ الجانب غَيْر المرئي فِي الأحداث غيرُ مُبصَر ولا مسموع لكنَّه داخل فِي عمق الحدث والغفلة عَنْهُ قراءة سطحيةٌ قِشريّةٌ مِنْ دون إلمام بروح الحدث، ولك أنْ تقول أنَّ الاقتصار عَلى الجانب المرئي مِنْ الحدث مِنْ قبيل الاقتصار عَلى بَدَن الحدث مِنْ قبيل الاقتصار عَلى بَدَن الحدث مِنْ قبيل الاقتصار عَلى فِي الرُّوح والمشاعِر والقِوى ما لا يطفح عَلى سطح البدن.

وَعَلَيْهِ فيصبح مجموع المصادر الَّتِي يُعرْض عَلَيْهَا مُتشابهات الكتاب والسنة والعقل والعقل والوجدان أربعٌ وَهِيَ: _ مُحكمات الكتاب والسنة والعقل والوجدان، هكذا حُرِّرَ فِي مصادر المعرفة الدِّينية أخيراً.

كَذَلِكَ فِي محل بحثنا فِي قَاعدِة أسباب النَّزول، فَإِنَّهَا تُؤثِّر فِي تفسير القُرآن، فَإِنَّ التثبت مِنْ أسباب النَّزول الصحيحة المُحكمة وفرزها عَنْ

العرض هَذَا مِنْ التحقيق والتدقيق لَيْسَ مختصاً بأسباب النَّزول، وَإِنَّمَا

يشمل هَذَا المنهج تمحيص التأريخ مِنْ جديد لا بمجرَّد تلفيق التأريخ كلا

وَإِنَّهَا الْمُرَاد مِنْ تحقيق التأريخ وفق هَذَا المنهج هُوَ لأجل اكتشاف المغيَّب مِنْ

الحقائق الضرورية الصحيحة.
وَعَلَيْهِ لو اعتمدنا هَذِهِ المنهجية فِي تحقيق أسباب النُّزول سوف ترى كيف تكشف لنا زيغ وتلفيق ما حاولته الأقلام المأجورة فِي أسباب النُّزول المزعومة مِنْ تغييب مقطع رئيسي ثالث فِي معركة أُحُد مِنْ أنَّ المسلمين كيف خسروا المعركة، إلَّا أنَّهُ بَعْدَ تمحيص أسباب النُّزول نجد أنَّ ما ذكرته آيات سورة آل عمران فِي خصوص معركة أُحُد أنَّ الصحيح هُو أنَّ رأي رسول الله عَلَى المكث فِي المدينة للحرب لا عَلَى المكث فِي المدينة المنزرة، هَذَا ما حاولت الأقلام المأجورة إبرازه فِي أسباب النُّزول، وَقَدْ نال رأي رسول الله عَلَى المحتمس في المدينة رأي رسول الله عَلَى المحتمس في المدينة المناب النُّزول، وَقَدْ نال رأي رسول الله عَلَى المُتحمّس فِي المدينة المناب النُّرول، وَقَدْ نال

المنوّرة ورجالات المدينة الكبار المخلصين لرسول الله كَيْظِيُّ ورأي جمهور الأنصار كَذَلِكَ المُمثَل بالسعدين: سعد بن عُبادة، وسعد بن معاذ و ... الخ، الَّذِيْنَ قالوا لرسول اللهَ عَلِيلاً: «اخرُج نخرج معك كيف كُنّا فِي الجاهلية لا نحارب في عُقر دارنا، ولا في بساتيننا، بَلْ نخرج إليهم ولا نجعلهم يصلون إلى ضواحي المدينة، هَذَا فِي الجاهليّة فكيف الآن وَقَدْ أعزّنا الله بك وبالإسلام وَقَالَ إياس بن أوس بن عتيك: يا رسول الله، نَحْنُ بنو عبدالأشهل مِنْ البقر المذبح، نرجو يا رسول الله أنْ نذبح في القوم ويذبح فينا، فنصير إلى الجنَّة، ويصيرون إلى النار، مَعَ إنِّي يا رسول الله لا أحب أنْ ترجع قريش إلى قومها، فتقول حصرنا مُحمَّد فِي صياصي يثرب وأطامها، فتكون هَذِهِ جرأة لقريش، وَقَدْ وطَّنوا سعفنا، فإذا لَمْ نذب عَنْ عرضنا، فَلَمْ ندرع وَقَدْ كُنَّا يا رسول الله في جاهليتنا، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بهَذَا منّا حَتّى نخرج إليهم بأسيافنا فنذبَّهم عنَّا، فَنَحْنُ اليوم أحقّ إذْ أمدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

فقام سعد بن معلّا وغيره مِنْ الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد مِنْ العرب وَنَحْنُ مُشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وَأَنْتَ فينا، لا، حَتّى نخرج إليهم فنقاتلهم فَمَنْ قتل منا كَانَ شهيداً وَمَنْ نجى منّا كَانَ قَدْ جاهد فِي سبيل الله، فقبل رسول الله قوله وخرج مَعَ نفر مِنْ اصحابه يبتغون موضع القتال، كَمَا قَالَ الله: «وَإِذْ غدوت مِنْ أهلك تبوء المؤمنين إلى قوله ـ إذْ همّت طائفتان منكم أنْ تفشلا» يعني عبدالله بن تبوء المؤمنين إلى قوله ـ إذْ همّت طائفتان منكم أنْ تفشلا» يعني عبدالله بن

محكمات القرآن والسنة والعقل والوجدان............. ١٣٧ أبي وأصحابه، فضرب رسول الله ﷺ معسكره ممّا يلي مِنْ طريق العراق، وقعد عبدالله بن أبي وقومه مِنْ الخزرج اتّبعوا رأيه، ووافت قريش إلى أحد، وَكَانَ رسول اللهُ عَلَيْكُ عِد أصحابه وكانوا سبعمائه رجلًا، فوضع عبدالله بن جبير فِي خمسين مِنْ الرُّماة عَلَى باب الشَّعب وأشفق أنْ يأتي كمينهم في ذَلِكَ المكان، فَقَالَ رسول اللهَ عَلِيلًا للهِ لللهُ ابن جبير وأصحابه أنْ رأيتمونا قَدْ هزمناهم حَتَّى أدخلناهم مَكَّة فلا تخرجوا مِنْ هَذَا المكان وإنْ رأيتموهم قَدْ هزمونا حَتَّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد فِي مائتي فارس كميناً، وَقَالَ لهم إذَا رأيتمونا قَدْ اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم مِنْ هَذَا الشُّعب حَتَّى تكونوا مِنْ ورائهم فلما أقبلت الخيل واصطّفوا وعبأ رسول الله عَيْظِيُّهُ أصحابه دفع الراية إلى أمير المؤمنين فحملت الأنصار عَلَى مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع أصحاب رسول الله في سوادهم وانحطُّ خالد بن الوليد في مأتي فارس، فلقى عبدالله بن جبير فاستقبلوهم بالسِّهام فرجعوا ونظر أصحاب عبدالله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ينهبون سواد القوم، قالوا لعبدالله بن جبير تقيمنا ههنا وَقَدْ غنم أصحابنا ونبقى نَحْنُ بلا غنيمة، فَقَالَ لهم عبدالله اتّقوا الله فَإِنَّ رسول الله عَيْظِاللهُ قَدْ تَقَدَّمَ إلينا أنْ لا نبرح، فَلَمْ يقبلوا مِنْهُ وأقبل ينسل رجل فرجل حَتَّى أخلوا مِنْ مركزهم وبقى عبدالله بن جبير في اثني عشر رجلاً، وَقَدْ كَانَتْ راية قريش مَعَ طلحة بن أبي طلحة العدوي مِنْ بني

عبدالدار فبرز ونادي يا مُحمَّد! تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النَّار

١٣٨......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنَّة فَمَنْ شاء أنْ يلحق بجنته فليبرز إليّ، فبرز إليه أمر المؤمنين يقول:

لنا خيول ولكم نصول وأينا أولى بها تقول بصارم لَيْسَ به فلول

يا طلح إنْ كُنْت كَمَا تقول فاثبت لننظر أيّنا المقتول فَقَدْ أتاك الأسد الصوّل

بنصرة القاهر والرسول^{»(۱)}

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا الكلام موجود في كلام أصحاب رسول الله عَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا الكلام موجود في كلام أصحاب رسول الله عَلَيْ أَنَّهُ مُبعثُرُ فِي المصادر سواء مصادر العامّة أو الخاصّة، فيحتاج إلى جمع وتنقية وتدقيق حَتّى تخرج الصورة مُتكاملة الجوانب، فمثلاً في معركة أُحُد إظهار المقطع المُغيَّب وَهُوَ المقطع الأخير مِنْ المعركة الذي حذفته أساب النَّزول المُلفَّقة والمُزيّفة وَهُو كيف كَانَتْ نتيجة معركة أُحُد هُو انتصار المسلمين بإرسال رسول الله عَلَيْ بن أبي طالب وجماعة لمتابعة هؤلاء المُشركين المنهزمين الفارّين مِنْ أرض المعركة وقتل ما قُتيل منهم وفرار ما فَرَّ منهم.

وَمِنْ خلال بيان هَذَا المقطع المُغيّب مِنْ معركة أُحُد يتّضح أنَّ سبب هزيمة المسلمين وسوط المعركة - كَمَا بيّنا سابقاً - هُوَ لَيْسَ الخروج مِنْ المدينة كَمَا حاول البعض إظهاره وبيانه وإعطائه الصخب الإعلامي المزوَّق، لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ وَإِنَّما سبب الهزيمة أشياء أُخْرَى مثل:

⁽١) تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي: ١/١١٢.

ثانياً: وعدم اتّباع الخطّة الحربية والعسكرية الَّتِي وضعها رسول الله عَيْظِيُّ.

ثالثاً: وأمورٍ أُخْرَى عصوا وتمرّدوا فيها عَلَى رسول اللهَ عَلَيْلُهُ.

المنهج الأسلم

الذي يستعان به لتمحيص أسباب النزول:

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ تبيَّن:

أَوَّلاً: أنَّ المنهج الأسلم الذي يُستعان به للتمحيص وتدقيق أسباب النُّرول _ وَالَّتِي هِيَ ذَاتَ خطورة وتأثير عَلَى تفسير القُرآن _ هُوَ التقيّد بمُحكهات دلالة الآيات والرّوايات وحينئذٍ لا يلزم مِنْ هَذَا تدافِعٌ ولا دورٌ فِي مساحة دلالة الآيات المُحكمة فَإنَّها بيِّنة.

ثانياً: وَبِهَذَا تبيَّن اختلاف تأثير منطقة دلالة الآيات الَّتِي يُستعان بها عَلَى تمحيص أسباب النُّزول وبين قسم آخر مِنْ دلالة الآيات الَّتِي تتأثَّر لدلالته بأسباب النُّزول.

ثالثاً: وتبيَّن أيضاً أنَّهُ لَيْسَ قسماً واحداً فِي البين حَتَّى يَكُون هُنَاك تدافعاً أو دوراً.

ولذا لاحظنا ولله الحمد أنَّ الإطار العام لمنهجنا التفسيري المُختار ـ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الكريم

١٤٠ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

- يُضفي بظلاله عَلَى كُلِّ قَاعدِة مِنْ قَواعِد التفسير ويترك بصمته وتأشيره عَلَيْهَا، وَمِنْ ضمن تلك القَوَاعِد قَاعدِة أسباب النُّزول.

أسباب النصر لا تقتصر على الجانب المادي بل المعنوي والروحي

تُقَدَّمَ أَنَّ رأي رسول الله عَلَيْ فِي معركة أُحُد كَانَ عَلَى الخروج خارج المدينة والدِّفاع عنها ومقالتة كفّار قريش، وأنَّ رأيه عَلَيْ كَانَ مُطابقاً لرأي الأكثرية مِنْ كبار الصّحابة وفيهم بَعْض عُمَد السَّقيفة ودُعاتها، وهكذا رأي السعدين: سعد بن معاذ، وسعد بن عُبادة، بَلْ ثلثي جيش الْنَبِي عَيَيْ واعدهم عَلَى ذَلِكَ ويواصل استمرار القتال مَعَ الْنَبِي عَيَيْ خارج المدينة وواعدهم الله بالنصر باستجابة أوامر رسول الله عَيَيْ وتنفيذ خطّته العسكرية في يَوُم أُحُد ﴿ إِن نَصُرُوا الله عَمَرُكُمُ ﴾ (١).

وَهَذَا يصلُح شاهداً إضافياً عَلَى عكس ما ادّعوه مِنْ أَنَّ الْنَبِي عَيَّا أُراد المكث فِي المدينة، بَلْ الأمر بالعكس خرج الْنَبِي عَيَّا أَنْ ومعه الأكثرية وقاتل وامتدحهم القُرآن عَلَى ذَلِكَ.

مُضَافًا إلى ما ذكره القُرآن فِي معركة بدر عَلَى ما سيأتي فِي محله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَّكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنتُمْ أَذِلَةٌ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ مَشَكُرُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لِعَلْمَ اللَّهُ لَقُوا اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لَعَلَّ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لَلْكُونَ السَّالَةُ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَكُونُ السَّالَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَاللَّهُ لَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لِلللَّهُ لَا عَلَى اللَّهُ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَعَلَّا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَلَّهُ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَكُمْ اللَّهُ لَكُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَكُونُ اللَّهُ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لْمَا لَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ الللَّا اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا

⁽١) سورة محمد: الآية ٧.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

١٤٢...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

فَإِنَّ القوّة العسكرية الَّتِي كَانَ يمتلكها الْنَّبِي عَلَيْكُ فِي معركة بدر كَانَتْ أَشُد ضعفاً مِنْ أُحُد حسب الصورة العسكرية الظاهرية.

والشيء المُهِم الذي نُريد التوصّل إليه هُوَ أنَّ النّصر لَيْسَ وليد الأسباب المادّية فَقَطْ مِنْ ناحية ملاحظة الكثرة أو القِلَّة كَمَا يدّعوه في أسباب النُّزول، وَإِنَّهَا أَرَادَ القُرآنَ أَنْ يَخِبَرَهُمَ أَنَّ أُسْبَابِ النَصْرِ وَالْهَزِيمَةُ أَشْيَاءُ أَخْر غَيْر الأُمُور المادية، كالأُمُور المعنويّة والروحيّة، وَحَتّى فِي العلوم الحديثة قُرِّر بأنَّ ما يقرب مِنْ الـ ٨٠٪ فِي النَّصر والهزيمة يرجع إلى الحرب النفسيَّة المتقدِّمة بالإعلام والدّعاية وصلابة الإرادة وضعضعتها، وأمَّا الجانب المادّي والآلي واللوجستي كَمَا يُعبِّر عَنْ ذَلِكَ فِي مصطلح علم الاستراتيجيات لَهُ تأثير بنسبة ٢٠٪ وَعَلَيْهِ ما يذكره القُرآن الكريم مِنْ أسباب الهزيمة والنَّصر فِي أُحُد لَيْسَ راجعاً إلى جانب القلَّة والكثرة فَقَطْ، بَلْ عَلَى العكس في بدر كَانَ المسلمون قِلَّةً ونصرهم الله وَإِنَّها أسباب الهزيمة والنَّصر ليست مادّية فَقَطْ كَمَا يدّعونه فِي أسباب النَّزول المُلفَّقة تماماً، بدليل أنَّ آيات القُرآن الَّتِي نزلت فِي معركة بدر ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِذَكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَفي مِّنَ ٱلْمَلَتِيِكَةِمُنزَ لِينَ ١١٠) ﴿ ﴿ بَلَيَّ إِن تَصْبِرُواْ وَتَنَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْدِهِمْ هَذَا يُعْدِدْكُمُ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَغِي مِنَ ٱلْمَلَيْكَةِ مُسَوِّمِينَ (اللهُ اللهُ (٧).

بتقريب: إنَّ المدد الإلهي تلقائياً موجود بشرط أنْ تكون هُنَاك صلابة

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

وَعَلَيْهِ فالمدد الإلهي موجود وبشرط صلاحية الإرادة والهمة واليقين _فإنَّ المدد الإلهي _ يَكُون ملائهاً ومتناسباً مَعَ المنظومة الكونية القائمة عَلَى هَذَا الترتيب مِنْ أَنَّ الطَّاعة والامتثال للأوامر الإلهية حليفها النصر عاجلاً أم آجلاً، لا كَمَا صورته مدرسة الطرف الآخر _ العامة _ مِنْ أسباب النُّزول أنَّ الهزيمة كَانَتْ معلولة لخروج الْنَبِي عَيَا لَيُّ كَانَتْ مِنْ المدينة المنورة لمقاتلة قريش كيف وَقَدْ تحقق النصر أوَّلاً والاهتمام بالجانب الجغرافي واللوجستي والعِدة و العدد و ... الخ فَإنَّ مثل هَذِهِ الأسباب ليست صحيحة، بَلْ مُلفِّقة، وَعَلَيْهِ فأصل النَّصر كَانَ المسلمون موعدين به، وأنَّ سبب الانهزام وسط المعركة بسبب عدم الإطاعة والتخلف عَنْ أوامر النبي عَيَا العسكرية، وَهَذَا غَيْر ما لَقَقَ لَهُ فِي أسباب النُّزول لتحريف معاني آيات القُرآن.

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني

ليس على النصر والهزيمة العسكرية وإنما على إظهار الحق والحقيقة والإيمان

النموخ الثاني: قوله تَعَالَى: ﴿إِن يَمْسَسُكُمْ قَرَّحُ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرَّحُ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرَّحُ مِّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَرْرُ مِنْ مُنْ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُ الظَّلِمِينَ ﴿ النَّا ﴾ (١).

بتقريب: إنَّكم أيُّمَا المُسلمون إنْ كتتم جزعتم لمصابكم بالهزيمة، وسط معركة أُحُد أو أصابكم قرحٌ بمعنى خسرتم شُهداء مِنْ صفوفكم فَإنَّهُ قَدْ أصاب الكافرين قتلى مِنْ قريش، فَإنَّ عدد الشُّهداء مِنْ المسلمين في أُحُد بعدد قتلى الكُفّار مِنْ قريش في بدر ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّنْ أَلَيْ المُنْ المُن وَعَلَيْهِ فَل الكُفّار مِنْ قريش في بدر ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّنْ أَلْهُ المُن المِن المُن ا

بتقريب: إنَّ طبيعة الأيام هِيَ تدويل ـ مِنْ الأدالة وَهِيَ مصدر

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

أدال، أدال يُديل فَهُوَ مديل والمفعول مُدال، وأدالَ بشيء: جعله مداولة أيّ تارة لهؤلاء وتارةً للآخرين (١) _ تارة للمؤمنين عَلَى الكافرين وَأُخْرَى بالعكس إلَّا أنَّ هَذِهِ ليست علامة عَلَى الغلبة والنَّصر، فَإِنَّ منطق القُرآن يُنادي بأعلى صوته: _ إنَّ الغلبة العسكرية أو المادّية فِي الدُّنْيَا ليست دليلاً عَلَى الحَقّ، فَإِنَّهُ لُو لاحظنا عَلَى مَرَّ العصور كَانَت الغلبة العسكرية والمادّية لأعداء الله عَلَى أولياء الله، فَإنَّ هزيمة المؤمنين مِنْ الكافرين ليست دليلاً عَلَى بُطلان مسار المؤمنين أو أنَّ نفس خروجهم مِنْ المدينة إلى خارجها لَيْسَ أمارة عَلَى الانهزام، ولا ننسى أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت أنْ تكون الدُّنْيَا دار ابتلاء وامتحان حسب التعبير القرآني كقوله تَعَالَى: ﴿ وَفِي ذَلِكُم مَلاَّ مِّن رَّيِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(٢) و ﴿وَلِيعَلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاَّةً وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّلِلِمِينَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (٣) ليستخرج الله مَنْ آمن ممّن كفر وأنَّ الظالمين وإنَّ انتصروا بحسب الحسابات المادِّية ولكنَّهم ليسوا عَلَى قُرب ورضى ومحبة مِنْ الله ممقوتون، وأمَّا المؤمنون فَهُمْ وإنْ ظُلموا فإنَّهم محبوبون عِنْدَ الله تَعَالَى.

ومِمَّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أَنَّ المدرا لَيْسَ عَلَى النَّصر والهزيمة وَإِنَّما فِي النجاح والفلاح، حسب المفهوم القرآني، وَيَكُون الميزان والمدار عَلَى إظهار الحَقّ والحقيقة والإيهان والكفر، وَمِنْ هَذَا القبيل قوله تَعَالَى فِي صلح الحديبية

⁽١) معجم المعاني الجامع.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ١٤١.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

بتقريب: إنَّهُ تَعَالَى وصف الصلح بأنه فتح مُبين مَعَ أنَّهُ لَمْ يحصل فيه نصرٌ ولا حسم عسكري، بَلْ ظاهره استجابة مِنْ الرسول عَيْاللهُ لمانعة قريش حَتَّى اعترض الثَّانِي - عمر بن الخطَّاب - وألَّب بقيَّة الصحابة عَلَى الصلح، وكانوا يظنونه انكساراً وفشلاً مَعَ أنَّ الله تَعَالَى يصفه بالفتح، بَلْ والمبين، بَلْ أُكَّدَ ذَلِكَ وكرَّرَ مادّة الفتح ـ فحتنا لك فتحاً مبيناً، في حين أنَّ القُرآن الكريم لَمْ يصف فتح مكَّة بالفتح المبين وَلَمْ يُؤكِّد عَلَى كونه فتحاً بَلْ سيَّاه نصراً وفتحاً وَلَمْ يُسَمِّه بالمبين، ولا بالفتح المؤكَّد، وَهَذَا صريحٌ فِي أنَّ منطق الفتح فِي القُرآن مُغاير مِنْ النصر وأعظم مِنْهُ، وأنَّ العُمْدَة فِي الإنجاز هُوَ الفتح والنَّصر مُقَدِّمَة وآلية لَهُ وعبر مقدمة حصريّة، بَلْ للفتح آليات عديدة، وفي الصحيح إلى ابن محبوب عَنْ عمّار بن أبي الأخوص، قَالَ: قُلتُ لأبي عبدالله الطِّلا ... فَقَالَ: «... أما علمت أنَّ أمارة بني أُميَّة بالسيف والفسق والجور، وأنَّ إمامتنا ـ أمارتنا ـ بالرفق والتآلف والوقار والتقيَّة وحسن الحِلْقة والورع والاجتهاد فرغِّبوا النَّاس ِفي دينكم وفي ما أنتم فيه" ").

بتقويب: حَيْثُ يُشير الإمام إلى أنَّ دولتهم وإمارتهم تنتشر بها يُعْرف بالعصر الحديث بالقوَّة الناعمة مِنْ قبيل الرِّفق والمرونة والليونة والسياسة الأخلاقية والوقار ومتانة السلوك والوعي الأمني وحَسْن التعامل

⁽١) سورة الفتح: الآية ١.

⁽٢) الوسائل، أبواب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر: ب١٤، -٩٠.

١٤٨.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث والمصداقية البالغة في التقوى وتجسيدها في الذّات وَأَنَّهُ عبر الترغيب لا الترهيب.

العلاقة التي يذكرها القرآن للتمييز بين الحق والباطل:

إن مِنْ أهم العلامات الَّتِي يُركِّز القُرآن الكريم عَلَى ذكرها للتمييز بين الحقق والباطل، هُوَ أَنَّ المُتيقّن دائها مستضعفون، والمُتقون دائها تكون لهم النهاية الحسنة وعاقبة الأُمُور الحسنى، وأنَّهم لا يكسبون الجولة لا فِي البداية ولا فِي الوسط، وَإِنَّها يكسبون العاقبة وَالأُمُور بخواتيمها ﴿ وَثُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الوسط، وَإِنَّها يكسبون العاقبة وَالأُمُور بخواتيمها ﴿ وَثُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

وَعَلَى المؤمنين أَنْ يصبروا ويُرابطوا إِنَّ أُضطُهدوا ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللهُ اللَّهُ اللَّاللَّ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ الل

وقوله تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَنهَدُواْمِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِدِينَ ﴿ اللَّهِ ﴾ (٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْكُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ لَنظُرُونَ السَّ

بتقريب: أوليس تتمنون الشّهادة فلهاذا تجزعون؟! ﴿ وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا

⁽١) سورة القصص: الآية ٥.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٤١.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٣.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

عدم إيمان بعض البدريين:

حال المسلمين في غزوة أحد:

إِنَّ العدسة القُرآنية استعرضت فِي آيات مُتعدِّدة مِنْ سورٍ مُتعدِّدة مِنْ سورٍ مُتعدِّدة مواقف بعض صحابة الْنَبِي عَيَّا فِي مختلف حروبه وغزواته وفتوحاته و ... وقَسَّمتهم إلى أصناف وطبقات، فمثلاً ما جاء فِي سورة الأنفال مِنْ آية ٤١ ﴿ وَلَا عَلَمُوا أَنَمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ... ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْمُدُوةِ ٱلْقُصُوى وَالرَّحْبُ أَسَفَلَ مِن كَا وَلَوَ ... ﴾ إِلَّهُ دُوةِ الدَّنِيَا وَهُم بِالْمُدُوةِ ٱلْقُصُوى وَالرَّحْبُ أَسَفَلَ مِن عَلَى مَن كَانَ فِي وَالَّتِي سبقت هَذِهِ الآيات نبأ عظيم وإفصاح خطير، هُو أَنَّ مَنْ كَانَ فِي ركب الْنَبِي عَلَيْهُ فِي غزوة بدر وأثناء القتال كانوا عَلَى ثلاث فئاتٍ.

١ ـ فئة مؤمنة. ٢ ـ وفئة مُنافقة. ٣ ـ وفئة الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرضٌ.

كَمَا وصفهم القُرآن ﴿ إِذْ يَسَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُّ غَرَّ هَـُّوُلَآهِ دِينُهُمُّهُ وَمَن ِبَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَن ِيرُّ حَكِيمُ ﴿ اللَّهُ ا

بتقريب: أنَّ عدسة القُرآن تشير بوضوح إلى وجود فئتين ملعونتين مذمومتين متخفيتين فِي الصحابة البدريين، ولا يتوهم أحدٌ أنَّ المُرَاد مِنْ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

⁽٢) سورة الأنفالُ: الآية ٤٩.

المُنافقين بالآية المُباركة هُمْ فَقَطْ كفّار قُريش المُتجاهرون بالكُفر فِي صفوف البدريين، وَلَيْسَ فَقَطْ منافقوا المدينة المنوَّرة، بَلْ المُرَاد مِنْ المنافقين أيّ الحاضرون منهم فِي أرض بدر، ومشهد معركة بدر، وَكَانَ منطق الفئتين للحاضرون منهم فِي أرض بدر، ومشهد معركة بدر، وَكَانَ منطق الفئتين أيّ هؤلاء المُنافقون، وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ تِجاه الفِرْقة الأُولى المُؤمنة الثابتة أنْ قالتا لمّا رأتا حشد مُشركي قريش وبطرهم وخيلاءهم في غزوة بدر، أنَّ الفئة الأولى مغرورة بسبب دينهم وَهُوَ دين الإسلام، فَلَمْ ينسبوا أنفسهم إلى الدِّين الإسلامي، وَإنَّا جعلوا أنفسهم بذلك عَلَى دين المُشركين!.

وإفصاح هَذِهِ السورة المُبَارَكَة عَنْ انقاسم جيش المسلمين الَّذِيْنَ كَانُوا مَعَ الْنَبِيَّ عَلَيْهُ إلى ثلاثة أقسام أو فئات يُبطِلُ كُلِّ الرَّوايات الَّتِي يرويها العامّة حول قدسيّة البدريين وأنَّ الله قَدْ غَفَر لهم وإنْ عملوا ما عملوا، فضلاً عَنْ كون ذَلِكَ مناقض للآيات والسور العديدة المُشترطة للوفاء حتى حلول الأجل والنبات عَلَى الإيهان والعمل الصالح، كَمَا يُبطل مقولة كُلِّ بدري أو إحدى فَهُوَ مؤمن وممدوح ومرضي حاله عِنْدَ الله تَعَالَى.

وهكذا ما ذكرته الآيات المُباركات مِنْ نفس سورة الأنفال: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّهِ مَا مُعَلِّيكُمْ مَا مُعَيِّيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَ اللَّهَ اللَّهِ مَا يُعَيِّيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَ اللَّهَ اللَّهِ مَا يُعَيِّيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَ اللَّهَ اللَّهَ مَعْدَا أَنَ اللَّهَ اللَّهُ مَا يَعُولُ بَيْنَ اللَّهُ مَا يَعُولُ بَيْنَ اللَّهُ مَا يَعُولُ بَيْنَ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللّهُ اللّ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٢٤_٧٧.

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني

بتقريب: ذكر ابن كثير في تفسيره عَنْ السدّي: نزلت هَذِهِ الآيات فِي أهل بدر خاصّة فأصابتهم يَوُم الجمل فاقتتلوا(١١).

وفي هَذِهِ الآيات إشارة واضحة إلى أنَّ المسلمين البدريين سيُفتنون بفتنة تصيبُ الجميع، وأنَّهم سيمتحنون بها وفيهم الظالمون، وأنَّ مَنْ يخون الله ورسوله والأمانات المأخوذة عليهم فَإنَّ الله شديد العقاب، وَهَذِهِ الآيات الكريمة هِيَ كَذَلِكَ صريحة فِي تقسيم وتمييز مَنْ صَحِبَ الْنَبِي عَلَيْكُ فِي بدر وفي أوائل الهجرة إلى المدينة، وأثبهم يفتنون وَيَكُون بعضهم ظالما، ويخون الله ورسوله والأمانات المأخوذة عليهم هَذَا حال بَعْض البدريين.

وأمَّا حال المسلمين فِي أحد: _ فَقَدْ رسمت وقَسَّمتْ آياتُ سور آل عمران فِي مواضِعَ مُتعدِّدة حالهم ووضعهم: _مِنْهَا: _

قوله تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَىٰ أَحَدِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَىٰكُمْ فَأَثْبَكُمْ غَمَّنَا بِغَيْرِ لِكَيْلًا تَحْدَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَدَبَكُمْ فَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ثَاللَهُ مَا أَصَدَبَكُمْ مِنْ فَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ثَاللَهُ مَا أَصَدَبَكُمْ مِنْ فَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ثَاللَهُ مُ أَنزُلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَيْرِ آمَنَهُ فَعَاسًا يَغْشَو طَآبِفَتُ مِن اللّهُ وَطَآبِفَةٌ قَدْ أَهَمَ مَنهُمْ أَنفُكُمْ مَن اللّهُ وَلَا مَا أَنفُكُمْ مَن اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ عَلَيْكُمْ وَطَآبِفَةٌ قَدْ أَهَمَ مَنْهُمْ أَنفُكُمْ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

بتقريب: إنَّ الآية المُبَارَكَة بيَّنت طائفة ثالثة فِي معركة أحد وَهُمْ «قَدْ الْحَمْةِ فَاللَّهِ فِي معارك وفتوحات الْمَنْقِي عَلَيْكُ وفتوحات وغزوات الْنَبِي عَلَيْكُ .

⁽۱) تفسير ابن كثير: ج٢، ص٢٨٦.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٣ _ ١٥٤.

إنَّ ضوابط القُرآن فِي تقسيم أصحاب الْنَّبِي عَلَيْ كَافَة هِيَ واحِدَة، فَإنَّ قسماً منهم مدحهم القُرآن سواء كانوا بدريين أو أُحديين أو حنييين أو ... الخ.

منهم: مَنْ يُريد الدُّنْيَا، ومنهم: _ مَنْ يُريد الأخرة، ومنهم: مَنْ همّته نَفْسُه ومنهم و ... الخ، فَإِنَّ جمهور العامّة إلى الآن لا يَعُون هَذَا المعنى.

وَمِنْ خلال هَذَا تبيَّن أَنَّ القُرآن الكريم يستعرض هَذَا الحكم ويُبيِّن الواقع الصحيح الذي لا يأتيه الباطل لا ما كتبه المُؤرِّخون أو أصحاب السير تحت ظل حكومات مُعيَّنة. وَعَلَيْهِ فوقوع الفرار في صفوف كثير مِنْ المسلمين بَعْدَمَا شاهدوا النّصر باستزلال الشّيطان لهم كُل ذَلِكَ كَانَ بسبب بعض الاعمال السّيئة السّابقة، وأنَّ طائفة منهم كانوا يظنّون بالله ظنَّ بعض الاعمال السّيئة السّابقة، وأنَّ طائفة منهم كانوا يظنّون بالله ظنَّ الجاهلية ويُخفون كُل ذَلِكَ فِي قلوبهم، وَهَذَا دليل بَيِّن عَلَى أنَّ مَنْ صَحِبَ النّبِي عَلَيْ أَنَّ واقعة أُحُد كَانَتْ النّبِي عَلَيْ القتال منهم الطيّب ومنهم الخبيث وأنَّ واقعة أُحُد كَانَتْ

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني

للتمييز بين الطيب والخبيث، وَهَذَا ما صَرَّحت به الآيات الكريمة مِنْهَا:

قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدُ صَدَقَكُمُ ٱللّهُ وَعُدَهُ، إِذَ تَحُسُونَهُم بِإِذْنِهِ ۚ حَقَى إِذَا فَشِلْتُ مُوتَكُمُ فَكُمُ اللّهُ وَعُصَيْتُم مِنَ بَعْدِمَا بِإِذْنِهِ ۚ حَقَى إِذَا فَشِلْتُ مُوتَنَازَعُتُمْ فِي ٱلْأَصْرِ وَعَصَيْتُم مِنَ بَعْدِمَا أَرُسَكُم مَّا تُحِبُونَ مِنصُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنِي وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنِي وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنِي وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنِي وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنِي وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنِي وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الْآخِرَةُ ثُمُ مَكرفَكُم عَنْهُم ... ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْعَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ ٱللَّهَ عَفُورُ حَلِيمُ (اللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ ٱللَّهَ عَفُورُ حَلِيمُ (اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ ٱللَّهُ عَفُورُ حَلِيمُ (اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُمُ أَلِنَّ ٱللَّهُ عَفُورُ حَلِيمُ (اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ أَلِنَّ اللَّهُ عَنْهُمُ اللللْهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللْهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُولِكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُولِ اللَّهُ عَلَيْكُولِ اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللْعَلَيْكُولُولُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الللْعُلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ الللللِهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْعُلِيلُ اللْعُلِمُ اللَّهُ الللَّه

وقوله تَعَالَى: ﴿ مَّاكَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَاۤ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ٱلْهُؤِينِينَ عَلَىٰ مَاۤ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ٱلْهُ يَعْلِيكُمْ عَلَى ٱلْهَيْتِ وَلَكِكَنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ عَنَ اللَّهَ يَشَالُهُ ... ﴾ (٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَكَّدُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْقُتِ لَٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٓ أَعْقَىٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ...﴾ ('').

هَذِهِ الآيات الْمُبَارَكَة وغيرها كشفت زيغ مَنْ يدّعي التعميم والمساوات والعدل لِكُلِّ مَنْ صَحِبَ ولازم الْنَّبِيِّ عَلِيْ مَعَ أَنَّ التمييز واقع في مَنْ كَانَ مِنْ المسلمين سواءٌ أكان أُحُديّاً أو بدرياً أو خيبرياً أو ... الخ.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

نعم وصف الشّخص بكونه بدريّاً أو أُحُديّاً أو خيبريّاً أو ... إنَّما يَكُون ذا منقبة ويمتدح فيها إذا كَانَ مِنْ فئة المؤمنين، لا ما إذا كَانَ مِنْ الفئات الأُخْرَى الَّتِي ذمّها القُرآن بفعل ما صدر منهم سابقاً وفي زمان صحبة الْنَبِي عَيَا اللهُ عُلَ ذَلِكَ ما بيّنته أسباب النّزول في سورتي الأنفال وآل عمران كَمَا تَقَدَّمُ (۱).

ثمَّ إنَّ الآية المُبَارِكَة ﴿ وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولُ فَدْ خَلَتَ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ اَفَإِين مَّاتَ أَوَ قُتِلَ انقَلَبَتُمُ عَلَىٓ أَعْقَىٰكِكُمْ وَمَن يَنقَلِبَ عَلَى عَقِبَيْهِ ... ﴾ خَذَرتْ مِنْ وقوع انقلاب في صفوف المسلمين عَلَى الأعقاب برحيل رسول الله عَلَى الله عَلَى المسلمين لما شاهدوا الهزيمة وظنَّوا أنَّ الرسول عَلَى الأخوا بالفرار وصعدوا الجبل واجتمعوا حول صَخْرَة - عُرِفوا بَعْدَ ذَلِكَ بجهاعة الصَخْرَة - وقالوا: الجبل واجتمعوا حول صَخْرَة - عُرِفوا بَعْدَ ذَلِكَ بجهاعة الصَخْرَة - وقالوا: وإنّا عَلَى دين الآباء "(٢) كي يَكُون ذَلِكَ شافعاً لهم عِنْدَ قريش وفي ما سُطّر في السير ما يلوح أنّهم ممّن يُعَدّون مِنْ أعيان القوم ووجوههم.

والمُتأمِّل فِي السُّور الحاكية لغزوات الْنَّبِي عَلَيْلُهُ كَمَا فِي سورة الأحزاب عَنْ غزوة تبوك، وحُنين وغيرها، يجدها عَنْ غزوة تبوك، وحُنين وغيرها، يجدها ناطقة بلسانِ التّمييز والتقسيم والتصنيف لِـمَنْ صحب الْنَبِي عَلَيْلُهُ وشارك في القتال، منهم الفئة الصّالحة الثابتة والمُؤمنة بدين الْنَبِي عَلَيْلُهُ، ومنهم الفئة

⁽١) الصحابة بين العدالة والعصمة/ الشيخ محمد السند: ص٩٠ ـ ١١٤.

⁽٢) السيرة الحلبية: ج٢، ص٤٠٥، السيرة النبوية لابن كثير: ج٣، ص٤٤.

وببركة إعمال موازين التّحقيق والتّدقيق فِي أسباب النُّزول بيَّنت لنا كيف حاولت الأقلام المأجورة والمسمومة مِنْ طمس الحقائق إلَّا أنَّهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا ببركة اتّباع المنهج الذي رسمه لنا الْنَبَّى الأكرمَ ﷺ وأئمة أهل البيت اللِّكِ الَّذِيْنَ هُمْ المعلَّمون الإلهيون، وإعمال موازين التحقيق هَذِهِ لا يُقتصر فيه عَلَى أسبابِ النُّزول لنفس آيات القُرآن، بَلْ يُتعدّى بإعمالها إلى سيرة الْنَّبِيَّ عَيِّكُ أَللهُ، بَلْ وتاريخ الإسلام ولا يمكن الأخذبه عَلَى عواهنه، بَلْ حَتَّى الحديث النبوي الشّريف الذي يُنسب لرسول الله عَيْظِيُّهُ نُحَكِّم فيه مُحكمات القُرآن، فإذا جاءنا الحديث النبوي الشّريف الذي يقول مضمونه كيف يُطابق القُرآن الذي فيه آيات مُحكمات تذمّ جماعة بدر وأُحُد وحُنين والخندق وتبوك و ... الخ وأنَّ بعضهم انقلب عَلَى عقبيه وتصوير القُرآن لهم دقيق ويصوّر الخفايا الّتِي يعجز البشر عَنْ رصدها، وَالقُرآن يرصد ويُراقب حَتَّى النَّوايا ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۞ ۗ (٢) مَعَ أنهم مِنْ أصحاب رسول الله عَلَيْظِهُ.

والذي نُريد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ عدسة القُرآن عظيمة ودقيقة جداً لا يمكن التفريط بها بحال مِنْ الأحوال، حَتَّى فِي تمحيص التأريخ وَمِنْهُ أسباب النُّزول.

⁽١) الصحابة بين العدالة والعصمة للشيخ السند: ص٩٠ ـ ١١٤ بتصرف.

⁽٢) سورة طه: الآية ٧.

١٥٦......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث دعوى ارتداد وانقلاب أصحاب الرسول عَلَيْكُ :

ليس ممتنعة:

وَهَذَا مَا أَكَّدَتُهُ الزَّهْرَاءَﷺ أَيْضًا فِي خطبتُهَا المُعْرُوفَةُ: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا بنازلةٍ أَنبأكم الله بها وما مُحَمَّد إلَّا رسول قَدْ خلت مِنْ قبله الرسل … ﴾(٢).

وَكَمَا هُوَ الحال فِي شأن جملة مِنْ الصحابة فِي نفس بدر وأُحُد وتبوك وحُنين الَّتِي نَصَّ القُرآن عَلَى فعالهم.

دخالة الحالة النفسية والمعنوية

في الانتصار والهزيمة:

ذكر الخُبراء والمختصون فِي مراكز الدراسات الأوليّة حول الحرب العسكريّة والسياسيّة فِي هَذَا المجال أنَّ نسبة ٨٠٪ مِنْ النَّصر أو الهزيمة فِي المعركة يعود إلى الجانب النفسي والحالات المعنوية الَّتِي يتحلّى بها المقاتل

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

⁽٢) خطبة الزهراء:

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني ليست لها استعداداً للتضحية والشخص المُنتخب للقيادة، فَإِنَّ القيادة الَّتِي ليست لها استعداداً للتضحية هِيَ قيادة غَيْر مسؤولة وَغَيْر مأمونة عَلَى قيادة أيِّ أُمَّة مِنْ الأُمم لا سيا الأُمَّة الإسلاميَّة، وقيادة الدِّين، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الذي يفرُّ فِي غزوات وحروب مُتالية وعديدة كيف يَكُون مأموناً، عَلَى مُقدِّرات الدِّين والإسلام كَمَا حصل فِي حروب الرسول عَلَيْهُ وغزواته كَمَا فِي غزوة بدر وأُحد وحُنين والخندق وتبوك وغيرها.

فمثلاً ما حصل فِي بداية معركة أُحُد مِنْ هزيمة ليست سببه كَمَا لُفِّقَ لَهُ حسب أسباب النُّزول الْمُلفَّقة والْمُزيَّفة مِنْ طرق العامّة مِنْ أنَّ سبب الهزيمة هُوَ الخروج مِنْ المدينة، كلا وَإِنَّهَا كَانَ السبب هُوَ الضعف النفسي والمعنوي لنفوس الصّحابة عدا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللِّهِ بَعْدَ رسول الله عَيَالِهُ إِذْ كَانَ اللهِ عَلَى إِن السخ وَلَمْ يُصِبُّه جَزَعٌ أَو هَلَعٌ أَو قَلَقٌ، ولا يُفهم مِنْ هَذَا إِنَّا نُريد أَنْ نُترجم شجاعة علي بالإيهان الرّاسخ والثبات فِي تحمُّل المسؤولية لقوّة القدرة في تدبير معالجة الأزمات مَعَ جرأة الخوض في غمرات مخاطر الاحتمالات، فَإِنَّ تفسير الشَّجاعة بلغة العلم بالمسؤولية والقُدرة عَلَى القيام بها، وبلغة الشَّجاعة فِي موضع القيادة والإدارة وقوّة الرُّوح وقوة الإيمان المُنفتح عَلَى مفاجئات الغيب يرتبط وينصب بالإمامة وكفاءة القيادة والخلافة؛ فَإِنَّ عموم الفضائل ترتبط بالإيمان وَالرُّوح، وَعَلَيْهِ فَلا يُعْزَى النَّصر إلى الأسباب المادّيّة مِنْ تهيئة العِدَّة والعَدد وغيرها، فَإِنَّ هَذَا لُوحِده لا يكفي، بَلْ لابُدَّ أنْ يمتلك المقاتل استعداداً نفسياً

فإذا ملك المقاتل تلك المقوِّمات استطاع تحقيق النَّصر، وَهَذَا الاستعداد النفسي والرُّوحي والإيماني ما رَبَّى عَلَيْهِ الْنَبِيَ عَلَيْهِ الْنَبِي الله المسلمين، وَإلَّا لما استطاعوا أنْ يفتحوا البُلدان، أو يواجهوا جيوش كسرى أو جيوش قيصر الرُّوم.

وهكذا برنامج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله الذي رَبَّى عَلَيْهِ النَّلة الصالحة مِنْ أصحابه وحواريه كمالك الأشتر وعمّار بن ياسر وحُذيفة اليماني والأصبغ بن نُباتة وغيرهم هؤلاء الَّذِيْنَ ربّاهم أمير المؤمنين علي الله تلك التّربية الرُّوحيّة الإيمانية العالية وزرع في نفوسهم الثقة وكيفية مواجهة الأعداء والصّمود بوجههم وعدم الانهزام والفرار؛ لذا كانَ هؤلاء يُطلكبون مِنْ قبل الخلفاء كقيادات عسكرية وَعَلَى رأس التنظيم العسكري لجيس المسلمين في المواجهات العسكرية، وشعار تلك التربيّة الَّتِي ربّاها عليهم أمير المؤمنين الله وزرعها في نفوسهم هِيَ التكبير بصوت عالٍ بوجه العدو عَنْدَ مواجهة.

وَهَذَا مما يجعل الأعداء يشعرون كأنَّما الأرض تتزلزل مِنْ تحت أقدامهم كَمَا شهدت لذلك معركة اليرموك بَعْدَمَا أخفق قادة العسكر

⁽١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

وَعَلَى الإنسان إذَا واجه الضعف والانهزام فِي أَيّ أَمر مِنْ الأُمُور عَلَيْهِ أَنْ لا يُرْبكه الضّعف والاضطراب ولا يَكُون هلوعاً جزوعاً ولا يتوجّه إلى نفسه فإنّها مُضطربة ومُرتبكة، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يتوجّه إلى قدرة الله وقضائه وليطمئن بقدرة الله تَعَالَى الذي لا يَغْنَى ولا يفوته شيء لا فِي السَّمَاء ولا فِي الأرض ولا ... الخ ﴿إِن كُلُمَن فِالسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَا عَلَى الزَّمْنِ عَبْدًا ﴿ إِن كُلُمَن فِالسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَا عَلَى الرَّمْنِ عَبْدًا ﴿ إِن كُلُمَن فِالسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَا عَلَى الذي الله وَالله الله الله الله والله والله والله ولا الله والله و

ويُطْمْئِنُ نَفْسَه بذلك ﴿ وَمَاكَانَلِنَفْسِ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِنَبَا مُؤَجِّلًا وَمَن يُرِدْثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُوْتِهِ-مِنْهَا ﴾ (٢).

بالله عَزُّ وَجَلَّ.

⁽١) سورة مريم: الآية ٩٣.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

ولذا فَإِنَّ عدسة القُرآن تابعت الاضطراب الذي حصل في نفوس المسلمين في معركة أُحُد ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِي قَنتَلَ مَعَمُ رِبِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ ﴾ (١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَوَّة النَّفس وشجاعتها وسُؤددها لا تترجم فَقَطْ بجانب الكرم الفردي والفروسيّة والعضلات في القيادة والإمامة وغيرها، وَإِنَّمَا يُشترط انضهام شرط وَمَعْنَى آخر وَهُوَ تحمّل المسؤوليّة إلى آخر المطاف ولو قطّع صاحبها إرباً إرباً، ومثل هكذا شخص قَدْ يتمتع بمثل هَذِهِ الصِّفات فَإِنَّهُ يستطيع أنْ يتحمَّل أعباء المسؤولية، ويُؤتمن عَلَى دين الأُمَّة ومقدراتها ويصلح أنْ يَكُون خليفة، وما توفّرت هَذِهِ الأوصاف فِي شخص بَعْدَ رسول الله ﷺ إلَّا فِي شخص وصيَّه وخليفته بالحقّ علي بن أبي طالب اللَّهِ، فَإِنَّهُ الكرّار غَيْر الفرّار أيّ أنَّهُ رجل لمواجهة الأزمات قويّ فِي تدبير حلها ومُعالجتها خبير وطبين فِي تدبير حلحلة عُقْدَتها، بخلاف الآخرين فَإنَّ الفِرار بسبب العجز والتخاذل والهزيمة تشهد لهم فِي كُلُّ حرب مَعَ رسول الله عَيِّكُ فَإِنَّ مثل هؤ لاء لا يمكنهم تسلُّم زِمام قيادة المسلمين لضعف نفوسهم وعدم صلاحيتها وتأهلها وتردّي الحالة المعنويّة لهم فِي ذَلِكَ الأمر.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ اتّضح الفرق بين ما يعزونه العامّة فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي غزوة أُحُد إلى الأسباب المادّية، وبين الصحيح الذي عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت المَيِّ فِي أسباب النُّزول الَّتِي يذكرها القُرآن الكريم وإنْ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

أسباب النزول الصحيحة. مدرسة أهل البيت الله القرآن: وعن العامة التحاكم إلى القرآن:

وفي أسباب النُّزول المُلفَّقة لَمْ تُسلَّط الأضواء عَلَى تتمَّة الآية المُباركة ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَن يَغُلُّلُ ﴿ (٢).

بتقريب: أنَّ بَعْض أصحاب الْنَبِي عَلَيْ الله المنياء فِي الغنائم، ووجّهوا الطعون إلى السّاحة المُطهّرة والمُقدّسة لسيد الأنبياء عَلَيْ ويدّعون أنَّ هَذِهِ هِي أحد أسباب الهزيمة فِي معركة أُحُد، وَلَمْ يخوضوا فِي التّفاصيل الخطيرة وحاولوا تغييبها؛ ولذا دَعَتْ أسباب النُّزول الصحيحة العامّة التحاكم إلى القُرآن؛ فَإنَّ القُرآن ميزان عظيم فِي البحث التّأريخي؛ ولذا إذا أراد الباحث أنْ يبحث فِي سيرة النّبيّ عَلَيْ فَعَلَيْهِ بالقرآن العظيم وبقطعيات السنة النبويّة وسنة أهل البيت الميلا فَإنَّها مُحكمة حَتّى تفضح ما حاولته أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُحرَّفة _ للعامة _ أنْ تُغفِل الذهن البشري والإسلامي عَنْهُ، إلَّا أَنَّهُ وللأسف قليل مِنْ المسلمين مَنْ يقرأ القُرآن قراءة تأريخية وبلغة سياسيّة _ وإنْ كَانَ منهج قراءة القُرآن الكريم يقع عَلَى وتائر

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

الجزء الثالث وطُرق مُحتلفة سنتعرض لها إنْ شاء الله في قواعِد لاحقة، فَإنَّ هُنَاكُ مَنْ يقرأ القُرآن بلغة أمنية، وآخر بلغة إداريّة وثالث بلغة عسكريّة ورابع بلغة اقتصاديّة وخامسة سياسية وسادس باجتهاعية وسابع بأخلاقية وثامن بتاريخية وغيرها، فَإنَّ هَذِهِ العلوم وغيرها موجودة في القُرآن الكريم وحيئذٍ نستطيع وَمِنْ المُمكن أنْ ننهل مِنْ عذب ماء القُرآن الكريم.

إعادة قراءة جملة من العلوم الإنسانية والاجتماعية: كالتأريخ وغيره من خلال القرآن:

تعيه: إنَّ تغييب مثل هكذا ثقافة إسلاميّة وقرآنيّة كقراءة التأريخ وغيره مِنْ خلال القُرآن أمرٌ خطير في الثقافة القرآنية، وَعَلَيْهِ فلأجل أنْ نفتح أبواب البصائر مِنْ جديد فَمِنْ الضروري أنْ نُعيد قراءة التأريخ مِنْ خلال القُرآن أيّ نقرأ التأريخ بلغة قرآنية، فَإنَّ هَذَا حياةٌ وإحياءٌ للقُرْآن الكريم، بخلاف العزوف ـ لا سامح الله ـ عَنْ ذَلِكَ فَإنَّهُ فيه إماتة للقُرْآن وَالدِّين ـ والعياذ بالله .

لَا سَيَّمَا بَعْدَ تَقَرَّرَ قَاعَدِةَ أَنَّ القُرآنَ فيه تبيانَ لِكُلِّ شيء ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمُسَلِمِينَ ﴾ (١).

وإنَّ ما مِنْ غائبة فِي السّماء ولا فِي الأرض إلَّا فِي كتاب مُبين، وأنَّ الوحي لَمْ يقتصر عَلَى التّشريع والتهذيب والإيهان بحقائق الغيب، وإنْ

⁽١) سورة النحل: الآية ٨٩.

بتقريب: إنَّ كُلِّ مَا فِي لوح القضاء والقدر يتنزَّل بتوسَّط طبقات ومقامات ومنازل القُرآن، كَمَا فِي الآية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِى لَيَلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿ وَمَا أَذَرَنكَمَا لَيَلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿ ﴾ (٦).

والقضاء والقدر يعمُّ كُلُّ شيءٍ.

⁽١) سورة النمل: الآية ٧٥.

⁽٢) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

⁽٣) سورة لُقهان: الآية ٢٧.

⁽٤) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

⁽٥) سورة الدّخان: الآية ١.

⁽٦) سورة القدر: الآية ١ ـ٣.

نعم هَذِهِ العُلوم جُلّها هِيَ فِي باطن وبطون القُرآن ولا يُهْتدى إليها عَبر ظاهره إلّا عَنْ طريق الرّاسخين فِي العلم وَهُمْ الأئمة والمعصومين صلوات لله عليهم أجمعين وَمِنْ ثمَّ تَعَرَّضَ القُرآن الكريم لأُسس كثير مِنْ حقائق العُلوم الطبيعية وغيرها كَمَا استعرضت ذَلِكَ جملة مِنْ كتب التفسير.

أحد أسباب هزيمة المسلمين في وسط المعركة هو الوهن والضعف النفسي لبعض الصحابة:

النعوض الرابع: قوله تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِي قَنَلَ مَعَهُ رِبِيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَاضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا أُو ٱللهُ يُحِبُ ٱلصَّنبِرِينَ (اللهُ اللهِ وَمَاضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا أُو ٱللهُ يُحِبُ ٱلصَّنبِرِينَ (اللهُ اللهِ وَمَاضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا أُو ٱللهَ يُحِبُ ٱلصَّنبِرِينَ (اللهُ اللهِ وَمَاضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا أُو ٱللهَ يُحِبُ ٱلصَّنبِرِينَ اللهُ اللهِ وَمَاضَعُفُوا وَمَا اللهِ وَمَاضَعُمُوا وَمَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ا

بتقريب: بيَّنت الآية المُبَارَكَة إنَّ أحد أسباب الهزيمة في وسط معركة أُحُد وعدم الثبات مِنْ أوَّل الأمر هُوَ بسبب الضعف والوهن النفسي والاستكانة الَّتِي أصابت نفوس بَعْض الصّحابة، وَهَذَا هُوَ الصحيح في أسباب النُّزول وَهُوَ ما عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت المَيِّ لا كَمَا صوّره فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُحرَّفة، وأنَّ سبب الهزيمة كَانَ عَلَى أنَّ رأي أكثر الصّحابة هُوَ المكث ورأي رسول الله عَلَيْ كَانَ عَلَى الخروج خارج المدينة مثل ما مَرَّ بيانه سابقاً.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَكَدُ صَكَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعُدَهُ، إِذْ تَحُسُّونَهُم

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

الميزان والمدار فِي نجاح الخطاب القرآني

الشجاعة أحد صفات الإمامة في مدرسة أهل البيت؛

إنَّ أحد شرائط الأصل الثَّالِث فِي أصول الإسلام والأول مِنْ أصول الإيهان هُوَ الإمامة فِي مدرسة أهل البيت الكِي أَنْ يَكُون الإمام شجاعاً بنصّ القُرآن الكريم كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَزَادَهُ، بَسَطَةً فِي ٱلْحِلْمِ وَٱلْحِسْمِ ﴾ (٢).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُرُ دُجَالُوتَ وَءَاتَنَهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِصَمَةَ وَعَلَمَهُ مِعَايَشَكَ أَمُّ ﴾ (٣).

هَذَا مُضَافَاً للرُّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَّلِيُّ عَلَى تأكيد شرط الشّجاعة فِي الإمامة، كَمَا فِي زيارة الإمام الحسين المُّلِيُّ: «... أشهد أَنَّكَ لَمُ تَمِنْ وَلَمْ تنكُل وَأَنَّكَ مضيت عَلَى ما مضى عَلَيْهِ البدريّون».

وأنَّ الإمام لابُدَّ وأنْ يتمتّع بنفس وهمّة عالية وليست واهنة او موهنة للآخرين ولا تضعضع تلك الشّجاعة بخطورة تحمل ثقل المسؤولية ومعرفة

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢ _ ١٥٥.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

⁽٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

الجزء الثالث كيفية إدارة الأُمُور فِي الأزمات، وكيفية حلّها «وأشهد أنّك لَمْ تجبن والذي لا يجبن وصف لِـمَنْ لا يرتبك فِي معركة خرج التدبير» وحَلِّ الأزمة، وَمِنْ لا يجبن وصف لِـمَنْ لا يرتبك فِي معركة خرج التدبير» وحَلِّ الأزمة، وَمِنْ الواضح أنَّ سبب الجُبن فِي الأزمات هُوَ الإرباك والإرتباك الذي يقع فِي تدبير الإدارة ومُعالجة الخلل؛ ولذا يقع مَنْ لا خِبْرَة لَهُ فِي الأُمُور ولا قدرة لَهُ عَلَى تحمُّل المسؤوليّة ما فِي التّهور أو الجُبُن إذا ما عالج الموقف

بالإجراءات الصّحيحة والمُنضبطة، وَعَلَيْهِ فالجبان هُوَ مَنْ لا قدرة لَهُ عَلَى تَحْمُل اللَّهِ عَلَى تَحْمُل السّعولية، وأمَّا الشّجاعة بالأصل الَّتِي هِيَ اتّقان لتدبير ومعالجة

الأُمُور بها يُناسبها بحكمة، فالغُلظة في موضع الغلظة واللين في موضع اللهُمُور بها يُناسبها بحكمة، فالغُلظة في الإمامة الَّتِي تعني القيادة.

ولذا عُدَّت الشَّجاعة شرطاً فِي الإمامة وأنَّ الشَّجاع هُوَ مَنْ يُتقِن الإدارة فِي الأزَمات؛ ولذا قَالَ المُستولي الثَّانِي عَلَى الخلافة عِنْدَمَا أطلق هَذِهِ المُقولة المشهورة والمعروفة والمليئة بها مصادر المسلمين، كَمَا ذكر ذَلِكَ ابن سعد فِي طبقاته: «... لا أبقاني الله لمعضلة لَيْسَ لها أبو الحسن»(١).

أو بتعبير آخر: «.... لا أبقاني الله في أرض ليست بها أبا الحسن»(٢). وَقَدْ فصَّلنا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كتابنا الصحابة بين العدالة والعصمة (٣).

⁽١) طبقات بن سعد، والترغيب في فضائل الأعمال وثوابها لابن شاهين: ج١، ص١٠٢، ح٣٥٥.

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) الصحابة بين العدالة والعصمة للشيخ محمد السند: ص٣٤٥ محطة الفتوحات.

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني

وإطلاق هكذا عبائر مِنْ المستولي الثَّانِي عَلَى الخلافة ليست اعتباطاً بَعْدَمَا وجد الحاجة المُلحّة فِي قيام الإسلام بتدبير علي الله وعندها يقف المُحلِّلون مليّاً لأنها صادرة مِنْ شخص يدّعي أنَّهُ خليفة للمسلمين، فيتبيّن أنَّ السبب الرئيسي الذي دعاه إلى إطلاق هكذا عبائر فِي حقِّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله هُو لِإِنَّهُ ما يمتلكه الله مِنْ قدرة اتّقان إدارة الأزمات علي بن أبي طالب اليّي تعصف بالإسلام والمسلمين وكيفية مُعالجتها وتدبير وحلّ المشكلات الّي تعصف بالإسلام والمسلمين وكيفية مُعالجتها وتدبير الخروج مِنْهَا بانتصار ونجاح لا بهزيمة وفرار، وَهَذِهِ هِيَ مُؤهلات القيادة والكفاءة والإمامة؛ ولذا يصف القُرآن مثل هكذا أمر بقوله تَعَالى: ﴿ وَكَأَيِن وَالكَفَاءَة وَالإمامة وَلَذَا يَصِفَ القُرآن مثل هكذا أمر بقوله تَعَالى: ﴿ وَكَأَيِن وَالنَّهُ وَاللَّهُ وَمَاضَعُفُونَ ﴾ (١٠).

والفرق اللّغوي بين المُفردات الثلاثة: ــ

الوهن: ضَعُفَ، وَيُقَال: وَهَن الرَّجُل أيّ دخل فِي الوهن مِنْ الليل^(٢) وَالْمُرَاد به الضعف النفسي.

الستكانة: وَهِيَ مِنْ (استكن) إذَا خضع وذَلَّ، وتُزاد الألف، فَيُقَال: استكان إذَا خضع (٣) وَالْمَرَاد بها عدم الحركة والفتور والجمود.

الضّعف: والضَّعْفُ خلاف القوَّة، وَقِيلَ الضُّعْفُ بالضّم فِي الجسد والقوى المادّية، والفتح، الضَّعف فِي الرأي والعقل، وَقِيلَ جائزان فِي كُلِّ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

⁽٢) أقرب الموارد، مادّة وَهَنَ.

⁽٣) الفيومي، مادَّة السكين، ولسان العرب، مادَّة سكن.

17A.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث وجه (۱).

وَمِنْ الواضح أنَّ لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْ الْمُفردات الثَّلاثة مَعْنَى يختلف عَنْ الآخر.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَاكَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا دُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي آَمْرِنَا وَثَيِّتَ أَقَدَامَنَا وَأَنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ اللَّهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ال

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم وصف الربيين بأنه يستحثّون هممهم ويشحذون إرادتهم عَبْر الشّعور بالتّقصير لئلا يصيبهم الغرور والعُجب بها قاموا به مِنْ جهود وجهاد، كَمَا أنَّهم يتصلّبون فِي إرادتهم بالدُّعاء والإصرار عَلَى الثبات والسّعى إلى النّصر عَلَى العدو.

النموض الخامس: قوله تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُواْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللّه

بتقريب: إنَّ الآية المُبَارَكَة فيها تعريض لبعض الصّحابة الَّذِيْنَ قالوا سنطيع أهلنا وعشيرتنا وقومنا مِنْ قريش فِي ملتهم بَعْدَمَا سمعوا ما أُشيع مِنْ نبأ كاذب، وَهُوَ مقتل رسول الله عَيَالَهُ، وَهَذَا الموقف يُدينه القُرآن فِي قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتَ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

⁽١) لسان العرب لابن منظور، مادّة ضَعُف.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٧_١٤٨.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٩.

وقوله تَعَالَى: ﴿ بَلِ أَلَّهُ مَوْلَىٰ كُمُّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّاصِرِينَ ﴿ اللَّهُ مُولَىٰ ٢٠٠٠.

وقوله تَعَالَى: ﴿ سَنُلِقِى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلُ بِهِ مَسُلُطَكَنَا وَمَأْوَلَهُمُ النَّارُ وَبِنْسَ مَثْوَى الظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْكَارُ وَبِنْسَ مَثُوى الظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

ولذا عُرفوا أمثال هؤلاء الصّحابة الَّذِيْنَ قالوا مثل هَذَا القول باسم أصحاب الصخرة، علماً أنَّ هؤلاء الصّحابة هُمْ مِنْ عليّة القوم وأسهاءهم لامعة، وَهَذَا مُؤشِّر قُرآني عَلَى أنَّ هؤلاء غَيْر مُبتدئين بالمشروع الإلهي وَأنَّهُ يحيطونه ما دام لَهُم طمعٌ دنيوي مِنْ رئاسة وجاه وغنائم، فها أنْ تنقطع الأطهاع ينكصون عَلَى الأعقاب وينقلبون عَنْ دينهم.

فأسباب النُّزول المُلفَّقة تُؤكِّد أنَّ سبب الهزيمة لجيش المسلمين هُوَ الخروج مِنْ المدينة لمقاتلة كفّار قريش، عَلَى عكس ما يذكره القُرآن الكريم مِنْ سبب للهزيمة وَهُوَ الفرار و الوهن والضعف النفسي.

وَهَذَا مما يُؤسف لَهُ فَإِنَّهُ مصادرة للمعرفة الإسّلاميَّة وَالدِّينية عِبر المعرفة القرآنية وعِبْرَ عدم التوَّثق والتثبّث مِنْ أسباب النُّزول المُلفَّقة الَّتِي يتلقاها كَمَا هِيَ، وللأسف المُفَسِّر أو الباحث ويبني عَلَى صحّتها وَأنَّها موثوق بها،

⁽¹⁾ سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٠.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

ويأخذ بها أخذ المُسلّمات، وَأنّها لَيْسَ فيها أيّ تلاعب، وَهَذَا يُشكّل خطراً كبيراً عَلَى المعنى التفسيري للآية والسورة القرآنية، وَعَلَيْهِ فكيف تُريد منّا أنْ نبتعد عَنْ ذَلِكَ الصّوت المدوّي، ألا وَهُوَ صوت القُرآن الكريم الذي يسرد لنا الحقائق ونتركه ولا نأخذ بمفاد الآيات والأخذ بهكذا أسباب للنُّزول غَيْر معلومة الوثاقة، وأجعلها هِيَ الحاكمة عَلَى المفادات الواضحة لا سيّما مَعَ تنبيه روايات أهل البيت الميالي عَلَى ما فِي القُرآن مِنْ بيانات، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا يُعتبر غلو وإسراف فِي أسباب النُّزول غَيْر المُوثَقة، ولكن وللأسف وقع فيها الكثير مِنْ مُفسّريّ الفريقين.

ثمَّ تذكر الآية: ﴿ وَلَقَدُ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَإِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ (١).

بتقريب: إنَّ المسلمين كانوا عَلَى موعِدِ بالنّصر مِنْ الله بالخروج مِنْ الله بالخروج مِنْ الله ينة وَقَدْ أوفاهم الله ذَلِكَ النّصر وَكَانَ النَّصر حليفهم مِنْ بداية معركة أحد، فكيف يدعى الخروج سبب للهزيمة إذْ تحسونهم كَمَا يُحُسّ المَرق ولا تبقون لهم شيئاً إلَّا أنَّ هَذَا مشروط بشرائط تَقَدَّمَ ذكرها وَبَعْدَ كُلِّ هَذَا كيف تقلب الحقيقة في أسباب النُّزول المُحَرَّفة والمأجورة وصوَّرت تلك الأسباب المُحَرَّفة والمُدلّسة أنَّ رسول الله عَنَّ أنثني وتنازل عَنْ رايه لرأي الشورى الذي يرى أنَّ البقاء في المدينة هُو أكثر ثباتاً ونصراً، وَهَذِهِ كُلَّهَا الشيقات تحتاج إلى تنقيةٍ وغربلة وعرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسُّنة الشريفة.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني

ثمَّ تقول الآية: ﴿ حَقَّ إِذَا فَشِلْتُ مُوتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَائِتُم ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ لاآية المُبَارَكة بيَّنت أنَّ سبب نزول الآية حول بيان موضوع سبب فشل وهزيمة المسلمين في معركة أُحُد هُوَ عصيان الرُّماة الذي أوقفهم رسول الله عَلَى جبل أُحُد لأمر رسول الله عَلَى، ونزل أكثرهم مِنْ الجبل لأجل الغنائم فهؤلاء أسهاء لامعة في صحابة رسول الله عَلَى الله عَلَى وأُحُديين وَمَعَ ذَلِكَ استهوتهم الدُّنْيَا كَهَا أشارت إليه الآيات القرآنية السّابقة مِنْ سورة آل عمران، وَهَذَا امتحان إلهي وَهُوَ لَيْسَ بالامر السّهل، نسأله تَعَالَى العافية في الدُّنْيَا والآخرة.

ثمَّ قالت الآية: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْكَ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْكَ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآنِكُمُ فَي الْآنِيكُمُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللللَّا اللللَّا اللَّالِمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللللَّا اللَّالِمُ الللَّا

بتقويب: أنَّ حرف الجر (مِنْ) يُفيد التبعيض فِي قوله تَعَالَى: ﴿مِنكُم ﴾ أيّ مِنْ بَعْض صحابة رسول الله عَلَيُّ الأُحُديين، بوصف القُرآن لهم منهم بعضهم _ يريد الدُّنْيَا، ومنهم مَنْ يُريد الآخرة ﴿ثُمَّ صَكَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَكُمُّ وَلَقَدُ عَفَا عَنكُمُ وَاللَّهُ ذُو فَضَا عِلَى المُوْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَمِنْ عَلَى المُوْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَمِن عَلَى اللَّهُ وَمِن عَلَى اللَّهُ وَمِن عَلَى اللَّهُ اللللللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ اللللِّهُ اللل

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

⁽٣) المصدر السابق.

بتقريب: إذْ تصعدون وتركبون الجبال وأعالي الأودية فارّين ولا تلوون: أيّ لا تواجهون أحداً ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ﴾ إلى أين تفرّون؟ ﴿وَلَقَدْعُفَاعَنكُمْ ﴾ "

إِلَّا أَنَّ هَذَا المقطع الأخير مِنْ معركة أُحُد مُغيَّب تماماً وَلَمْ تُسَلَّط عَلَيْهِ الأضواء أسباب النُّزول المُحَرَّفة والمُلفَّقة، وَهَذِهِ الآية ترسم بوضوح أَنَّ الصّحابة فرّوا ولاذوا بالفرار، وأنَّ الرسول عَلَيْ ثبت فِي الميدان وَلَمْ يصعد الجبل وَلَمْ يهرب وَلَمْ يَفُرَّ عَلَيْكُ كَمَا ادعي فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة الَّتِي تُريد أَنْ تُبرِّر لأصحاب السقيفة هروبهم وفرارهم وخذلانهم لرسول الله عَلَيْكُ وفعلتهم الشَّوهاء.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مسألة عرض أسباب النُّزول عَلَى القُرآن والسنة القطعية لا السُّنة الظنيّة مسألة لابُدَّ مِنْهَا ولها تأثيرها عَلَى بيان الحقائق والوقائع؛ ولذا محاولة بَعْض أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ قبل بَعْض الأقلام المأجورة لوعّاظ السّلاطين باءت بالفشل في تغييب بَعْض الحقائق ببركة العرض عَلَى الكثير مِنْ المُفسِّرين عَلَى الكثير مِنْ المُفسِّرين حَتّى مِنْ الحُاصّة وأخذ البعض منهم بأسباب النُّزول المُلفَّقة أخذ

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

وَمِنْ هَذَا يعلم أَنَّهُ لا يمكن للمُفسِّر والباحث في المعرفة الدِّينية بَلْ وغيرها الاستغناء بحال مِنْ الأحوال عَنْ مسألة عرض أسباب النُّزول عَلَى مُحكمات الكتاب والسنة لأجل التوصل إلى حقائق كثيرة قَدْ خُفيت عَلَى غَيْر أهل العلم فضلاً عَنْ أهله، وبإظهار تلك الحقيقة سوف تتضح الصورة وَيَتِمُّ المطلب.

تقسيم القرآن لفئات صحابة رسول اللمَّيَّالُّ:

النموض الساص: قوله تَعَالَى: ﴿ وَطَآبِفَةٌ قَدَّ أَهَمَّتُهُمْ أَنفُسُهُمْ الْفُسُهُمْ الْفُسُهُمْ الْفُرَان الكريم أصحاب رسول الله عَلَيْ الَّذِيْنَ خرجوا معه في حروبه وغزواته وفتوحاته إلى عِدَّة فئات، والغرض مِنْ ذكر هَذَا التقسيم في هَذَا الشّاهد وإنْ كَانَ تَقَدَّمَ فحواه وروحه ـ هُوَ لبيان أنَّ أسباب النُّزول اللَّفقة والمُحرَّفة حاولت التقسيم - مَعَ المحافظة عَلَى منظار القداسة الأصحاب الرسول عَيَّا أَنَّهُ وللأسف هَذَا المعنى صحابي لمجرد الصحبة يغتفر لَهُ فعل ما فعل، إلَّا أنَّهُ وللأسف هَذَا المعنى أخذه البعض حَتّى مِنْ الخاصة فضلاً عَنْ العامّة أخذ المُسلّمات، إلَّا أنَّهُ وللأسف أَخْدار أمومة الواقع الصحيح في أسباب النُّزول الصحيحة وفق منهجنا المُختار أمومة الواقع الصحيح في أسباب النُّزول الصحيحة وفق منهجنا المُختار أمومة

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

الفنة الأولى: تُريد عَرَض الحياة الدُّنْيَا.

الفئة الثانية: تُريد عَرَضَ الحياة الآخِرَة.

والآن فِي هَذَا الشّاهد تسلّط الآية القرآنية الأضواء عَلَى الفئة الثالثة: ﴿وَطَآبِفَةٌ قَدُّ أَهَ مَّتُهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾.

بتقريب: أنَّ هَذِهِ الفئة مِنْ أصحاب رسول الله عَلَيْلَ محورهم أنفسهم، وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم ذَمَّ عِدَّة فئات مِنْ أصحاب رسول الله عَلَيْلَ فئة مِنْ البدريين وفئة مِنْ والأُحُديين وفئة مِنْ الجُنينيين و ... الخ.

وينبغي أنَّ نأخُذ بنظر الاعتبار أنَّ الذَّمَّ لَمْ يكُن وارداً فِي كتاب عادي بَلْ فِي أعظم الكُتب ألا وَهُوَ القُرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل وَأَنَّهُ كتاب يُتلى إلى يَوُم القيامة، وَهُنَا يُريد القُرآن التأسيس والتأكيد عَلَى مسالة بالغة الخطورة والأهميّة وَهِيَ:

«أَنَّ الميزان ولاضابط في الصحبة لرسول اللهَ عَيَّالِيُّ لَيْسَ مُجَرَّد صِرْف الصحبة لرسول اللهَ عَيَّالِيُّهُ فَقَطْ، والعيش معه عَيَّالِيُّهُ؛ فَإِنَّ مثل هَذِهِ الصحبة ليست كافية للنجاة».

ولذا جعل القُرآن بَعْض آياته الَّتِي يتلوها كُلِّ مسلم فِي أَنَّ هُنَاك طائفة مِنْ أصحب رسول الله عَلِيُّ ﴿ وَقَدْ أَهَمَ تَهُمُ مَ أَنفُ مُهُمَّ يَظُنُونَ بِأَللَّهِ غَيْرَ

بتقريب: _ إنَّ النَّصر والهزيمة أو كُلّ تدبير فَهُوَ كُلَّهُ بيد الله عَزَّ وَجَلّ.

وصف القرآن لنيات وخواطر أصحاب رسول الله عَيْنِهُ:

وصف آخر لبعض أصحاب رسول الله عَيْنُوا:

تترصَّد العدسة القرآنية لنيّات وخواطر فئة مِنْ أصحاب رسول الله مِنْ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ الأُحُديين وتصفهم بوصف آخر وَهُوَ: _ حالة النّفاق الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا البعض: ﴿ يُخَفُونَ فِى آنفُسِهِم مَّا لَا يُبَدُونَ لَكُ يَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ البعض: ﴿ يُخَفُونَ فِى آنفُسِهِم مَّا لَا يُبَدُونَ لَكُ يَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ البعض: ﴿ يُخَفُّونَ فَى آنفُسِهِم مَّا لَا يُبَدُونَ لَكُ يَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ اللهُ اللهُ

ولذا عِنْدَمَا أمرنا أئمة أهل البيت المَيِّ بالرّجوع إلى القُرآن فِي كُلّ شيء؛ لِأَنَّهُ كتاب هداية فَإنَّهُ لا أحد يستطيع أنْ يرصد حالة النيّات والخواطر إلّا الخالق عَزَّ وَجَلَّ.

فالحكم العدل الوحيد والميزان القويم فِي تحقيق وتمحيص التأريخ وسيرة الْنَبِي عَلَيْ وَمَنْ كَانَ معه عَلَيْ مِنْ الأصحاب هُوَ الرجوع إلى مُحكمات القُرآن ولا أحق مِنْ القُرآن والرّاسخين أنَّ يُبين الحقائق.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

١٧٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وقوله تَعَالَى: ﴿... يَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَا مِنَ ٱلأَمْرِ شَى مَ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمٌّ وَلِيَبْتَولَى ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمُّ وَٱللَّهُ عَلِيكًا بِذَاتِ ٱلصُّدُودِ ﴿ اللَّهِ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

بتقريب: تَقَدَّمَ ذكر شواهد عديدة عَلَى أنَّ سبب هزيمة المسلمين في أُحُد أُمُور أُخْرَى غَيْر الهزيمة العسكرية والماديّة وَإِنَّها هِيَ ضعف نفوس الصّحابة وعصيانهم للرسول عَلَيْ ورغبتهم في الدُّنيا، وفي هَذِهِ الآية المُبَاركة توجد مقابلة بين القتال الذي هُوَ خارج المدينة الذي هُوَ سبب للهزيمة وبين البقاء داخل المدينة والتحصّن ببيوتها لكان أقوى لنا ولا يحدث القتل وندفع الخسارة الماديّة والمعنويّة، هكذا صوّرته أسباب النُّزول المزعومة والمُلفَّقة بينها القُرآن الكريم فَنَدَ ذَلِكَ وأنَّ سبب الانهزام في وسط المعركة _ كَمَا تَقَدَّمَ _ هُوَ التمرُّد وعصيان أوامر الرسول عَيَا في وضعف النفوس و كما تَقَدَّمَ _ هُوَ التمرُّد وعصيان أوامر الرسول عَيَا في وضعف النفوس و ...الخ.

وهكذا الآية الأُخْرَى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَنِهِمْ إِذَاضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْكَانُواْ غُزَّى لَّوْكَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢).

هَذَا شاهد آخر يُبيِّن أسباب النُّزول المُلفَّقة وأنَّ رأي رسول اللهُ عَلَيْكُ الخروج والرسول عَلَيْكُ كَانَ عَلَى الجووج والرسول عَلَيْكُ المُجرية عَلَى الجووج والرسول عَلَيْكُ اللهُ عَلَى المُجروب عَلْمَ اللهُ عَلَى المُحروب عَلْمَ اللهُ عَلَى المُحروب والرسول عَلَيْكُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى المُحروب والرسول عَلَيْكُ اللهُ عَلَى المُحروب والمُحروب والم

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.

الميزان والمدارفي نجاح الخطاب القرآنيتسلّم آخر الأمر لرأي الأكثر وخرج، وَهَذَا يُفنّده القُرآن إذْ لو كَانَ رأي رسول الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله عَلْ الله عَلَيْ الله عَلَي

امتحان القلب ومافي الصدور هو أعظم الامتحانات الإلهية:

الامتحانات والابتلاءات الإلهية

يوم القيامة قبل عالم الجنة والنار:

هُنَاكُ جُملة مِنْ الآيات القُرآنية تُبيِّن أَنَّ أحد حِكَم الامتحانات والابتلاءات الإلهية يَوُم القيامة الذي هُوَ عالم قبل عالم الجنّة وعالم النّار هُو حكمة إخراج ما في الصدور مِنْ نوايا وخواطر، وَهَذَا الأمر لا أحد يستطيع استخراجه وكشفه والاطّلاع عَلَيْهِ إلَّا الله ربَّ العالمين؛ ولذا فحريّ بالإنسان أنَّ لايستسهل بقوى الخاطر والنية ويتحمّل المسؤولية تجاه الخواطر والنيّات، وَهَذَا موضوع مهم وخطير، فَإنَّهُ حسب ما وَرَدَ "إنَّما الأعمالُ بالنيّات وَلِكُلِّ المرء ما نوى" (۱) فإنْ أضمر المرء نيّة الخير أظهرها الله لَهُ، وإنْ أضمرها شرّاً أظهرها لله كَذَا فِي عبدالله المُنِّانِ الله يَوُم القيامة» عَنْ أبي عبدالله المنظولة، قَالَ: "إنَّ الله يعشر النَّاس عَلَى نيّاتهم يَوُم القيامة» (۱)؛ ولذا في منطق القُرآن الكريم: إنَّ عظم امتحانات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للإنسان هُوَ امتحان القلب وامتحان ما في الصدور، وتمام الكلام موكول إلى بحث العقائد.

⁽١) الوسائل: ج١، أبواب مُقدِّمات العبادات: ب٥، ح٠١.

⁽٢) المصدر السّابق: ح٥.

والخلاصة: مِنْ كُلّ هَذَا أَنَّ القُرآن الكريم يُبيِّن لنا فِي هَذِهِ الآية الْبَارَكَة أَنَّ فئةً مِنْ أصحاب رسول الله الله المُحليين لَمْ يكونوا بالمستوى المطلوب، بَلْ كانوا بالمستوى المُتردي وأنهم شريحة موهنة ضعيفة، وَمَعَ هَذَا البيان الواضح للآية تحاول بَعْض الأقلام المأجورة فِي أسباب النُّزول تغطية الملفات الَّتي فيها فضائح ومساوئ، وعدم ملاحظة هَذَا مِنْ قبل المُفسِّر لَهُ تأثيره الفاعل عَلَى المعنى التفسيري للآية، فَإِنَّ لَهُ أهمية فِي كشف خريطة الأحداث وواقع الأطراف مِنْ حَيْثُ مساهمتها سلباً أو إيجاباً.

فرار العلِية المزعومة للقوم:

النمونج السابع: قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّواْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اُسْتَرَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواً وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمُّ إِنَّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواً وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمُّ إِنَّ اللهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿ اللهَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا اللهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْ اللهُ ا

بتقريب: أنَّ الشّيطان لَهُ القّدرة عَلَى أنْ يستزلّ العباد إذَا ارتكبوا المعاصي ومهدوا الطرق فِي نفوسهم وقلوبهم لدخول الشّيطان ويستنزل ويسيطر، وصريح القُرآن يقول: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلُطَنُ عَلَى ٱلذِّينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمُ يَتَوَكَ لُيْسَ لَكُ وقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٥ _١٥٦.

⁽٢) سورة النحل: الآية ٩٩.

ولذا بيَّنت بَعْض الأحاديث النبويّة أنَّهُ لو يفتح باب الشيطان معناه الاعتراض عَلَى قضاء الله وقدره وما شابه ذَلِكَ هُوَ فتح لباب الشيطان ها الأعتراض عَلَى قضاء الله وقدره وما شابه ذَلِكَ هُو فتح لباب الشيطان ها الأمرَكُلُهُ لِللَّهِ هُ^(۲) أمَّا أنَّهُ تُعْزَى التائج والمسببات وحصرها فَقَطْ بالأسباب المادّية أو الأساب الكونيّة، فَهذَا معناه خروج وإنكار لوجود قدرة مُهيمنة وراء الأسباب ومُحيطة بها، ومنطق ورؤية القُرآن لا يريد التنكر للأسباب إلّا أنَّ حصر الأسباب بالأسباب المادّية والحسّية الكونيّة فَقَطْ لَيْسَ بالصحيح.

وَهَذَا أحد فلسفات عظمة الاعتقاد بالبداء.

عقيدة البداء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ كثيراً مِنْ الأُخوة الباحثين والمفسرين وغيرهم مِنْ المذاهب الأُخْرَى لعلّهم لمَ يفهموا عقيدة البداء فِي منظور مدرسة أهل البيت المَيِّ وَلَمْ

⁽١) سورة الإسراء: الآية ٦٥.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

يفطنوا إليه ولو باختصار فَإنَّهُ: عبارة عَنْ الاعتقاد والإذعان بأنَّ قدرة الله وراء الأسباب، وذكرنا في كتابينا: خلاصة معرفية وكتاب رؤى جهادية في مشهد الطّف (۱) كلاماً حول البداء ما حاصله: إنَّ البداء هُوَ المحو والتغيير في التقدير والقضاء الإلهي لا عَنْ جهل مِنْهُ تَعَالَى بخواتم الأُمُور ومحكمات التدبير، بَلْ هُو مِنْ إطلاق قدرته تَعَالَى المُستعلية عَلَى كافة الأسباب التكوينية حَتّى الملكوتية مِنْهَا والغيبيّة والإبداعية فضلاً عها دونها مِنْ العوالِم التكوينية؛ إذْ كُلّ الأُمُور المخلوقة مُنقادة لمشيئته فلا يُحتم ظرف تكويني عَلَى الله بَلْ لله المشيئة والله يحكم عَلَى كُلّ شيء لا جبر ولا تفويض أمر بين أمرين، وليست الأُمُور والأحداث كُلَّهَا مفوّضة إلى الأسباب والجعل فَإنَّ مَنْ تَوَّهم ذَلِكَ فَقَدْ أخطأ.

فَإِنَّ حَلَّ الفلاسفة أو المُتكلمين أو ... قَدْ حصروا قَاعدِة الاختيار «لا جبر ولا تفويض» بالأفعال الاختيارية دون الأسباب التكوينية، وَهَذَا خطأ، فَإِنَّ هَذِهِ قَاعدِة شريفة عامّة كونيّة خطيرة مُهمّة استفيدت مِنْ بركات كنوز مدرسة أهل البيت المَيِّ وَهَذِهِ القَاعِدَة الكونيّة العامّة الرابطة بين الخالق والمخلوق وَلَيْسَ فَقَطْ كَمَا توهمه بعضٌ بأنّها رابطة بين الخالق وبين كُل جوهر وبين أفعال الإنسان الاختياريّة فَقَطْ، بَلْ رابطة بين الخالق وبين كُلّ جوهر وعرض مِنْ المخلوقات، بَلْ ويتعدّى حَتّى إلى مبحث القضاء والقدر، وأنَّ معنى القضاء والقدر، وأنَّ معنى القضاء والقدر لَيْسَ هُوَ مِنْ فعل الإنسان فَإِنَّهُ لا جبر ولا نفي ولا مَعْنَى القضاء والقدر لَيْسَ هُوَ مِنْ فعل الإنسان فَإِنَّهُ لا جبر ولا نفي ولا

⁽١) خلاصة معرفية للشيخ محمد السند: ج٢، ص١٩٧، ورؤى جهاديّة من مشهد الطّف للشيخ السند: ص١١_١٩ بتصرُّف.

هَذَا كُلَّهُ عَلَى خلاف مقالة اليهود الَّتِي يستعرضها القُرآن الكريم حَيْثُ قالوا إِنَّ القلم واللوح بها كَانَ وَيَكُونَ ولا يجري فيه التبديل وَعَلَيْهِ فَلْ قَالُوا إِنَّ القلم واللوح بها كَانَ وَيَكُونَ ولا يجري فيه التبديل وَعَلَيْهِ فلا يستطيع الباري تغيير المقادير عها هِيَ عَلَيْهِ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً فلا يستطيع الباري تغيير المقادير عها هِيَ عَلَيْهِ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً فَلا يَستطيع الباري تغيير المقادير عها هِيَ عَلَيْهِ ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّهُ وَلَيْنُوا إِلَيْهِ اللهِ مَعْلُولَةً اللهِ اللهِ مَعْلُولَةً اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

فبقدرته عَلَى تغيير القضاء والقدر يَتِمُّ الاعتقاد بأنَّ الله تَعَالَى عَلَى كُلِّ شيء قدير وينفتح بابا الأمل أمام العبد تِّجاه ربه ويتوكّل عَلَيْهِ ولا يلتجئ إلَّا لله ويفوِّض أمره إليه تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ قَدْ وَرَدَ عَنْ أهل البيت اللَّيْ كَمَا فِي صحيح زرارة عَنْ أحدهما اللَّيْكِ : «ما عُبد بشيء مثل البداء»(٢).

وفي صحيح هشام بن سالم عَنْ أبي عبدالله اللهِ: «ما عُظِّم الله بمثل البداء»(٣).

فَإِنَّ بِينِ الحَتميَّةِ الجبريَّةِ مِنْ جهة والتفويضيَّة مِنْ جهة أُخْرَى هُنَاك حقيقة ونظرية ثالثة، وَهِيَ حتميَّة البداء وبدائيَّة الحتم.

وَهُنَا نَكَتَهُ لَطَيْفَةً يَنْبَغِي الالتفات إليها وَهِيَ: _ أَنَّ حَتَمَيَّةُ البداءُ لا تُرى حَتَمًا وحسماً فِي شيء، إلَّا للبداء فَيَكُونَ كُلِّ شيء خاضع لحتميَّة البداء

⁽١) سورة المائدة: الآية ٦.

⁽٢) الكَافي، للكليني محمد بن يعقوب: ج١، ص١٤٦؛ التوحيد للصدوق: ص٣٣٢.

⁽٣) الكافي: ج١، ص١٤٦.

فلا حتميّة إلَّا لَهُ أو بعبارة أخرى: إنَّ الحتميات الصُغرى تنصهر في الحتميّة الكبرى وهِي حتميّة البداء؛ ولذا فَإنَّ الله تَبَارَكَ يَعلَمُ بسجود الملائكة وامتناع إبليس ولكن لا قصاص قبل الجريمة، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ ولن يطرد إبليس مِنْ رحمته قبل صدور المعصية، وإنْ كَانَ الله يعلم بصدور العصيان، وَهَذَا أصل عظيم وَقَاعدَة أساسية وَمِنْ مُحكمات المنظومة الخلقية التأدبيّة الإلهيّة فِي تكامل البعض مَعَ البعض الآخر، فَإنَّها مؤسسة عَلَى التأدبيّة الإلهيّة فِي تكامل البعض مَعَ البعض الآخر، فَإنَّها مؤسسة عَلَى الساس عقيدة البدار، بَلْ وَحَتّى هَذِهِ التقيّة مِنْ الإمام وأصحابه والبرنامج الأمني المُكنّف لَيْسَ تشكيكاً فِي وعد الله المحتوم بالنَّصر والعياذ بالله و لا تشكيكاً في قدرة الله، بَلْ هُوَ عَلَى العكس تماماً زيادة في والعياذ بالله و لا تشكيكاً في قدرة الله، بَلْ هُوَ عَلَى العكس تماماً زيادة في وسعة قدرته البين بمدى سعة القدرة والمشيئة الإلهية وزيادة فِي المعرفة بمشيئة الله وسعة قدرته البَّي هِيَ البداء.

ولذا المُخلصون عَلَى خطر عظيم ووجل كبير لتهيبهم مِنْ سعة المشيئة والعلم القدرة والبداء فبقدر ما لديهم مِنْ رجاء ومعرفة بالجمال لديهم خوف ومعرفة بالجلال، وَهَذَا ما أشار إليه سيد الشُّهداء اللَّيْ في دعاء عرفة: "إلهي إنَّ اختلاف تدابيرك وسرعة طواء مقادير منعا عبادك العارفين بك عَنْ السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء»(١).

ولذا لَمْ يبعث الله نبياً إلَّا وَقَدْ أخذ عَلَيْهِ الإيهان بالبداء، وَقَدْ وَرَدَ فِي طرق كُلِّ مِنْ العامّة والخاصّة، أنَّ الدُّعاء يحجُب القضاء المُبرم، وَمِنْ هَذَا

⁽١) دعاء عرفة، الإقبال: ج٢، ص٣٢٩_ ٠٥٠؛ عنه البحار للمجلسي: ج٩٥/ ٢٢٥.

الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني أَنَّ البداء لَيْسَ بمعنى أَنَّهُ يبدر لله تَعَالَى شيء لَمْ يكُن يعلم به، بَلْ هُوَ اتضح أَنَّ البداء الله تَعَالَى لخلقه وأوليائه شيئاً لَمْ يكونوا يعلمون به فيبقى الأمر كُلَّهُ بيده تَعَالَى ﴿ يَمُحُوا اللهُ مَا يَشَاء وَيُثِبِتُ وَعِندَهُ وَالْمُ الْكُون اللهُ مَا يَشَاء وَيُثِبِتُ وَعِندَهُ وَاللهُ الْمُالِدِينَ اللهُ اللهُ مَا يَشَاء وَيُثِبِتُ وَعِندَهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ مَا يَشَاء وَيُثِبِتُ وَعِندَهُ وَاللهُ اللهُ ا

والخلصة: القُرآن يُنادي: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفُرُوا ﴾ (٢).

بتقريب: هُنَاك إعجاب مِنْ خطاب القُرآن للمؤمنين وَهُمْ عَلَى درجات عالية مِنْ الإيهان مَعَ ذَلِكَ يخاطبهم القُرآن ويقول لهم: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفُرُوا ﴾، وَعَلَيْهِ فالمؤمنون والمُخلصون عَلَى خطر، فيا أيُّمَا الَّذِيْنَ آمنوا لا تكونوا كَالَّذِيْنَ كفروا بأنْ تكونوا مِثْل الكافرين مادّيين أو محصورة رؤيتهم في الأسباب الكونيّة دون ما وراءها، بيها الإيهان هُو ما وَرَدَ فِي الدُّعاء الشريف: «يا مُسبب الأسباب دلَّت عَلَى قدرتك الصعاب ويا مَنْ يفتاً به حدّ الشدائد»، وَإِنَّما هُنَاك قدرة وراء الكون والأكوان تلك القدرة هِيَ: ﴿وَاللَّهُنِورَا آمِهِم تَحِيطُ النَّنَ ﴾ وَإِنَّما هُنَاك قدرة وراء الكون والأكوان تلك القدرة هِيَ: ﴿وَاللَّهُمِنُ وَرَا آمِهِم تَحِيطُ النَّنَ ﴾ قال الله عليه المؤلفة على قدرة وراء الكون والأكوان المقدرة هِيَ

وَهَذَا تحذير لِلَّذِيْنَ تلاعبوا بأسباب النَّزول ولفقوها وحَرَّفوها عَنْ مواضعها مِنْ أَنَّ محاسبتكم المادّية ومعادلاتكم الَّتِي برمجتموها حسب ما تريده السَّلطة الحاكمة مقابل ثمن وأجر في أسباب النَّزول لا تحصروها بأسباب كونيّة أو ماديّة أو ... الخ وكذلك لا تحصروا الأسباب بالأسباب

⁽١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.

⁽٣) سورة البروج: الآية ٢٠.

1A2......قصد تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث والله تَعَالَى علَّة العلل والله الله على علَّة العلل وسبب الأسباب والله مِنْ وراءهم محيط.

ولذا ما ذكره المُلفِّقون فِي أسباب النُّزول فِي معركة أُحُد لَمْ يكن بالصّواب وَالقُرآن الكريم يُؤنبهم عَلَى هَذَا الجزع، فَالَّذِيْنَ استُشهدوا فِي معركة أُحُد لَمْ ولن يخسروا وَإِنَّها حصلوا عَلَى غنيمة أخروية وربحوا إحدى الحُسنيين ﴿وَلَهِن مُتَّمَ أَوْقُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحَشَرُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اله

بتقريب: إنَّ أعظم غنيمة هِيَ لقاء الله، لذا تأنيب القُرآن عَلَى ما حدث مِنْ هزيمة لبعض الأصحاب عظيمٌ، وَلَيْسَ هَذَا التأنيب مِنْ القُرآن عَلَى خروج الْنَبِي عَلَيْ مِنْ المدينة إلى ضواحيها - كَمَا ادّعي فِي تلفيق أسباب النُّزول وَلَيْسَ عَلَى فشل الخطّة العسكرية الَّتِي رسمها الْنَبِي عَلَيْ حسب ما يزعم في أسباب النُّزول المزعومة، وَإِنَّها ركَّزَ القُرآن عَلَى تأنيب بَعْض أصحاب رسول الله عَلَيْ الله والله القُرآن عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله الله الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ وَجَلَ الله الله عَلَيْ المصدر الفُلاني، فلا كلام بَعْدَ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٨.

لا يُسيطر الشّيطان عَلَى الإنسان ولا يقوى عَلَى نفس الإنسان إلَّا إذَا ارتكب المعصية والعياذ بالله ولذا هُنَاك جملة مِنْ الأمراض النفسيّة والروحيّة الَّتِي يُصاب بها الإنسان وتترك أثرها السّلبي عَلَيْهِ نتيجة ارتكاب مخالفات شرعية فيسيطر الشيطان عَلَيْهِ نتيجة هَذِهِ المُخالفات، ويُبتلى بأنواع الأمراض النفسية والرّوحية، فمثلاً السِّحر ومسّ الشيطان والصرع و ... الخ.

وإنْ كُنّا لا نريد الخوض فيها تفصيلاص لأنّها ليست محل بحثنا وَإِنّها نذكرها استطراداً وبوجازة والتفصيل موكول إلى محلّه المُناسِب وأنّ أحد العلاجات الناجحة لمُعالجة هكذا أمراض روحيّة ونفسيّة هُو إقلاع المصاب عَنْ تلك المعاصي الَّتِي ارتكبها وإنْ كَانَ الإنسان مُبتلى بمعاصي كثيرة، ولا يدري كيف يشخِّص المعصية الَّتِي بسببها ابتلى بِهَذَا المرض، فَإِنَّ مثل هَذَا يجتاج إلى عناية الله وتوفيقه فِي تشخيصها لِأنَّ الله تَعَالَى أخفى غضبه فِي معصيته ولا ندري أيّ معصية تُغْضِب الله تَعَالَى أخفى

قاعدة الشورى قاعدة فقهيت وسياسيت وعقائديت

معنى الشورى في أسباب النزول الملفقة:

حاول المُلفِّقون لأسباب النَّزول إعطاء الشورى مَعْنَى عقائدي وقواعدي فِي الفِقْه السياسي عَلَى غَيْر ما يريده القُرآن وَغَيْر ما تُريدة مدرسة أهل البيت المِيَّلِيُّ (١).

⁽١) ذكر الشَّيخ محمد السَّند في كتابه الإمامة الإلهية: ج١، ص١١ في المبحث الثاني والثالث كلاماً مُفصلاً حول النّظريات في إدارة شؤون الحكم ودور الشّورى فيها_فراجع.

١٨٨.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ولاية الشورى بنظر أسباب النزول المحرفة

فوق الوحي الإلهي وفوق ولاية الرسول عَلَيْظُ:

وَهَذَا معناه أَنّهُ يُعطي مدلولاً التزامياً خطيراً للشّورى عندهم ألا وهُو جعل ولاية الشّورى فوق ولاية الوحي الإلهي وفوق ولاية الرسول عَلَيْ وإنّ الشّورى مُلزمة للرسول فضلاً عَنْ أنّ الحاكم غَيْر رسول الله عَلَيْ وَهَذَا ما سطّروه في كتب أصول الفِقْه وكُتب مُتكلميهم - العامّة - وعَلَيْهِ فأين هُمْ مِنْ ولاية الرسول عَلَيْ ﴿ وَمُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ ﴾ (١) فهل يا تُرى أنّ ولاية الرسول عَلَيْ خُتصة ومُنحصرة بتبليغ الوحي، وَهُناك فهل يا تُرى أنّ ولاية الرسول عَلَيْ خُتصة ومُنحصرة بتبليغ الوحي، وَهُناك فقط معصوم وما عداه في مثل شؤون التّدبير والإدارة و ... الخ، فليسَ بمعصوم وَلَيْسَ لَهُ ولاية - والعياذ بالله مِنْ هَذَا المقال - هكذا زعموا، فانظر إلى تسلسل التداعيات الباطلة المُتربّة عَلَى تلفيق أسباب النّزول إلّا الصحيح والحقيقة غَيْر ما ذُكِر فِي أسباب النّزول الله قَق وَذَلِكَ ببيان.

الأول: إنَّ الصَّحيح كَانَ عَلَى أنَّ رأي رسول الله عَلَى الخروج خارج المدينة لمقاتلة المُشركين وكفّار قريش وعتاتها، وَلَيْسَ رأي رسول الله عَلَى البقاء والمكث بالمدينة، وَهَذَا معناه أنَّ رأي الأكثرية كَانَ مُطابقاً لرأي رسول الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى

⁽١) سورة النور: الآية ٥٤.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

وَهَذَا معناه أَنَّ رسول الله ﷺ هُوَ الذي أعدَّ وهيَّا الأرضية المُناسبة لتوعية الأكثرية لرأي الرسول ﷺ وتفاعلت معه، وَهَذَا مما يُدلِّل تأثير رأي القائد في قاعدته وتفاعلهم معه.

الثاني: استجابة وتفاعل الأكثريّة مَعَ رأي رسول اللهُ عَلَى الخروج خارج المدينة يُدلِّل عَلَى عدم تأثُّر الرسولﷺ برأي الأكثرية وبقائه ﷺ مُتمسكاً برايه لا مِنْ باب التعصُّب والاستبداد بالرأي كلا، وَإِنَّمَا كَانَ رسول الله ﷺ أعرف النَّاس بمواضع المصلحة مِنْ رأي الأكثريَّة؛ ولذا كم وكم مِنْ المواقف الَّتِي واجهها رسول اللهَ عَيَّالِلَّهُ فِي حياته وَكَانَتْ الأكثرية مخالفة، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ ولن يتأثّر ولن يتراجع الرسولﷺ عَنْ رأيه، فمثلاً فِي بدر، أيضاً كَانَ بَعْض الصّحابة يقول لرسول اللهَ عَيَّاللهُ أَترك منازلة قريش فَإنَّ قريشاً معروفةٌ بخُيلائها ومكرها وَأنَّها ما ذلَّتْ مُذْ أَنْ عَزَّت و ... الخ وأيَّده الأكثر؛ إلَّا ان رسول الله عَيَّا إللهُ لَم يصغ لمثل هَذَا الكلام وَلَم يتأثَّر به طرفة عين أبداً، وَإِلَّا فَإِنَّ رسول اللهَ عَلَيْ لِللَّهُ يعلم بالحقيقة؛ ولذا فَإِنَّ القُرآن يُبيِّن لنا مثلاً في بَعْض معارك الرسول عَلَيْكُ الجنبة الأخلاقية والتربويّة مِنْ القائد إلى القَاعِدَة ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوَكُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكّ فَأَعَفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَمُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾(١).

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

.١٩...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

الله عَيَّالِيُهُ إذْ لو كُنْت فض القلب وخشن الأخلاق معهم لتفرّقوا مِنْ حولك؛ لِأنَّ «آل الرياسة سعة الصَّدر»(١) لا ضيقه.

ثمَّ إنَّهُ وَرَدَ فِي الآية الْمُبَارَكَة ﴿وَشَاوِرْهُمْ ﴾ وفيها أكثر مِنْ وجه:

وَبَعْدَ اتّضاح هَذَا فكيف يُحّكَم راي الأكثرية حسب أسباب النَّزول لدى العامّة؟ إلَّا اللَّهُمَّ نقول أنَّ الشّورى لها مَعْنَى آخر، وَهُوَ أنَّ المعنى الذي اتّخذته مدرسة أهل البيت المَهِلِيَّ بمعنى تمحيص الرأي والتنقيب عَنْ الحقيقة والواقعيّة الذي هُوَ شعار الحضارة الحديثة، وَلَيْسَ مقصودنا مِنْ الحضارة الحديث مِنْ حضارة التكنلوجيا الحضارة الحديث مِنْ حضارة التكنلوجيا وحضارة العالم النووي أو البايلوجي أو الالكتروني وَإنَّما المقصود هُوَ حضارة الاتصالات والارتباطات أيّ حضارة ثورة المعلومات.

⁽١) تحف العقول: ٢٢٤.

⁽٢) سورة الأنعام: الآية ٣٧.

⁽٣) سورة المائدة: الآية ١٠٧.

⁽٤) سورة البقرة: الآية ١٠٠.

هُنَاك ضابط قَدْ بيّنته روايات أهل البيت الكِلْظِ: «عَنْ الحسين بن يزيد النوفلي، عَنْ علي بن سيف رفعه، قَالَ: سُئِلَ أُمير المؤمنين اللِلهِ مَنْ أعلم النَّاس؛ قَالَ: مَنْ جَمَع علم النَّاس إلى علمه "()، «وإنَّ أعقل النَّاس مَنْ جمع عقل النَّاس إلى عقله "().

بتقريب: أنَّ مَنْ عنده تحقيق وتتبع واقعي فِي بناء مراكز الدّراسات ومراكز الاستشاريات ومراكز التحقيق والتنقيب العلمي مَعَ غضّ النَّظر عَنْ كونه أكثريّة أو أقليّة، وسواء كَانَ مِنْ نخبة واحدة أو مِنْ نخب النخب، والنخب هِيَ الأُخْرَى عَلَى درجات فِي التنقيب عَنْ الحقيقة والواقع.

الوجه الثاني: وأمَّا إذَا فُسِّرت لفظة «وشاورهم» الواردة في الآية المُبَارَكة هِيَ فِي سياق عناية ورعاية القائد والقيادة للقاعدة لا العكس [بأنْ تكون: _ القيادة مقودة ومنصاعة للقاعدة].

وفي هَذَا مطلب تربوي وأخلاقي، كَمَا ينقل الشَّيْخ الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان عَنْ الشَّيْخ المفيد الله فوائد في تفسير الآية الْمُبَارَكَة ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْمُعَرِبِ اللّهِ الْمُبَارِكَة ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَكْثِرِيّة، وَإِنَّمَا أمر رسول اللّهُ عَلَيْهُ بمشاوَرَة أصحابه هُوَ لأجل أنْ يمتحن مَنْ كَانَ حوله مِنْ أفراد الله عَلَيْهُ بمشاوَرَة أصحابه هُوَ لأجل أنْ يمتحن مَنْ كَانَ حوله مِنْ أفراد

⁽١) المحاسن لأحمد بن مُحمَّد بن خالد البرقي: ج١، ص٠٣٠.

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

١٩٢ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

الصّحابة، ويُبْصر أصحابه عَلَيْ الَّذِيْنَ حوله مَنْ كَانَ فيهم ضعيف الهمّة وَمَنْ كَانَ قويّها، وتفعيل مشاركتهم في تحمُّل المسؤولية العامّة.

ثمَّ قالت الآية ﴿ فَإِذَا عَنَهُتَ فَتَوَكَّلُ ﴾ (١) ، بتقريب: أيّ إذَا عزمت أنّت يا رسول الله عَلَيْ وَلَيْسَ عزيمة الأكثرية، وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ الْمُوَاد عزموا عليك يا رسول الله _ والعياذ بالله _ وَأَنَّكُ مُلْزَم برأي الأكثرية، وَأَنَّهُ صار عَلَيْ الله المقاعدة وَهُمْ الأكثرية فتكون القاعدة هُمْ المتبوعون، وَعَلَى هَذَا يَكُون المناسِب فِي تعبير الآية [فإذا عزموا عليك فاتبعهم] بينها جاء التعبير القرآني بالعكس ﴿ فَإِذَا عَزَمُوا عليك فاتبعهم] بينها جاء التعبير القرآني بالعكس ﴿ فَإِذَا عَزَمُت ﴾ أيّ أنّت يا رسول الله إذَا عزمت والعَزم بيدك، وَهَذَا هُو مَعْنَى الشّورى الذي أسسته مدرسة أهل البيت المَيْ وأنَّ الذي يُصَمِم ويَعْزِم هُو مَنْ أوتي سَدَّة الحاكميّة والولاية بكفاءة، وَلَهُ أَنْ يُمحّص ويُدقّق الآراء بكفاءة علميّة وَيَكُون هَذَا فاضلاً وَلَيْسَ بمفضول.

ثمَّ قالت الآية ﴿فَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أيِّ حَتَّى لو خالفوك وعصوك وتردوا عليك يا رسول الله ﷺ فظهيرك وتوكلك عَلَى الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ اللهِ ا

ثمَّ قالت الآية: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأُسْتَغْفِرْ لَكُمْ ﴿ " ".

بتقريب: إذَا كَانَ هُنَاك أمر مِنْ الله إلى المربي والهادي الأوَّل وَهُوَ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

رايها مُلازم للصواب، بَلْ فِي أكثره مُجانب للحقيقة وللصواب بدليل أنَّ القُرآن الكريم وصف حال الأكثريَّة بقوله ﴿ أَكُثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّاكُثُرِيّة بقوله ﴿ أَكُثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّاكُثُرِيّة بقوله ﴿ أَكُثُرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) و

﴿ أَكُرُكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) و ﴿ وَأَكْثُرُهُمْ لَا يَمْقِلُونَ ﴾ (٣).

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ القُرآن يصف الأكثرية بهكذا وصف، وَمِنْ جهة أُخْرَى يحثّ عَلَى نظريّة ومبدأ الشّورى، فلو نتهاشى مَعَ أسباب النُّرول المُحَرَّفة والمُلفَّقة لأصبح هُنَاك تدافع بين وصف القُرآن للأكثرية وبين ما يُريده القُرآن مِنْ مَعْنَى الشّورى حَتّى فِي آية الشورى فَإِنَّ القُرآن يُفنَد راي الأكثرية إذَا كَانَ مَعْنَى الشُّورى هُوَ رأي الأكثريَّة حسب ما تدّعيه أسباب النُّزول المُحَرَّفة بقوله تَعَالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمُ ﴾ (١) أيّ استغفر للأكثرية لأنها النُّرول المُحَرَّفة بقوله تَعَالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمُ ﴾ (١) أيّ استغفر للأكثرية لأنها عَلى خطأ.

⁽١) سورة الأنعام: الآية ٣٧.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ١٠٠.

⁽٣) سورة المائدة: الآية ١٠٤.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

١٩٤......قسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث وَعَلَيْهِ فكيف تحكّمون رأي الأكثريّة ﴿ مَا لَكُرْكَيْفَ تَعَكَّمُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ (١).

وبالتالي فَإِنَّ هَذِهِ الآية الْمُبَارَكَة تدحض مَعْنَى الشّورى الخاطئ الذي فسّرته مدرسة العامّة، وكذلك تدحض روايات أسباب النُّزول الْمُلفَّقة.

القرآن يصف رأي الرسول المُنْ بالفتح المبين:

إِنَّ الفتح: هُوَ ظَفَرٌ طويل الأمد، والنصر: ظفر قصير الأمد ومؤقت.

⁽١) سورة يونس: الآية ٣٥.

⁽٢) سورة الفتح: الآية ١.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

ولذا وصف القُرآن صلح النّبِي عَلَيْ الذي عقده في الحديبية كَانَ فتحاً مبيناً لِإِنّهُ ببركة هَذَا الصّلح مِنْ آثاره أنّ قريشاً اعترفت بدين الإسلام وركّزتْ لَبنات الإسلام الأساسيّة، وأنّ شجرة الإسلام زُرعت في أرض الجزيرة العربيّة وأنّ ما كَانَتْ تُدين به قُريش لَيْسَ ديناً بَعْدَ ما اعترفت بدين الإسلام، وَعَلَيْهِ فصار دين الإسلام أمرٌ واقعي حقيقي، وَهَذَا فتحٌ مُبين.

القرآن يحث على حصر الأمر في القائد والقيادة:

المعصومة في جانب تمحيص الرأي لاتخاذ القرار:

الوجه الرابع: قوله تَعَالَى: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوَ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرِمِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِثُمُ وَلَئِكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَنَ ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ رسول الله عَلَيْ له كَانَ يُطيع راي الأكثريّة المُخالفة لَهُ فِي حياته السياسيّة والعسكريّة والتدبيريّة لوقعتم فِي المشقّة والحرج والخطأ؛ ولذا لَمْ ينصاع إليهم رسول الله عَلَيْ ﴿ وَلَكِنَ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ ﴾ باتباع رسول الله عَلَيْهِ لو كَانَ المُحّكم فِي الساحة هُوَ رأي الأكثرية، فلهاذا يصف القُرآن بأنَّ مَنْ يخالف رسول الله عَلَيْهُ يقع فِي المشقّة والحرج والخطأ؟ ولماذا يحتهم القُرآن عَلَى اتباع رأي رسول الله عَلَيْهُ؟

وَهَذَا يُستفاد مِنْهُ حصر الأمر فِي القائد والقيادة المعصومة فِي جانب تمحيص الرأي لاتخاذ القرار وأهميّة رأي نُخب النُّخب الَّتِي لديها رؤية كافية حول الموضوع؛ ولذا لَمْ تُعْطَ الأكثريّة حقّ المشاركة فِي الإرادة والعزم

⁽١) سورة الحجرات: الآية ٧.

197......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث على الامور، نعم لا بأس بمشاركة الأكثريّة في الجانب العملي وجانب مُراقبة المسؤول.

كَمَا فِي آية الشَّورى وقوله تَعَالَى ﴿ وَإِن تُطِعِّ أَكُثَرَ مَن فِ ٱلْأَرْضِ يُضِ لُّوكَ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمِّمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿ اللَّ ﴾ (١).

وكقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنَبِعُ أَكُثَرُهُمْ إِلَّا ظَنَّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (اللَّهُ ﴿ ١٠٠ .

وكقوله تَعَالَى: ﴿ فَأَقِدْ وَجُهَكَ لِللِّينِ حَنِيفَا فِطْرَتَ اللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ ٱللِّيثُ ٱلْقَيِّدُ وَلَاكِنَ أَكْتَكَ اللَّهَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّاللَّا اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

وكقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ... ﴾ (١).

القرآن يذم التنازع

ولا ينهى عن التعدد في الآراء والأنظار:

الوجه الخامس: قوله تَعَالَى: ﴿ وَأَعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَعَرَّقُواْ ...﴾ (٥)، وقوله فِي آيات واقعة بدر ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا

⁽١) سورة الأنعام: الآية ١١٦.

⁽٢) سورة يونس: الآية ٣٦.

⁽٣) سورة الرُّوم: الآية ٣٠.

⁽٤) سورة المائدة: الآية ٥٥.

⁽٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

بتقريب: أنَّ القُرآن دائهاً يدعوى إلى تعدُّد الرُؤى والأنظار وينهى عَنْ التنازع والتناحر والتنازع غَيْر تعدّد وجهات النظر.

فَإِنَّ التّنازع معناه وجود مُصادمات سواء عَلَى صعيد المُجتمع أو عَلَى صعيد الأُسرة أو عَلَى صعيد الأُسرة أو عَلَى صعيد مجموعة أصدقاء، فَهَذَا الالتحام والمصارعة والمجابهة هِيَ تنازع ذمّة القُرآن بخلاف تعدُّد وجهات النظر فَإِنَّهُ غَيْر مذموم ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَسَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ ﴿ أَيِّ يَتّبعون مُطلق مندموم ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَسَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ ﴿ أَيِّ يَتّبعون مُطلق جنس القول، بَلْ بالعكس تعدّد وجهات النظر هُوَ مبدأ الشّورى الذي هُوَ مبدأ قرآني إسلامي فَإِنَّ مبدأ الشّورى فِي القُرآن يرتكز عَلَى تعدّد وجهات النظر.

مبدأ الشورى في القرآن يرتكز على تعدد وجهات النظر:

إنَّ مبدأ الشَّورى فِي القُرآن عَلَى تفسير مدرسة أهل البيت المَّكِمُ عبارة عَنْ انفتاح الإنسان أو انفتاح الحاكم عَلَى وجهات نظر مُخْتَلِفَة كي يستقرئ المعلومة الصائبة والسديدة.

وَهَذَا المعنى ما أكّدته روايات أهل البيت الكِلا: «ما حَارَ مَنْ استخار ولا نَدِم مَنْ استشار».

بتقريب: إنَّ انفتاح الإنسان عَلَى آراء ومعلومات الآخرين فيه تكامل

⁽¹⁾ سورة الأنفال: الآية ٤٦.

⁽٢) سورة الزمر: الآية ١٨.

⁽٣) تحف العقول عَنْ آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحرّاني: ص٧٠٧.

١٩٨....... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

ولا مانع مِنْهُ وفيه تلاقح للآراء وتكامل للرُّؤى، بخلاف التّنازع والاشتباك فَإِنَّ التعادي والعدوان مذمومٌ بين بَعْض الفئات وبين البعض الآخر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نتيجة التَّنازع هُوَ الإخفاق والضعف وعدم الوصول إلى الغايات والنتائج المرجوّة.

أحد مناشيء النزاع هو تعدد وجهات النظر:

إِنَّ مبدأ تعدّد وجهات النظر لا ينهى عَنْهُ القُرآن، بَلْ نظرتُه إليه بكُلِّ شفافيّة وحياديّة وعدم تعصب، وَهَذَا لَيْسَ فيه شيء لِإِنَّهُ يُعَبِّر عَنْ وجهة نظر صاحبه ما لَمْ تكن مخالفة للثوابت القُرآنية والشّريعة الإسّلاميَّة ومُرتكزات العُقلاء، وَإِنَّهَا ينهى القُرآن ويذم النّزاع الذي قَدْ يتولّد مِنْ الإصرار عَلَى وجهات النظر.

ولذا فَإِنَّ مبدأ الشَّورى حسب تفسير مدرسة أهل البيت المَّكِرُّ تعني الشَّفافية والحياديّة وَمِنْ دون تعصب وَمِنْ دون النظر إلى قضية الأكثريّة والأقليّة هِيَ تحكيم الإرادة، وصراع الإرادات دائماً مآلها إلى الفشل والتعطيل والضعف.

بخلاف الحوار بلا تعصّب فَإِنَّهُ يقود إلى الوحدة والقوّة؛ لذا هُنَاك فرق جوهري وسنخي فِي مَعْنَى الشّورى عِنْدَ مدرسة أهل البيت المَيِّ عَنْهُ فِي المدارس الأُخْرَى كمدرسة أو نهج العامّة _ فَإِنَّ مبدأ الشّورى عِنْدَ العامّة لسانه تحكيم القوَّة والسيف والقدرة والبطش لِـمَنْ يُبايع و ... الخ، وَهَذَا ما حَذَرت مِنْهُ الآية المُبَارَكَة: ﴿ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْشَلُوا ما حَذَرت مِنْهُ الآية المُبَارَكَة: ﴿ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْشَلُوا

وقوله تَعَالَى: ﴿ فَذَكِرُ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِرٌ إِنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿ اللَّهُ مَنِ اللَّهِ مَنِ النَّاسِ باختلاف فَهَذِهِ طبيعة علاقة الرسول عَلَيْ وأمير المؤمنين اللَّهِ مَعَ النَّاسِ باختلاف مذاهبهم سواء المسلمين أو غيرهم هِيَ علاقة ذكر وتذكير ولين، لا علاقة تهديد وإرهاب وبطش ورشوة وإغراء وحمل للدُّرّة الَّتِي كَانَ يحملها بَعْض عَديد وإرهاب وبطش ورشوة وإغراء وحمل للدُّرّة الَّتِي كَانَ يحملها بَعْض عِلْيَة صحابة الرسول عَلَيْ أَيام خلافته يضرب بها النَّاس: ﴿ فَيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لاَنفَضُواْ مِنْ حَوْلِكُ ﴾ (٤).

⁽١) سورة الإنفال: الآية ٤٦.

⁽٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

⁽٣) سورة الغاشية: الآية ٢٢.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٢٠٠ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَنَزَعُواْ فَنَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (١).

فَهَذَا هُوَ مبدأ الشّورى فِي رؤية مدرسة أهل البيت البَيْ وكيف تُرسِّخ الله الرياسة الَّتِي هِيَ سعة الصدر، بمعنى أنَّهُ لابُدَّ للمسؤول والحاكم أن يفتح قلبه وذهنه أمام آراء الآخرين بلا لجاج وتعصّب بَلْ بحياديّة بخلاف مبدأ الشّورى عِنْدَ الطرف الآخر الذي مبدأهم تحكم صراع الإرادات وفرض قوّة وإرغام، وبالتالي الإكراه والقوّة لا تدوم، بَلْ وَحَتّى الهدف العسكري للدولة الإسلاميّة والحاكم الإسلامي لَيْسَ هُوَ الطغيان والغطرسة وإرعاب وإرهاب الآخرين، كَمَا يصف القُرآن الكريم جبابرة قريش الكافرة عِنْدَمَا خرجوا مِنْ مَكَّة مُتجبّرين متعنتين متغطرسين يردّدون كلمات طغيان وتكبّر ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِينَ هِم بَطَرًا وَرَعَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُونَ عَنسَدِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يِمَايَعْ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهِ وَاللَّهُ يَمايَعْ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يَمايَعْ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهَ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَمايَعْ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَمايَعْ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ يَمايَعْ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يُعالِعُ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يُعالَعُ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يَعَالَعُ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ يَعَالَعُ مَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يَعْمَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يَعْمَلُونَ مُحِيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ يُعَالَعُ مَلُونَ مُحَيطًا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْهُ اللَّهُ وَاللَهُ وَاللَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

فَإنَّ الوسط الإعلامي والدَّعاية الإعلاميّة لها دورها المُؤثِّر، وَلَيْسَ غرضهم إقامة العدل وطريق الله.

الوجه الساحس: إذَا كَانَ رأي الأكثرية هُوَ المُحَكَّم بحسب ما تذكره أسباب النُّزول المُحرَّفة فكيف يُفسّرون قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (٣) بإلزام الْنَبِي عَلِيلًا مِ أيّ القائد _ برأي القاعدة علماً أنَّ القُرآن يصف الْنَبِي

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

⁽٣) سورة آل عمران: لاآية ١٥٩.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية أنَّ العصمة الأكرم عَيِّلُمُ: ﴿ مَا ضَلَ صَاحِبُكُو وَمَا غَوَىٰ أَنَ ﴾ (١) بتقريب: أنَّ العصمة والتدبير في هَذِهِ الآية المُبَارَكَة وغيرها مُنحصرة بالنبي عَلِيُّ _ أيّ بالقائد _ لا بالقاعدة وَهِيَ الأكثريّة، وَهَذَا شاهدٌ عَلَى عكس المفهوم المقلوب للشّورى الله في أسباب النُّول المُلفَّقة.

وهكذا قوله تَعَالَى الآخر فِي الرّجوع إلى الْنَّبِي ﷺ: ﴿ وَإِذَا جَآءَ هُمَّ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ۚ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٓ أُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنَا بِطُونَهُ مِنْهُمٌ ﴾ (٢).

بتقريب: إنَّهُ إذَا جاءهم أمر مرتبط بالوضع العام السّياسي أو العسكري أو الأمني سواء الأمن الاقتصادي أو الأمن الأخلاقي أو الأمن السياسي أو الأمن الاجتهاعي أو ... الخ أو ما يرتبط بالخوف سواء الخوف الأمني أو الخوف الأخلاقي أو الخوف الاقتصادي أو الخوف العسكري أو الخوف الفكري أو ... الخ، فَإِنَّ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حقّ الحد أنْ يتفوّه بتفسيره أو تأويله أو يُروِّج لَهُ أو يُذيعه إلَّا عَنْ طريق مَنْ وصفهم القُرآن بالمُطهّرين ﴿ لَا يَمَسُهُ وَ إِلّا المُطهّرُونَ ﴿ اللهُ اللهُ

والخلاصة: أنَّ مبدأ الشُّوري الذي يدعو إليه القُرآن الكريم لا مبدأ

⁽١) سورة النجم: الآية ٢.

⁽٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

⁽٣) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٤) سورة النساء: الآية ٨٣.

٢٠٢......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

الأكثريّة وتحكيم عموم النَّاس، وَكَهَا ينبغي الالتفات إلى التفكيك والتفرقة بين تحكيم الأكثريّة وعموم النَّاس وَالأُمَّة وبين منظومة حقوق الأكثريّة، وَهُنَا لابُدَّ مِنْ التّمييز بينهها وأنَّ الأكثريّة لها حقّ غَيْر حقّ الأقليّة أو حقّ عامّة النَّاس، وهكذا غَيْر تحمّل عامّة النَّاس مسؤوليتهم في الرقابة، فَإنَّ لِكُلِّ واحد مِنْ هَذِهِ وغيرها هُوَ مطلب وحقٌ مستقل برأسه، وَإنَّها بحثنا في استصواب الرأي، ومثل هَذَا لا يعتمد عَلَى قِلَّة أو كثرة وَإنَّها يعتمد عَلَى قِلَة أو كثرة وَإنَّها يعتمد عَلَى كيفية دراسة آليات الإحاطة بالواقع.

وَعَلَيْهِ فقوله تَعَالَى: ﴿ فَأَعَفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ صريحٌ فِي دحض روايات أسباب النُّزول الَّتِي لُفَّقت عَلَى رسول الله عَلَيْ فَ وَاللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَنْدَ رأي وَأَنَّهُ عَلَيْهُ اللهُ عَنْدَ رأي الأكثرية مَعَ أَنَّهُ عَلَيْهُ يعلم بأنَّ رأي الأكثرية فاسدٌ وكاسِدٌ وحاشا رسول الله عَلَيْهُ مِنْ ذَلِكَ.

الوجه السابع: قوله تَعَالَى: ﴿ فَقَائِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكُ ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ الْنَبِيَ ﷺ مأمورٌ بتنفيذ برنامج إلهي يقوم به ولو منفرداً في حالة مخالفة عموم الأكثريّة وَالأُمَّة الإسّلاميَّة، وَعَلَيْهِ فأين تحكيم رأي الأكثريّة؟

وَقَدْ واجه الْنَبِيَ عَيَالِلَهُ فِي حروبه وغزواته مواقف عديدة، فمثلاً فِي غزوة الأحزاب أكثر صحابة الرسول عَيَالِلهُ أشاروا عَلَيْهِ عَيَالِلهُ بشيء، بينها مثل

⁽١) سورة النساء: الآية ٨٤.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

الصحابي الجليل سلمان المحمدي قَالَ برأي آخر غَيْر رأي الأكثر للنبي عَلَيْكُ مَعَ أَنَّ سلمان في مِنْ الأقليّة، وأخذ الْنَبِي عَلَيْكُ برأيه ومشورته، علماً أَنَّ النَّبِي عَلَيْكُ غَيْر محتاج إلى الرأي ولا يعير أهميّة ممثل هَذِهِ الأُمُور إلَّا أَنَّ الْنَبِي عَلَيْكُ أَراد أَنْ يُبِيِّنَ أَنَّ الحَري والأحق اتباعه والأخذ به هُوَ الصّواب السَّائب لا الرأي الفاسد ولو كَانَ رأي الأكثريّة.

الوجه الثامن: قوله تَعَالَى: ﴿إِن يَنصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَنصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِن يَغُذُلُكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِن البَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ اللَّهُ ﴿(١).

بتقريب: إنَّ منطق القُرآن الكريم في بيان المواجهة العسكريّة والحربيّة والسياسيّة و ... الخ يُؤكِّد عَلَى مبدأ مهم جداً ألا وَهُو مبدأ الارتباط الرّوحي بالله تَعَالَى لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين، فمنطق القُرآن هُو التوكُّل عَلَى الله لا التواكل عَلَى الله، فَإنَّ مَعْنَى التواكل عَلَى الله هُو ترك الأسباب المادّية وَالقُرآن الكريم يُؤكِّد وبإصرار عَلَى عدم ترك الأسباب المادّية ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَّا اَسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ثُرِّهِ بُونَ المادّيّة ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَّا اَسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ثُرِهِ بُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّ كُمْ ... ﴿(*) وفي نفس الوقت يُوصي القُرآن الكريم بعدم الاغترار بالأسباب المادّية والتغافل عَنْ التوكُّل عَلَى الله تَعَالَى فَإنَّ بعدم الاغترار بالأسباب المادّية والتغافل عَنْ التوكُّل عَلَى الله تَعَالَى فَإنَّ الارتباط الرُّوحي مَعَ الله مَما لابُدَّ مِنْهُ وَأَنَّهُ مِها كَانَ عندكم مِنْ قوّة وعِدَّة وعدد فَلَيْسَ هُوَ سبب النّصر، وَإِنَّا سبب النّصر الذي يُبيّنه القُرآن الكريم وعدد فَلَيْسَ هُوَ سبب النّصر، وَإِنَّا سبب النّصر الذي يُبيّنه القُرآن الكريم

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

شيء آخر ﴿ وَيُومَ حُنَيْنِ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَكُمْ تُعْنِ عَنكُمْ شَيُّكًا ﴾(١) تَقَدَّمَ سابقاً _ أنَّهُ فِي تقرير بَعْض مراكز الدراسات الدوليّة حول الحرب العسكريّة والحرب السياسيّة، يعترف الباحثون والمُتخصّصون بأنَّ ما يقرب مِنْ الـ ٨٠٪ مِنْ الحرب العسكريّة والسياسيّة هِيَ حربٌ نفسيةٌ أَىّ حربٌ روحيّة قبل أنْ تكون حرب مادّيّة، فبقدر ما عندك مِنْ يقين وثبات عَلَى المبدأ يَكُون انتصارك بقدره، ولا يستطيع العدو أنْ يُزلزل ذَلِكَ اليقين الرَّاسخ عَلَى المبدأ، فالمُسلم يتوكَّل عَلَى الله ويتسلَّح بقوَّة معرفته بالله، وَهَذَا بِحدٌ نفسه يصلح أنْ يَكُون بُرهاناً عَلَى ضرورة الإمامة والعصمة، فَإِنَّ الصحابي الممدوح لابُدَّ وأنْ يتمتع بعلوّ معرفته بالله تَعَالَى وعلوّ إيهانه وصدقه وإخلاصه ونبله وطهارته وشجاعته، فَإنَّ الجبان يَكُون ضعيفاً ولا يمتلك قُوَّة إيهان تؤهله إلى أنْ يَكُون بمرتبة صحابي لرسول اللهُ عَيَّا اللهُ عَلَّا اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُواللهُ اللهُ عَلَيْكُمْ اللهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُوا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلِيهُ عَلَيْكُمُ عَلَّا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلِي عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلِيْكُمُ عَلَّا عَلَيْكُمُ عَلَّا عَلَّا عَلَ غَيْر المؤمن يَكُون فرّاراً خائفاً هابط الإيهان فكيف يصبح رائداً وقائداً ومؤتمناً عَلَى قيادات الأُمَّة وَالدِّين؟

فَإِنَّ أَدنى زَلْزَلَةً وهِزَّة تهزَّه يسقط ما بيده مِنْ الأمر، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى تفسير الشَّجاعة بلغة روحيّة إيهانيّة لا بدنيّة مادّيّة، وَهَذَا ما أكَّدته سورة هود ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةِمِن لِقَاآبِهِ أَوَجَعَلْنَكُ هُدًى لِبَنِيّ إِسْرَهِ بِلَ ﴿نَا ﴾ (٢).

الوجه التاسع: قوله تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضُونَ ٱللَّهِ كُمَنُ بَآءَ بِسَخَطٍ

⁽١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

⁽٢) سورة هو دالآبة ١٧.

بتقريب: إنَّ وجود رسول اللهُ عَلِيلًا وبعثته هِيَ مِنَّه عُظمى مِنْ الله تَعَالَى عَلَى اللهُ تَعَالَى اللهُ مَعَلَى المؤمنين، وَهَذَا المعنى قريب أو شبيه مما تَقَدَّمَ مِنْ قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱعْلَمُوا اللهُ عَلَى المؤمنين، وَهَذَا المعنى قريب أو شبيه مما تَقَدَّمَ مِنْ قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱعْلَمُوا اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى الله

فَإِنَّ هَذَا يدحض دعوى مبدأ الشّورى بالمعنى المقلوب في أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي المدارس الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت المَّكِ وَعَلَيْهِ فَمُراد السَّورى فِي مدرسة أهل البيت كَمَا تَقَدَّمَ لَيْسَ هُوَ رأي الأكثريّة عَلَى حساب نخبة النُّخب سيّما إذا كَانَتْ النُّخبة البهيّة تلك النُّخبة الَّتِي اصُطفيت مِنْ الله تعَالَى، مُضَافاً إلى أنَّ الآية ذكرت أنَّ مجموع الأُمَّة برُمّتها مُحتاجة إلى تزكية سيد الأنبياء عَلَيْهِ فكيف يكون سيد الأنبياء مُلزم وتابع للأكثرية حسب ما صوّرته أسباب النُّزول المُحرَّفة والمُلفَّقة، بَلْ عَلَى العكس كَانَ الرسول عَلَيْهِ هُوَ المتبوع وَالأُمَّة والأكثريّة هِيَ التّابعة لَهُ عَلَيْهِ.

ثمَّ ذكرت الآية المُبَارَكَة إنَّ أحد أهم وظائف الْنَّبِيَّ عَلَيْلًا كحاكم وداعية سهاوي إلى النَّاس عَلَى مختلف الأصعدة والنُّظم سواء نظام أو عالم الدِّين أو

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٢.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

⁽٣) سورة الحجرات: الآية ٧.

٢٠٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

المرجعية أو أيّ موقع مِنْ مواقع تحمُّل المسؤولية الأولى ألا وَهِيَ التّربية والتعليم ﴿يَتَـ لُواْعَلَيْهِمْ ءَايَنِهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

فَإِنَّ هَذَا خطابٌ موجّه لربِّ الأُسرة سواء كَانَ عَلَى مستوى الأُسرة العائلية الصغيرة أو عَلَى مستوى الأُسرة الكبيرة أيّ أسرة المجتمع، ثمَّ بَعْدَ التّعليم التّعليم الكتاب والحكمة وَهَذَا التّعليم (وَيُعَلِمُهُمُ الْكِنْبَ وَالْحِكمة وَهَذَا التّعليم الأوَّل فَإِنَّ الْكِنْبَ وَالْحِكمة فيها اللَّوَّل التّعليم الوَّل أُسري ومجتمعي و ... الخ، وتعليم الكتاب غَيْر تعليم الحكمة ... الخ، وتعليم الكتاب غَيْر تعليم الحكمة.

ويتلقص مِنْ هَذَا أَنَّ هُنَاك مراحل استراتيجية أربعة يرسمها لنا القُرآن الكريم: _

المرحلة الأولى: تعليم عام مُبسط.

المرحلة الثانية: تربية.

المرحلة الثالثة: تعليم كلي أعمق مِنْ السابق.

⁽١) سورة الجمعة: الآبة ٢.

⁽٢) سورة التحريم: الآية ٦.

⁽٣) سورة الجمعة: الآبة ٢.

وَقَدْ كرر القُرآن الكريم هَذِهِ المراحل فِي عِدَّة مواضع مِنْ القُرآن مِنْهَا سورة البقرة وَمِنْهَا فِي سورة الجمعة وغيرها.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مسؤولية الْنَبِي عَلَيْ الاستراتيجية فِي هَذِهِ المراحل الأربعة فِي الحضارة الإلهية لها دورها الرئيسي لكي ينعم المسلمون بالكمال والسعادة في ظل تربية المعلم الإلهي رسول الله عَلَيْهُ، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ أحد مقامات الْنَبِي عَلَيْ أَنَّهُ مُربي ومُعلم بتعليم خفيف وابتدائي ثمَّ بتعليم أعمق ثمَّ سائس ومُدبِّر، وَهَذِهِ هِيَ اصطلاحات القُرآن فِي وصف مقامات الْنَبِي عَلَيْ اللهُ.

وَعَلَيْهِ وَبَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الأوصاف فِي القُرآن لمقامات الْنَّبِي عَلَيْهُ كيف يَكُون محكوماً مِنْ قبل الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النَّزول المُلفَّقة، بَلْ بالعكس فَإِنَّ الرسول عَلَي الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة، بَلْ بالعكس فَإِنَّ الرسول عَلَي الأُمَّة والأكثرية حسب منطق القُرآن هُوَ الحاكم عَلَى الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النُّزول المُصحيحة، القُرآن هُوَ الحاكم عَلَى الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النُّزول الصحيحة، وفي هَذَا دحضٌ لأسباب النُّزول المُلفَّقة فِي مَعْنَى الشورى المقلوبة.

الوجه العاشر: قوله تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَكَبَتَكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبَتُم مِثْلَيْهَا قُلْنَهُا وَلَمَّا أَصَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدٌ ﴿ اللَّهُ ﴾ (١).

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآية صريحة جداً وواضحة فِي دحض أسباب

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.

٢٠٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث النُّزول المزعومة سبب هزيمة المسلمين في وسط معركة أُحُد هُوَ انصياع الْنَبِيِّ عَلَيْهُ لرأي الأكثريّة، وخرج عَلَيْهُ لقتال المُشركين خارج المدينة، هكذا ادّعى في أسباب النُّزول المُلفَّقة.

والآية الْمَارَكَة دحضت ذَلِكَ وبيَّنت _ كَمَا ذكرنا سابقاً _ أنَّ سبب الهزيمة والترّاجع فِي وسط معركة أُحُد كَانَ بسبب الحوار والضعف النفسي، وضعضعة النفس وحب الدُّنيَا عِنْدَ بَعْض الصّحابة وظنّهم بالله سوءاً، كَمَا وصف كُلِّ ذَلِكَ القُرآن ﴿ أَوَلَمَا آَصَكبَتُكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبَتُم مِثلَيْهَا قُلْنُمُ أَنَى هَذَا قُلْ هُو مِنْ عِندِ أَنفُسِكُم الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدً ﴿ آَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدً ﴿ آَلَهُ مَا أَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدً ﴿ آَلَهُ وَمِنَ عِندِ أَنفُسِكُم أَإِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدً ﴿ آَلَ وَمَا أَصَدَبَكُم مَوْمَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُم أَإِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيدً ﴿ آَلَ اللّهَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيدً ﴿ آَلَ وَمَا أَصَدَبُكُم بَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ آَلَ وَلِيعَلّمَ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ

بتقويب: أنَّ هؤلاء المُنافقين ثبت قربهم النسبي للإيهان ولكن هُمْ أقرب للكفر يومئذٍ منهم للإيهان، وَهَذِهِ الآية المُبَارَكَة وغيرها صريحة فِي أنَّ سبب القتل والهزيمة لَيْسَ هُو الخروج للقتال خارج المدينة فِي معركة أُحُد، ورغم هَذِهِ الصّراحة إلَّا ان الكثير مِنْ المُفسرين وَمِنْ الفريقين غفلوا عَنْ هَذِهِ البيانات القُرآنية الَّتِي أشارت إليها روايات أهل البيت المَيِّلِيُّ كَانَتْ هَذِهِ الغفلة الخطيرة عَنْ عدم الاخذ بروايات أهل البيت المَيِّلِيُّ واتباعهم سبباً فِي وقوع أكثر المُفسِّرين فِي هَذِهِ الأخطاء باتباعهم أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ الطرف الآخر وبنوا عَلَيْهَا مفاد الآيات فِي مختلف السُّور، فمثلاً ما وَرَدَ فِي الطرف الآخر وبنوا عَلَيْهَا مفاد الآيات فِي مختلف السُّور، فمثلاً ما وَرَدَ فِي

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٥_١٦٨.

وَلَمْ يرجعوا إلى نفس آيات القُرآن الكريم، والرُّوايات الواردة عَنْ أَنَّمَة أهل البيت اللَّهِمَّة لتمحيص أئمة أهل البيت اللَّهِمَّة لتمحيص أسباب النُّزول هُوَ مُراجعة نفس الآيات بأنها هل تتناغم مَعَ الرُّوايات الواردة فِي أسباب النُّزول أو تتناقض وتتعارض معها فتطرح الرّوايات المعارضة لمفاد الآيات ولا سيها هِيَ مِنْ مصدر الطرف الآخر.

بَلْ عَلَى العكس تقول الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوَ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواً ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ رأي بَعْض كبار صحابة الرسول عَلَيْ كَمَا هُوَ مذكور فِي كتبهم التأريخيَّة كالطبري وابن الأثير و ... الخ كَانَ عَلَى البقاء فِي المدينة إلَّا أنَّ القُرآن يُدْحض ذَلِكَ ﴿ وَأَلَ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمُ صَدِقِينَ ﴿ اللَّهُ الللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللللَّا الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

ولذا تتواصل الآيات في مدح ومجازات مَنْ أصابه جرحٌ أو قرحٌ مِنْ الصحابة سواء أكان في معركة بدر أو أُحُد أو حُنين أو تبوك أو ... الخ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٨.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٨.

٢١٠......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَهُنَاكَ طَائِفَة أُخْرَى لَمْ يستشهدوا وَإِنَّمَا أَصابِهم الجِرِّح أَو القرح ﴿ ٱلَّذِينَ السَّنَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن بَعَدِ مَا أَصَابَهُمُ ٱلْقَرِّحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ (٢).

بتقریب: أنَّ القُرآن الكريم لا يمتدح الكُلِّ وَإِنَّمَا يمتدح فَقَطْ الَّذِيْنَ استشهدوا وأمَّا الَّذِیْنَ جُرحوا ثمَّ أصابهم قرحٌ وَلَمْ یُغْرَوا ووصفهم ومدحهم القُرآن بشكل آخر حَتّی يتبیَّن حالهم فَإِنَّ حال بعضهم لَمْ يستقم عَلَى الحُسنى أو التّقوى فمثل هؤلاء لَمْ يمدحهم القُرآن إلَّا أنَّهم بَدَّلوا بَدَّل الله معهم فلا يُغيِّر الله حَتّى یُغیِّر الله حَتّى یُغیِّر الله حَتّى یُغیِّر الله حَتّى یُغیِّر الله حَتّى الله معهم فلا

وَلَيْسَ شرط المدح فِي منطق القُرآن مُجُرَّد أَنَّ الممدوح مِنْ صرف السّابقين والمُشاركين كلا وَإِنَّمَا القُرآن يمدح مَنْ ينال درجة الشّهادة ويُختم لَهُ بالعاقبة الحسنة.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ _ ١٧٠.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٢.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائديةتا ٢١١ تقنين القرآن عام لكل البشر:

والأمر المهم الذي يزيد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ منطق القُرآن ينصب عَلَى تقنين قانون لِكُلِّ البشر بها فيهم الصّحابة وَلِكُلِّ الأزمنة والأمكنة ألا وَهُوَ التركيز عَلَى خواتيم الأُمُور وعاقبتها مِنْ منطلق إنَّمَا الأُمُور بخواتيها لا بمباديها (١).

بتقريب: أنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ شاركوا مَعَ رسول اللهَ عَيَّاللهُ فِي معركة بدر وأُحُد رُخِّصَ لهم بمعركة ثالثة وَهِيَ معركة بدر الصُّغرى فِي حمراء الأسد موضع قريب مِنْ المدينة بموضع أبعد مِنْ موضع معركة أُحُد، عِنْدَمَا

⁽١) تَقَدَّمَ بحث هَذِهِ القَاعِدَة فِي تفسير أمومة الولاية: ج٢، للشيخ مُحمَّد السَّند (الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ)، وكذا تَقَدَّمَ بحثها فِي القَاعِدَة الخامسة الجري والتطبيق تحت عنوان القَاعِدَة الأولى.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٢ _١٧٣.

هدّدت قريش بالهجوم والغارة عَلَى المدينة، وَكَانَ ذَلِكَ التوصيف لرسول الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى المدينة، وَكَانَ ذَلِكَ التوصيف لرسول الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى النَّبِي عَلَى الله عَمَد إنَّ الله يأمرك أنْ تَخْرُج فِي أثر القوم ولا يخرج معك النَّبِي عَلَى الله عُمراحة، فأمر النَّبِي عَلَى الله مُناديه أنْ يُنادي بذلك(١).

وفي خبر الطبرسي عَنْ كتاب أبان البجلي الكوفي، قَالَ: فلم كَانَ الغد مِنْ يَوُم أُحُد نادى مُنادي رسول الله عَلَيْ فِي المسلمين أَنْ يخرجوا عَلَى عِلَّتهم وما أصابهم مِنْ القرح والجُرْح.

وفي خبر آخر للطبرسي: ألا لا يخرجنَّ أحدٌ إلَّا مَنْ حضر يومنا بالأمس، فانتدبت عصابة منهم مَعَ ما بهم مِنْ القُراح والجراح الَّذِيْنَ أصابهم يَوُم أُحُد وقُدِّم عَلَيُّ براية المُهاجرين حَتَّى انتهوا إلى صحراء الأسد وَهِيَ مِنْ المدينة عَلَى ثانية أميال، وأقام بها الْنَبِي عَلَيْ ثلاثة أيام يَوُم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وَكَانَ النَّبِي عَلَيْ الله الله عَلَى المدينة ابن أم مكتوم (٢).

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُواْ حَسَّبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْأَنْ خرجوا مِنْ حرب ومعركة ثمَّ تفصل ساعات عَنْ المعركة الثالثة، بَلْ ازداد إيهانهم واشتدَّ إصرارهم واستقامتهم.

⁽١) تفسير القمّي: ج١، ص١٢٥ وعنه البحار: ج٢، ص٦٤.

⁽٢) إعلام الورى للطبرسي: ج١، ص١٨٤.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

ويتلخص ممّا تَقَدَّمَ أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ غزوة واحدة مِنْ غزوات الْنَبِي عَيَالِللهُ كغزوة أُحُد مثلاً حدث فيها هكذا تعتيم وتزوير وتلفيق وحُذفت الحقائق وأُبعدت حسبَ أسباب النُّزول المُلفَّقة فكيف يطمئن بَعْدَ هَذَا والأخذ بها وإرسالها إرسال المُسلّمات وَهِيَ واضحة البُطلان والكذب والتدليس وطمس الحقائق وحَذَفت مقطعاً كاملاً مِنْ غزوة أُحُد وانتهت المعركة بزعم أسباب النُّزول المُلفَّقة بانتصار قريش.

إِلَّا أَنَّهُ وبالتحقيق يُقال لهؤلاء لماذا عادت قريش بمعركة ثالثة فصلتها ساعات عَنْ معركة أُحُد ألا وَهِيَ معركة بدر الصّغرى، فإذا كَانَ قريش قَدْ انتصرت في معركة أُحُد فعلامَ المعاودة؟

وَهَذَا مَا بَيّنته أسبابِ النَّزُولِ الصحيحة والواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَيْكُمُ أَنَّ قُرِيشاً مَا كَانَتْ مَتَصِرَةً فِي معركة أُحُد؛ ولذا أرادت قريش الإغارة عَلَى المدينة نتيجة خُسرانهم وهزيمتهم فِي معركة أُحُد وانتصار المسلمين فِي نهاية المعركة؛ ولأجل أنْ تَرُدَّ قريش ماء وجهها الذي سلبه المسلمون مِنْهَا فِي معركة أُحُد، بينها ما ذكرته كتب التأريخ كابن الأثير والطبري والسيرة لابن هشام و ... الخ أنَّ قريش عادت إلى المدينة بَعْدَ معركة أُحُد لأجل أنْ تصفح وتعفوا بعدما هُوَ ما لمسلمون وفَرَّ النَّيِيَ عَلِيلًا إلى الجبل - وحاشاه مِنْ ذَلِكَ - وَكُلِّ ما ذكرته مصادر العامّة فِي هَذَا المجال هُوَ عارٍ عَنْ الصّحة تماماً، إنَّما الصحيح هُوَ تَعقق النصر مَرَّة أُخْرَى عَلَى يد رسول الله عَيْلًا ويد سيد الأوصياء على بن أبي عقق النصر مَرَّة أُخْرَى عَلَى يد رسول الله عَيْلًا ويد سيد الأوصياء على بن أبي طالب الشهادة وبعضهم جُرِحَ وثالث بقي طالب الشهادة وبعضهم جُرِحَ وثالث بقي

٢١٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ثابتاً مَعَ الْنَبِي عَيَالِهُ ولذا فَرَّت قريش وتراجعت وابتعدت عَنْ المدينة وغنائمها.

وَمِنْ خلال هَذَا يتضح أنَّ مُلابسات الحدث كُلَّهَا تدحض ما رُقِّم وسُطِّر وكُتِبَ فِي التأريخ مِنْ عبث وتلاعب فِي الحقائق، ولذا لَمْ يُرَّخص القُرآن الكريم لكبار الصّحابة فِي الجّهاد فِي معركة بدر الصّغرى وَهِيَ المعركة الثّالثة بسبب انهزامهم وَلَمْ يُحْضوا بوسام الثبات والتّضحية الحقيقية للإسلام والمسلمين، بخلاف هؤلاء الحماسيون الَّذِيْنَ ازداد إيمانهم وشرَّفهم القُرآن الكريم بالشّهادة والإيمان ورباطة الجأش، وَهَذَا التخصيص والتشريف الذي خصّه القُرآن بهؤلاء لمَ يعطه لكبار الصّحابة الَّذِيْنَ أشاروا عَلَى الْنَبِيَ عَلَيْكُ بالبقاء فِي المدينة قُبيل غزوة أُحُد.

ثمَّ إنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ رُخِّصَ لهم بالخروج إلى حمراء الأسد وصابر ورابطوا في معركة أُحُد ﴿ فَانَقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضَّلٍ ﴾ أيّ غنائم ﴿ لَمْ يَمْسَمُهُمْ سُوّهُ ﴾ لأنَّ قريشاً خشيت منهم كَما في رواية علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره: «فوافاهم رجلٌ خرج مِنْ المدينة فسألوه الخبر، فَقَالَ: تركتُ محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جدَّ الطل »(١).

وفي خبر الطبرسي: «... وَقَدْ والله تركت محمداً وأصحابه وَهُمْ يُحَرِّقون عليكم، وَهَذَا علي بن أبي طالب قَدْ أقبل عَلَى مقدمته فِي النَّاس ...»(٢).

فلو كَانَتْ قريش هِيَ المتصرة والغالبة فِي نهاية المطاف فكيف تخشى مِنْ

⁽١) تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ج١، ص١٢٥.

⁽٢) إعلام الورى للطبرسي: ج١، ص١٨٤.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

المسلمين والمؤمنين عَلَى قِلَّة عددهم فَإِنَّهُ حسب الرُّواية الواردة فِي هَذَا المجال بأنَّ النبي عَلَيْ الله خرج بـ (٧٠) سبعين مقاتلاً، وَلَمْ يأذن الْنَبِي عَلَيْ فِي معركة حمراء الأسد أنْ يخرج كُل مَنْ شارك فِي أُحُد، وَإِنَّمَا أَذِن لِلَّذِيْنَ جُرِحوا وثبتوا وَلَمْ ينهزموا ويفروا ، وَمَعَ ذَلِكَ خشيت وخافت قريش مِنْ المواجهة ثانية مَعَ المسلمين فانهزمت وفرَّت إذْ لو كَانَ منتصرةً لما انهزمت وولّت.

ثمَّ قالت الآية ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ ٱلشَّيَطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيكَآءَهُ, فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنكُم مُّؤْمِنِينَ ﴿ ﴿ ﴾ (١٠).

بتقريب: أنَّ طبيعة عمل الشَّيطان يُخَوِّفُ أُولياؤه مِنْ حَيْثُ يشعروا أُو لا يشعروا أَو لا يشعروا بَعْدَ أَنْ يضلهم ويمنيهم، فإذا صبر العبد وأذاق الشيطان مرارة تحمّل الصبر فَإنَّهُ سوف ينهزم الشيطان وييأس ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلُطَنَ لَهُ مِن ٱتَبَعَكَ مِنَ ٱلْفَاوِينَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُو

وَهُنَاك رواية كشاهد فِي المقام مُحمَّد بن عمر بن عبدالعزيز الكشّي فِي كتاب (الرجال) قَالَ: وجدتُ فِي بَعْض كتبي عَنْ مُحمَّد بن عيسى، عَنْ عثمان ابن عيسى عَنْ ابن أبي يعفور، قَالَ: كَانَ إِذَا أصابته هَذِهِ الأوجاع فإذا اشتدّت به شرب الحسو مِنْ النبيذ فتسكن عَنْهُ، فدخل عَلَى أبي

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٧.

⁽٢) سورة الحِجْر: الآية ٤٢.

⁽٣) سورة النحل: الآية ٩٩.

٢١٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

أمَّا أنَّ الشَّيطان كيف يستطيع أنْ يصوِّر ويخيل للإنسان حجم الدَّاء بأشد وأعظم حالاً مما هُوَ عَلَيْهِ ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿ ثَالَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿ ثَالًا ﴾ (٧).

بتقريب: أنَّ الشَّيطان بطبيعة عمله لا يَكُون أنيساً للصَّابرين، وَإِنَّمَا يَكُون أنيساً للعجولين؛ ولذا كَانَتْ العجلة مِنْ الشَّيطان؛ لِأنَّ طبيعة الشَّياطين أنَّهم غَيْر صبورين وطبيعتهم الحِدَّة والسَّرعة وعدم الصبر.

وَمِنْ باب الكلام يجبر الكلام نذكر ما يَكُون مُؤيِّداً هُوَ أَنَّ هُنَاك بَعْض المُصابين بحسد العين أو السِّحر أو المس أو ... الخ فَإِنَّ وصفه الصبر لهؤلاء دواءٌ عظيم، فَإِنَّ الشِّيطان عَوَّدَ أَتَباعه وأوليائه عَلَى عدم الصبر وَعَلَى الجِدِّة والجزع و ... الخ، فإذا صَبَر المُصاب بالمسّ أو السّحر أو العين أو ... الخ معناه أنَّ هَذَا المُصاب قَوَّى جانب التوكُّل عَلَى الله، وإذاتوكَّل عَلَى الله معناه قوَّى عنده جانب الطمأنينة بالله وعدم الخوف مِنْ غَيْر الله تَعَالَى فسرعان ما يتشافى بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا يَعُرُنك الله الذِين يُسكرِعُونَ فِي الكُفْرِ الله تَعَالَى فسرعان ما يتشافى بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا يَعُرُونَ لَا لَهُ مَا لَكُونُ اللهُ الله الله عَزَّ وَجَلَّ الله الله عَنْ يَضُرُوا الله شَيْعًا الله عَزَّ وَجَلَّ الله الله عَنْ وَجَلَّ الله الله عَنْ وَجَلَّ الله الله عَنْ وَجَلَ الله عَنْ وَجَلَ الله عَنْ الله عَنْ وَجَلَ الله الله عَنْ وَجَلَ الله عَنْ وَجَلَ الله الله عَنْ وَالله عَنْ وَجَلَ الله وعدم الخوف مِنْ غَيْر الله تَعَالَى فسرعان ما يتشافى بإذن الله عَزَّ وَجَلَ الله وَلا يَعْدُونَ فِي الله عَنْ وَجَلَّ الله الله عَنْ وَجَلَ الله عَنْ وَالله عَنْ وَالله عَنْ وَالله عَنْ وَالله وَلا يَعْدُونَ فِي الله عَنْ وَالله عَنْ وَالله وَلا الله عَنْ وَالله وَلَوْ اللهُ عَنْ وَالله وَلَا يَعْدُونُ وَالله وَلَا يَعْدُونُ وَالله وَلَالله وَلَا الله وَلا الله وَلَا يَعْدُونُ وَالله وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَالله وَلَا يَعْدُونُ وَالله وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَالله وَلا يَعْدُونُ وَالله وَلا يَعْدُونُ وَالله وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلَا يَعْدُونُ وَلَا يَعْدُونُ وَلَا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلَا عَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلا يَعْدُونُ وَلَا عَلَا اللهُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَاللهُ وَلا يَعْدُونُ وَاللهُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلَا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَلا يَعْدُونُ وَاللهُ وَلا يَعْدُونُ وَلَا يُعْدُونُ وَاللّهُ وَلَا عَلَا وَلَا عَلَا عَلَا اللهُ وَلا يَ

⁽١) رجال الكشّي، بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٩، ص٥٨؛ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٥ ص٣٤٧، ب ٢٠ مِنْ أبواب الأشربة المُحرَّمة: ح١١.

⁽٢) سورة طه: الآية ٦٦.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢١٧ يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْمَلَ لَهُمْ حَظَّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمُمْ عَذَابُ عَظِيمُ اللهُ إِنَّ اللَّذِينَ اَشْتَرُواُ اللهُ مَ عَذَابُ عَظِيمُ اللهُ إِنَّ اللَّذِينَ اَشْتَرُواُ اللهُ اللهُ عَذَابُ أَلِيدٌ اللهُ اللهُ

بتقريب: إنَّ بَعْض مَنْ كَانَ مَعَ الْنَّبِيَ عَلَيْكُ مِنْ المؤمنين والمُسلمين سرعان ما ارتدوا عَنْ الإيهان فِي معركة أُحُد وإنْ لَمْ يرتدوا عَنْ الإسلام، وَهُنَا القُرآن يشهد عَلَى أنَّ جماعة مِنْ صحابة رسول الله عَلَيْ أصابتهم ردَّةٌ عَنْ الإيهان وَلَمْ يستقر الإيهان فِي قلوبهم وَإِنَّهَا كانوا عَلَى ظاهر الإسلام.

وما كَانَ مِنْهُ عَلَى اللسان، ثمَّ انقلبوا عَلَى أعقابهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْقُتِ لَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَدِ كُمُّ وَمَن يَنقَلِبَ عَلَى عَقِبَيْهِ فَكَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّكِرِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ السَّكِرِينَ ﴿ اللَّهُ الللَّالَالَّالْمُلْ

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَعَزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْكُفَرِ ﴾ (٣)، بتقريب: أنَّ بَعْض هؤلاء الَّذِينَ كانوا مَعَ الْنَبِي عَلَيْ بُحُرَّد أَنْ سمعوا دعاية نبأ مقتل رسول الله عَلَيْ فِي معركة أُحُد سارعوا فِي الكفر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُو اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ ا

الضرق بين الردة في الإيمان والردة عن ظاهر الإسلام:

وَهَذِهِ الآية الْمُبَارَكَة تدحض وتُفنِّدَ ما روي مِنْ روايات يُدَّعى فيها:

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٧٦ _١٧٧.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

7۱۸ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث أنَّ الله تَعَالَى اطلع عَلَى أهل بدر، وَقَالَ: لله أعقابكم أبداً، فَإِنَّ كثيراً وللأسف لَمْ يُفَرِّقوا بين الردَّة والارتداد عَنْ الإيان وبين الردَّة والارتداد عَنْ الإيان وبين الردَّة والارتداد عَنْ ظاهر الإسلام، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الآيات القرآنية تذكر هَذَا الوصف كقوله تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ عَامَنُوا اللهِ الهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ

كُلَّ ذَلِكَ بلحاظ القلب وأمره العجيب لِإنَّهُ عَلَى تَقَلُّب دائم سُمِّي بذلك لتقلبه «يا مُقلِّب القلوب ثبت قلوبنا عَلَى دينك».

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَمَا نُمُلِي لَهُمُ خَيْرٌ لِأَنفُسِمٍمُ إِنَّمَا لُمُ لِللهُمُ لِيَزْدَادُوٓا إِشْسَاكُوْنَا. لَمُ لِيَرُدُادُوٓا إِشْسَاكُونَا. لَمُعْلِي لَكُمُ لِيَرُدُادُوۤا إِشْسَاكُونَا.

بتقريب: إنَّ بَعْض الصّحابة كَانَ مؤمناً والآن كَفَرَ فِي قلبه ويمتحن

⁽١) سورة النساء: الآية ١٣٧.

⁽٢) كمال الدِّين وتمام النَّعمة، الشَّيْخ الصَّدوق: ص ٣٥١_٣٥٢.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٨ _١٧٩.

تحكيم محكمات الكتاب

والسنة النبوية القطعية وأهل البيت عليهم السلام:

والنتيجة بَعْدَ ذكر هَذِهِ النهاذج والشَّواهد القُرآنية عَلَى دحض أسباب النُّزول اللَّفَقة والمُحرَّفة وفي تحقيق المنهج التأريخي وغيره هُوَ الخروج بقاعدة عظيمة ألا وَهِيَ «تحكيم محكهات القُرآن والسنة النبويّة القطعية وأهل البيت عليهم السلام».

فَإِنَّ هَذِهِ القَاعِدَة تُعَدُّ ميزاناً لتحقيق وتنقيح التأريخ خاصة التأريخ الذي لَهُ صِلَة بسيد الأنبياء مُحمَّد ﷺ وبالقرآن وتاريخ نزوله وبالإسلام، فَإِنَّ هَذَا أمر بالغ الأهميّة.

ومثل هَذِهِ الشواهد المُحرَّفة والمُلفَّقة لأسباب النَّرول تُدِلُّ الباحث الكريم عَلَى كيفية انقلاب التأريخ وكشف عبثت الأقلام المأجورة عَلَى يد السّلطة الأموية والعباسيّة أو الطرف الآخر عبثاً صَوَّرت به انتهاء المسلمين بالهزيمة والحسارة فَقَطْ فِي معركة أحد، والواقع الصحيح الذي عَلَيْهِ المسلمون فِي معركة أُحُد عَلَى العكس تماماً، نعم لا ننكر حصول إخفاق المسلمون في معركة أُحُد عَلَى العكس تماماً، نعم لا ننكر حصول إخفاق وهزيمة للمسلمين في وسط معركة أُحُد إلَّا أنَّ المعركة انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة قريش؛ ولذا فَأنَّ معركة أُحُد حصل فيها انهزام لكلا

الطرفين المسلمون أوَّلاً ثمَّ المشركون ثانياً فِي نهاية معركة أُحُد فِي حمراء الأسدأو ما تُسَمِّى بدر الصغرى.

هَذَا كُلَّهُ بلحاظ ما ذُكِرَ مِنْ شواهد قرآنيّة لدحض أسباب النُّزول اللَّنُول اللَّنَول اللَّنَول اللَّنوب ال

ثانيا: نماذج من سورة الأنفال لدحض أسباب النزول المكفقة بما يتعلق بمعركة بدر^(۱):

الشواهد القرآنية لدحض أسباب النزول الملفقة:

وقبل ذكر الشواهد القرآنية حول غزوة بدر نذكر:

أوَّلاً:

مقصة: استعراض القُرآن الكريم وفي مواضع عِدَّة جهات وملاحِم ومباحث كثيرة نتعرَّض إليها بشكل مقتضب مَعَ الاختصار، وتسليط الأضواء فيها عَلَى موضوع بحثنا وَهُو أسباب النُّزول ونُبيِّن كيفية رسوخ عقيدة مدرسة أهل البيت الميَّلِيُّ تجاه جملة مِنْ القضايا، مِنْ تلك المواضع القرآنية كسورة الأنفال واستعراض آياتها لمُسلسل معركة بدر _ فَإِنَّها انفردت مِنْ بين سور القُرآن الكريم لعرض وبيان أحداث معركة بدر، بَلْ

⁽١) تَقَدَّمَ النموذج الأوَّل لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ سورة آل عمران بها يتعلّق بمعركة أُحُد.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٢١ أَنْ شئت سَمَّها بسورة بدر، لما روى مُحمَّد بن مسلم، قَالَ: سمعت أبا جعفر الله يقول: «في سورة الأنفال جَدْع الأنوف»(١).

كَمَا فِي وينبغي التنبيه عَلَى أنَّ الآيات الْمُبَارَكَة الَّتِي هِيَ محل الشَّاهد في سورة الأنفال حول غزوة بدر والمُرتبطة بمحل البحث فِي أسباب النُّزول تبتدأ مِنْ آية ٦٧ - ٧٠ مِنْ سورة الأنفال، إلَّا أنَّهُ مِنْ باب مناسبة تعرَّض بداية سورة الأنفال إلى بيان أسباب غزوة بدر وإجمالاً ادّعي فِي روايات أسباب النَّزول الْمُلفَّقة، أنَّ الخليفة الثَّانِي عمر بن الخطاب اعترض عَلَى الْنَبِيَّ عَلِمُا اللَّهِ عَلَمُا اللّ شديداً، واقترح عَلَيْهِ أنَّ يقتل أسرى معركة بدر إلَّا أنَّ الْنَّبِيَّ عَيَّا لِللَّهِ لَهُ يستجب لَهُ حسب هَذِهِ الروايات المزعومة، ثمَّ نزلت آيات قرآنيَّة تعاتب الْنَّبِيَّ عَيَّاكِلاً عتاباً إلهياً شديداً _ والعياذ بالله _ حسب زعمهم _ أو تصوب موقف عمر بن الخطاب وتخطئ الْنَبَّى عَلَيْكُهُ، وَعَلَى مثل هكذا أسباب نزول مُلفَّقة بنى المتكلمون في مدرسة الخلاف قَواعِد اعتقاديّة فِي مَعْنَى عصمة الْنَّبِيّ عَيْمَا اللَّهِي عَلَيْكُ وأنَّ الْنَّبِيّ عَلَيْكُ هل لَهُ عصمة أو لا؟ وإذا كَانَتْ لَهُ عصمة، فهل عصمتُه نسبيَّة أو مُحَدِّدة، هَذَا مُضَافًا إلى ذَلِكَ يُضَمُّ إليه ما هُوَ الأخطر فِي منظومة الجهاد او المواجهة العسكرية فِي فقه مدرسة السقيفة، وَهَذَا يغاير وسيتبيَّن أنَّ قَواعِد الجهاد فِي مدرسة أهل البيت المِيَلِا تغاير ما عِنْدَ مدرسة السّقيفة والعامّة مِنْ غايات وهويَّة وأحكام الجهاد.

ولذا فَإِنَّ ما ظهر فِي الآونة الأخيرة مِنْ حركات وعصابات وَقُواعِد

⁽١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٥، ح١.

عسكرية لسانها القتل والتهجير والإقصاء والتهميش ما هُوَ إِلَّا إفرازات لنفس فكر مدرسة الخلفاء، بينها التعايش السّلمي ولغة الحورا والبيان لأتباع أهل البيت اللَّهِ مَعَ كُلِّ مِلَّةٍ ونِحْلَةٍ وَهَذَا لَمْ يأتِ مِنْ باب الصّدفة وَإِنَّها جاء مِنْ حَثَ أَهل البيت اللَّهِ وتأكيدهم عَلَى هَذَا المنهج السِّلمي مِراراً مِنْ خلال بياناتهم وحتّهم عَلَى ذَلِكَ فِي بيان فلسفة الجهاد وفلسفة الدعوة إلى الدِّين.

ولذا كَانَ لدراسة أسباب النُّرول بدقةٍ وتحقيقٍ وفرز الصحيح مِنْهَا عَنْ اللَّلفق والمزعوم ذا أثرِ بالغ الأهميّة والخطورة عَلَى الدِّين؛ لِأنَّ عدم فرزها والأخذ بها هُوَ موجود مِنْ أسباب النُّرول المُلفَّقة يجُرُّ إلى الوقوع في الكارثة في الدِّين، بخلاف ما إذَا بُيِّنت أسباب النُّرول عَلَى التحقيق والتدقيق والرجوع إلى روايات أهل البيت المِيَّامُ، فَإِنَّهُ سوف يجعل الدِّين وأهله يعيشون النعيم.

وسبب تأكيد القُرآن الكريم والرُّوايات الواردة عَنْ أهل البيت المَّكِاثُ عَلَى الاهتهامِ عَلَى الاهتهام بأسباب النُّزول بشكل دقيق يُشْعِرُنا بمدى أهميتها وخطورتها فِي جملة علوم كالفقه والكلام والتفسير والتأريخ وغيرها.

مُضَافاً إلى أنْ القُرآن هُوَ المصدر الأوَّل العظيم فِي مصادر التَّشريع والمعرفة الدِّينية وصمَّام أمان لها، وَعَلَيْهِ فإذا اختلفت روايات أسباب النُّزول فَإنَّهُ سوف يصبح اختلاف فِي المسار المعرفي الدِّيني.

وَهُنَا تَظهر أَهميّة تأكيد الْنَبِيَ عَلَى اقتران العترة بالكتاب لِأنَّ عدم قَرْن العترة بالكتاب لِأنَّ عدم قَرْن العترة بالكتاب تنتج إفرازات خاطئة، كَمَا هِيَ عَلَيْهِ اليوم مِنْ ظهور بَعْض الحركات المشبوهة المحسوبة عَلَى الإسلام وَهِيَ قَدْ شوهته وأظهرته بالمظهر

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بَعْض روايات أسباب النُّزول المزعومة تحاول أنْ تثبت مطلباً عقائدياً خطير يمس العقيدة ومقام النبوّة السّامي كَمَا مَرَّ فِي غزوةٍ أُحُد فِي آيات مِنْ سورة آل عمران، كَذَلِكَ فِي آيات سورة الأنفال تحاول أسباب النُّزول اللهُقة والمُزيفة والمُزيفة والمزعومة أنْ تساوي بين مقام النَّبِي عَيَالِيُّ وغيره وتخطئة كَمَا يخطأه الأخرون، وأنَّ سيّد الأنبياء عَيَالِيُّ لَيْسَ فِي كُلِّ أفعاله وحي منزل، وَإنَّما يجتهد يخطي ويصيب كبقية المجتهدين.

وتذكر أسباب النُّزول المُحرَّفة والمزعومة أنَّهُ توجد روايات مِنْ طرقهم تذكر أنَّ عمر بن الخطّاب قَدْ أشار عَلَى الْنَبِي عَلَيْ يُقتل أُسارى بدر الكُبرى بَعْدَ انتهاء المعركة وأنَّ الْنَبِي عَلَيْ لَمُ يستجب لمشورته ولن يقتلهم وناداهم بأنَّ دفع ذويهم فدية لأنقاذهم مِنْ الأسر _ ثمَّ تذكر بحسب ما يدّعى بهذه الرّوايات المزعومة أنَّ الآيات المباركة نزلت تُعاتب رسول الله عَلَيْ اللهُ والعياذ بالله وتصحح موقف عمر بن الخطاب.

وَالرُّواية مِنْ طرقهم _ العامّة _ عَنْ عبدالله، قَالَ: لما كَانَ يَوُم بَدْر وجيء بالأسرى، قَالَ رسول الله عَلَيْ أَنَّ عَلَى الله الْسرى؟ فَقَالَ أبو بكريا رسول الله قومك وأهلك، فاستَبْقِهم لَعَلَّ الله أَنْ يتوب عليهم، قَالَ عمر: يا رسول الله؛ كذَّبوك وأخرجوك قدَّمهم واضرب أعناقهم ... ومَثلُكَ يا عمر مِثلَ نوح إذْ قَالَ ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا نَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِرِينَ دَيَّارًا () () ()

⁽١) سورة نوح: الآية ٢٦.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الطرف الآخر غَيْر مدرسة أهل البيت المَهْلِمُ مِنْ خلال هَذَا الموقف يشكلون رؤية عقائدية وَهِيَ أنَّ سيد الأنبياء لَيْسَ بمعصوم ومسدد مِنْ الوحي فِي تدبيره السّياسي أو الحكومي أو ما شبه ذَلِكَ.

وَعَلَى ضوء هَذِهِ الرّوايات المزعومة يحاولون فتح ملف خطير جدّاً يمسّ العقيدة بالنبوة ومقام سيد الأنبياء ﷺ وَأَنَّهُ يخطئ كبقيّة المُجتهدين.

والنتيجة: إذَا كَانَ تعاملهم مَعَ سيد الأنبياء عَلَيْ هكذا فكيف مَعَ سيد الأوصياء علي بن أبي طالب اللهِ ومدرسة الإمامة، وأنَّكم تزعمون وتتشدّقون بأنَّ هُنَاك بَعْدَ رسول الله عَلَيْ فردٌ بشريّ يُعْصَم فِي كُلِّ حاله وترحاله، فَهَذَا سيد الأنبياء بزعمهم يعاتب فِي القُرآن ويُخطًا فِي تدبيره السياسي وحكومته السياسية، فكيف بغير رسول الله عَلَيْ إذَا كَانَ الردّ عَلَى رسول الله عَلَيْ والعياذ بالله ـ لَيْسَ خطاً فِي قِبال الوحي.

وتدّعي أسباب النَّزول المزعومة أنَّهُ توجد أربع مواضع مُدّعاة فِي تخطئة النَّبِي عَيَّا الله وأنَّ واحدة مِنْهَا أَيْدَت الخليفة الثَّانِي تصويباً لَهُ، وثلاث مِنْهَا خطّأت النَّبِي عَيَّا وأيَّدت الخليفة الثَّانِي، وَكُلَّهَا روايات مرويّة ومزعومة حسب طرقهم ومصادرهم، وربها تَسَرَّب هَذَا الملف وللأسف حَتّى إلى بَعْض كتابات

⁽١) سورة يونس: الآية ٤.

⁽٢) أحكام القُرآن لابن عربي: ج٢، ص٣٣٢.

قاعدة الشوري قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٢٥ الخاصَّة، وَلَعَلَّهُ شَكَّلَتْ عِنْدَ بَعْض أصحابها رؤية معرفية عقائدية هُوَ أنَّ الْنَبَى عَيْمَا اللهُ لَيْسَ فِي كُلِّ تدبيره معصوم ووحى مُنَزَّل، وَهُنَاك _ والعياذ بالله _ بَعْض الاشتباهات_إلَّا أنَّ مدرسة أهل البيت المِيِّكِ بيَّنت أنَّ كُلِّ الموارد الأربعة فِي رواياتهم الْمُزَيَّفة معكوسة ومنكوسة وأنَّ هَذِهِ الروايات مزعومة ومطعون بها؛ لأنَّها تطعن بالعقيدة ومقام النبوّة لسيّد الأنبياء عَلَيْكُ بشهادة التناقض الموجود فيها، وأنَّ هَذِهِ الموارد الأربعة فِي الحقيقة هِيَ مواردٌ أخطأ فيها عمر بن الخطَّاب، ولأجل التغطية عَلَى هَذَا الخطأ قلبت الأقلام الأموية والعباسية الأمر وعكسوه وخطَّأُوا رسول الله ﷺ، وأنَّ عمر بن الخطاب هُوَ الصائب في رايه والذي ينطق الحَقّ عَلَى لسانه، فيا أيُّهَا الباحث عَنْ الحقيقة المُنصف انظر بدقّة إلى كيفية قلب الحقائق بوضوح فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة، وأنهم كيف تجرَّأوا وتَجنَّوا عَلَى مقام سيد الأنبياء لأجل سياسات مُعيّنة.

بَلْ وَإِلَى سيد الأوصياء علي بن أبي طالب بأنْ يستشهد ببعض كلامه في نهج البلاغة في ثالث يَوُم مِنْ البيعة لعلي أنّهُ خطب في المدينة وَقَالَ عليُّ أشيروا عليَّ أو «وَإِنِّي لستُ فوق أنْ أخطأً»(١).

وفُسِّرَ كلام أمير المؤمنين أنَّهُ لا يقصد نفسه وَإنَّما يقصد فعل حكومته وجهازه أيِّ يقصد أنَّ أفراد الجهاز، يقصد أنَّ أفراد الجهاز الحكومي في حكومة على بن أبي طالب ليسوا بمعصومين وأنَّهم بشر ويخطئون كباقي وعادي النَّاس.

⁽١) نهج البلاغة.

٢٧٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

ولذا كَانَ مِنْ مناصَرَة الأُمَّة ومُناصحتها لله وللرسول ولأوصيائه أنَّ الكل يُراقب أعضاء الجهاز الحكومي البشري غَيْر المعصوم ويرفع التقارير وحماية القانون والدستور الإسلامي مسؤوليّة تقع عَلَى عاتق الجميع.

وَعَلَى فرض ورود هكذا روايات فيها نقد لبعض الجهات المُقَصِّرَة، فلماذا لا نُفسِّرها ونُحلِّلها بالتحليل العلمي الموضوعي المُناسب، لا أنْ نأخذ روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيّفة أخذ المُسلمات ويُشكَّل عَلَيْهَا رؤية عقائديّة وَقَواعِد فِي الفقة السياسي.

والخلاصة: إنَّ الآيات الَّتِي استعرضها القُرآن الكريم فِي سورة الأنفال فيها يخصّ معركة بدر الكُبرى تدحض روايات أسباب النُّرُول المُلفَّقة حَيْثُ تدّعي أنَّ الآيات النازلة فِي بدر الكُبرى تحمل عتاباً مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى النَّبِي عَلَى الله عَلَا المعركة، هكذا قِيلَ.

آيات وروايات بدر الكبرى

معلم عظيم لولاية أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ الآيات الأُولى فِي سورة الأنفال جاءت رَدَّاً وجواباً لنزاع عظيم حَصَل بين البدريين حول ملكية الغنائم وأنَّها مِلكُ مَنْ؟

إنَّهَا ملك لله ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمُ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِن كُنتُم مُّ قُمِنِينَ ﴿ اللَّهُ ﴿ (١).

⁽١) سورة الأنفال: الآية ١.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

والغنائم حسب ما بيّنته روايات أهل البيت اللَّكِ تارةً يَتِمُّ الحصول عَلَيْهَا بسعي وحرب وغزوٌ وبذل جهد وجهاد وقتال مِنْ المسلمين ووقوف عَلَيْهَا بالأنفال.

وَأَمَّا القَسِمِ اللَّوْلِ: الذي يوقف عَلَيْهِ بخيل وركاب وقوَّة، فَإِنَّ هَذِهِ الغنائم أربعة أخماسها للمقاتلين توزّع فيها بينهم كَمَا بيَّته الآية اللَّبَارَكَة: ﴿وَأَعْلَمُواۤ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَكُهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْفُرِّ بِي وَٱلْمَسَكِينِ ﴿وَالْمَسُولِ وَلِذِي ٱلْفُرِ بِي وَٱلْمَسَكِينِ ﴿ وَٱلْمَسَكِينِ ﴾ (١).

وَأَمَّا القسم الثّانِي: مِنْ الأنفال فَقَدْ بَيَّنَ الإمام الصادق اللَّهِ حكمه وأنَّ هَذَا القسم فيه إرغام لأنف مَنْ يتطاول ويُجحد وينكر مقام الولاية لأهل البيت المِيَّلِ لما أكَّدته سورة الحشر (١٠). ﴿ ... مَّا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى ﴾.

والنفل: عبارة عَنْ زيادة الفيء أيّ الراجح، ومصطلح الأنفال يشمل كُلّ الأموال والثروات العامّة في الأرض وأنَّ ولاية ملكيتها الحقيقية وتدبيرها تعود لله أو رسوله أو ذي القُربي.

ملحوظة: أنَّ الآية المُبَارَكَة ﴿ يَسْنَكُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِّ ﴾ فيها قراءتان:

القراءة الأولى: إنَّ الفعل (سأل) إذَا تعدَّى بـ (عَنْ) فَإِنَّهُ يُفيد استعلام الحكم والخبر بَعْدَمَا حصل نزاع بينهم لِـمَنْ ملكيّة الأنفال؟ ﴿ وَلُلِ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ١.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٤١.

٣٧٨.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث الله ورسوله فيها أحدٌ مِنْ المؤمنين سواءٌ في ذَلِكَ الغنيمة أو الفيء.

القراءة الثانية: إنَّهم يُريدون ملكية سهم مِنْهَا وأنَّ الفعل (سأل) إذَا تعدّى بنفسه فَيَكُون بمعنى الاستعطاف وأنَّهم يطلبوا ملكية سهم مِنْهَا.

وسيأتي فِي مبحث القراءات_إنْ شاء الله تَعَالَى _ أيّ القراءتين أصح.

هَذَا مُضَافًا إلى أنَّ اللام فِي لفظ الجلالة فِي الآيتين الكريمتين هِيَ للملكية والتدبير والولاية وليست ملكيّة سهم وأسهام وَهُمَا: ﴿... قُلِ الْأَنفَالُ بِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(١) و ﴿ مَّاَ أَفَاءَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عَنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِيْكَالُ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِيْكَالُ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِيْكَالُ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِيْكَالُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عَنْ أَهْلِ اللّهُ وَلِلْ اللّهُ وَلِلرَّسُولِ فَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عَنْ أَهْلِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ وَلِلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُ وَلَا لَهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُ وَلِلْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَ

الشواهد على دفع أسباب النزول المزعومة من قبل العامة حول آيات حكم الأسير:

تأثير أسباب النزول المزيفة على حقيقة الجهاد

الابتدائي عنِد الفريقين:

الشَّاهِد اللَّول: مَعْنَى الجهاد الابتدائي غاية وهويةً وموضوعاً لدى مدرسة أهل البيت اللَّهِ اللهِ عَلَى اللهِ المِلْمُلِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المِلْمُ

تُقَسِّمُ مدرسة أهل البيت اللِّظِ الجهاد إلى قسمين رئيسيين وَهُمَا:

⁽١) سورة الأنفال: الآية ١.

⁽٢) سورة الحشر: الآية ٧.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٧٩ الجهاد الابتدائي والجهاد الدِّفاعي (١).

ومفهوم الجهاد الابتدائي عِنْدَ مدرسة أهل البيت الملالا كُيْسَ بمعنى ابتداء عدوان، بَلْ أنَّ الجهاد الابتدائي لَهُ غطاء دفاعي.

وظك ببيان: أنَّ غزوة بدر لَمْ تكن بالمصطلح القانوني: ابتداء عدوان مِنْ سيد الأنبياء ﷺ وإنْ قام ﷺ بمبادرة عسكريّة للاستيلاء عَلَى قافلة قريش التّجارية، ولكن خلفيات هَذَا القرار والعزم مِنْ رسول اللهَ ﷺ كَانَتْ فِي الحقيقة أسباب دفاعية، فغزوة بدر وإنْ كَانَ يصدق عَلَيْهَا بالمصطلح الفقهي بالجهاد الابتدائي باعتبار أنَّ ضابط الجهاد الابتدائي مُتحقِّق بقيام رسول الله عَلِيلاً ومبادرته وإعداد الجيش بالعمل العسكري، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ معناه ابتداء عدوان؛ لِأنَّ هَذَا القرار مِنْ رسول اللهَ عَيَّالِلَّهُ كَانَتْ خلفياته أنَّ قُريشاً صادرت كُلِّ أموال المسلمين فِي مَكَّة غصباً، ثمَّ أخذت قريش وحلفائها في الإغارة عَلَى المدينة المنوَّرة ليلاَّ ومباغتةً، وَهَذَا الفعل مِنْ قريش وَلَّدَ للنبي عَيْلِيُّهُ وللمسلمين مزيد مِنْ الاستحقاقات مِنْ القَصَاص وغيره، وردعاً مِنْ الْنَبِيِّ عَلِينًا لقريش المتغطرسة أراد المُبادرة بالاستيلاء عَلَى أموال قريش في القافلة التّجارية بقيادة أبي سُفيان القادمة مِنْ الشَّام إلى مَكَّة.

⁽١) التوحيد في المشهد الحسيني: ص٣٤٨ للشيخ مُحمَّد السند (دام ظله) وأُسس النظام السياسي عِنْدَ الإمامية: ج١، للشيخ السَّند الله وتعرَّض سياحته إلى ذكر أنواع الجُهَاد الدَّفاعي وأقسامه الَّتِي قَدْ تصل إلى ثمانية أقسام.

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أَنَّ الأسباب الموجبة أو المُحرِّكة لغزوة بدر كَانَتْ مِنْ منطق ومنطلق دفاعي عِنْدَ رسول الله عَلَيْ بالاصطلاح القانوني، وإنْ كَانَ يصدق عَلَيْهِ الجهاد الابتدائي بالمصطلح الفقهي ولكن بمنطق ومنطلق دفاعي، هَذَا كُلَّهُ بحسب منهاج مدرسة أهل البيت المَيِّ إلَّا أَنَّ هَذِهِ النقطة قَدْ تكون غائبة عَنْ ذهن المدارس الإسلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت المَيْ وكأنَّ عُيْر مدرسة أهل البيت المَيْ وكأنَّ عُيْر مدرسة أهل دفاعي.

وَمِنْ هُنَا يَتضح أَنَّ هُنَاكُ فرقاً بِين تفسير مَعْنَى الجهاد الابتدائي وَأَنَّهُ قِبِال الجهاد الدّفاعي في مدرسة أهل البيت الميلي وبين تفسير المدارس الأُخْرَى وأَنَّ الجهاد الابتدائي لَيْسَ بمنطق دفاعي عندهم، وَهَذَا يُحُثَّنا عَلَى ملاحظة وتوخّي الدِّقة أكثر في أسباب النُّزول وأخذها مِنْ منبعها الصحيح وَذَلِكَ بالالتفات إلى ما وَرَدَ مِنْ الآيات حول أسارى بدر الَّتِي تبيّن فلسفة الجهاد الابتدائي بحسب ما نبّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت مِنْ بيان ظاهر الفاظ تلك الآيات، وَهَذَا عَلَى خلاف ما بيّنته روايات أسباب النُّزول المنافقة الذي العامّة لآيات الأساري في معركة بدر - كَمَا مَرَّ في سورة الأنقال _ وعُطِفَت في ذَلِكَ عندهم آيات أُخْرَى فِي الأسارى في سورة مُمَّدَ عَلَيْهُ أَلَا عَلَى عندهم آيات أُخْرَى فِي الأسارى في سورة المُنقَلَة الله المنافقة في ذَلِكَ عندهم آيات أُخْرَى فِي الأسارى في سورة المُنقَلَة.

إذْ رأينا كيف تُؤثِّر أسباب النُّزول _ كَمَا تَقَدَّمَ فِي تغيّر منظومة الفِقْه والعقائد والتفسير وحقائق التأريخ وسيرة الْنَبِي عَلَيْكُ فَضلاً عَنْ سيرة أهل

ورأينا كيف لفقت أساب النُّزول المُحرّفة وترجمت أسباب غزوة بدر بالجهاد الابتدائي بمنطق عدواني، بخلاف أسباب النُّزول الصحيحة الواردة عَنْ طرق أهل البيت، فَإِنَّهَا ذكرت أنَّ مُبادرة الْنَبِي عَيَّا كَانَتْ مُطابقة لما وَرَدَ فِي أسباب النُّزول، وَأنَّها مبادرة النَّبِي عَيَّا في الحب اللَّزول، وأنَّها مبادرة النَّبِي عَيَّا في الحقيقة لها غطاءها الاستباقية في غزوة بدر عَلَى قافلة قريش التّجارية هِيَ فِي الحقيقة لها غطاءها الشّرعي والدّفاعي وَذَلِكَ مِنْ أجل استعادت الحقوق الماليّة الَّتِي سلبتها قريش مِنْ المسلمين.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ استباق الحرب فِي مثل هكذا مورد لا يعني العدوان إذَا كَانَتْ هُنَاك خلفيات حقوقيَّة مُبَرِِّرَة لهذه الحرب مِنْ كون الطرف عدوانياً مُبيّناً للاستمرار فِي العدوان.

فَلَيْسَ المدار فِي دفاعية الحرب أو عدوانيتها عَلَى مَنْ يُبادر بالحرب بَلْ المدرا عَلَى مَنْ يَكُون صاحب حقّ مسلوب فِي قبال المُفَرِّط فِي حقوق الآخرين ومما يُبيِّن أَنَّ جميع حروب وغزوات الْنَبِي عَلَيْكُ كَانَتْ كُلَّهَا حروب دفاعية ما توصل إليه واكتشفه بَعْض الكُتّاب (۱) وَمُنذُ عِدَّة عقود مِنْ الزمان وعَلَى قناعة تامَّة أَنَّ كُلِّ حروب الْنَبِي عَلَيْكُ بلحاظ المنطق القانوني البشري فِي العصر الحديث كُلَّهَا كَانَتْ حروب دفاعيّة ابتداءاً مِنْ غزوة بدر ومعركة العصر الحديث كُلَّهَا كَانَتْ حروب دفاعيّة ابتداءاً مِنْ غزوة بدر ومعركة

⁽١) بَعْض الكتّاب المصريين.

أحد والاحزاب الَّتِي تَحَزَّبَ فيها اليهود وقريش والنَّصارى والقبائل الأُخْرَى والمُشركين ضدَّ الْنَّبِيّ والمُسلمين، كُلِّ ذَلِكَ كَانَ واضحاً بسبب عدوان أهل مَكَّة بَعْدَ أَنْ فتحها رسول الله عَلِيَّةُ إِلَّا أَنَّ الْنَّبِي عَلِيَّةً لَمْ يستخدم الحرب الفعليّة في فتح مَكَّة ما عدا استعراضه عَلِيَّةً لقوَّة عسكرية ثقيلة كردع لعدوان العدوّ في فتحها.

ولهذا فَإِنَّ غزوات الْنَبِي عَلَيْ الشهانين كَانَتْ كُلَّهَا ذَاتَ غطاء دفاعي، فمثلاً فِي أَوَّل معركة فِي الإسلام وَهِيَ معركة بدر الكبرى وصفها القُرآن ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّآبِهَ نَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُورِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَنِيهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الشَّوْرِينَ () الكَيْرِينَ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَنِيهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ اللّهُ اللهُ اللهُ

بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى وَعَدَ الْنَبِيَ عَلَيْ والمُسلمين بالظفر عَلَى الأعداء إمَّا بالاقتصاص مِنْ قافلة قريش التّجارية ويسترجعون أموالهم المسلوبة والمغصوبة في مَكَّة أو يهزمون قريشاً عسكرياً، فقريش الَّتِي خرجت مُدجّجة بالسِّلاح وَكَانَ قصدها العدوان عَلَى الْنَبِي عَلَيْ والمسلمين بدليل، بعْدَمَا رجعت إلى مَكَّة قَالَ بَعْض رجالها وَهُوَ عتبه لماذا تقاتلون هَذَا الرجل أي سيد الأنبياء عَلَيْ وصدور مثل هَكذَا كلام مِنْ عدو رسول الله عَلَيْ بَعْدَ أَنْ سَلِمتْ قافلة قريش مِنْ المسلمين وعودتها إلى مَكَّة أنَّهُ لا مُبر لهذا القتال سوى العدوان، وَهذَا يولِّد حقاً للنبيّ والمسلمين في الدِّفاع عَنْ القتال سوى العدوان، وَهذَا يولِّد حقاً للنبيّ والمسلمين في الدِّفاع عَنْ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٧.

الشاهد الثاني: ولذا بعث رسول الله عَيْرَا الله عَلَيْكُ إلى قريش مِنْ يقول لهم عَنْهُ عَيْظُ اللهُ اللهُ عَشْر قريش ما أحدٌ مِنْ العرب أبغض إلى ممّن بدأ بكم حُلُّوني والعرب فإن آك ـ كان ـ صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وأن آك ـ كاذباً كفتكم **ذؤبان العرب أمري فارجعوا»^(٢) وَهَذَا ا**لمقطع دالَّ بوضوح أنَّ الجهاد الابتدائي فلسفته وغايته استرداد الحقوق لا المبادرة ابتداءاً لغرض إكراه الطرف الآخر، كَمَا هُوَ مقرّرٌ مِنْ غرض تشريع الجهاد الابتدائي لدى العامَّة، فَقَالَ عُتبة: والله ما أفلح قومٌ قَدْ ردُّوا هَذَا! وأقبل يقول: يا معشر قريش: أطيعوني اليوم واعصوني الدُّهر وارجعوا إلى مَكَّة ... ولا تنبذوا رأيي، وَإِنَّهَا تطالبون محمداً بالعير الَّتِي أخذها مُحمَّد بنخيلة ودم ابن الحضرمي، وَهُوَ حليفي وعليَّ عَقْلُه _ أيّ ديّته _ فلما سمع أبو جهل ذَلِكَ غاضه، وَقَالَ: إنَّ عتبة أطولَ النَّاسِ لساناً وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكونزَّ سيد قريش آخر الدهر، ثمَّ قَالَ _ أبو جهل _ يا عتبة نظرتَ إلى سيوف بني عبدالمطلب وجَبُّنت وانتفخ سَحَرُك ـ والسَحَر: هُوَ الرّيّة والجوف مِنْهُ سَحَر الليل أيّ جوفه، وانتفخ سَحَرك أيّ ريّتك أو جوفك مِنْ الخوف ـ وتأمر النَّاس بالرجوع وَقَدْ رأينا ثارنا بأعيننا! فنزل عتبة عَنْ جمله وحَمَل عَلَى أبي جهل وَهُوَ عَلَى فرسه فعرقب فرسه وأخذ

⁽١) يقول الواقدي: ج١، ص٦١ أرسل النَّبِيِّ ﷺ عمر بن الخطّاب إلى قريش.

⁽٢) أَيَّ لَيْسَ هُنَاكَ فِي العرب مَنْ يَكُون أَكْثَر مبغوضاً عندي مَّن يَبدأ القتال معكم، فأنا أَبغض أنْ أبدا بالقتال معكم إنْ لَمَ تقاتلوني.

يشعر، وَقَالَ لِي أَمثلي يُجَبَّنُ؟! وستعلم قريشاً اليوم أَيُّنا أَلئم وأجبن؟ وأَيُّنا الله وأجبن؟ وأَيُّنا المُفسِدُ لقومه لا يمشي إلى الموت عياناً إلَّا أنا وَأَنْتَ ثُمَّ أَخذه يجرّه بشعره! فاجتمع النَّاس يقولون: يا أبا الوليد! الله الله! لا تَفُتَّ فِي أعضاد النَّاس تنهى عَنْ شيء وتكون أوَّله ... حَتّى خَلَّصوا أبا جهل مِنْ يده.

ولذا عِنْدَمَا نزل عُبيدة مِنْ الحارث بن عبدالمطلب والحمزة بن عبدالمطلب والحمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فَقَالَ لهم عتبة انتسبوا لنعرفكم، وَقَالَ عبيدة لعتبة: هُمَا حمزة ابن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فَقَالَ عتبة كفوان كريهان، لعن الله مَنْ أوقفنا هَذَا الموقف.

وفي خير آخر: أنَّ عتبة بن ربيعة أسدى نصيحة لقريش بعدم مُناجزتهم الحرب رسول الله عَلِيُ وعدم فتح باب الحرب مَعَ المُسلمين قائلاً: إنِّي أرى قوماً مُستميتين لا تصلون إليهم ... يا قوم أعصبوها اليوم برأسي وقولوا جُبُن عتبة بن ربيعة، ولقد علمتم أنَّي ليستُ بأجبنكم ... وَكَانَ عتبة أرشد قومه وأكثرهم وعياً وَقَدْ نظر إليه الْنَبِي عَلِيلًا وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ أحمر، فَقَالَ لأصحابه: «إنْ يكُن فِي أحدٍ مِنْ القوم خيرٌ فَعِنْدَ صاحب الجمل الأحمر إنْ يطيعوه يُرشدوا ...».

وَهَذَا الكلام مِنْهُ عَيِّالَهُ هُوَ الآخر نصٌّ واضحٌ فِي هويّة وغايّة تشريع الجهاد الابتداء بالحرب لإكراه الجهاد الابتداء بالحرب لإكراه الطرف الآخر، وَمِنْ ثمَّ وَصَفَ عدم الحرب رشدٌ، أيّ لَيْسَ القتل والقتال فِي نفسه لإكراه وكسر الطرف الآخر وَهُوَ بنفسه غاية للجهاد الابتدائي؛

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أَنَّ أحد منازل إحقاق الحقّ هُوَ نفس الظفر العسكري أو اتّخاذ الخطوات السياسيّة والعسكريّة المُناسبة لاسترجاع الحقّ وكذلك نفس هَذِهِ التدبيرات العسكريّة والسياسيّة والأمنيّة قَدْ تكون باطلة عَلَى الصعيد الفكري والسياسي لأجل النيّة السيّئة الَّتِي انطوت عَلَيْهَا قلوب عِلْية القوم مِنْ قريش وإلحاق الخسائر بالمسلمين ونشر الفساد.

الشاهد الثالث: ما تَقَدَّمَ فِي الشَّاهِد الثَّانِي مُطابق لقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُم مَّا اَسْتَطَعْتُم مِّن قُوَةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوً كُمْ مَا السَّتَطَعْتُم مِّن قُوَةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَ كُمْ مَا السَّتَطَعْتُم مِن قُوَةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوً اللَّهِ وَعَدُوً كُمْ مَا اللَّهِ وَعَدُوً كُمْ مَا اللَّهِ وَعَدُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ وَعَدُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ا

حَيْثُ تبيَّن الآية الْمُبَارَكَة أنَّ فلسفة القوّة العسكرية وغيرها هُوَ ردعٌ للعدوان وَلَيْسَ لابتداء العدوان عَلَى الآخرين.

الشاهد الوابع: قوله تَعَالَى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابُ اللهِ عَلَى: ﴿ أُولَتِكَ اللَّذِينَ وَلَهُمْ عَذَابُ اللهِ عُلَابُ مِا كَانُواْ يَكُذِبُونَ ﴿ أَوْلَيْكِ اللَّذِينَ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ١٠.

٢٣٦ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث طبع الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَالبَّعُوا أَهْوَاءَ هُمْ (١).

فلسفة تشريع الجهاد الابتدائي:

إن فلسفة هَذَا التشريع للجهاد الابتدائي كَمَا تدل عَلَيْهِ مجموع الآيات القرآنية المُتعرِّضة للجهاد الابتدائي - وَالَّتِي تقدِّمت الإشارة إلى بعضها - في الدِّين الحنيف، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿ يَكَأَيُّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُوٓ الْإِنَاضَرَبَّتُمُّ فِي سَبِيلِ الدِّين الحنيف، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿ يَكَأَيُّهُ اللَّيَالَةُم لَسْتَ مُؤْمِنَا تَبْتَعُونَ اللّهِ فَتَيَيَّنُوا وَلَا نَقُولُوا لِمَن القَّيَ إِلَيْ صَعُم السَّلَةُم لَسْتَ مُؤْمِنَا تَبْتَعُونَ عَرَضَ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَعَانِمُ كَثِيرةً كَذَالِكَ حَمُنتُم مِن قَبْلُ فَمَن اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا أَ إِن اللّهَ كَان بِمَا تَعْمَلُونَ فَنِ قَبْلُ فَمَن اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا أَ إِن اللّهَ كَان بِمَا تَعْمَلُونَ فَنِ قَبْلُ فَمَن اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا أَ إِن اللّهَ كَان بِمَا تَعْمَلُونَ فَنِي قَبْلُ فَمَن اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا أَ إِن اللّهَ كَان بِمَا تَعْمَلُونَ فَيْ فَيْ اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا أَ إِن اللّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ فَيْ فَيْ اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيِّالُوا أَلْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيْدُ اللّهُ فَالَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

فَإِنَّ هَذِهِ الآية تُحدِّد مَعلماً مُهمَّا مِنْ معالم الجهاد، وإنَّ الغرض فيه لَيْسَ جَمع الغنائم والأموال والاسترقاق، بَلْ قيادة الجموع البشريَّة وهدايتها إلى طريق الله وعبادته.

وكذا قوله تَعَالَى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفِ فَإِنْ أَصَابَهُ ، خَيْرُ اَظْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ وَ فَيْنَ أَصَابَهُ مَنْ اللَّهُ مَا أَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ وَخَسِرَ الدُّنَيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُو النَّسُرَانُ الْمُهِينُ اللَّ وَاللَّهُ لَا وَإِذَا تَوَلَى اللَّهُ مَا الْحَرْثَ وَالنَّسُلُ وَاللَّهُ لَا

⁽١) سورة مُحمَّد: الآبة ١٦.

⁽٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقاندية ٧٣٧ يُحِبُ الْفَسَادَ اللهُ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اُتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ الْمِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسَبُهُ, جَهَنَّمُ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اُتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ الْمِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسَبُهُ, جَهَنَّمُ وَلِبَنْسَ الْمِهَادُ اللهُ اللهُ

وَهَذِهِ ملحمةٌ قرآنية عمّن هُو فِي الصفوف مَعَ النّبِيّ عَلَيْ وَهُو عَسْل اللسان والكلام، ولكن قلبه مخالف تماماً لما يظهرهُ عَلَى لسانه وَهُو شديد العداوة لله ولرسوله والآية تُخبر أنّه إذْ تولى الأُمُور فسوف يَكُون سعيه فِي ولايته فساداً فِي الأرض وإهلاكاً للحرث والنسل البشري والحال أنَّ الله تعالى لا يحب الفساد فِي التكوين، وأنَّ خاصية هَذَا المتولي التعصّب لفعله أمام تضحية الآخرين لَهُ، كَمَا أنَّ هَذِهِ الآية تُحدِّد أغراض الدِّين ـ بها فيه الجهاد الابتدائي ـ بأنه لَيْسَ للإفساد فِي الأرض وإهلاك الموارد الطبيعية أو الإنجازات المدنية التِي حققها البشر ولا الهدف تبديد النسل البشري.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ لَوْلَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ تُعَكَّمَةٌ وَذُكِرَ فِهَا ٱلْقِتَالُ ْ رَأَيْتَ اللَّهِ مَا الْقِتَالُ لَأَيْتَ اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُو

فَهَذِهِ الآيات ترسم ملحمة مستقبلية لجماعة ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ ﴾ وهذا الجماعة قَدْ أشار إليها القُرآن الكريم في سورة المدّثرن رابع سورة نزلت عَلَى النَّبِي عَلَيْ فِي أوائل البعثة الشّريفة فِي مَكَّة المكرّمة، وأعلن وجودها في صفوف الثلّة الأولى الَّتِي أسلمت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ... ﴾ (٣).

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٠٤_٢٠٦.

⁽٢) سورة مُحمَّد: الآية ٢٠.

⁽٣) سورة المدثر: الآية ٣٠ ـ ٣١.

فَإِنَّ الآيات تُبيِّن أَنَّ المُخاطِب الذي تَعِدَّه الملائكة الموكلون بالنَّار عَلَى أربعة أقسام: الأول: ﴿ اللَّذِينَ اَمنُوا ﴾ والثاني: ﴿ النَّذِينَ أُوتُوا الْكِئبَ ﴾ الثالث: ﴿ النِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ ﴾ والرابع: ﴿ الْكَنفِرُونَ ﴾ وتخبر أنَّ الذي سيحصل لديها لَهُ الإيهان هُمَا القسهان الأولان أمَّا القسهان الآخران فسيحصل لديها الإرتياب، وَمِنْ الواضح أنَّ المرض الذي في القلب نحو مِنْ النفاق الخفي جداً، أيّ الذي لا يظهر عَلَى صاحبه، بَلْ يُبطنه فِي قلبه وخفاء أعهاله، وَقَدْ ذكرناأن الآيات القُرآنية تتابع هَذِهِ الفئة والجهاعة في كثير مِنْ الشُور، تحت هَذَه العنوان، وبهذا الاسم إلى آخر حياة الرسول عَلَيْ فنزول القُرآن.

والآيات هُنَا مِنْ سورة مُحَمَّد عَلَيْ تُبيِّن أَنَّ عَرض هَذِهِ الفئة هُو تولِي الأُمُور والأخذ بزمامها، وأنَّ ذَلِكَ الغرض هُو وراء انضهامها إلى صفوف المسلمين الأوائل: إذْ إنَّ خَبر ظفر النَّبِيّ المبعوث عَلَيْ كَانَ منتشراً قبل البعثة كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِدِّء فَلَعْنَةُ ٱللّه عَلَى ٱلْكَفِرِينَ الله الله فَلْمُ اللّه عَلَى اللّه اللّه عَلَى اللّه عَل

فَقَدْ أَشَارِت الآية إلى أَنَّ أَهُلِ الآية إلى أَنَّ أَهُلِ الكتابِ كانوا يستفتحون وينظرون ويطلبون الفتح والنصر والظفر بالنبي ـ الذي سيبعث خاتماً ـ عَلَى الكافرين مِنْ مُشركي الجزيرة العربية، فلما عرفوا ذَلِكَ وَأَنَّهُ عَلَيْ قَدْ بُعث كفروا برسالته، فالسُّورة تُبيِّن أَنَّ غرض هَذِهِ الفئة ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ ﴾ كفروا برسالته، فالسُّورة تُبيِّن أَنَّ غرض هَذِهِ الفئة ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ ﴾ هُو تسلم مقاليد الأُمُور، وَأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى اتّصال في الخفاء وارتباط مَعَ فئات معادية علناً لرسول الله عَلَيْ ﴿ ذَلِكَ بِأَنْهُمُ

قاعدة الشوري قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية قَـالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ ...﴾ وكذلك بَقيَّة السُّور المُتعرّضة لهذه الفئة بهَذَا الاسم تُشير إلى هَذِهِ العلاقات بين هَذِهِ الفئة وبين بقيّة الفئات الأُخْرَى، ثمَّ أنَّ الشُّورة تُبيِّن أنَّ طابع سياسة الدولة الَّتِي يقيمها أفراد هَذِهِ الفئة هُوَ الإفساد فِي الأرض وقطع الصِّلة بمن أمر الله تَعَالَى بوصلهم ومودَّتهم كالذي تُشير إليه آية ٢٠٥ مِنْ سورة البقرة ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَكَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلُ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ١٠٠٠ فَهَذِهِ الآيات تُحدِّد أنَّ أغراض الشّريعة _في أحكامها وقوانينها السياسيّة وأبواب فقه النِّظام والسياسة الشَّاملة للجهاد الابتدائي ـ لَيْسَ الإفساد في الأرض وإهلاك الحدث وتبديد النَّسل البشري، فَإنَّ الله يحب صلاح الأرض وأهلا وعمارتها، فَهَذَا هُوَ سبيل الله تَعَالَى الذي أمرت الآيات القُرآنية العديدة بالقتال فيه وفي سبيل المُستضعفين مِنْ الرِّجال والنِّساء والولدان

ثانيا: وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُقدِّمة نعود لنذكر عِدَّة نهاذج وقرآنية عَلَى إبطال نهاذج مِنْ روايات أسباب النُّزول المُحرَّفة فِي خصوص معركة بدر.

النموض الأول: قوله تَعَالَى: ﴿ كَمَاۤ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ يَلْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ وَلِنَّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكُوهُونَ الْ اللهِ (٢).

بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى أخرج الْنَّبِيَّ عَيِّلْلُهُ والمسلمين فِي غزوة أُحُد مِنْ

لأجل إزالة استضعافهم وإرجاع حقوقهم المُغتصبة(١).

⁽١) الصحابة بين العدالة والعصمة، الشَّيْخ مُحمَّد السند: ص١٢٢.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٥.

المدينة المنورة إلى ضواحي بدر (۱) ونفس هَذَا الإخراج مِنْ المدينة شكّل عامل نصر للنبي عَيْلُ وللمسلمين لا عامل هزيمة، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الشّواهد القرآنية مِنْ سورة آل عمران لدحض بَعْض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيّفة والمزعومة مِنْ قبل العامّة فِي غزوة أُحُد وَالَّتِي ادّعي فيها أنَّ سبب الهزيمة للمسلمين هُوَ الخروج مِنْ المدينة، كَذَلِكَ الحال فِي آيات سورة الأنفال الدَّالَّة وبصراحة عَلَى أنَّ نفس خروج النَّبِي عَيَّالِلُهُ وَمَنْ معه مِنْ المسلمين فِي غزوة بدر هُو عامل نصر لهم وَلَيْسَ سبب الهزيمة هُو القتال المسلمين فِي غزوة بدر هُو عامل نصر لهم وَلَيْسَ سبب الهزيمة هُو القتال خارج جدرانها وعمرانها وأنَّ سبب النَّصر كَمَا قَالَ أمير المؤمنين الثَّلِا: فوالله ما غُزي قوم فِي عُقْرِ دارهم إلَّا ذُلُوا» (۱).

وَهَذَا بِيانٌ آخر مِنْ أمير المؤمنين المَيِلِا لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة. والآية المُبارَكة تذمّ وصف حال فريق مِنْ المؤمنين:

الفريق اللهل: بأنَّ بعضهم كَانَ كارهاً للخروج للقتال فِي بدر وَلَيْسَ كلَّهم. الفريق الثاني: ﴿يُجَدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا نَبَيَّنَ كَأَنَمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾.

وَمِنْ هَذَا يتضح أنَّ القُرآن يُشير إلى أنَّ الخروج إلى معركة بدر هُوَ سبب للنَّصر، وأنَّ جملة مِنْ الصّحابة ومنهم أبو بكر وعمر بن الخطاب

⁽١) بدر: ــ بئر يبعُد عَنْ المدينة حوالي (١٥٠كم) وَهُوَ الموضع الذي مَرَّتْ به قافلة أبي سفيان.

⁽٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي الله : ج١، ص٦٨.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

كانوا كارهين للخروج مَعَ رسول الله عَيْلِهُ فكيف يُفرض حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة وكُتب السِير أنَّ عمر أحرص بغايات الحرب والجهاد مِنْ غيره، علماً أنَّ عمر كَانَ خائفاً مِنْ أصل الحرب والجهاد.

تأثير الحرب النفسية على المقاتل:

النعوضة الثاني: قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلَّا بُشُرَىٰ وَلِتَظْمَيْنَ بِهِ عَلَمُ اللّهُ عَرِينٌ حَكِيمٌ ﴿ الْاَيْمَ عِندِ اللّهِ إِن عِندِ اللّهِ أَبِ اللّهَ عَزِينٌ حَكِيمٌ ﴿ اللّهَ عَنهُ النّعَاسَ أَمَنَهُ مِنْ أَلْتَكَمَا مِنَ السّكَا مِنَ عَنكُمُ النّعَاسَ أَمَنَهُ مِنْ فَرُيْرِ عَلَى مُن السّكَا مِن السّكَا مِن الطّهِركُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمُ رِجْزَ الشّيطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامُ ﴿ اللّهَ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ رِجْزَ الشّيطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتُ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللل

بتقويب: إنَّ أحد أسباب النَّصر الإلهي الذي أمدّه الله للمؤمنين والمسلمين هُو مسألة تأثير الحرب النفسيّة عَلَى الكفّار. ﴿ سَأَلُقِي فِي قُلُوبِ اللَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ وَعَلَيْهِ فالرعب سلاحٌ فتّاك، يُشير القُرآن الكريم إلى أهميته، وأنَّ الشّجاعة لها دورٌ كبيرٌ فِي الظفر والنَّصر لِأنَّ لها جانبٌ روحيٌّ ونفسيٌّ؛ ولذا أحد شرائط الإمام أو الخليفة يجب أنْ يَكُون شُجاعاً - كَمَا تَقَدَّمَ تفصيله - لِأنَّ الخليفة أو القيادي إذا كَانَ جباناً وفرَّاراً فَإِنَّهُ يوحي بعدم الظفر والهزيمة للمسلمين، وسيرُ ديهم في الهاوية وتوحي اليأس؛ لأنَّ العدو

⁽١) سورة الأنفال: الآبة ١٠ ـ ١٢.

٧٤٧ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث دائماً يُناجز المسلمين بحربه الرُّعب والإرعاب.

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَكَ مِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَنِتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِى فِي قَلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا ٱللَّهَ ... ذَلِكُمْ فَيُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ ... ذَلِكُمْ فَيَانَهُمْ شَاقُوا ٱللَّهَ ... ذَلِكُمْ فَدُوقُوهُ ... بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَنَهُ جَهَنَّمُ وَبِثْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٠).

بتقريب: هَذِهِ الآيات الْمُبَارَكَة تُشير إلى أنَّ فرقةَ مِنْ أصحاب الْنَبِي عَلَيْكُ اللهِ اللهُ ولا مِنْ نتائج الأوَّل والثاني لمُ يكونا عَلَى جرأة نفسيّة مِنْ الحرب كَمَا مَرَّ، بَلْ ولا مِنْ نتائج الحرب.

ثمَّ قالت الآية ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِمِنَ اللَّهَ قَنَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ... إِن نَسْتَفْنِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتَحُ وَإِن تَننَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ... (٢).

بتقریب: إنَّ نفس معركة بدر تبيَّن أنَّ أسباب النَّصر ليست كُلَّهَا مادّية وَإِلَّا لَيْسَ هُنَاكُ موازنة مادّية بين جيش المسلمين وجيش قريش، فخرج رسول الله عَلَيُّة بـ (٣١٣) ثلثهائة وثلاثة عشر رجلاً، وَكَانَ فِي عسكره فَرَسان،: فرسٌ للزبير بين العوّام وفَرس للمقداد بن عمر، وَكَانَ لهم سبعون جملاً " يتعاقبون عَلَيْهَا لملاحقة قافلة قريش الَّتِي يقودها رأس الشَّركُ والنفاق أبو سفيان، وَكَانَ رسول الله عَلَيْهُا بن أبي طالب ومرثد

⁽١) سورة الأنفال: الآية ١٢ _١٦.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ١٧ _١٩.

⁽٣) وفي أعلام الورى للطبرسي: ج١، ص١٦٨ معهم ثمانون بعيراً.

بينها حزمت قريش لاستنقاذ قافلتها التّجارية بأعداد مضاعفة وكبيرة جدّاً مِنْ العِدّة والعدد.

وَهَذَا مما يُدلِّل أنَّ الأسباب الرُّوحيّة والمعنوية والعقائدية لها دخل عظيم مِنْ صنع النّصر سواء كَانَ النَّصر عسكرياً أو أمنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو ثقافياً؛ ولذا الهزيمة الفكريّة تشكِّل خطراً كبيراً جدّاً.

وبالتالي يتطابق هَذَا الشَّاهِد مَعَ مفاد الشَّاهد السابق.

ليس كل ملفات الحدث الأرضي حسية: الملفات الغيبية في غزوات النبي الملفات

وكيفية إدارة الدولة الإلهية:

هُنَاك الكثير مِنْ الملفات الغيبية في حياة الْنَبِي عَلَيْ كَانَتْ إدارتها بيد الدولة الإلهية الغيبية، فَإِنَّ عدم علمنا بها وعدم اطلاعنا عَلَيْهَا وَعَلَى اسرارها لا يعني عدم وجودها؛ لإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ الضروري علمنا بها، وكذا لَيْسَ مِنْ الضروري الوقوف عَلَى الأسرار الإداريّة في إدارة استراتيجيات الدولة الإلهية، ويكفي للمسلم والمؤمن ملاحظة ما جاء في القُرآن الكريم بخصوص غزوة بدر وجود الملفات الغيبية وَغَيْر المرئية أدارتها الدولة الإلهية مِنْ دون أَنْ يشعر بها المسلمون وغيرهم، فالآية تقول: ﴿وَيُقَلِلُكُمْ فِيَ

⁽١) تقسيم القمّي: ج١، ص٢٦٢ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمّي.

٧٤٤ ـ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث أعَيْنِهم لِنَقْضِي ٱللَّهُ أَمْرًا كَاكَ مَفْعُولًا ﴿(١).

وَمِنْ خلال هَذَا يُعْلَم أَنَّهُ لَيْسَ كُلِّ ملفات إدارة الحدث هِيَ بأسباب مادّية ظاهرة كلا، وَإِنَّما بعضها مادّية، ففي الغزوات والحروب تُسلط الأضواء والاهتهامات بالجانب المادّي مِنْ تهيئة العِدَّة والعَدَد وما يحتاجه العسكر، هَذَا بالنسبة للجانب المادّي والمرئي والمحسوب، وأمَّا الجهة غَيْر المرئية والغيبية، فَهُنَاك يدُّ غيبية تُدَبِّر بَعْض الملفات مِنْ حَيْثُ لا يشعرون.

ولذا كَانَ البعض يستشكل ويعترض عَلَى ما كتبه بَعْض علمائنا الأعلام مِنْ الفُقَهاء وغيرهم حول واقعة عاشوراء ومصرح سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين الملي وأنَّ فِي هَذَا المقتل إسفاف وَأُمُور خياليّة.

إِلَّا أَنْنَا نَقُولَ لِمُثُلِّ هُؤُلَاءَ المُعترضين: _ مَنْ قَالَ لَكُم: _ إِنَّ كُلِّ مَلْفَاةُ الْحَدثُ الأرضي حسيّة ظاهرة ومادّيّة، فمثلاً بَعْض ما قاله الْنَبِي عَلَيْكُ فِي الحَدثُ الأرضي حسيّة ظاهرة ومادّيّة، فمثلاً بَعْض ما قاله الْنَبِي عَلَيْكُ فِي الحَدثُ الطائفتين، والله واقعة بدر «... سيروا وابشروا فَإِنَّ الله قَدْ وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر مصارع القوم».

وَهَذَا الكلام مِنْ النَّبِيَ عَلَيْ قَبل واقعة بدر، وبالفعل قَدْ تحقّ ما تنبأ به النَّبِي عَلَيْ أَهُ مَ مَضِ حفنة مِنْ الأيام وإذا بعيون القرشيين وزعمائهم صرعى وألقيت جيفهم في القليب تلاحقهم اللعنة والعذاب الأليم.

أُو عَلَى رواية أُخْرَى بأنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «... كَأَنِّي بمصرع فلان

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٤٤.

ولا يقتصر الجانب الغيبي عَلَى أنباء النّبِي عَلَى إنزال النّعاس عَلَى أصحاب النّبِي عَلَيْ فناموا، وَإِنّها هُنَاك أُمُور أُخْرَى غيبية تشكل جزءاً مِنْ الحَدَث الأرضي، فَهَذِهِ الملفات الغيبية الّتِي شاركت في إدارة الحدث لا يَعْلَمُ بها حَتّى المقاتلين مِنْ الطرفين ـ المسلمين والمشركين ـ ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أنْ نكون غيبين فَقَطْ وَإِنّها الحدث يشتمل عَلَى جنبة غيبية وأمواج غَيْر محسوسة، نكون غيبين فقط وَإنّها الحدث يشتمل عَلَى جنبة غيبية وأمواج غَيْر محسوسة، وَعَلَى جنبة، جنبة مادّية محسوسة، كَمَا ذكرت سورة الأنفال كثير مِنْ اللقطات الغيبية غَيْر المرئية فِي واقعة بدر، وكذلك الحال فِي سورة آل عمران فِي واقعة أحُد، وكذلك الحال فِي سورة الأحزاب وَمُحمَّد حول واقعة الخندق، وكذلك ما في سورة براءة حول واقعة حنين ٢٥/ ٢٦.

إذَنْ القُرآن الكريم يفتح الكثير مِنْ الملفات الغيبيّة فِي مشاهد غزوات وحروب الْنَبِيَ عَلَيْهِ وَيُوكِّد عَلَى وجود مشهد غيبي يُزامن ويُقارِن المشهد الحسي وأنَّ هَذَا مِنْ صميم الإيهان والاعتقاد والارتباط بالله تَعَالَى، وَلَيْسَ هَذَا خُرَافة وكسل وفشل بَلْ هُوَ ترجمان الحقيقة وعقيدة لا جبر ولا تفويض إنَّها هُوَ أمر بين أمرين فَلَيْسَ الأمر غيبي محض ولا مادي مرئي محض، بَلْ أمر بين أمرين.

⁽١) تفسير القُمّى: ج١، ص٧٥٧ ـ ٢٦٠.

٢٤٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَهَذِهِ الملفات الغيبية لَمْ يعطها الله تَعَالَى مجاناً للمسلمين بَلْ أعطاها لِصِبر مَنْ صَبَر وثبتَ وصِدْقَ مَنْ صَدَق فِي صفوف المسلمين لا لأجل مَنْ فَرَ وانهزم.

ولذا فَإِنَّ ما كتبه أعلامُنا وفقهاؤنا حول مقتل ومصرع سيد الشُّهداء أبي عبدالله الحسين أو حول غزوات الْنَّبِي ﷺ أَنَّ مِنْ أغراض ما كُتِب هُوَ لأجل بيان أُمُور مِنْهَا: التغيير والإصلاح الاجتماعي، لئلا يُظنَّ أَنَّ ذَلِكَ يوعز إلى الأسباب المادّية فَقَطْ، بَلْ إلى أسباب معنويّة أيضاً وَهُو الصحيح.

ولذا تضرَّع خُلَّصِ أصحاب الْنَبِي عَلَيْ أَو أمير المؤمنين أو سيد الشُّهداء والإمام الحسين بن علي الله تَعَالَى وعملوا بَعْض الأعمال كَالصَّلاة أو الصدقة أو الدعاء أو ... الخ، هَذِهِ وغيرها ساعدت عَلَى إنزال المدد الغيبي، وأنَّ هُنَاك أسباباً خفية لا يعلمها أحدٌ تُؤثِّر في عالم المادة والسيطرة عَلَى برمجتها، فمثلاً: _كثيراً ما يُؤكِّد القُرآن وأهل البيت المَهِ عَلَى الاهتمام بالزّراعة وَأنَّها عصب الحياة وتشكّل العمود الفقري لاقتصاد الشعوب والتأكيد مِنْ قبل أئمة أهل البيت المَهِ عَلَى الجانب المادي وتهيئة الأرض والماء والبذور والأسمدة وغيرها وبنفس الوقت، لماذا يأمر القُرآن، وكذا هل البيت المَهِ يُؤكِّدان عَلَى الإتيان بصلاة الاستسقاء، وما هذَا إلَّا أنَّهم أمروا بأمر بين أمرين، فَمِنْ جهة يأمروننا بالأسباب الماديّة، باعتبار أنَّ الله تَعَالَى أبي إلَّا أنْ يُجري الأمُور بأسبابها المادّيّة مِنْ جهة والغيبة باعتبار أنَّ الله تَعَالَى أبي إلَّا أَنْ يُجري الأُمُور بأسبابها المادّيّة مِنْ جهة والغيبة باعتبار أنَّ الله تَعَالَى أبي إلَّا أَنْ يُجري الأُمُور بأسبابها المادّيّة مِنْ جهة والغيبة

إِذَنْ مثلما توجد هُنَاك أسباب مادّيّة فِي أَيِّ حَدَث تُركِّز عَلَيْهَا ونتعظ مِنْهَا، ولكن الجانب الرّوحي كَذَلِكَ يجب أَنْ نعتبرمنه وأَنَّ لَهُ دورٌ كبيرٌ فِي النّصر والظفر؛ ولذا نلاحظ القُرآن يهتم بكلا الجانبين المادّي والمعنوي والرّوحي ولا يُفرِّط بأحد منهما ويُعطي كُلاً حَقَّهُ ﴿ يَتَأَيّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيبَ مُوا أَلَة كُرُوا اللّهَ كَيْرًا لَعَلَكُمْ نُفْلِحُونَ ﴿ يَتَأَيّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيبَ مُوا أَلَة كُونَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

يتقريب: إنَّهُ مِنْ الجانب المادي فاثبتوا ولا تنهزموا وتسلموا إلى الأعداء، وامسكوا الأرض ولا تتراجعوا وتقدّموا بعددكم وعِدَّتكم نحوهم ورابطوا هَذَا مِنْ الجانب المعنوي والرَّوحي وَأَذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمُ نُفْلِحُونَ، وبانضهام العالم المادي إلى المعنوي والرُّوحي فَإنَّهُ بالنتيجة يتحقّق الظفر والنَّصر ولا يَتِمُّ النَّصر بالاهتهام بأحدهما دون الآخر.

القرآن يذكر العامل المادي والمعنوي

في جانب الشركذلك:

هَذَا مُضَافًا إلى أَنَّ القُرآن الكريم يذكر كلا العاملين ـ أيّ المادي الحسي، والغيبي غَيْر المرئي وَغَيْر الحسي ـ فِي معسكر الشرِّ كَذَلِكَ ولا يقتصر ذكره لهما فِي معسكر الخير، بقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا يَتَانَعُوا فَنَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا أَلِلهَ مَعَ ٱلصَّنبِرِينَ اللهَ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ ٱلصَّنبِرِينَ اللهَ وَلَا

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٥٤.

٧٤٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث تَكُونُوا كُالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَرِهِم بَطَرًا وَرِثَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِمَايَعُ مَلُونَ مُحِيطً (اللهُ وَإِذْ زَيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطُنُ أَعْمَلُهُ مُ وَقَالَ لَا عَالِبَ ... (١١).

بتقريب: إنَّ القُرآن يُنبئنا بوجود مشهد غيبي ملكوتي شيطاني فِي معسكر الشِّرِّ ﴿ وَإِذْ زَيِّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ مُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْمُولُ الللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ الللْمُو

وإنَّ نفس الشَّيطان يرى الجانب غَيْر المرئي فِي معسكر الحَقِّ وَعَلَى ما جاء فِي جملة مِنْ المصادر أنَّ حامل راية قريش فِي معركة بدر هُوَ إبليس فِي صورة سُرَاقة بن مالك، فَقَالَ لهم: ادفعوا إليَّ رايتكم فدفعوها إليه ... ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع ورمى باللواء! فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه، ثمَّ قَالَ لَهُ: _ ويلك يا سراقة تَفُت فِي أعضاء النَّاس! فركله إبليس ركلةً فِي صدره، وَقَالَ: إنِّي أرى ما لا ترون إنِّي أخاف الله (٢).

وَعَلَيْهِ فَمَا مِنْ معسكر سواء كَانَ معسكر فكري أو سياسي أو اقتصادي أو ... الخ إلَّا وفيه جنبة حَقِّ وجنبة باطل يلتقيان، وكذلك يوجد جانب غَيْر مرئي حق وجانب غَيْر مرئي باطل.

إِذَنْ مُضَافَاً للأسباب المادّيّة يوجد جانب غَيْر مرئي بقسميه الحَقّ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٤٦_٤٨.

⁽٢) تفسير العياشي: ج٢، ص٥٦ ـ ٦٥؛ والطوسي في التبيان: ج٥، ص١٣٥؛ وبحار الأنوار:ج١٩،ص٢٧٠ عَنْ جابر.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية والباطل، وَهَذِهِ وغيرها كُلَّهَا حقائق قرآنية تكوينية باهرة يذكرها القُرآن، وَمِنْ هُنَا ينبغي عَلَى المُحلِّل التأريخي والاستراتيجي إذا أراد أنْ يَكُون تحليله ناجحاً ومُسَدَّداً في نتائجه ورسم خططه، فَلابُدَّ مِنْ مُراعاة كلا المشهدين الغيبي، وَهُوَ عبارة عَنْ التوكُّل عَلَى الله والإيهان به، ومُراعاة المشهد المادي الذي هُوَ عبارة عَنْ لا جبر ولا تفويض وَإنَّها أمرٌ بين أمرين.

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ تبيّن أنَّ أيّ حَدَثٍ يحصل سواء فِي معسكر الحَقّ أو الباطل فَإنَّ القُرآن يُبيِّن أسبابه المادّيّة والغيبيّة.

ولا يتوهم أحد أنَّ القُرآن يذكر فَقَطْ الأسباب المادّية، فَإِنَّ المعرفة التّامة للحدث لا تتم إلَّا بالإلمام بكلا الجهتين المادّية والغيبية؛ ولذا يَعْترض البعض عَلَى مَنْ كَتَبَ فِي ذكر الجوانب الغيبيّة فِي غزوات الْنَّبِي عَلَيْكُ وأمير المؤمنين المُلِي وواقعة الطّف والطّرف المقابل معسكر الباطل وَأَنَّهُ كيف تؤثر العوامل الغيبيّة أيّ غَيْر المرئيّة عَلَى معسكر الحقّ ومعسكر الباطل أيضاً هُوَ العوامل الغيبيّة أيّ غَيْر المرئيّة عَلَى معسكر الحقّ ومعسكر الباطل أيضاً هُوَ مِنْ باب لا جبر ولا تفويض بَلْ الأمر بين أمرين.

فيتحصل أنَّ الجانب المادي يمثل جانب الاختيار والأمر الإنساني والجانب الغيبي يمثل الأمر الإلهي فيحصل التوازن بينهما بالأمر بين أمرين.

بخلاف نظرة الصحابيين الأوَّل والثاني فَإِنَّهَا كَانَتْ مُقتصرة عَلَى الجانب المادّي، وَمِنْ ثمَّ أخذا يجبنان عَنْ الخروج إلى الحرب مَعَ قريش فكيف يُفترض أنَّ الثَّانِي سبّاق إلى مسؤوليات الحرب وأعباءها.

.70 تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

ثمَّ قالت الآية عَلَى لسان هؤلاء: ﴿ إِذْ يَكُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي اللَّهِ مَا اللَّهِ عَلَى لسان هؤلاء: ﴿ إِذْ يَكُولُوا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم يُريد أنْ يخبرنا ونكون عَلَى بصيرة فِي أرض بدر.

أصناف وطوائف المقاتلين في معركة بدر:

إنَّ عدد المقاتلين المسلمين الَّذِيْنَ شهدوا وحضروا واقعة بدر كَانَ عددهم (٣١٣) ثلثمائة وثلاثة عشر، وكانوا عَلَى أصناف أو طوائف أو فئات ثلاثة:

الفئة الأولى: المؤمنون.

الفئة الثانية: وَهُمْ المنافقون.

الفئة الثالثة: وَهُمْ الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ.

والفئة الثَّانية والثالثة ليستا بمؤمنين، وَالقُرآن الكريم مَيَّزَ بينهما وجعلهما فتتين لا فئة واحدة وَذَلِكَ:

أمَّا المنافق: فَهُوَ الذي يُظهر شيئاً ويُبطن آخر كالنفق.

وأمَّا الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرض: فَقَدْ تكفّلت سورة المُدّثر^(٢) ببيان

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

⁽٢) قِيلَ إنَّها رابع سورة نزلت في أوائل البعثة.

ولا يُقَال: أنَّ هَذِهِ ملفات تأريخية مكتوبة مِنْ قبل طائفة معيّنة.

الجواب: أنَّهُ ننظر إلى جواب القُرآن كيف يصف هؤلاء الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ بقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَاجَعَلْنَا آصَحَابُ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكُمُ وَمَاجَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِلْ بِهِمْ مَرَضٌ بقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَاجَعَلْنَا أَصْحَابُ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكُمُ وَمَاجَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِي اللَّهِ مَرَضٌ وَيَزْدَادَ اللَّذِينَ اَمنُوا إِيمَنَا وَلا يَرْفَابُ اللَّذِينَ أُوتُوا فَي فَلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْكَفِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآهُ ... ﴾ (١).

كَذَلِكَ جاء وصف هؤلاء فِي قوله تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيَتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿ أُولَتِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللهُ فَأَصَمَهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَدَرُهُمْ ﴿ آَنَ ﴾ (١).

بتقريب: إنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ إنِ استلموا زمام الأُمُور ستكون النتيجة هُنَاك فسادٌ فِي الأرض.

⁽١) سورة المدثر: الآية ٣١.

⁽٢) سورة مُحمَّد: الآية ٢٢ ـ ٢٣.

٢٥٢...... تفسير أمومة الولاية والمكمات الجزء الثالث

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُوكَ فِيهِمْ ﴾ (٧).

وقوله تَعَالَى: ﴿ إِذْ يَكَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضَّ ﴾ (٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِ مِ مَرَضُ فَزَادَ تَهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِ مَ وَمَا تُواْ وَهُمْ كَغِرُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ الْمَا اللَّهُ اللّ

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلِذَيَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِ قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ إِلَّا غُرُورًا ﴿ ﴾ (٥).

وقوله تَعَالَى: ﴿ لَا إِن لَمْ يَنَاهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُّ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِاللَّذِينَ فِي الْمُدِينَةِ لَنُغْرِيَنَكَ بِهِمْ ﴾ (١٠).

وقوله تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ أَن لَن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَنَهُمْ اللهُ (٧).

ولذلك يخاطب القُرآن نساء الْنَبِيّ عَلِيُّكُ: ﴿ يَنِسَآهُ ٱلنِّبِيّ لَسَنَّنَ كَأَحَدِ

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٠.

⁽٢) سورة المائدة: الآية ٥٢.

⁽٣) سورة الأنفال: الآية ٨.

⁽٤) سورة التوبة: الآية ١٢٥.

⁽٥) سورة الأحزاب: الآية ١٢.

⁽٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٠.

⁽٧) سورة مُحمَّد: الآية ٢٩.

بتقريب: إنَّ عدسة القُرآن والعين الرقابية فيه بيَّنت أنَّ هؤلاء الصّحابة الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ هُمْ مَّن لهم ذهاب وإيّاب داخل بيت الْنَبِي عَيَّالِلهُ ويتحدّثون مَعَ زوجات الْنَبِي عَيَّالُهُ، وأمّا المسلم الذي هُوَ مِنْ أقاصي البلاد فَإنّهُ لَيْسَ لَهُ ذهاب وإيّاب داخل بيت الْنَبِي عَيَّالُهُ وَعَلَيْهِ فلا يَكُون خطاب القُرآن موجّها إليه.

وَمِنْ الواضح أَنَّ القُرآن الكريم يُفصِح عَنْ حقائق كثيرة بشرط أَنْ لا تحجبنا أسباب النُّزول المُزيِّفة والمُلفَّقة عَنْ مفاد ظاهر القُرآن البيِّن، فَإِنَّ كثيراً مِنْ روايات أسباب النُّزول أُختُلِقَتْ ودُلِّسَتْ وزُيِّفت وكُتِبَتْ بأقلام مأجورة لحجب حقائق القُرآن بدل أَنْ تكون مفصِحة مبينة لحقائقه، وليست المشكلة فِي أخذ أحد محققي الخاصّة بروايات أسباب النُّزول أخذ المسلَّمات وَمِنْ دون تحقيق، وَإِنَّما عُمدة المشكلة تكمن فِي أَنَّ هُنَاك خطّة أو مؤامرة حيكت وأُحبكَتْ مِنْ قبل الأمويين والعباسيين وأتباع الطرف الآخر لحجب أنوار القُرآن والتشويش عَلَيْهَا لئلا يُبصرها أجيال المسلمين، وَهَذِهِ هِيَ المصيبة العُظمى مِنْ حجب أنوار القُرآن عَنْ عموم المسلمين والمؤمنين.

وَعَلَيْهِ فلو رجعنا إلى ذَلِكَ فِي آية ٤٩ مِنْ سورة الأنفال: فَإِنَّهَا تُشير إلى

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

بتقريب: أنَّ هؤلاء يستمر وجودهم إلى ما بَعْدَ رسول الله عَيْلِيُّهُ؛ لِأنَّ القُرآن أعطى لنا صورة واضحة وجليّة عَنْ الأحداث الَّتِي ستقع بَعْدَ وفاة رسول الله عَيْلِيُّ وحَذَّرنا مِنْ فِئةٍ خطيرة ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ ﴾ فها بالك هل تريد أنْ نَغُضَّ الطرف عَنْ مثل هؤلاء وَلَمْ نذكر روايات أهل البيت التَّيُّ التَّتِي بيَّنت أنَّ القُرآن يُبيِّن حقائق ويبقى هؤلاء المُلفِّقون يصولون لوحدهم في ساحة التفسير وأسباب النُّزول مِنْ دون رَدعٍ ﴿ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ أَلْكِئْبٍ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضِ الْكِئْبِ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضِ الْكِئْبِ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضِ الْكِئْبِ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضِ الْكُوبُ الْكُوبُ اللهُ ا

والخلاصة: مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّ هَذِهِ الآيات الْمُبَارَكَة وغيرها لو تتبعناها بدقّة سوف ترسم لنا خارطة قرآنية عظيمة وعجيبة التركيب.

هَذَا كُلَّهُ ببركة استعانة الباحث الكريم بالتنبيهات الَّتِي تُشير إليها روايات أهل البيت اللِّلِا فِي أسباب النُّزول، لا أنْ نأخذ بها مِنْ باب التعبّد

⁽١) سورة المدّثر: الآية ١ _ ٢.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٨٥.

عدم استسهال بحث قاعدةِ أسباب النزول:

ولذا فَإِنَّ بَعْض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيِّفة رُويت لتعمية حقائق القُرآن وأثرت أثرها السلبي وبشكل كبير جعلت بَعْض مُحققي الخاصة يتأثر بالمنهج الأموي مِنْ حَيْثُ يشعر أو لا يشعر؛ ولذا ينبغي علينا جميعاً أَنْ لا نستسهل بحث قَاعدَة أسباب النُّزول وتمحيصها والرجوع إلى مصادرها وطرقها وتدقيقها وتحقيقها.

ولذا نواجه مشكلة أُخْرَى أَنَّهُ حَتّى فِي تدوينات بَعْض عُلَمَاء الخاصّة سواء الفقهيّة وغيرها تأثّرت بالشاكلة الموجودة فِي مدرسة الطرف الآخر، وَهَذَا بالتالي أدّى إلى الوقوع فِي كثير مِنْ الأخطاء فِي البُنى الفقهيّة المُتبناة مِنْ قبل البعض.

هَذَا بحث علمي لابُدَّ مِنْ عرضه عَلَى الثَّقلين ـ مُحكمات الكتاب وأهل البيت المَيِّا ـ لكي تمَحَّص الحقيقة أكثر فأكثر.

ثمَّ أَنَّهُ لابُدَّ مِنْ التنبيه عَلَى أمر مهم ألا وَهُوَ أَنَّ بَعْض الَّذِيْنَ فِي قلوبهم

مَرَض قالوا كيف هؤلاء المسلمون السُّذَّح والبُسطاء أخرجهم دينهم الذي جاء به الْنَبِي عَلَيْ لله اجهة قريش الكافرة واللهجّجة بالسِّلاح وَالَّتِي تفوقهم عِدَّة وعدداً، علماً أنَّ هؤلاء المسلمون يعتقدون بأنَّ دينهم يمتلك أكبر قدرة أزليّة وَعَلَيْهِ كيف يصف هؤلاء الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرض اعتقاد المسلمين بدينهم أنَّهُ اغترار.

مُضَافاً إلى أنَّ صريح القُرآن يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَحَسَّبُهُ وَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ آ ﴾ (١) و ﴿ إِذْ يَكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرَفُ عَرَّ هَتُولُآءِ دِينُهُ مُّ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ عَرْبِ ذُو حَكِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ عَرْبِ ذُحَكِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ عَرْبِ ذُحَكِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَرْبِ ذُحَكِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرْبِ اللَّهُ عَرْبِ إِذَا اللَّهُ عَرْبِ ذُحَكِيدٌ ﴿ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

وفعلاً تحقّق النّصر الإلهي الذي وَعَدَ النبيّ المسلمين به في معركة بدر، خلافاً لما توهمه القائل مِنْ الصحابة لرسول الله عَلَيْكُ عَزّت، وَلَمْ تخرج قريش وخُيلائها ما آمنت مُنْذُ أَنْ كفرت ولا ذلّت مُنْذُ عَزَّت، وَلَمْ تخرج أَنْتَ عَلَى هيئة الحرب(٣).

وبعضهم قَالَ: يا رسول الله أنَّ قريشاً مُضَافاً لِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّهَا لَمُ تُسلِّم عِزَّها أبداً ولتُقاتلنَّك فاتهب لذلك أهبته وأعدَّ لذلك عِدَّته (¹⁾.

⁽١) سورة الطلاق: الآية ٣.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

⁽٣) المغازي لابن إسحاق: ج٢، ص٢٦٦.

⁽٤) الواقدي: ج١، ص٤٦؛ وصحيح مسلم: ج٥، ص١٧٠؛ والبداية والنهاية لابن الأثير: ج٣، ص٣٩٤.

بخلاف ما قاله المقداد بن الأسود الكندي لرسول الله عَيْنَا إنه الله عَلَيْنَا إنها الله عَلَيْنَا إنها الله عَيْنَا الله عَلَيْنَا الله عَلَيْنِ الله عَلَيْنَا الله عَلَيْنِ الله عَلَيْنَا عَلْنَا عَلَيْنِ عَلَيْنَا عَلِيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنِيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْنَا عَلَيْن الله إنَّا قَدْ آمنًا بِك وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به مِنْ حقٍّ مِنْ عِنْدَ الله، ولو أمرتنا أنْ نخوض جمر الغضا ـ والغضا شجر صلب الأخشاب يتقد طويلاً ـ وشوك الهراس ـ الهراس شجر شائك ـ لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ... فَأَذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلآ إِنَّا هَهُنَا قَعِدُونَ ، ولكن نقول: اذهب أَنْتَ وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون ــ فجزّاه الْنَّبِي عَلِّي خيراً، ومرجع الضمير (غرَّ هؤلاء) بحسب تركيب الآية يعود إلى المنافقين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرض، وفِي هَذَا البحث ملفات أمنية وتأريخية وسياسية خطيرة جدًّا لا يقوى أحدٌ عَلَى فتحها إلَّا بها وَرَدَ مِنْ تعليهات مِنْ أهل البيت اللِّكِلِّا، وَهَذِهِ التعليمات لا يُلْزَم الأخذ بها مِنْ باب التعبُّد الظنِّي وَإِنَّهَا مِنْ باب الإرشاد وإلفات النظر لِأنَّ مبدأ مدرسة أهل البيت المي قائم في أساسه عَلَى العلم والبيان.

النموخ الثالث: قوله تَعَالَى: ﴿ مَا كَاكَ لِنَيِ أَن يَكُونَ لَهُ وَ أَسَرَىٰ حَقَىٰ يُمْخِكَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا ... لَوْلاَ كِنْبُ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخَذْ ثُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ ... إِن يَعْلَمُ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمُ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

بتقريب: إنَّهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة وَرَدَتْ روايات لديهم_العامَّة_زعم أنَّ مفاد هَذِهِ الآيات الْمُبَارَكَة مِنْ سورة الأنفال هُوَ:_

⁽¹⁾ سورة الأنفال: الآية ٦٧ ـ ٧٠.

٢٥٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث أولاً: عتابٌ للنبي عَيِّا مِنْ الله وَأَنَّهُ لماذا لَمْ يقتل الأسرى.

ثانيا: أنَّ موقف الْنَّبِيَ عَلَيْكُ كَانَ خطأً فِي هَذِهِ الواقعة، وأنَّ موقف الثَّانِي الذي أشار عَلَى رسول الله عَلَيْكُ بقتل الأسرى هُوَ الصّواب.

وإِنْ كَانَ بعضهم احتمل فِي أسباب النُّزول أَنَّ الآيات الْمَبَارَكَة فصَّلت بين حالتين:

الحالة الأولى: يُخَيَّر المُسلم المقاتل بين قتل الأسير وأسره في ما إذا كَانَتْ الدولة الإسلاميَّة ثابتة وقويّة.

الحالة الثانية: يُقتل الأسير إذا لَمْ تكن الدولة الإسّلاميَّة قويّة، والسِّر فِي ذَلِكَ هُوَ إلقاء الرعب.

ورُتِّب عَلَى هَذِهِ الرُّوايات لأسباب النُّزول الْمُلفَّقة أُمُور عقائدية خطيرة جدّاً.

مِنْهَا: فتح باب أنَّ الْنَّبِي عَلَيْ اللهُ يَجتهد ويخطئ، وَهُوَ باب عجيب وكيف يجمعون بين هَذَا الإدّعاء وآيات القُرآن المادحة بالعصمة للنبي عَلَيْ اللهُ بالتدبير والآمِرَة بإطاعته مثل ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَ فَإِن تَوَلَّوا ... (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَطِيعُوا أَلِلَّهُ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ (٢)

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

⁽٢) سورة آل عمران: لايية ١٣٢.

ولنا أَنْ نوجِّه سؤالاً لأصحاب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة: ـ هل في القُرآن تناقض وارتباك بين آياته أو لا؟ فَإِنَّ أجابوا: بنعم، فأيهما أحقّ بالإتباع: القُرآن الذي يقول: ﴿ كِنَنَبُ أُحْكِمَتَ ءَايَنُهُۥ ثُمُّ فُصِّلَتَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ بِالإتباع: القُرآن الذي يقول: ﴿ كِنَنَبُ أَحْكِمَتَ ءَايَنُهُۥ ثُمُ قُصِّلَتَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿ كَنَا أَنِيهِ اللَّهُ لَكِنَا اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

أم هُمْ أحقُّ بالاتّباع وأنَّهم بشرٌ وليسوا بمعصومين مِنْ الوقوع بالخطأ؟

وَبَعْدَ اتّضاح هَذِهِ المقدمة: _ نسأل كيف يُجْمَع بين قوله تَعَالَى: ﴿ أَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُوكَ ۖ ﴾ وبين تقديم اعتراض الصّحابي عَلَى رسول الله؟

الجواب: كيف يصحّ هكذا تلفيق ظاهر وواضح للعيان فِي منظومة

⁽١) سورة النساء: الآية ٥٩.

⁽٢) سورة الحُجرات: الآية ١.

⁽٣) سورة الحجرات: الآية ٦.

⁽٤) سورة هود: الآية ١.

⁽٥) سورة فُصِّلت: الآية ٤١_٤٢.

القُرآن، علماً أنَّ نفس أصحاب أسباب النُّزول المُلفَّقة يروون في كتب التفسير أنَّهُ فِي سورة الحُجرات: أنَّ الأوَّل والثاني هلكا بسبب تقدّمها عَلَى الله ورسوله لولا أنَّ يتوبا، أيّ أنَّ التقدم عَلَى الله ورسوله عَلَيُّهُ منهيُّ عَنْهُ، وَعَلَيْهِ فكيف يُصادق القُرآن مَرَّة أُخْرَى تصويب موقف الصّحابي الثَّانِي وتخطئة موقف رسول الله عَلَيُهُ وحاشاه عَلَيْهُ مِنْ الخطأ وهل هَذَا معناه أنَّ منظومة القُرآن قَدْ حصل فيها ارتباك وإرباك لا سامح الله بمثل هكذا دعاوى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة؛ ولذا ذكرنا مراراً أنَّ أحد المناهج المُهمَّة لتمحيص روايات أسباب النُّزول هُو مجموعة منظومة محكمات القُرآن الكريم لا الاقتصار عَلَى مفاد الآيات النازلة.

ثمَّ أَنَّهُ لاَبُدَّ مِنْ الالتفات إلى أنَّ ما وَرَدَ فِي الآية الْمُبَارَكَة مِنْ الأسرى ملاحظة مَنْ هُمْ الأسرى الَّذِيْنَ أشار الخليفة الثَّانِي عَلَى الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ بُقتلهم؟

ثمَّ قَالَ رسول الله لعقيل بن أبي طالب: _يا أبا يزيد قَدْ قتل الله أبا جهل بن هشام، وعتبة ابن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، ونبيه ومنبه ابني الحجّاج، ونوفل

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٦١ بن خويلد، وسُهيل بن عمر، وفلاناً وفلاناً، فَقَالَ عقيل: _ فإنْ كُنْت قَدْ أَتْخنت القوم إذاً لا تُنازع فِي تُهامة وَإلَّا فاركب أكتافهم فتبسم رسول الله عَمَالِيُهُ مِنْ قوله (١٠).

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أَنَّ العباس بن عبدالمطلب كَانَ مُسلماً لكنَّه خفي إسلامه وأوي به مُرْغماً للحرب، وهكذا عقيل بن أبي طالب اللهِ علماً إنَّ موقف عقيل كَانَ مُتضامناً مَعَ الْنَبِي عَلَيْهِ فَ وَعَلَيْهِ فَما هِيَ الأغراض الَّتِي تَقَفَ وراءها أسباب النُّزول اللهُقَة مِنْ قتل هؤلاء الأسرى، وكَانَ بضمنهم مسلمون، أفهل يجوز قتل المسلم المُكْرَه عَلَى المجيء لأرض المعركة مِنْ دون أَنْ يُقاتل؟!.

هَذَا مُضَافَاً إِلَى الآية الْمُبَارَكَة لَيْسَ الخطاب فيها خاص بالنبي عَيَالِلهُ مَا كَانَ لِنَبِي أَن يَكُونَ لَهُ أَسَرَىٰ حَتَى يُتُخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ اللَّهُ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَى يُتُخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنِيَا ﴾ (٣) وَعَلَى فَرْضِ شمول خطاب ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنيَا ﴾ (٣) الآية للنبي عَيَالِلهُ، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّ صحابة رسول الله عَيَالِلهُ البدريين عَلَى طوائف ثلاثة: _ طائفة مؤمنة، وَأُخْرَى منافقة وثالثة فِي قلوبهم مرض، وهؤلاء المنافقون والله والله يُريد الآخرة والله والله يُريد الآخرة والله عزيز حكيم.

⁽١) مجمع البيان للطبرسي: ج٤، ص٨١٢؛ سيرة ابن هشام: ج٢، ص٣٩٨؛ والمغازي للواقدي: ج٢، ص١٢٥.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

⁽٣) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

والنكتة المُهِمَّة الَّتِي نُريد التنبيه عَلَيْهَا هُوَ أَنَّ الخطاب فِي الآية الْمُبَارَكَة لَيْسَ مشمولاً بالخطاب، وَهُوَ لَيْسَ مشمولاً بالخطاب، وَهُوَ الصحيح حسب أسباب النُّزول الصحيحة والواردة عَنْ طريق مدرسة أهل البيت المَيَّانِيُّ، وَهَذَا بخلاف ما ذكرته أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ شمول الله عَلَيْلُهُ.

وهل يا ترى أنَّ رسول الله عَلَيْ يُريدُ عَرَض الحياة الدُّنْيَا؟! ـ والعياذ بالله ـ إلَّا أَنَّهُ وبحسب أسباب النُّزول الصحيحة والواردة عَنْ أهل البيت اللهِ أَنَّهُ توجد عِدَّة قرائن دامغة حالية ومقاليّة تُدحض ما تدّعيه أسباب النُّزول المُلفَقة، عَلَى أنَّ المُخاطب في آية ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ هُمْ المسلمون فَقَطْ مِنْ دون شمولها للرسول عَيَا اللهُ وَهِيَ:

القرينة الأولى: قوله تَعَالَى ﴿ لَوْلَا كِنَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا ۗ أَخَذْتُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّالَا اللَّا اللللَّا الللّٰ

بنقريب: إنَّ الله تَعَالَى لا يُعَذَّب الأُمَّة الَّتِي فيها رسول الله عَلَيْهُ بدليل صريح قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمُ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (٢) وَعَلَيْهِ صريح قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمُ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (٢) وَعَلَيْهِ فَالْنَبِي عَلَيْهُ مصدر رحمة وعدم معاجلة العقوبة مِنْ الله سُبْحَانَهُ إلى المسلمين البدريين، ولهذه الأُمَّة هُو كرامةٌ لرسول الله عَلَيْهُ، وَالْمُواد مِنْ ﴿ لَمَسَكُمْ ﴾ البدريين، ولهذه الأُمَّة هُو كرامةٌ لرسول الله عَلَيْهُ، وَالْمُواد مِنْ ﴿ لَمَسَكُمْ ﴾ أي لعجل العقوبة ببركة وجود الرسول عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَهُود الرسول عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ وَهُود الرسول عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ا

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٨.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

ولا يعني هَذَا أنَّ رسول الله عَيَّاللهُ هُوَ الْمُعاتب ومشمول للآية.

حكم الأسارى:

الرسول عَلَيْهُ مُخير بين الفداء أو المن:

بحث هام مرتبط بالآية الْمُبَارَكَة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَن يَكُونَ لَهُۥ أَسْرَىٰ حَقَّى يُثْخِرَ فِي ٱلْأَرْضِّ ...﴾ (١).

بِتَقْرِيبِ: أَنَّ الرسول عَيَّا يَهُ يمكن أَنْ يَكُون لَهُ أسرى حسب قانون الجيش والعسكر والحروب، ويتعامل عَيَّا مَعَ الأسرى بَعْدَ أَنْ تضع الحرب أوزارها _ أي سلاحها _ ويُلقي العدو سلاحه ويُظفر به، وَهُنَا _ القائد وَهُوَ رسول الله عَيَّا الذي لديه أسرى مِنْ الطرف الآخر المشركين _ مُحَيَّرُ بين الفداء أو المن «إمَّا فداءاً أو منَّا » هَذَا كُلَّهُ بحسب أسباب النُّرول الصحيحة.

إِلَّا أَنَّهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة فسَّروا الآية ﴿حَقَىٰ يُثْخِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بمعنى أنَّهُ ما دام الإسلام فتيٌّ وَلَمْ يقوِّ شوكته بَعْدُ وَلَمْ يتشر فِي الأرض فَلابُدَّ مِنْ قتل الأسير. وَهَذَا مَا يُبطله القُرآن فِي سورة محكمة أُخْرَى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِقَابِ حَقَّةٍ إِذَا أَثْخَنتُمُ وُهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

⁽٢) سورة مُحمَّد: الآية ٤.

٢٦٤......قابِدَ عَنَّى تَضَعَ الْمُرْبُأَ وَزَارِهَا ﴾ (١). فإمَّا مَثَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِذَآءٌ حَقَّىٰ تَضَعَ الْمُرْبُأَ وَزَارِهَا ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ موضوع الآيتين المحكمتين واللّتين هُمَا مِنْ أُمهات الآيات المُحكمة واحد ومتطابق وَهُوَ القتال ـ بحسب أسباب النُّزول الصحيحة ـ وَهُوَ لا أسر إلَّا بَعْدَ الإِثخان، وَهَذِهِ الآية الثَّانية ﴿ حَقَّى إِذَا أَتَّفَنَتُمُو هُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ... ﴾ جعلت للأسر حَدًّا وَهُوَ فيها إذا أثختتموهم أيّ أكثرتم فيهم القتل والقتلى وتمكّتم منهم وظفرتم بهم واستسلموا وألقوا أسلحتهم، مِنْ هُنَا يبدأ قانون الأسر وكيفية التعامل معه حسب هَذِهِ الآية إمّا فداءاً أو مَنَّا، وَلَمْ تتعرض لمسألة قتل الأسير بَعْدَ الإِثخان وَهُو كناية عَنْ انتهاء الحرب.

وَعَلَيْهِ فالآية صريحة بعدم جواز قتل الأسير بَعْدَمَا ذكرت الآية المُبَارَكَة حكم الأسير وَهُوَ إمَّا الفداء أو المن.

إذْ لو دققنا فِي الآية المُبَارَكَة ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرَبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ بأنَّ هَذَا القتل لَهُ غاية، وَهِيَ ﴿ حَقَّى إِذَا أَتْخَنَتُمُومُرَ ﴾ بتقريب: أنَّ مفاد الإثخان فِي القُرآن هُوَ كناية عَنْ انتهاء الحرب إذَا ظفرتم بهم.

إذَنْ الآية المُبَارَكَة بيَّنت نكتةً لطيفةً وَهِيَ أَنَّ ضرب الرِّقاب لَيْسَ مُطلقاً وَإِنَّها لَهُ غاية مُحدَّدة وَهِيَ فترة انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب النُّزول، وَإِنَّها لَهُ غاية مُحدِّدة وَهِيَ فترة انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب

⁽١) سورة مُحمَّد: الآية ٢٤.

ويدفعه:

أولا: أنَّ المذكور فِي سورة مُحمَّد اللهِ أيضاً هُوَ لفظ الإثخان كفاية كَمَا ذُكِر، لفظ ﴿ نَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ تفسير لَهُ _ للإثخان.

ثانيا: إنَّ الإقرار بالنسخ يدفع ما يبني عَلَيْهِ العامّة فِي فقههم مِنْ جعل غاية الجهاد الابتدائي هُوَ قتل الكافر إلَّا أنْ يسلم وإنْ لَمْ يكن محارباً ولا مُعتدياً فَإنَّ الأسير الكافر بَعْدَ انتهاء الحرب لا يُقتل عَلَى القول بالنسخ وإنْ لَمْ يُسْلم، بَلْ عَلَى القول بالنسخ يَكُون غاية الحرب فِي الجهاد الابتدائي هُوَ أَسْلَمت النظام السياسي لا أسلمت العقيدة.

ثالثا: أنَّ النسخ لا يتلائم مَعَ لحن مفاد آية الأنفال مِنْ كون ذَلِكَ سنة إلهية لا تقبل التبديل والتحويل، كَمَا هُوَ مفاد قوله تَعَالَى: ﴿ مَا كَاكَ لِنَبِي أَن يَكُونَالُهُ وَ أَشَرَىٰ حَقَّى يُتُحِن فِي ٱلْأَرْضِ * ... ﴾ (٢).

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

فتحل: أنَّ الإقرار بالنسخ يستلزم الحكم بزيف أسباب النُّزول المزعومة عندهم مِنْ الاشتغال بتأسير الأسرى والحرب قائمةٌ فعلاً لَيْسَ صحيحاً؛ لِأنَّ هكذا فعل فيه تعريض للمسلمين بالهزيمة؛ لأنهم سينشغلون بشأن الأسرى وَإِنَّهَا الآية تحتَّ المسلمين عَلَى مواصلة القتال وعدم الانشغال صوب الغنائم حَتَّى تتهي الحرب، وعدم أخذ أسير أثناء قيام المعركة.

مُضَافاً إلى أنَّ سورة الأنفال لَيْسَ فيها مفاد لا تأسرون الأسير بَعْدَ الإِثْخان وَإِنَّمَا فيها نهيٌ عَنْ أسر الأسير قبل الإثخان - أيِّ قبل انتهاء الحرب وعَلَيْهِ فالآية المُبَارَكَة تنهى عَنْ التأسير أثناء الحرب لا أنَّهُ لماذا لمَ يُقتل الأسير بَعْدَ الحرب.

إذَنْ أَيُّهَا الباحث الكريم انظر بعين الإنصاف إلى أسباب النُّرول المُلفَّقة كيف قلبت المعاني اللّغويّة للألفاظ، بَلْ وقلبت تركيب الظّهور للآية المُباركة وظلّت مقلوبة فِي أذهان جملة مِنْ المُفَسِّرِين والأجيال، ولا يُظن أنَّ التّلاعب والتّدليس والاختلاق مختص بِهَذَا المورد مِنْ معاني الألفاظ للآيات القُرآنيّة، بَلْ جرى مِنْ السقيفة وبني أُميّة وبني العباس ما جرى إلى حدِّ أشبع العقل الإسلامي والذهنيّة الإسلاميّة بشكل مقلوب عَنْ آياتٍ كثيرة، إلَّا أنَّ الموكب يسير سَرِح وغفلةٍ عَنْ هَذَا، إلَّا أنَّ المباحث الكريم إذَا ترقى قليلاً بألفاظ الآية فَإنَّهُ سوف يدّق عنده جرس التنبيه، لا سيها بَعْدَ مراجعة المنبّه الرئيسي فِي هَذَا المجال ألا وَهِيَ روايات أهل البيت المَيْلُ، فَإنَّها مراجعة المنبّه الرئيسي فِي هَذَا المجال ألا وَهِيَ روايات أهل البيت المَيْلُول، فَإنَّها دُكرت أنَّهُ بَعْدَ انتهاء المعركة لا قتل للأسير، وماذا تصنع أسباب النُّرول

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٦٧ الله قَاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائديةفأو فداء للأسير يُستفاد مِنْهُ مالياً.

وَعَلَيْهِ فالعتاب الشديد الموجود فِي الآيتين المُباركتين مُوجَّه وبشكل واضح إلى المسلمين لا إلى رسول الله عَلَيْكُ الله الله الله واضح إلى المسلمين لا إلى رسول الله عَلَيْكُ الله الله الله الله الله علم عصمة النَّبِي عَلَيْكُ المؤمنة ثبتت وللأسف الشديد عَلَى هَذَا المطلب عدم عصمة النَّبِي عَلَيْكُ وانَّ موقف النَّانِي وانَّ الْنَبِي يَخطأ كَمَا يخطأ المجتهدون وحاشاه مِنْ ذَلِكَ وأنَّ موقف النَّانِي كَانَ عَلَى صواب ... الخ.

كل كافر عند مدرسة العامة مهدور الدم:

هَذَا مُضَافاً لما تَقَدَّمَ إلى أنَّ كُلِّ كافر عِنْدَ مدرسة العامّة مهدور الدم ولو لَمْ يكن عدوانياً ولا حربياً وَكَانَ مهادناً، فَإِنَّ هَذِهِ المسألة ليست بالسّهلة فَإِنَّ هَا حسابها الخاص بالوضع الرّاهن في العصر الذي نعيشه، في حين أنَّ هُنَاكُ مَنْ يَتبنى أنَّ الكافر المهدور الدم هُوَ الحربي أيّ المُعتدي العدواني فَقَطْ، وأمَّا الكافر المهادن والمسالم والذي يُريد أنْ يعيش بسلام وأمان مَعَ المسلمين فَهُو لَيْسَ مهدور الدم.

وَهَذَا يعكس فلسفة الجهاد وفلسفة التّوسّع فِي بقعة بلاد المسلمين والفارق بين المدرستين مدرسة السّقيفة ومدرسة أهل البيت الميّلانيّا.

وَعَلَيْهِ ينبغي الالتفات إلى أنَّ نشوء بَعْض الحركات والأحزاب

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٧؛ سورة مُحمَّد: الآية ٤.

والتيارات المحسوبة عَلَى الإسلام بهذه الأعمال الوحشية والمهارسات الغريبة الَّتِي لَيْسَ لها شعار سوى القتل والتهجير والإقصاء والتهميش في شرق الأرض وغربها، لَيْسَ مِنْ باب الصّدفة، وَإِنَّما أتت هَذِهِ الحركات المشوِّهة لصورة الإسلام مِنْ المستندات الَّتِي اتبعوها مِنْ أوَّل الأمر، بخلاف مدرسة أهل البيت المِيَّلِ، وَهِيَ المدرسة الوحيدة الَّتِي ترعى عدم جواز قتل الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب.

وَلَمْ ينظر الإسلام إلى الأسير أنَّهُ قبل انتهاء الحرب كَانَ عدوّاً، والآن وَبَعْدَ أَنْ وقع بالأسر وأوثق كتافاً سُلبت مِنْهُ العدوانيّة بَعْدَ انتهاء الحرب، وَمَعَ ذَلِكَ يتكرم عَلَيْهِ بالمَنَّ أو الفِداء.

فانظر إلى رحمة ورأفة الإسلام مَعَ هَذَا الذي كَانَ عدوانياً، فكيف بمن لَمْ يكن عدوانياً أصلاً كَمَا فِي النَّاس المدنيين والعُزَّل عَنْ السّلاح، فبأيِّ حقّ تهريق دمه.

ولذا صدور هكذا تصرفات سوداوية وعنجهية تصدر مِنْ بَعْض ما يحسب عَلَى الإسلام سواء كَانَ بفتح أو غزو أو حرب أو غيرها تقف سدّاً عَنْ انتشار النّور الشفيق للقُرْآن وَالْنَبِي عَيَّا أَلَى وأهل بيته اللَّهِ عَنْ انتشار النّور الشفيق للقُرْآن وَالْنَبِي عَيَّا أَنَّ وأهل بيته اللَّهِ عَنْ المحسب اصطلاحات علم القانون الحديث: أنَّ للحرب ضوابط وقوانين أخلاقية وأعراف إنسانية مِنْ عدم الغدر وعدم الغيلة وَغَيْر ذَلِكَ وَمَعَ عدم مراعاتها يصبح مُفْسِداً فِي الأرض.

فتحصَّل مما تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول المزعومة المُزيَّفة للآيات القُرآنية

والخلاصة: أنَّ أسباب النَّزول المُلفَّقة تجوّز بَلْ توجب قتل الأسير في بعض الحالات كَمَا فِي حالة عدم انتشار الإسلام فِي الأرض وضعفه وعدم اشتداد أمره، ولذا يُقتل الأسير لأجل إلقاء الرُّعب فِي قلوب الكفّار والمشركين.

وَهَذَا بِخَلَافَ مِنهَاجِ مِدْرِسَةً أَهِلِ البِيتَ اللَّكِيْنَ بَعْدَمَا تَقَدِّمَتَ الْآيتِينَ الْمِبَارِكَتِينَ أَنَّ فَهُمَا صَرِيحَتَانَ فِي عدم جواز قتل الأسير بَعْدَ وضع الحرب أوزارها فَأَمَّا فداءً أو مَنَّا، وما ذكرته أسباب النُّزول المُلفَّقة إلَّا قلب للحقائق وإشباع العينين بأمواج روايات مُزيّفة كي تكون حجاباً عَنْ إبْصَار معاني الفاظ الآيات المُباركة، وَلَهُ موارد كثيرة ولسنا بمُبالغين فِي ذَلِكَ.

وَهُنَاكَ تساؤل يدور فِي الأذهان وَهُوَ: ما هِيَ النسبة بين الآيتين المُباركتين

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٧؛ وسورة مُحمَّد: الآية ٤.

.٧٧....... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

الجواب: اختلفت كلمات المدارس الإسلاميَّة ـ مدارس العامّة ـ في ذَلِكَ اختلافاً كبيراً ووقعت بحيص وبيص في الجمع بين الآيتين مَعَ مدرسة أهل البيت الميَّلِا، وَعَلَى أقوال أهمها:

القول الأول: ذهبت مدرسة الخلفاء _ العامّة _ إلى أنَّ النسبة بينها نسبة التباين، أيّ يوجد تدافع وتنافي وَذَلِكَ، بأنَّ سورة الأنفال تحكم بقتل الأسير، وسورة محمَّد عَلَيْ تبيّن أنَّ حكم الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب عدم القتل، وبين القتل وعدمه نسبة التنافي والتعارض.

القول الثاني: إنَّ الآية فِي سورة مُحمَّد عَلِيَّ أَلَهُ ناسخة، وفي سورة الأنفال منسوخة.

القول الشالث: عكس القول الثَّانِي بأنْ تكون سورة مُحمَّد منسوخة وسورة الأنفال ناسخة، وفيه: أنَّهُ كيف يَكُون الْمَتَاخِّر نزولاً منسوخاً والمتقدِّم نزولاً ناسخاً، وإنْ كُنَّا لا نمنع مِنْهُ، إلَّا أنَّهُ سيأتي فِي بحث قَاعدِة النّاسخ

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

⁽٢) سورة مُحمَّد: الآية ٤.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية والمنسوخ، أنَّ الغالب وفي العادة يَكُون النَّاسخ هُوَ الْمُتَأخِّر زماناً عَنْ المنسوخ، والمنسوخ مُتقدِّم زماناً.

وَهَذِهِ الأقوال الثّلاثة لمدرسة العامّة.

القول الرابع: وَهُو ما ذهبت إليه مدرسة أهل البيت المنها أنَّ بين الآيتين المباركتين تمام التوافق وَلَيْسَ بينهما أدنى تنافي في المعنى، وإذا تبيَّن أنَّ بينهما - الآيتين - تمام التوافق فسوف يتضح جليًّا زيف روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة في سورة الأنفال، وَلَيْسَ الغرض كَذَلِكَ هُوَ جني الغنائم لِإِنَّهُ كَانَ أحد أسباب الهزيمة والفشل في معركة أُحُد مثلاً؛ لأنَّ الحرص والطمع والتكالب والشرَه عَلَى الغنائم - حَتّى الأسير يعتبر غنيمة والاشتغال بأسره - يُعطِّل القتال عَنْ المقاتلة؛ إنَّما الهدف الأصلي هُوَ هزيمة العدو.

والعتاب الوارد بالآية ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنيَا﴾ بطلب الغنائم والأسرى وَغَيْر ذَلِكَ والحرب قائمة هُوَ أحد أسباب الهزيمة والفشل في غزوة أُحُد، بَلْ وفي كُلّ حرب وغزوة ومعركة ... الخ فبدلاً أنْ تنصب همّة المقاتل في كيفية هزيمة الأعداء وإيقاع الخسائر فيهم، تكون همّة بَعْض المنافقين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ منصبة عَلَى طلب عَرَض الدُّنيا والغنائم ويتلهون عَنْ طلب النصر والحرب قائمة، بطلب عرض الحياة الدُّنيا، والله عنده مغانم كثيرة، وَهَذَا كُلَّهُ بحسب أسباب النُّزول الصحيحة.

والحاصل أنَّ الآيتين فِي صدد النَّهي عَنْ أخذ الأُسارى أثناء الحرب والطمع فِي تأسيرهم؛ وأنَّ حكم المقاتل أثناء الحرب يُقتل ولا يُؤسر طمعاً

بالغنائم، وليست في صدد قتل الأسير بَعْدَ وضع الحرب أوزارها، كَمَا تصف الآية الكريمة أنَّ أخذ الأسير أثناء الحرب هُوَ لأجل عَرَض الدُّنْيَا أيّ الطمع فِي أخذ المقاتل أسيراً والحرب قائمة الغرض مِنْهُ الطمع فِي الغنائم وعرض الدُّنْيَا.

وَهَذَا بِخَلَافَ أَسِبَابِ النزولِ الْمُلَفَّقة وَالَّتِي يُروَّج فيها أَنَّ سببِ النُّزولِ كَانَ منصباً عَلَى معاتبة الْنَبِيَ عَلَيْ عَلَى عدم قتل الأسرى وأنَّهم لماذا كانوا عَلَى قيد الحياة، وَقَدْ انتهت الحرب ووضعت أوزارها فالمفروض يقتلون هكذا اقترح الثَّانِي.

بيان خابطة مهمة: هُنَاك ضابطة مُهمّة بيّنتها الرُّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المن وعمل عَلَى ضوءها مُفسِّري الإمامية وسيأتي تفصيلها فِي مبحث قَاعدة النسخ ـ إنَّ شاء الله تَعَالَى ـ ولكن نشير إليها باختصار: إنَّ الضابط في استعمال مصطلح النّاسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد يأتي بناءاً عَلَى وجود تنافي بين مورد النَّاسخ ومورد المنسوخ، وَذَلِكَ بأَنْ يُعْمَلَ بالمنسوخ زماناً قبل أنْ يأتي زمان النّاسخ ثمَّ يأتي النّاسخ، وَمَعَ وجود التّنافي بينهما فينفسخ الأوَّل، أمَّا إذَا فُرِض وجود توافق بينهما فكيف يُفرَض النَّسخ مَعَ عدم تحقَّق شرطه وَهُوَ التنافي؛ ولذا مَعَ الأسف الشَّديد إنّ مدرسة الطرف الآخر _ العامَّة _ استغلَّتْ مصطلح وعَلَّقت عَلَيْهِ الكثير مِنْ الأفكار الغريبة والبعيدة عَنْ منطق القُرآن الكريم لتمريرها ولصقها بالقرآن ليلتبس الأمر بذلك عَلَى أجيال المسلمين ، ولتجميد مَعْنَي كثير مِنْ الآيات الَّتِي أَدُعي أنَّها منسوخة بُغية تعطيلها؛ لِأنَّ تفعيلها فيه ضرر

تبيه هام: إنَّ مِنْ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُو تحريف فَهُمْ الآيات؛ لِأنَّ مَعْنَى التحريف ـ هُو إلغاء ستار أمواج ضبابيّة عَلَى ظهور القيات؛ لِأنَّ مَعْنَى التحريف ـ هُو إلغاء ستار أمواج ضبابيّة عَلَى ظهور ألفاظ القُرآن كي لا يُبصر المسلمون حقائق القُرآن، وسبب عِظَم خطورته؛ لِأنَّ القُرآن أعظم مصدر للمعرفة الإسلاميّة والدِّينية، ومثل هكذا تحريف لسبب نزول آياته معناه المساعَدة عَلَى إيجاد خطوات ومواطئات مجهضة للعقل الإسلامي، ولعقل أجيال علميّة فاضلة للبشر، وفي هَذَا دعوة للأخوة الباحثين إلى مضاعفة الجهود في سبيل كشف الحقائق وإزالة الستار والحجاب عَمَّا حُرِّف.

تبيه: ينبغي التنبيه عَلَى أَنَّ ما جرى فِي معركة بدر وأَنَّ ما مِنْ بيتٍ مِنْ بيوت قريش إلَّا وقُتِل مِنْهُ كافر إلَّا بيت بني هاشم والسبب هُو أَنَّ بني هاشم قَدْ أُوتِي بهم قهراً وقسراً وإرهاباً وإرعاباً مِنْ قريش الكافرة إذْ أَجاتهم عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَكَّة إلى المدينة لمقاتلة الْنَبِي عَيَّا اللهِ فَي واقعة بدر وَلَمْ يرفع بنو هاشم سلاحاً فِي وجه رسول الله عَيَا لَهُ والمسلمين ولذا أوصى الْنَبِي عَلَيْهُ والمسلمين ولذا أوصى الْنَبِي عَلَيْهُ المسلمين عَلَى المعالمين بهم قبل معركة بدر أَنْ يتجنبوا بني هاشم مثل العباس بن

٢٧٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وغيرهما.

كُلِّ ذَلِكَ لأجل أنَّهم لَمْ يريدوا لرسول الله والمسلمين سوءاً، بَلْ كانوا يتمنّون الظفر لرسول الله عَلَي قريش، ولذا فَإنَّ مَنْ وقع فِي الأسر مِنْ بني هاشم لَيْسَ موقفهم عدائياً مَعَ رسول الله عَلَيْ والمسلمين، وَعَلَيْهِ فها وراء طلب الثَّانِي بقتلهم؟ مَعَ أنَّهُ كَانَ قبل الحرب يطالب بعدم مقاتلة كُلِّ قريش.

يظهر بالتدبّر أنّه لمّا خُلِقَتْ أسباب النّزول المُلفَّقة هَذِهِ مِنْهَا وَهُوَ لأجل التغطية عَلَى الوصمة الَّتِي وصِمَ بها بَعْض الصحابة فِي بدر بسبب موقفه العدائي لبني هاشم، والآن تَبيّن بعدالتدبّر والفحص أنَّ الآية المُباركة مِنْ سورة الأنفال، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ العتاب فيها لَيْسَ عَلَى بقاء الأسرى المُباركة مِنْ سورة الأنفال، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ العتاب فيها لَيْسَ عَلَى بقاء الأسرى الحياء بَعْدَ انتهاء الحرب، بَلْ كَانَ العقاب عَلَى أخذ الأسرى أثناء الحرب والحرب قائمة _ ولماذا تلتهون بجمع الغنائم التي بضمنها الأسرى لان مثل هكذا أفعال وتصرّفات تُعرِّض معسكر المسلمين للهزيمة وَلَيْسَ مثل هكذا أفعال وتصرّفات تُعرِّض معسكر المسلمين للهزيمة وَلَيْسَ النَّزول المُلفَقة، وَهَذَا التحريف والتلفيق فِي أسباب النَّزول يُتعَدَى فيها مِنْ السورة الأنفال إلى سورة مُحمَّد عَلَيْهُ بينا مَعْنَى الآيتين صريحٌ وواضحٌ فِي أنَّ سورة الأنفال إلى سورة مُحمَّد عَلَيْ المَاسِين المَعْنَى الآيتين صريحٌ وواضحٌ فِي أنَّ الأسير لا يُقتل بَعْدَ الخرب.

فلسفة الجهاد ليس الإرغام على العقيدة الفردية أو الباطنة وقتل الأسرى:

القُرآن الكريم عِنْدَمَا يذكر فلسفة الجهاد نتيجةً لطغيان الكفّار وتمرّدهم وعصيانهم لا لأجل نفس الكفر بها هُوَ كفر كَمَا فِي الآيات المُبَارَكَة:

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

الآية الأولى: ﴿ اللَّذِينَ عَهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَايَنَّقُونَ ﴿ أَنَّ فَإِمَّا نَثَقَفَنَهُمْ فِي الْحَرَّبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ فِي الْمَحْرَبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ فِي اللَّهُمْ فَي الْمُؤْمِنُ مَنْ فَلَقُونَ فَي اللَّهُمُ فِي اللَّهِمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فِي الْمُؤْمِنِ فَي اللَّهُمُ فَيْرِيْنِ فَيْمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فِي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي الْهُمُ فَي اللَّهُمُ لَا اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ اللَّهُمُ فَيْمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ فَي اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللْهُمُ اللِهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللِهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ الْ

بتقريب: أنَّ مثل هؤلاء الكُفّار فِي كذلك مَرَّة يغدرون وذوي غيلة فإذا ظفرت بهم فَشَرَّد بهم، أمَّا إذَا كَانَ الكافر ذميًّا لا ينكث العهد ولا يغدر أو كَانَ مُسالمًّ، ففي مثل هَذَا لَيْسَ مِنْ أخلاق الإسلام وَالقُرآن أنْ تَشُنُ عَلَيْهِ الحرب ويُقتل.

نعم، قَدْ يَكُون ذَلِكَ الكافر حاكماً ظالماً لشعبه مُستبداً ولو كَانَ الشعب كافِراً أو مُستضعفاً، نعم مِنْ غايات الجهاد الابتدائي أسلمة الأنظمة لا إلجاء الأفراد عَلَى إسلام العقائد أيّ أنَّ هدفهم حماية المُستضعفين كَما هُوَ مفاد قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَيْلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَٱلْمُسْتَضَعفِينَ مِنَ الرِّجَالِ مفاد قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَيْلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَٱلْمُسْتَضَعفِينَ مِنَ الرِّجَالِ مفاد قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَيْلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَٱلْمُسْتَضَعفِينَ مِنَ الرَّجَالِ من اللّه وَالْمُسْتَضَعفِينَ مِنَ الرَّجَالِ من اللّه عَلَى العقيدة، فَهَذَا بحث آخر لا يُبرّر أَنْ يصوِّر الجهاد بأنه عبارة عَنْ إرغام عَلَى العقيدة، فَهَدْ يقول قائل: _ إنَّ بأبات الشيء لا ينفي ما عداه، فَإنَّهُ مَرَّ أَنَّ ذكر القُرآن لفلسفة الجهاد لَيْسَ الأجل عَن العالم مِنْ ذَلِكَ وَهُو لأجل التحوّف مِنْ طهور بوادر الخيانة بالغدر والمباغتة بالعدوان، وَهُو أعظم مِنْ الكفر.

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٥٦ _٧٥.

⁽٢) سورة النساء: الآية ١٧٥.

7٧٦...... تفسير أمومة الولاية والمكمات الجزء الثالث

اللَّية الثانية: قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِن قَوْمٍ خِيَانَةُ فَٱلْبِذَ إِلَيْهِمُ

بتقريب: أنَّ المُرَاد بالخوف أيّ العلم فَأَنْتَ يا رسول الله وَهُمْ عَلَى سواء فِي العلم بنقض العهد، وَيَكُون المعنى إذَا كَانَ بينك يا محمَّد عَلَيْ وبين قوم عهد وعلمت أنَّهم خائنون بظهور أمارات قاطعة عَلَى أنَّهم يضمرون الغدر والاغتيال ويتّخذون مِنْ العهد سِتاراً فشدّد عَلَى أخذ الحيطة والحذر منهم؛ لأنَّهم يُدَّبرون مِنْ ورائه ـ العهد ـ المكر السيء فإذا كَانَ كَذَلِكَ فألقِ اليهم عهدهم واعلمهم أنَّكَ قَدْ انقضته، بحيث تكون أنَّتَ وَهُمْ فِي العلم بالنقض سواء، ولا تبدأهم بقتال قبل أنْ تعلمهم بذلك كي لا تُنْسَب إلى الغدر والخيانة ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُ ٱلْمَآلِئِينَ ﴾ فإنَّ الإسلام يأمر بوجود الوفاء بالعهد لأهل الوفاء، أمَّا الَّذِيْنَ يتّخذون مِنْ العهد وسيلة للغدر والخيانة فإنَّ الإسلام يأمر بنقضه لِإنَّهُ كيدٌ لا عهد حَتّى يلتزم ويجب العهد به وَإنَّما كيدٌ ﴿وَأَنَّ اللهُ الله يَهُ كيدٌ لا عهد حَتّى يلتزم ويجب العهد به وَإنَّما كيدٌ ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَيْرِيكَ النَّالِينِينَ ﴾ (١).

وَقَالَ أَميرِ المؤمنين للطِّلا: «الوفاء لأهل الغدر غدرٌ، والغدر بأهل الغدر وفاءٌ»(٢).

بتقريب: إنَّهُ عَلَى الحاكم الإسلامي إذْ رأى ظهور بوادر الخيانة مِنْ هؤلاء الكفّار، فَالقُرآن والمُشرِّع الإلهي يقول لَهُ: لا تغدر بهؤلاء الَّذِيْنَ

⁽١) سورة يوسف: الآية ٥٢.

⁽٢) خطب أمير المؤمنين اللِّهِ، نهج البلاغة: ج٤، ص٥٥؛ بحار الأنوار: ج٧٧، ص٩٧.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٧٧ ظهرت منهم بوادر خيانة ، وَإِنَّمَا عَلَى ذَلِكَ الحاكم الإسلامي أنْ يفك عقد الأمان والهُدْنة بينه وبين الدولة الكافرة بلا غيلة ولا غدر ولا خدعة وَإِنَّمَا بنحو مُتكافئ وعادل، وَهُنَا القُرآن الكريم يُريد أنْ يُبيِّن: أَنَّهُ حَتّى فِي هَذَا المُورد عَلَى المسؤول أنْ يَعْدِل ويساوي بين أفراد البشر بغض النظر عَنْ مُعتقدهم.

شعار مدرسة أهل البيت عليهم السلام

لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان:

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الجهاد مشروعاً فكيف يمكن أنْ نفترض أنَّ هَذِهِ الآية الْمُبَارَكَة منسوخة، وَهِيَ:

الآية الثَّالثة: قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآ إِنِينَ ﴾ (١).

بتقريب: أنَّ الآية المُبَارَكَة مطلقة وتبيَّن أحد جهات أخلاقيات الجهاد في دين الله وأنَّ الله تَعَالَى لا يُحِب مَنْ كَانَ فِي قلبه مرضٌ وخيانة فِي تحمّل المسؤولية فِي كُلِّ زمان ومكان وحادثة.

والغرض مِنْ التركيز عَلَى ذكر هَذِهِ الآيات هُوَ لأَجْل أَنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقة تدَّعي أَنَّ عمر بن الخطاب ـ المستولي الثَّانِي عَلَى الخلافة ـ طالب بقتل الأسير بَعْدَ انتهاء معركة بدر، ويُريدون بذلك تثبيت أنَّ فلسفة الجهاد هُوَ قتل الأسير والكافر وإنْ لَمْ يكن مُقاتلاً ولا مُعادياً ولا مُعارباً،

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

٢٧٨...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَإِنَّهَا لمجرَّد كفره، أو يسلم بَعْدَ انتهاء الحرب، فحرَّ فوا ـ أيَّ العامّة ـ فلسفة الجهاد في الإسلام بتحريف مَعْنَى الآيات بتوسط أسباب النُّزول المُزيَّفة، كُلِّ ذَلِكَ لأجل التغطية عَلَى موقف عمر العدائي لبني هاشم، وتغطية ما وقع مِنْهُ مِنْ موقف خاطئ.

وَهَذِهِ ليست مِنْ أخلاقيات القُرآن والإسلام، وَإِنَّمَا فيه تشويه وطمس للحقائق النوريّة فِي القُرآن، بخلاف ما بيّنته أسباب النُّزول الصحيحة الواردة عَنْ طريق أهل البيت اللَّهِ فِي كيفية التّعامل مَعَ الأسير ﴿ فَإِمَّا نَتْقَفَنَهُمُ فِ ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ (١).

فَهَذِهِ الآيات تدحض دعوى أسباب النُّرول المُلفَّقة فَإِنَّ فقه مدرسة الخلاف _ أيّ فقه المدارس الأربعة وغيرها، فَإِنَّهُ يجوز عندهم قتل الأسير بعد انتهاء الحرب بمبرر أنَّهُ كافر مهدور الدم، بينها الفِقه الوحيد مِنْ بين المدارس الإسلاميَّة بَلْ وَحَتّى المدارس البشريّة المُتمثِّل بمدرسة أهل البيت الميلِّفِ فضلاً عَنْ المواثيق الدوليّة الجديدة فِي أحكام التعامل مَعَ الأسير النه بَعْدَ انتهاء الحرب لا يُقتَل ولا يُبرَر هدر دَمِهِ، وَهَذَا يرسمُ لنا بنوداً عظيمة فِي الدولة الإسلاميّة، أو المجتمع الإسلامي مَعَ المُجتمعات غَيْر الإسلاميّة.

ومما يُؤيِّد أنَّ الكافر لمجرد كفره لا يهدر دَمُه وجود آيات قرآنية تدعم

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

وهكذا فِي فقه مدرسة أهل البيت اللِّكِيُّا، بَلْ الروايات الواردة عَنْ مدرسة أهل البيت المنا الله أوكِّد عَلَى هداية الكافر بالحوار والعقل والعقلانية، لا بثقافة القتل وسفك الدماء، وَهَذَا هُوَ موضع القوّة فِي أسلوب ومنهج مدرسة أهل البيت المِيَكِيُّ، وَلَيْسَ إرغام النَّاسِ عَلَى العقيدة الإسّلاميَّة، وَإلَّا لو كَانَ الإرغام كَمَا تقوله المذاهب الأربعة لكان حكم الأسير الكافر بَعْدَ أنْ تضع الحربُ أوزارها إمَّا أنْ يَسْلِمَ أو يُقتل، وَهَذَا بخلاف الضروري الثابت في مدرسة أهل البيت المسلامي في أحكام التّعامل مَعَ الأسير الكافر مَعَ بقاء الأسير إلى فترة هُوَ بالخيار بين أمرين: إمَّا فداءًا، كَمَا كَانَ رسول اللهَ عَيَّالِلَّهُ يُفادي الأسرى قدر أموالهم، وَكَانَ أهل مَكَّة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فَـمَنْ لَمْ يكن لَهُ فداء وَكَانَ يكتب يدفع إليه عشرة مِنْ الَّذِيْنَ لا يكتبون مِنْ غلمان مسلموا المدينة فيعلمهم _ الكتابة _ فإنْ حَذَقوا _ فِي الكتاب فَهُوَ فداؤه كُلِّ ذَلِكَ نقله ابن سعد في الطّبقات(١).

أو مّنّاً لِـمَنْ لَم يكن عنده مال.

واما بحسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي غزوة بدر، فَإنَّهُ يجوز للمسلمين عَلَى بَعْض الشقوق والاختيارات قتل الأسير المسلم بَعْدَ انتهاء الحرب.

⁽١) ابن سعد في الطّبقات: ٢: ١٤.

وسبب هَذَا الاختلاف بين مدرسة أهل البيت الميلا وغيرها هُوَ بسبب روايات أسباب التُّزول الْمُلفَّقة، مما يوجب تباعد بونٍ شاسع بين مسار علاقة المجتمع المسلم والدولة المسلمة مَعَ الدول والمجتمعات البشريّة الأُخْرَى، فتتولَّد نتيجة هَذَا الاختلاف نشوء أحزاب وتيارات وَقَواعِد انتحاريّة لقتل البشر تحت غطاء شرعى مُزَّيف ومُلفَّق محسوب عَلَى الإسلام حسب أسباب النُّزول الْمُلفَّقة، وبين واقع التّعايش السلمي المدني والحوار والبيان الذي تدعو إليه مدرسة أهل البيت المِيُكِ هَذَا ما يضمن ويتكفَّل لكافة الأديان السهاوية والمذاهب البشرية العيش بأمان مَعَ أتباع الدماء للمُسالم، نعم للحوار والعيش بأمان وسلْم، وَلَمْ يأتِ هَذَا الفرق مِنْ باب الصِّدفة أو نتيجة حدث أو ظرف مُعيَّن، وَإِنَّما هُوَ عَنْ نصوص ثابتة في مدرسة أهل البيت في تبيان آيات حكم الأسير وسيره متمرّسة لدى أتباع أهل البيت الملك لقرون مِنْ الزمن نتيجة اختلاف أسس مدرسة أهل البيت المِيَّا عَنْ أسس المدارس الأُخْرَى وبينهما فرق شاسع.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَحد أسباب الابتعاد عَنْ مدرسة أهل البيت اللَّيْ هُوَ القول بروايات أسباب النُّزول الَّتِي رووها _ كَمَا تَقَدَّمَ _ وتأييداً للثاني في مسألة قتل الأسير بَعْدَ الحرب ومحاولة اختلاق بَعْض المسوِّغات لقتله لكونه كافراً وأنَّ الكافر مهدور الدم حسب أحكام الشريعة الإسلاميَّة المقدّسة إلى غَيْر ذَلِكَ، وتخطأة ومُعاتبة رسول الله عَلَيْ عَلَى عدم قتل

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية أنّه الأسرى بَعْدَ انتهاء الحرب وفيهم المسلم وإنْ شاع واشتهر في الألسن أنّه الكافر مهدور الدم؛ إلّا أنّ هَذَا مُقررٌ في فقه العامّة لا في فقه مدرسة أهل البيت الملك فإنّ الكافر عندهم وإنْ لَمْ يكن محترم الدم بدرجة المسلم فضلاً عَنْ المؤمن، كَمَا أنّه لَيْسَ محترم الدم مِنْ جهة الضمان المالي، إلّا أنّه لَيْسَ مهدور الدم.

القرآن يبين فلسفة الجهاد في الإسلام:

فلسفة القوة العسكرية في دين الإسلام:

أحد أهم القَوَاعِد الَّتِي تمثِّل منهاجاً للنشاط الدَّيني السياسي الاجتهاعي والعسكري هِيَ قَاعِدِة إعداد القوّة الَّتِي تمثِّل عناصر مشتركة، أو عمومات فوقانيّة لِكُلِّ القَوَاعِد الَّتِي تدخل فِي رسم خارطة المسؤوليات فِي النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين.

الآية الرابعة: لابُدَّ مِنْ ذكر تسلسل لآيات فلسفة الجهاد، ثلاث آيات:

ومدرك ومستنده قَاعدِة إعداد القوّة هِيَ قوله تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ِقِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾(١).

بتقريب: إنَّ أحد أهم فلسفات القوَّة العسكريّة فِي دين الإسلام - لا لسفك الدماء وإرغام الآخرين عَلَى العقيدة - هِيَ لأجل تشكيل قوَّة رادعة

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

مرب بعي وعدوان غَيْر المسلمين لئلا يعتدوا عَلَى المسلمين ومُقدّساتهم

عَنْ بغي وعدوان غير المسلمين لئلا يعتدوا على المسلمين ومُقدساتهم وأعراضهم وأموالهم و ... الخ.

وَهَذِهِ الفريضة القُرآنية _ قَاعِدِة إعداد القوة _ ليست مختصة بباب الجهاد وحال مناجزة العدق، بَلْ هِيَ مطلقة عَلَى الدوام وتشمل مطلق إعداد القوّة وبناءها للمسلمين بها فِي ذَلِكَ القوَّة الاقتصادية والتّجاريّة والصناعيّة والزراعيّة والفكريّة والتنمويّة و ... الخ، غايتها قهر الطغيان والتكبر والتجبر، وأنْ يبني المؤمنون أنفسهم وقوّتهم صرحاً يهابه العدوّ رادعاً لَهُ عَنْ التّطاول ﴿ وَأَعِدُوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ عَنْ التّطاول ﴿ وَالْعَدِ وَعَدُوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ عَنْ التّطاول ﴿ وَاللّهِ وَعَدُوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ عَنْ التّطاول ﴿ وَاللّهِ وَعَدُوا كُمْ ﴾ (١٠).

أيّ الفلسفة الردعيّة أمام التعدّي والعدوان ترغمون وتردعون أعداء الله ورسوله والإنسانية عَنْ سفك الدماء وقتل النفس المحترمة بلا ذنب والإفساد في الأرض وردعهم بالتخويف كأسلوب وقائي لا هجومي، هَذَا هُوَ مَعْنَى ترهبون به عدو الله في منطق القُرآن الذي هُوَ منطق دفاعي ليُسَ الغرض مِنْهُ إرغام الآخرين عَلَى ما أنتم عَلَيْهِ مِنْ دين أو معتقد، وَهَذَا المعنى للإرهاب في منطق القُرآن يختلف عما هُوَ عَلَيْهِ بحسب المصطلح العصري والدولي للإرهاب الذي هُو عَلَى طرف نقيض مَعَ منطق القُرآن وبينهما فرق كبير، مُضَافاً إلى ذَلِكَ أنَّ هَذِهِ الآية النُبارَكة ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَّا وَسَنَها فرق كبير، مُضَافاً إلى ذَلِكَ أنَّ هَذِهِ الآية النُبارَكة ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَّا اللهِ عَلَى عَلَى فَرَة وَقَاعِدة خطيرة إستراتيجية ألا

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية وَهِيَ [أنَّ بناء القوّة لَيْسَ لَهُ سقف يقف عنده، بَلْ هُو أفق مفتوح لا يتناهى، وأنَّ بناء القدرة والقوّة لَيْسَ لَهُ سقف فِي دعوة القُرآن، نعم استخدام القوّة تجاه الآخرين ولو كانوا مِنْ الأعداء المُعتدين لَهُ سقف وَحَد محدود، كَمَا أنَّ استخدام القوَّة تجاه الآخرين حالة استثنائية واضطرارية وليست حالة أولية فِي منطق القُرآن ومدرسة أهل البيت المِيَّا عَلَى المُعتدين المُعتدين المُعتدين المُعتدين وليست حالة أولية فِي منطق القُرآن ومدرسة أهل البيت المِيَّا عَلَى المُعتدين المُعتدين المُعتدين المُعتدين المُعتدين المُعتدين المُعتدين والمُعتدين والمُعتدين والمُعتدين والمُعتدين المُعتدين المُعتدين المُعتدين والمُعتدين والمُعتدين والمُعتدين والمُعتدين المُعتدين والمُعتدين والمُعتدين

وهاتان قاعدتان في الفِقْه السياسي، إلَّا أنَّ الكثير يخلط بين القاعدتين إمَّا بحمل الأولى عَلَى الثَّانية أو الثَّانية عَلَى الأولى لا سيّما عِنْدَ العامّة.

الدعوة للدين بفتح القلوب عبر الإلفة والمعرفة لا السيف والإرغام:

ثمَّ قالت الآية: ﴿ وَإِن جَنَحُ ٱلِلسَّلْمِ فَأَجْنَحُ لَمَا ﴾ (١).

يتقريب: إنَّ هَذِهِ الآية حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة أمَّا منسوخة بخلاف أسباب النُّزول الصحيحة الواردة عَنْ أهل البيت المَيْكِ فَإِنَّا ليست بمنسوخة وأنَّ منطق القُرآن يُبيِّن فلسفة الجِّهَاد فِي الإسلام وأنَّ المسلم إذَا تَعَرَّض لاعتداء مِنْ قبل غَيْر المسلم فعليك بردعه والتصدي لَهُ، بخلاف ما إذَا مَدَّ غيرُ المسلم يدَه للسلم فاجنح لَهُ، وخير شاهد ونموذج تطبيقي لقاعِدة السلم هُو ما صنعه رسول الله عَيْنِ المولئين وسبطه الإمام الحسن والإمام الحسين المَنْ الْمَا الْمُ السول الله عَيْنَا السول الله المَنْ المسلم المؤمنين وسبطه الإمام الحسن والإمام الحسين المنافق الله عَنْ يستخدم الرسول عَيْنَا القوَّة

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦١.

٧٨٤...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

العسكرية حَتّى فِي مَكَّة مَعَ الطرف الآخر ما دام الطرف الآخر سلميٌّ وَهُوَ الأهم حَيْثُ يصف القُرآن الكريم ما حصل مِنْ تأليف لقلوب المسلمين إبّان عصر الرّسالة بَعْدَ أَنْ كانوا أعداءاً وإحلال روح الأخوَّة بينهم إنّها مِنْ نعم الله الَّتِي مَنْ الله سُبْحَانَهُ بها عَلَى المجتمع الإسلامي الأوَّل، ووُهِبَتْ لهم ببركة البعثة النبويّة.

وأمَّا الأحاديث والرُّوايات فَقَدْ وصف الْنَّبِي ﷺ المُتاَلفون بقوله ﷺ: «خيارُكمُ أحاسِنككم أخلاقاً الَّذِيْنَ يألفون ويؤلفون» (١٠).

وقول أمير المؤمنين اللهِ: «طوبى لِـمَنْ يألَف النَّاس ويألفون عَلَى طاعة الله»(٢).

وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله بشأن أهمي عَلَيْه النعمة: «... فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ قَدْ أَمتنَّ عَلَى جماعة هَذِهِ الأُمَّة فيها عَقَدَ بينهم مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُمَّة فيها عَقَدَ بينهم مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأَلْفَةِ الَّتِي ينتقلون فِي ظِلَّها وياوونَ إلى كنفِها، بنعمَةٍ لا يَعْرفُ أحدٌ مِنْ هَذِهِ الأَلْفَةِ الَّتِي ينتقلون فِي ظِلَّها وياوونَ إلى كنفِها، بنعمَةٍ لا يَعْرفُ أحدٌ مِنْ الله المخلوقين لها قيمةً، لأنها أرجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ، وأجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.... (٣).

عَنْ عَيَّار بن أَبِي الأحوص، قَالَ: قلتُ لأَبِي عبدالله اللَّهِ: ... فأجابه ـ الإمام اللَّهِ (٤٠): «أَمَّا علمت أنَّ أمارة بني أُميّة كَانَتْ بالسّيف والعسف

⁽١) تحف العقول: ص٤٥، عَنْه بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٤٩، ح٧٣.

⁽٢) بحار الأنوار: ج١٧، ص٣٨٣ - ١٧.

⁽٣) الإمام ﷺ ليس الرُّواية وإنها ذكرتها للتوضيح.

⁽٤) الوسائل: ج٦٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المنكر: ب١٤ ح٩.

وقول الإمام زين العابدين الله : «حَقُّ أَهلِ مِلَّتكَ إضهار السّلامة والرَّمة لهم والرِّفق بِمُسيئهم وتآلفهم واستصلاحهم»(٢).

بتقريب: إنَّ تأليف القلوب وبالخصوص المُتنافِرة عمل فيه مشقة، وقَدْ يُصِبحُ أحياناً مُتعذِّراً وإنْ كَانَتْ البشرية اليوم بكافة أديانها ومذاهبها وأشكالها تنشد الإلفة بين قلوب البشر والمُسلمين منهم خاصّة؛ ولذا فَإنَّ أمير المؤمنين عليه يقول فِي هَذَا الصدد: «إزالةُ الرَّواسي أسَهلُ مِنْ تأليف القلوب المُتنافِرة» (٣).

والإلفة عبارة عَنْ أمنِ وسلام ومصدر الألفة كَمَا دلَّت عَلَيْهِ الآية المُبَارَكَة ﴿ وَاَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴾ هُوَ مصدرٌ إلهي وليست وليدة قوَّة عسكرية أو أمنية أو مُزايدات عسكرية، وَعَلَيْهِ فإذا كَانَ مصدر الإلفة إلهي فَهَذَا معناه مصدرها حصر العظمة والكبرياء والصلاحيات بالباري تَعَالَى شأنه: ﴿ وَلَلْ يَتَا هَلَ الْكِنْ تِمَا لَوْ إِلَىٰ كَلِمْ مِسَوْرَةً مِيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ (أ).

بتقريب: إنَّهُ بالتَّوحيد يَكُون العدل، وبالعدل يَكُون تنسيق القلوب

⁽١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢؛ بحار الأنوار: ج١٤، ص٤٧٤ ح٣٧.

⁽٢) الخصال للصدوق: ج١، ص٥٧٠؛ تحف العقول: ص٧٧١، ح٩٤.

⁽٣) الكافي، للكليني: جه، ص٢ ح١.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

٣٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

واتساقها _ أيّ تآلفها _ بَلْ وَحَتّى بَعْدَ هجرة الْنَّبِيِّ عَلَيْهُ إلى المدينة المنوّرة وقريش الَّتِي ما انفكت تشنّ الهجوم والغارات الليلية عَلَى المدينة المنوّرة والرسول عَلَيْهُ لَمْ يبدأهم بقتال، وهكذا صنع سبطه الإمام الحسين الثَّلِهِ مَعَ أجلاف الشَّام والكوفة _ «أكره أنْ ابدأهم بقتال».

ولذا كَانَ تجهيز الرسول عَيَّالَهُ للجيش والسّلاح وما يستلزمه الأمر هُوَ لأجل غرض دفاعي هَذَا بحسب منطق مدرسة أهل البيت المَيِّا وَهُوَ غَيْر منطق مدرسة الخُلفاء.

بتقريب: أنَّ كفار قريش يخبئون خدعةً فيها عدوان وغيله وغدر، فخذوا حِذْركم وحيطتكم منهم، نعم لو كانوا صادقين بطلبهم السّلم فاجنح لها.

وأمَّا الكافر غَيْر الحربي ـ المعاهد أو الذِّمي ـ فبمنطق مدرسة أهل

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٦٢.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية ٢٨٧ الست الملك وفق شد ائط الست الملك وفق شد ائط الست الملك وفق شد ائط

البيت المَيِّلُ لَهُ ما للمسلمين مِنْ حقوق وتَحَمُّل بَعْض المسؤوليات وفق شرائط اللَّمة الَّتِي يتّفق معه المسلمون عَلَيْهَا، فَيَكُون لَهُ مالهم وَعَلَيْهِ ما عليهم.

وأمَّا بحسب مدرسة الطرف الآخر _العامّة _ فالأمرُ مختلف فِي ذَلِكَ.

أسباب الإلفة البشرية ولاية الله وولاية الرسول

وقر بها الرسول. أي محبة الله ومحبة الرسول

ومحبة أهل بيت النبي عَلَيْظُ:

البشرية تنشد الإلفة:

مِنْ المباحث الأخلاقية المُهِمَّة فِي الإسلام وَالَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وأهل البيت المِيَّا هُوَ بحث الإلفة الذي فيه تأليف القلوب الذي هُوَ مِنْ أهم الأولويات التربويّة والسياسيّة فِي المدرسة الإسلاميَّة.

والإلفة تارةً بمعنى: التأليف المادّي حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَرْ تَرَأَنَّ ٱللَّهَ يُـزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ مُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾ (١).

وَأُخْرَى بمعنى التأليف المعنوي: ﴿وَآذَكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْكُنتُمْ أَعَدَآءَ فَأَلَّكَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢).

والمقيم للعدل هُوَ الله تَعَالَى ورسوله عَيَّاللهُ ﴿ مَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ

⁽١) سورة النور: الآية ٤٣.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

٢٨٨.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالْمَسْكِمِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَة أَبْنَ ٱلْأَغْنِيلَةِ مِنكُمُ اللَّهِ اللهُ الْمَسْكِمِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَة أَبْنَ ٱلْأَغْنِيلَةِ مِنكُمُ اللهُ ا

بتقريب: إنَّهُ يجب أنْ تستند ثروات الأرض ويوكل أمرها إلى الله ورسوله الخاتم عَلَيْهُ؛ لِإِنَّهُ لَمْ ولن يتحقق العدل الإلهي المنشود في الأرض بشكل كامل إلَّا بالنبي عَلَيْهُ وآله صلوات الله عليهم أجمعين؛ لِأنَّ إسناد أمرها إلى غَيْر الله ورسوله - كَمَا رأته البشريّة - جرَّ إلى حروب وويلات ودمار وأدَّت إلى الفتن والعداوات بين البشر.

هَذَا كُلَّهُ بحسب البيانات الَّتِي يذكرها القُرآن كملحمة إعجازيّة ونبوءة قرآنية، إنَّهُ بالنبي ﷺ وآله تتسق وتتآلف قلوب جميع البشر فضلاً عَنْ المسلمين.

وَمِنْ لطيف وجميل ما أشار إله الزمخشري فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿ قُلُ السَّنَكُمُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبَيِّ ﴾ (٢).

بتقريب: أنَّ فرض أمر المودَّة بأهل البيت المَهِلِيُّ ـ أيَّ قُربى الْنَبِيَ عَلَيْلُهُ ـ أمرٌ مفروغ عَنْهُ، بَلْ القُرآن يُطالب بحصر المودَّة بأهل البيت المَهِلِيُّ وأنَّ (آل) في المودَّة للجنس أيّ حصر جنس المودَّة والولاية فِي القُربى فإذا حَصَرْتم الولاية فِي القُربى فلسوف تنعم البشرية بحياة طيّبة كريمة.

وتعبير الآية: ﴿ قُل لَّا آسَنَكُمُ عَلَيهِ أَجَرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَيُّ ﴾ نظير الآية

⁽¹⁾ سورة الحشر: الآية ٧.

⁽٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية وهُمُ اللَّهُ وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اللَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّاوَةَ وَيُوْتُونَ الزَّكُوةَ وَهُمُ رَكِعُونَ ﴾ (١) بحصر الولاية بالله ورسوله وأهل بيته المِيلِان .

إذَنْ القُرآن يُبيِّن ويرسم لنا واقع الإلفة الحقيقية والمحبة والتعايش السَّلمي الذي تنشده البشريَّة بكافة أطيافها ومذاهبها وأديانها ومنظهاتها المدنية والامنية، وأنَّ ذَلِكَ لا يتحقّق إلَّا عَنْ طريق تحقّق شيئين وَهُمَا الثقلان؛ الكتاب والعترة الطاهرة فَهُمَا كفيلان بتحقّق ونشر الأمان في عالم الوجود، وأمَّا تحقُّق أحدهما دون الآخر فالسّلم مُؤقت.

⁽١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

تحريف أسماء سور القرآن

من نماذج أسباب النزول المحرفة

ما جاء في سورة براءة التوبة:

هُنَاكُ مبحثاً هامّاً تحت عنوان: قاعدة تسمية السُّور القرآنية ـ وَقَدْ تلاعبت به مدارس الطرف الآخر ـ العامّة ـ الَّتِي تبنَّت الفكر الأموي والعباسي وغيرهما تلاعباً خطيراً، واختاروا مِنْ أسهاء السُّور ما يطمس حقائق خطيرة فيها؛ كي لا تنتشر في الذهنيّة الإسّلاميَّة استعمالها وصَدَها، وَمِنْ أسهاء تلك السُّور الَّتِي تُلوعِب فيها هِيَ سورة ـ براءة ـ أيّ التّوبة، فَإنَّ قُريشاً سَمّتها بِهَذَا الاسم ـ التَّوبة ـ تعمية وتغطيةً عَلَى حقائق نورية في القُرآن، علماً أنَّ اسمها الحقيقي (سورة براءة).

وذكر صاحب تفسير مجمع البيان العلّامة الطبرسي أسهاؤها عشرة، سورة براءة سُميت بذلك لأنها مفتتحة بها، ونزلت بإظهار البراءة مِنْ الكفّار ـ التوبة ـ سُميت بذلك لكثرة ما فيها مِنْ التّوبة كقوله: ﴿وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآهُ ﴾، ﴿ وَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَمُنَّ اللّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآهُ ﴾، ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ

لِيَتُوبُورًا ﴾، الفاضحة: _ عَنْ سعيد بن جُبير، قَالَ: قلتُ لابن عباس سورة التَّوبة، فَقَالَ: تلك الفاضحة ما زال ينزل حَتَّى خشينا أنْ لا يبقى منهم أحدٌّ إِلَّا ذُكِرٍ، وسُميت بذلك لأنَّهَا فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم، والمبعثرة: عَنْ ابن عباس أيضاً سمّاها بذلك لأنَّها تبعثر عَنْ أسر ار المُنافقين أي تبحث عنها: المقشقِشة: عَنْ ابن عباس سيّاها بذلك لأنَّها تبرئ مَنْ آمن بها مِنْ النِّفاق والشرك لما فيها مِنْ الدُّعاء إلى الإخلاص، وفي الحديث كَانَ يُقَال لسورتي: قل يا أيُّهَا الكافرون، وقل هُوَ الله أحد المقشقشتان سميتا بذلك لأنَّها تبرئان مِنْ الشِّرك والنِّفاق يُقَال قشقش إذًا برأه وتقشقش المريض مِنْ علته إذًا أفاق وبرئ مِنْهَا، البحوث: عَنْ أبي أيوب الأنصاري سمّاها بذلك لأنَّها تتضمَّن ذكر المنافقين والبحث عَنْ سرائرهم، المدمدمة: _ عَنْ سفيان بن عُيينة أيّ اللهلكة وَمِنْهُ قوله ﴿ فَكَمَّدُمْ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ (١).

الحافرة: عَنْ الحسن لأنَّها حفرت عَنْ قلوب المُنافقين ما كانوا يسترونه.

المثيرة: عَنْ قتادة لأنَّها أثارت مخازيهم ومقابحهم.

سورة العذاب: عَنْ حُذيفة بن اليهان لأنَّها نزلت بعذاب الكفّار، وروى عاصم عَنْ زرِّ بن حبيش عَنْ حُذيفة قَالَ: يسموها التّوبة وَهِيَ سورة العذاب فَهَذِهِ عشرة أسهاء (٢).

⁽¹⁾ سورة الشمس: الآية ١٥.

⁽٢) مجمع البيان للطبرسي: ج٥، ص١.

فتبيَّن أنَّ لسورة براءة _ التوبة _ عشرة أسهاء وَكُلَّهَا أسهاء غضب وحمم إلهية عَلَى فئات المنافقين مِنْ قريش وغيرها.

وَعَلَى أَيِّ حَالَ فَإِنَّ التّلاعب والتّحريف والتّغيير، وصل به الحال إلى تغيير أسهاء السُّور وتحريفها والإتيان بغيرها، وَلَمْ يقتصر التّلاعب والتّحريف عَلَى روايات أسباب النُّزول، فحسب بَلْ نفذوها بتغيير أسهاء السُّور وَهَذَا نوع آخر مِنْ التّحريف والتّلاعب.

إذَنْ لَيْسَ فِي أسباب النَّزُول المُحرَّفة تغييب للحقائق وللبصائر والأنوار الموجودة فِي القُرآن بَلْ تعدَّى الأمر إلى تحريف وتعمية أسماء السُّور.

وَعَلَيْهِ فأين يُظن حَدْسُك أنْ تطمئن بها يُبنى لديهم - العامّة؟!

فَإِنَّهُم تلاعبوا حَتَّى بأسهاء السُّور عَلَى غَيْر مَا كَانَتْ عَلَى عَهد رسول اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لُو أَبقوها عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْنَّبِيِّ عَلَيْهُ لاستفادت الأُمَّة وارتشفت مِنْ حقائق وجواهر وبصائر القُرآن الكريم.

سورة البراءة والمؤمنون منِ أصحاب رسول اللهَ اللهِ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلِيكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلِي عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَّ عَ

تعرَّضت سورة البراءة إلى ذكر (١٣) ثلاثة عشر فرقة مذمومة مِنْ أصحاب رسول الله عَلَيْ أواخر حياة الْنَّبِي عَلَيْكُ عَلَى القول بأنَّ سورة البراءة هِيَ آخر سورة نزلت فِي القُرآن الكريم ـ وإنْ كَانَ الصحيح عَلَى القول الآخر أنَّ سورة المائدة هِيَ آخر سورة نزلت ـ

ولذا مِنْ أسهاء سورة البراءة هِيَ سورة الفاضحة لأنَّها نزلت قبل رحيل رسول الله بستين تقريباً وَهِيَ لا زالت تَنْزُل بفضائح رجال مِمَّن هُمْ مَعَ رسول الله عَتَى قالت الرُّواية: «حَتَى خشينا أَنْ لا يبقى منهم أحد إلَّا ذُكِر»(١).

فَإِنَّ العين المجهريَّة للقُرْآن الكريم ركَّزت عَلَى أَنَّ جماعات منافقة مِنْ أصحاب الرسول النَّبِيَّ عَلَيْكُ، منهم مَنْ عاهَدَ الله، ومنهم مَنْ كَانَ يؤدي الْنَبِيَ عَلَيْكُ، ومنهم منافق، ومنهم مَنْ فِي قلبه مَرَضٌ ومنهم ... الخ حَتَّى أَنَّ مِنْ بَعْض أسهاء سورة البراءة هِيَ سورة القارعة؛ لأنَّها تقرع رؤوسهم بالفضائح والدفائن والمُخططات العدوانيّة الَّتِي أضمروها وانطوت عَلَيْهَا سرائرهم.

النموذج الثالثِ عَلى دحض أسباب النزول المَلفقة (٢):

ذُكِرَ فِي سورة براءة (التوبة) أنموذجاً ثالثاً لدحض أسباب النُّزول الْمُلفَّقة عَلَى غرار النموذجين السّابقين فِي سورتي آل عمران والأنفال وَهُوَ قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصُلِّ عَلَىٓ أَحَدِ مِّنْهُم مَّاتَ أَبْدًا وَلَانَقُتُمْ عَلَى قَبْرِقَةٍ ﴾ (٣).

بتقريب: أنَّ روايات أسباب النُّزول المُزيِّفة ادَّعتْ أنَّ الثَّانِي اعترض عَلَى رسول اللهُ عَلِيُنِهُ بشدَّة أو مسك رداء الْنَبِيِّ عَلِينِهُ، وَقَالَ لَهُ: كيف تصلي

⁽١) مجمع البيان للطبرسي: ج٥، ص١.

⁽٢) تَقَدَّمَ النموذج الأوَّلَ لدحض أسبابِ النُّزول المُلقَّقة وَهُوَ آيات مِنْ سورة آل عمران فِي خصوص معركة أُحُد، والنموذج الثَّانِي كَانَ فِي آيات مِنْ سورة الأنفال حول معركة بدر، وَهَذَا هُوَ النّموذج الثَّالِث لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي سورة براءة.
(٣) سورة التوبة: الآية ٨٤.

تحريف أسماء سور القرآن عَلَى عبدالله بن أَبِي بن سلول وتقوم عَلَى قبره ... الخ إلى أنْ اضطر الْنَّبِيَّ ﷺ

أَنْ يقول للثَّاني: «ما يُدْريك أدعوا لَهُ أو أدعو عَلَيْهِ».

عَنْ أَبِي عبدالله السِّلاِ، قَالَ: لما مات عبدالله بن أبي سلول حضر الْنَّبِيِّ عَيَّاكِلُّهُ لِهِ جنازته، فَقَالَ عمر لرسول الله عَيِّلِللهُ يا رسول الله: ألم ينهك الله أنْ تقوم عَلَى قبره؟ فسكت، فَقَالَ يا رسول الله ألم ينهك الله أنْ تقوم عَلَى قبره؟ فَقَالَ لَهُ: ويلك وما يُدريك ما قلت إنِّي قلت: اللَّهُمَّ احش جوفه نارداً واملاً قبره ناراً واصله ناراً، قَالَ أبو عبدالله اللهِ: فأبدى مِنْ رسول الله ما كَانَ يكره(١) وادّعت أسباب النُّزول المُزيّفة أنَّ هَذِهِ الآية نزلت دعمَّا وتأييداً وتصويباً لموقف الثَّاني، وتخطئة الْنَّبِيَّ ﷺ، هَذَا هُوَ ديدن أسباب النُّزول الْمُلفَّقة بأنْ تنسب الخطأ إلى الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ وتلومه عَلَى ذَلِكَ، وَبَعْدَ معرفة هَذَا هل يُعْقل الاعتماد عَلَى مثل هكذا موازين مغلوطة ومخلوقة ومدسوسة ومصطعنة تشكِّل خطراً يمسّ معتقد المسلمين كعقيدة النبوّة مثلاً، وَهَذَا ما ذهب إليه واعتمد عَلَيْهِ بَعْض مَنْ هُوَ محسوب عَلَى الإسلام وَهُوَ منهم بُراء كالفكر السَّلفي بَلْ وعامَّة المسلمين؛ غير أهل البيت اللِّي مثلاً الَّذِيْنَ تبنوا تخطأة الْنَبَى عَيْلِهُ وَأَنَّهُ عَيْلِهُ كباقي المجتهدين فِي الوقوع فِي الخطأ ورتَّبوا ـ السَّلْفية _عَلَى ذَلِكَ أَمُوراً مِنْهَا:

١ _حرمة زيارة القبور.

⁽١) الكافي، للكليني: ج٣، ص١٨٨.

797.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ٢ ـ حرمة زيارة الأضرحة.

٣_حرمة الدُّعاء عِنْدَ القبر والتّوسل لله بحرمة صاحب القبر و ... الخ.

فيا أيُّهَا الباحث الكريم المُتأمّل انظر إلى ما جَرَّت إليه روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة وما جَرَى عَلَى المسلمين مِنْ ويلات ومأسات وكلفتهم دماء وأموال بسببها إذَا ابتدأت بالبحث العقائدي وانتهت ببحث فقه الفروع.

وَهُنَاك قسمٌ آخر مِنْ روايات أسباب النُّزول الْمُحرَّفة لديهم أشدّ شناعة عَلَى الرسول عَلِي إِذْ يقول: إنَّ هَذِهِ الآية ٨٤ مِنْ سورة البراءة، نزلت قبل أنْ يُصلى الْنَّبِي عَيِّكِ اللهُ عَلَى عبدالله بن أبي بن سلول، وَكَانَ اعتراض الثَّانِي عَلَى رسول اللهُ عَيِّلِيُّهُ أَنَّهُ لماذا لَمْ تتقيَّد يا رسول الله بهذه الآية الكريمة، أَوَ لَمْ يُنهكَ الله عَنْ الصَّلاة عَلَى الْمُنافقين فكيف إذَنْ تُصلِّي عليهم، وَهَذَا القسم مِنْ الرُّوايات أعظم شناعة عَلَى رسول الله عَيِّكِ فَالُّمَا تذكر أنَّ الآية نزلت بنهى الْنَّبِي عَيَّا اللَّهُ عَنْ الصَّلاة عَلَى المُّنافقين وَمَعَ ذَلِكَ حسب زعمهم يرتكب الْنَّبِيِّ عَلَيْكِ الدِّينِ أَشْدٌ مِنْ غَيْرَة وحرص الثَّانِي عَلَى الدِّينِ أَشْدٌ مِنْ غَيْرَة الْنَّبِيِّ عَيَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهُنَا تَكُمَن خَطُورَة أَسْبَابِ النَّزُولِ الْمُزِّيَّفَة فِي التجرأ عَلَى مقام النَّبُوة وشخص الْنَبِّيِّ الأكرم اللَّهِ أَمَّا لكم كيف تحكمون، بَلْ رانَ عَلَى قلوبهم فَإِنَّ رسول اللهَ عَيِّلِهُ هُوَ الغيور الأمين عَلَى الشّريعة وَالدِّين والْمُحامي والمُدافع عَنْ الإسلام والمسلمين.

وَعَلَيْهِ فكيف يمكن تعقَّل هكذا أسباب نزول مُلفَّقة لا تُفَرِّق بين النَّبِيّ وغيره، وجعلت مَنْ هُوَ عين الوحي مفضولاً لِـمَنْ عبد الوثن وعاقر

الحمير أربعين عاماً، والإمام والمأموم فإنَّها جعلت المفضول فاضلاً والمأموم إماماً، وَهَذَا لَهُ تداعيات خطيرة جدّاً تمس العقيدة.

أولا: أنَّ أصحاب المذاهب الإسلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت المَيُّة النَّقدِّمة فِي سورة آل عمران البيت المَيُّة استدلّوا بروايات أسباب النُّرول المُلفَّقة المُتقدِّمة فِي سورة آل عمران والأنفال وسورة التوبة عَلَى عدم عصمة الْنَبِي عَيَّا اللهُ فِي التّحاكم السّياسي، وفي تدبيره لِأُمُور الدَّولة وما شابه ذَلِكَ مَعَ أنَّ القُرآن يشهد للنبي عَيَّا اللهُ بالعصمة فِي تدبير الحكم مِنْ جهة بُعْد الموضوعات.

ئانيا: أنَّهم رتَّبوا عَلَى روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة بحوثاً وعناوين خطيرة جدًا في مثل كتبهم الأصولية _أصول الفِقْه _ كعنوان [هل للنبي عَلَيْكُ أَنْ يَجتهد].

بتقريب: بمعنى أنَّ الْنَّبِيَّ عَلَيْكُ والعياذ بالله _ يجهل الشيء فَلا بُدَّ أنْ يجتهد لتحصيل علمه، وهكذا عنوان آخر [هل يخطئ الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ أو لا] و ... الخ.

وبإثارة هكذا بحوث تولّد لديهم مثل هل يمكن الاعتراض عَلَى الْنَبِيّ عَلَيْهُ أَو لا؟ هكذا بنوا عَلَى الْنَبِيّ عَلَيْهُ أَو لا؟ هكذا بنوا عقائدهم وفقههم.

ثالثاً: يلزم مِنْ الأخذ والعمل بروايات أسباب النَّزول المُلفَّقة مِنْ دون تمحيص وتحقيق وغربلة للأفكار وعرضها عَلَى مُحكمات الكتاب

والسُّنة، الإسفاف (۱) بفعل الله؛ لأنَّ المُرْسَل بالفتح وهُوَ النَّبِي عَلَيْ يُنبيء والسُّنة، الإسفاف (۱) بفعل الله؛ لأنَّ المُرْسَل بالفتح وهُوَ النَّبِي عَلَيْ يُنبيء عَنْ حكمةِ المُرْسِل بالكسر وهُوَ الله تَعَالَى، وَيَكُون المعنى عندهم حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَقة: أنَّ الباري تَعَالَى اشتبه وأرْسَل الْنَبِي عَلَيْ وَلَمْ وَإِنَّمَا هُوَ مُدَوَّنٌ فِي روايات يُرسِل غيره؟ وَلَيْسَ هَذَا المعنى تجني عليهم وَإِنَّما هُوَ مُدَوَّنٌ فِي روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة الَّتِي اعتمدوها فِي فَهُمْ مَعْنَى الآيات، والمشكلة الأعظم أنَّ مثل هكذا روايات أسباب نزول مُلفَّقة تسرّبت إلى كُتبنا، وسننبيِّن لاحقاً فِي محله المُناسِب إنْ شاء الله _ إنَّهُ بحسب روايات وبيانات أهل البيت المَنِيِّ النَّهُ كيف جعلت هَذِهِ الرُّوايات المُزيَّفة المثلبة لبعض الصّحابة أهل البيت المنتخب المنتجابة الله على السّحابة الله المنتبة لبعض الصّحابة أهل البيت المنتجابي النَّهُ كيف جعلت هَذِهِ الرُّوايات المُزيَّفة المثلبة لبعض الصّحابة

بيان نقاط الزيف والتلفيق في روايات أسباب النزول:

في سورة براءة ٨٤:

هُنَاكَ عِدَّة نقاط للزيف في سورة براءة حاولت أسباب النُّزول المُلفَّقة والأقلام المأجورة قلب الحقائق فيها وحجب الأبصار عنها إلَّا أنَّهم لَمْ يفلحوا بذلك وَهِيَ:

النقطة الأولى: إنَّ صِرْف مفاد الآية الكريمة لا يَدُلِّ عَلَى عتاب شديد مِنْ الله تَعَالَى إلى الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ أو تخطئة الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ ولذا يصعب عَلَى الْفَسِّر والباحث الكريم أنْ يخرُجَ مِنْ هكذا أجواء موبوءة ورديئة شحنت

منقبةً.

⁽١) الإسفاف: أيّ لَيْسَ لكلامه مَعْنَى.

بهكذا روايات مخلوقة ومكذوبة، وَيَكُون النَّظر إلى الرُّواية بلون لَيْسَ واقعي، وَهَذَا أحد أهم أزمات ومشاكل أسباب النُّزول الَّتِي تسبب إشباع الأذهان بجرعات خاطئة مِنْ الرُّوايات، ولذا يَكُون التشافي مِنْ هكذا روايات أسباب نزول مُلفَّقة أمرٌ في غاية الصعوبة، فوقع الكثير مِنْ المُفسِّرِين في وَحْلِ وشراك هَذِهِ الرُّوايات المُزيَّفة وَلَمْ يستطيعوا النَّجاة بأنفسهم مِنْهَا.

ولذا يجب عَلَى الباحث وَالْمُفَسِّر النَّاجِح والفاحص عَنْ الحقيقة أَنْ لا يبتعد عَنْ روايات مدرسة أهل البيت اللَّثِ والعرض عليها إذْ هِيَ كاشفة عَنْ زوايا الحقيقة والمبيِّنة لأوجه الزيف في روايات أسباب النُّزول والابتعاد عَنْ أسباب النُّزول المُلفَّقة ولا يُلوِّث ذهنه بها ويحرر نفسه مِنْ قيودها.

فالصحيح بحسب روايات أسباب النُّزول الواردة عَنْ أهل البيت المَّيْكِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

المنهي عنه مغاير لما قام به النبِيءَأَيُّوا أَ:

النقطة الثانية: ما المُرَاد مِنْ النّهي عَنْ الصَّلاة عَلَى مثل هؤلاء المُنافقين فِي الآية المُبَارَكَة ﴿ وَلَا تُصَلِّ ﴾؟ هل المُرَاد لا تُصَلِّ صلاة الأموات

٣٠٠ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث على هَذَا النُّافق أم المُرَاد المعنى اللغوي للصلاة وَهُوَ الدُّعاء؟

إِنَّهُ حسب أسباب النُّرول الصّحيحة الواردة في بيانات أهل البيت المَّكِلُ المُرَاد مِنْ الصَّلاة معناها اللّغوي أيّ لا تدعُ للمُنافق بقرينة ﴿ وَلَا نَعُمُ عَلَى قَبْرِ وَلَا نَعُمُ عَلَى قَبْر اللّيّت ويُكْثِر فَبْرُونَ هِ فَا اللّهُ عَلَى قَبْر المِّيّت ويُكْثِر لَهُ مِنْ الدُّعاء ليُخَفَف عَنْهُ العذاب والسؤال و ... الخ.

بتقريب: أنَّ مَنْ يتشفع لمنافق أو مُعانِد فَإِنَّهُ يؤزر ويؤثم إلى أنَّ بيَّنت الآية: _أنَّ إبراهيم اللهِ لما تبيَّن أنَّ آزر عدوًا لله تبرّأ مِنْهُ فَإِنَّه الكافر أو المنافق لا يستغفر لَهُ؛ لِأنَّ الاستغفار لعموم المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الوارد في تكبيرات الصَّلاة عَلَى الميّت لا يشمل المنافق لِأنَّ الدُّعاء للمسلم والمُرَاد مِنْ المسلم أيّ المسلم الحقيقي الذي إسلامه بقلبه لا بلسانه أيّ لا

⁽١) سورة النساء: الآية ٨٥.

المسلم الصّوري الذي إسلامه بلسانه فَقَطْ ويُعاند الله ورسوله فِي قلبه والمنافق مِنْ قسم المسلم الذي أسلم بلسانه فَقَطْ دون قلبه، وَعَلَيْهِ فلا يسوّغ الدُّعاء فِي الصَّلاة عَلَى الميّت للمنافق والكافر وَإِنَّمَا يُدْعَى عَلَيْهِ لا لَهُ، والتعليل ظاهر فِي الآية ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِأُللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

بتقريب: أنَّهُ لا يمكن الدُّعاء للمنافق بحسب ظاهر الآية، وَهَذَا لا علاقة لَهُ بتعطيل معلم ديني عظيم ألا وَهُوَ الصَّلاة عَلَى الميت، وَعَلَيْهِ فها هُوَ وجه الربط بين الصَّلاة والمُنافقين.

وَمَعْنَى «لا تقم عَلَى قبره» أيّ لا تدع لَهُ، هَذَا كُلَّهُ بحسب ما نبّهت عَلَيْهِ روايات أسباب النُّرول الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَيِّلِيْ، مِنْ نكات في ألفاظ الآيات وأمّا بحسب روايات أسباب النُّرول المُلفَّقة وَالَّتِي هِي عِنْدَ الطرف الآخر ـ العامّة ـ فَكُلّ ما فيها هُوَ لأجل تبرير خطأ الثاني عِنْدَ اعتراضه عَلَى رسول الله عَلَيْ وتصويب فعله ولو انجر إلى تخطئة النَّبِي عَلَيْهُ وتصويب فعله ولو انجر إلى تخطئة النَّبِي عَلَيْهُ وَصويب فعله ولو انجر إلى تخطئة النَّبِي عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ وتصويب فعله ولو انجر إلى تخطئة النَّبِي عَلَيْهُ الله النُّرول الله عَلَيْهُ الله النَّرول الله عَلَيْهُ الله الله على مواطن عديدة مِنْ مباحث التفسير الَّتِي تُروق أسباب النَّرول الله عَلَيْهُ الله على مواطن عديدة مِنْ مباحث التفسير الَّتِي تُروق أسباب النَّرول الله عَلَيْهُ الله الله الله الله على الله وقال على الله على عليه عَصانة النَّي عَلَيْهُ في الطرف الآخر.

⁽١) سورة التوبة: الآية ٨٤.

إِنَّ أعداء الله ورسوله مِنْ الكافرين والمنافقين لا يُستغفر لهم ولا يترحم ولا يُترضى عليهم ولا يُتشفع لمثل هؤلاء وإِنْ أظهروا صورة الإسلام فَإِنَّ مثل هؤلاء وصفهم القُرآن الكريم ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ عَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿ اللّهِ مَا لَكُولِهِ مَا لَكُولِهِ مَا لَكُولِهُ مَا لَكُولِهُ مَا لَكُولِهُ فَاللّهِ وَرَسُولِهِ مَا لَكُولُهُ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

ولذا عِنْدَمَا أَلَجَّ وأصرَّ الثَّانِي عَلَى رسول اللهَ عَلِيُّهُ وَأَنَّهُ لَمْ يصلِ الرسول عَلَيْهُ أَنْ يقول للثاني: «ويحك الرسول عَلَيْهُ أَنْ يقول للثاني: «ويحك وما تدري ما قلت في صلاتي دعوت عَلَيْهِ أَم لَهُ».

وَهُنَاك رواية عَنْ الإمام الصادق اللهِ فِي صدد هَذَا الاعتراض الخاطئ مِنْ الثَّانِي عَلَى رسول الله عَلَيْ : _ أَنَّ الثَّانِي كَانَ سبباً فِي إفصاح الْنَبِي عَلَيْ عَنْ شيء كَانَ عَلَيْ يُكتمه، وَكَانَ غرض الْنَبِي عَلَيْ مِنْ الصَّلاة عَلَى عبدالله بن أبي ابن سلول هُوَ احتراماً لابنه عبدالله.

وفي رواية عَنْ الباقر على أنَّ عمر عِنْدَمَا اعترض عَلَى الْنَبِي عَلَى الْنَبِي عَلَى الْنَبِي عَلَى اللهُ عَلَى عبدالله بن أبي سلول فقال لَهُ رسول الله عَلَى عبدالله بن أبي سلول فقال لَهُ رسول الله عَلَى جنازة ولا قمنا لَهُ عَلَى قبر» ثمَّ قَالَ: إنَّ ابنه رجلٌ مِنْ المؤمنين وَكَانَ يحقّ علينا أداء حقّه، وَقَالَ لَهُ عمر أعوذ بالله مِنْ سخط الله وسخطكِ يا رسول الله! (٢).

كَذَلِكَ كَانَتْ صلاة الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ عَلَى عبدالله بن أبي بن سلول طمعاً في

⁽١) سورة التوبة: الآية ٨٤.

⁽٢) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص١٥٢.

هداية جماعة مِنْ آل أبي سلول وغيرهم، وفعلاً أسلم المئات منهم، بَلْ أسلم الله مِنْ الحزرج لمّا رؤا النَّبِي عَلَيْهِ، كَمَا فِي تفسير مجمع البيان للطبرسي: _ أَنَّهُ عَلَيْ صلّى عَلَى عبدالله بن أبي وألبسه قميصه قبل أنْ يُنهى عَنْ الصَّلاة عَلَى المنافقين، عَنْ ابن عباس وجابر وقتادة وَقِيلَ أنَّهُ أراد أنْ يُصلّي عَلَيْهِ فَاخذه جبرئيل بثوبه وتلا عَلَيْهِ فَو وَلا تُصَلِّع كَنَ أَحَدِ مِنْهُم الآية، وقِيلَ: إنَّهُ فأخذه جبرئيل بثوبه وتلا عَلَيْهِ فَو وَلا تُصَلِّع كَنَ أَحَدِ مِنْهُم الآية، وقِيلَ: إنَّه قيلَ لرسول الله عَلَيْهِ مَنْ الله شيئاً، وَإِنِي أَوْمل مِنْ الله أنْ يُدْخل بِهَذَا السبب قميصي لن يغني عَنْهُ مِنْ الله شيئاً، وَإِنِي أَوْمل مِنْ الله أنْ يُدْخل بِهَذَا السبب في الإسلام خلقٌ كثير، فروي أنَّهُ أسلم ألف مِنْ الخزرج لما رؤوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله عَيَيْهِ (۱).

وَهُنَاكُ أهداف أُخْرَى لرسول الله عَنْهُ وَلَمْ يرتكب الرسول عَنْهُ ما نهاه الله عَنْهُ لِأَنَّ الذي نُهِي عَنْهُ هُو الدُّعاء للميت لا أصل الصَّلاة كشعار إسلامي، كَمَا فِي قول رسول الله عَنَى للثاني عِنْدَمَا اعترضه فِي الصَّلاة عَلَى عبدالله بن أُبي، فَقَالَ لَهُ الرسول عَنَاهُ: «ويلك وهل يُدرى ما قلت لَهُ؟ إنّها قلت اللَّهُمَّ اغش قبره ناراً وجوفه ناراً وأصِلِه النار فبدا مِنْ رسول الله عَنَاهُ ما لَمْ يكن يجب» وفي رواية أُخْرَى أنَّ الْنَبِي عَنَاهُ مَا للثاني: «ويحك أو ويلك إنّها أقول: اللَّهُمَّ املاه قبره ناراً واملاً جوفه ناراً وأصله يَوُم القيامة ناراً» (٢٠).

⁽١) مجمع البيان للطبرسي عَنَّهُ تفسير نور الثقلين: ج٣، ص١٥٢.

⁽٢) تفسير الصّافي للفيضّ الكاشاني: ج٢، ص٢٥٧.

٣٠٤.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث اعتراض الثاني على رسول الله المائية الثالث

كاد يفشل برنامجه المُثَالِثُهُ:

إِنَّ البرنامج الذي كَانَ يسير عَلَيْهِ رسول اللهَ عَلَيْهِ فِي هَذَا المجال هُوَ البرنامج الذي رسمه لَهُ القُرآن الكريم فِي الآية المُباركة: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ البرنامج الذي رسمه لَهُ القُرآن الكريم فِي الآية المُباركة: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْعَلُواْ عَنْ الشَّيَاءَ إِن تُبَدَّلُكُمْ تَسُؤُكُمْ ﴾ (١).

بتقريب: إنَّ أحد البراهين عَلَى إمامة أئمة أهل البيت المَيْ هُو أَنَّهُ لا يُفهم مغزى سيرة الْنَبِي عَيْلُهُ إلَّا مَنْ كَانَ مِنْ رسول الله عَلَى بمنزلة هارون مِنْ موسى وَمَنْ قَالَ فِي حقه رسول الله عَلَى «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» (۲) «أنا مدينة الفقه وعليّ بابها» (۳) قَالَ رسول الله عَيْلُهُ: «خلق النَّاس مِنْ شجر شتّى وخُلقت أنا وابن أبي طالب مِنْ شجرة واحدة أصلي عليّ وفرعي جعفر» (ع) وقَالَ على الله عَلَيْ النَّاس مِنْ أشجار شتّى وأنا وَأَنتَ يا على على الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله الله عَلَيْ النَّاس مِنْ أشجار شتّى وأنا وَأَنتَ يا على مِنْ شجرة واحدة أُل النَّاس مِنْ أشجار شتّى وأنا وَأَنتَ يا على مِنْ شجرة واحدة واحدة أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَالْفَسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَالْفَسَاءَكُمْ وَالْفَسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَالْفَسَاءَكُمْ وَالْفَسَاءُ وَالْفُسَاءُ وَالْفَسَاءُ وَالْفَلَاقُولُ اللهُ اللّهُ اللّهُ النّاسِ مِنْ أَسْرَاءً وَلْمَا وَاللّهُ وَلَالَالْمُ اللّهُ وَلَالَالُهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّه

بتقريب: أنَّ هَذَا المقام _ أيّ مقام أنفسنا وأنفسكم _ كم يثبته القُرآن

⁽١) سورة المائدة: الآية ١٠١.

⁽٢) أمالي الصدوق: ص٥٢٤؛ الغدير للأميني: ج٦، ص٨١.

⁽٣) مستدرك سفينة البحار، علي النيازي: ج٨، ص٢٨٨.

⁽٤) الخصال للصدوق: ص٢١.

⁽٥) عيون أخبار الرضا ﷺ للصَّدوق: ج٢، ص٦٨.

الكريم لا لنوح ولا لإبراهيم ولا لعيسى و ... إنَّ هؤلاء الأنبياء لمَ يكونوا بمنزلة نفس الْنَبِي عَلَيْ إلَّا علي بن أبي طالب اللهِ ، وَهَذَا ما اجاب به الإمام الرضائل عِنْدَمَا سأله المأموم العبّاسي عَنْ أعظم منقبة لعلي اللهِ ، حَيْثُ قرأ الإضائل عِنْدَمَا سأله المأموم العبّاسي عَنْ أعظم منقبة لعلي اللهِ ، حَيْثُ قرأ الآية ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ﴾ (() ويتقريب: أنَّ هَذِهِ المنقبة لمَ يمتلكها لا ملكُ مقرّب ولا نبي مُرْسل ولا ... الخ وَمَنْ كَانَتْ أوصافه ومناقبه مزيدة بَعْدَ رسول الله عَلَيْ وَهُو علي بن أبي طالب اللهِ فيمكن أنْ يَكُون الحافظ لسُنة النّبي عَلَيْ وسيرته؛ ولذا قَالَ الإمام الصادق اللهِ : ﴿ هُمْ اخطأوا فِي فَهْم سُنة النّبِي عَلَيْ وَمَهُ وَمَا حقّ رعايتها » وَالقُرآن يقول : ﴿ وَتَعِيمَا أَذُنُ وَعِيمَ ﴾ (() بتقريب: أنَّ لَيْسَ كُلِّ الصّحابة يمتلكون أذناً واعيةً عدا أمير المؤمنين علي إبن أبي طالب اللهِ ، ولذا كَانَ هُو الأحقّ بحفظ الشريعة وحمايتها بَعْدَ رسول الله عَيْنَ .

الوصي هو الحافظ الوحيد لسنة النبِي المُواللهُ

وسيرته نصرة ورعاية:

وَمَعَ كُلِّ هَذَا تعترض مدرسة الطرف الآخر ـ العامَّة ـ وَأَنَّهُ لماذا تَخصّون كُلِّ ذَلِكَ بـ (علي اللهِ عَلَيْكِ) فَإِنَّ سائر الصّحابة لرسول الله عَلَيْكُ أيضاً تلقُّوا الحديث عَنْ رسول الله عَلَيْكُ ؟

إنَّ الصَّحابة الَّذِيْنَ كانوا يعيشون مَعَ الْنَّبِيَّ عَيْرِاللَّهُ وملتفون حوله، فَإنَّ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

⁽٢) سورة الحاقّة: الآية ١٢.

كثيراً مِنْ الموارد والمواقف الَّتِي كَانَتْ تصدر مِنْ الْنَبِي عَلَيْهُ لا يفهمون دواعي وأغراض الْنَبِي عَلَيْهُ مِنْهَا؛ لِإِنَّهُ عَلَيْهُ كَانَ يعيش فِي أفق عقلي وقلبي عظيم، لمَ يستطع الصّحابة فهمه وَلَمْ يمتلكوا المُؤهلات الكافية لفهمه، وما تلقوه مِنْ الحديث كَمَا يَدّعون عَنْ رسول الله عَلَيْهُ فَإِنَّهُ كَانَ مُجَرَّد أصوات ولقلقة ألفاظ أو أنّها مُجرَّد أفعال كانوا يرونها تصدر عَنْ الْنَبِي عَلَيْهُ وأمّا فَهُم ما وراء ذَلِكَ فلا أحد يقوى عَلَيْهِ بَعْدَ الْنَبِي عَلَيْهُ إلّا علي بن أبي طالب اللهِ وَمِنْ بعده الحسن والحسين اللهِ وأئمة أهل البيت المِيلانية.

ولذا مِنْ ثوابت ومُعتقدات مدرسة ومنهج أئمة أهل البيت المَهِ هُوَ الْنَا الحافظ لحقيقة الشّريعة والمُؤتمن عَلَيْهَا لابُدَّ أَنْ يفهم أفق الْنَبِي عَلَيْهُا وَهَذَا لا أَمْدِ المؤمنين اللَّهِ وَالحسن والحسين اللهَ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّلْمُ الللللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّ

عبارة لطيفة لابن سينا في حق أمير المؤمنين اللها :

فِي رسالة المعارج، حَيْثُ قَالَ: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ مركز الحكمة، وفلك الحقيقة، وخزانة العقل، ولقد كَانَ بين الصّحابة كالمعقول بين المحسوس (١) وَهَذَا معناه أنَّ علياً بن أبي طالب اللهِ كَانَ يعيش

⁽١) الأربعين للماحوزي: ص٠٤٠.

فِي أُفَقِ الْنَبِيَ عَلَيْ وَوَحِيهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلُهُ وَغَيْبِياتُهُ عَلَيْ أُمَّا سَائَرِ الصّحابة عدا أُميرِ المؤمنين علي الله كانوا يعيشون مَعَ بدن الْنَبِي عَلَيْ الله السبب وغيره كَانَ يصف الْنَبِي عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ بأنه بمنزلة هارون مِنْ موسى إلَّا أَنَّهُ لا نبي مِنْ بعدي مَعَ أَنَّ القُرآن يخبرنا عَنْ هارون «وأنزلنا عَلَى موسى وهارون».

بتقريب: أنَّ أصل الإيجاء والإنزال كَانَ عَلَى موسى اللهِ ، إلَّا أنَّ ذبذبات الوحي كَانَتْ تنعكس عَلَى هارون، كَذَلِكَ أمواج الوحي الَّتِي كَانَ يسمعها الحاتم عَلَى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ ، فَإنَّ هَذِهِ الوحيانيات الَّتِي تُفاض مِنْ الباري عَلَى الْنَبِي عَلَى الْنَبِي عَلَى الْنَبِي عَلَى الْنَبِي عَلَى اللهِ على بن أبي طالب اللهِ فالرسول عَلَى اللهُ عَلَى سيد الأوصياء على بن أبي طالب اللهِ وحيانياً لا لسانياً.

هَذَا مُضَافًا إلى أَنَّهُ أُوليس القُرآن ينهى عَنْ التقدَّم بين يدي الله ورسوله ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَانُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَي ٱللَّهِ وَرَسُولِدٍ ۚ وَالنَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّا لَلَهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١).

بتقريب: أيُّهَا المؤمنون لا تسرعوا إلى قولٍ أو فعلٍ يرجع أمره إلى الدِّين والمصلحة العامّة وتتّخذوا أزاءه موقفاً قبل أنْ يقضي به الله عَلَى لسان رسوله الكريم ﷺ، فَيَكُون الاعتراض عَلَى الله ورسوله منهيّاً عَنْهُ مِنْ باب أوْلى.

وتروي أسباب النُّزول المُزيّفة أنَّ الأوَّل والثاني كادا يُهْلَكا فِي هَذِهِ الآية ﴿... لَا نُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَي ٱللَّهِ وَرَسُولِدٍ ۚ ﴾ بسبب تقدمهما عَلَى رسول

⁽١) سورة الحجرات: الآية ١.

٣٠٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث الله عَلَيْة.

بتقريب: أنَّ رسول الله عَلِيُهِ لو كَانَ يتابعكم عَلَى مثل ما تريدون وتقترحون ويُلبي رغباتكم لوقعتم في المشقّة والفساد والحرج ﴿وَلَاكِئَ ٱللَّهَ حَبَّ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَنَ ﴾ (٢).

وَالْمُرَاد مِنْ الإيهان أيّ طاعة رسول الله وعدم مخالفته والاعتراض عَلَيْهِ ﴿ وَكُرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفُر وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (٣)، بتقريب: أنَّ مخالفة رسول الله عَلَيْهِ ﴿ وَكُرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفُر وفسوق وعصيان مُضَافاً لما تَقَدَّمَ فِي سورة آل عمران ﴿ وَشَاوِرُهُمْ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُوا اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُولُكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُمُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

⁽١) سورة الحجرات: الآية ٧.

⁽٢) سورة الحجرات: الآية ٧.

⁽٣) سورة الحجرات: الآية ٧.

فِ ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَنَمْتَ فَتَوكَلَّ عَلَى ٱللَّهِ ﴿ ' ' بتقریب: أَنَّكَ یا رسول الله إذَا عزمت فتوكَّل عَلَى الله وَلَیْسَ هُمْ إذَا عزموا وَمِنْ الواضح أَنَّ هَذِهِ النداءات المتكرِّرة فِي القرآن فِي موارد عدیدة تُركِّز عَلَى منهج إطاعة الرسول الله المتكرِّرة فِي القرآن فِي موارد عدیدة تُركِّز عَلَى منهج إطاعة الرسول الله ﴿ وَأَنْقُوا اللهَ أَيْنَ الله سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴾ (') وَقَدْ ذكر أمير المؤمنين الله سِتراً وإنْ رَقَ » (') وَقَدْ ذكر أمير الله سِتراً وإنْ رَقَ » (') . (التي الله سِتراً وإنْ رَقَ » (') .

وأدنى شيء يتقي الإنسان به خالقه هُوَ أَنْ يَكُفَّ عَنْ قُول: لو أَحَلَّ الله هَذَا الشيء الذي حَرَّمه، أو حَرَّم ذاك الذي أَحلَّ، ويا ليت الْنَبِي عَيَلِلله فعل كذا أو لَمْ يفعل الذي فَعَل وقوله ﴿ مَاضَلَ صَاحِبُكُو وَمَاغَوَىٰ ﴿ اللهِ وَقُوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْمُوَىٰ ﴿ آَنَ فَعَل وقوله ﴿ مَا ضَلَ صَاحِبُكُو وَمَا غَوَىٰ ﴿ آَنَ فَعَل الذي فَعَل وقوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْمُوَىٰ ﴿ آَنَ فَهُ وَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ أَسْوَا اللهِ وَالحهل.

وَبَعْدَ كُلِّ هَذَا فكيف نقبل هَذِهِ الرُّوايات الْمُزيّفة الَّتِي تقول: بأنَّ الْقُرآن الكريم ينزل بتصويب الثَّانِي وتخطئة موقف الْنَّبِيَ عَلِيُّهُ، هلَّا نزل الوحي عَلَى الْنَّبِيَ عَلِيُّهُ قبل أنْ يخطأ ويَعترض عَلَيْهِ الثَّانِي.

والإمام زين العابدين الله يصف تعظيم الله للنبي عَلَيْهُ: «... إنَّ الله تَعَالَى أمر فِي القُرآن بتعظيم النَّبِي عَلَيْهُ وبمراسيم وكيفية لَمْ تعظم بها ملوك

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

⁽٢) سورة الحجرات: الآية ١.

⁽٣) نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب المُثلاً.

٣١٠.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث الأرض كلهم، وَهُوَ أَنَّ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت الْنَّبِيَ عَلَيْلُهُ (١).

وَإِنَّمَا لاَبُدَّ أَنْ تكون أصواتكم عِنْدَ رسول الله عَلَيْ بخشوع وخضوع وخضوع و إلَّا يحبط عملكم بها فيها العقيدة والإيهان؛ لِأنَّ الأدب مَعَ الْنَبِي عَلَيْ شرط في قبول الإيهان، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تركيز وتشديد القُرآن عَلَى تعظيم أمر طاعة النَّبِي عَيِّلِهُ لَيْسَ أمراً مجاملياً مبالغاً فيه وَإِنَّما يعكس مدى حقيقة عظمة هَذَا المخلوق لله تَعَالَى فاعرفوا قَدَرُه والقُدْرة الإلهية فيه.

وأنَّ الله تَعَالَى خصَّ الْنَبِيَ عَلَيْ وآله بخصائص عِدَّة كَمَا ذكرها الإمام على بن الحسين الله في دعائه في ذكر آل مُحمَّد الله الله مَّ يا مَنْ خصَّ مُحمَّداً وآله بالكرامة وحَبَاهُم بالرِّسالة وخَصَّصَهُم بالوسيلة وجعلهم وَرَثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة وجعل افدئة مِنْ النَّاس تهوي إليهم ... الخ»(٢).

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: _ إِذَا كَانَتْ منزلة الْنَّبِيِّ عَيَّلِهُ فِي القُرآن بهذه المثابة فكيف يحتمل أَنْ تنزل آية قرآنية تحطّ مِنْ قَدْر منزله الْنَبِي عَلَيْهُ _ وحاشاه مِنْ ذَلِكَ _ وَهَذَا يكشف أَنَّ تلك الرُّوايات الَّتِي ذكرت ذَلِكَ ما هِيَ إِلَّا مُزيَّفة ومُلفَّقة ومكذوبة، ومُناقضة لُحكمات وأصول القُرآن.

زيارة القبور والدعاء عندها للميت عبادة:

جرت سُنَّة الْنَبِيَّ عَلِيُّلَهُ أَنَّهُ إِذَا مات أحدٌ مِنْ الصَّحابة فَإِنَّهُ عَلِيَّلَهُ يُصلّي عَلَيْهِ ويقف عَلَى قبره ويستغفر لَهُ ويقول لِـمَنْ حضر: ـ «استغفروا

⁽١) المصدر.

⁽٢) الصحيفة السجاديّة مِنْ دعائه في ذكر آل مُحمّد المنظّ.

لأخيكم وسلوا التثبت لَهُ فَإِنَّهُ الآن يُسأل ... الخ» هكذا كَانَتْ سنة الْنَبِيِّ عَلَيْهُمُ عَلَى القبر، قبل نزول الآية ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىَ أَحَدِ مِنْهُم مَاتَ أَبَدُا وَلَا نَقُمُ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَنسِقُونَ مَاتَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَنسِقُونَ مَاتَ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَنسِقُونَ اللّهِ اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَا تُصَالُوا وَهُمْ اللّهُ اللّهُولَةُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ ال

بتقريب: إنَّهُ بَعْدَ نزول الآية والخطاب فيها مُوجَّه إلى الْنَبِي عَلَيْكُ مِنْ الصَّلاة عَلَى الْمُنافقين وضمير (منهم) يعود عَلَى المُنافقين امتنع الْنَبِي عَلَيْكُ مِنْ الصَّلاة عَلَى المُنافقين الصراحة الآية فِي النَّهي عَنْ الصَّلاة عليهم والوقوف عَلَى قبورهم للدعاء لهم، ولَعَلَّ سبب هَذَا النَّهي كَانَ لأجل إصرار المُنافقين عَلَى الكفر بالله ورسوله باعتبار أنَّ المُنافق أحد أقسام الكُفّار، بَلْ هُوَ أسوأ حالاً مِنْ الكافر؛ لإنَّهُ يبطن الكفر ويُظهر الإسلام، فلعلَّه لأجل هَذَا السبب وغيره تحرم الصَّلاة عَلَى جنازته لصراحة الآية فِي ذَلِكَ.

وهكذا قوله تَعَالَى فِي وصف حال هؤلاء المُنافقين والمشركين ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالكَافِرِ.

وأمَّا بالنسبة إلى المسلم والمؤمن فاذهب يا رسول الله إلى قبره وزرْه وادعوا الله هُنَاك، فضلاً عَنْ الأحاديث الواردة عَنْ الْنَبِيَ عَلِيْكُ وأهل بيته المَّكِلُّ،

⁽١) سورة التوبة: الآية ٨٤.

⁽٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

٣١٢ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث في وَرَدَ عَنْ النَّبِي عَلَيْهُ: «ما بين قبري ومنبري روضة مِنْ رياض الجنَّة»(١).

وفي هَذَا حَثَّ للمسلمين للتقرّب إلى الله عِنْدَ قبر الْنَّبِيَ تَتَلِيُّهُ، نظير الحتْ الوارد فِي الآية ﴿وَأَتَّخِذُواْ مِن مَقَامِ إِنزَهِ عَدَمُصَلًى ﴾(٢).

بتقريب: أنَّ الموجود فِي مقام إبراهيم الخليل التَّلِا عبارة عَنْ حجر لامس بَدَن الْنَّبِيِّ إبراهيم الخليل الثَّلِا، وببركة هَذِهِ الملامسة كَانَتْ للمقام هَذِهِ المزيّة وَهُوَ أَنْ يتّخذ مُصَلَّى، فكيف بقبر إبراهيم الخليل الثَّلِا فِي مدينة الخليل الذي فيه جثم إنه التَّلِا.

فها بالك بِمَن هُوَ أعظم مِنْ إبراهيم الخليل اللهِ وَهُوَ سيد الأنبياء وخاتمهم مُحمَّد عَلَيْهُ، وهكذا اعتقادُنا بسيد الأوصياء علي بن أبي طالب اللهِ الذي نزّله القُرآن منزلة نفس الْنَبِي عَيْلَهُ ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمُ ﴾ (٣).

وَهَذَا مَعْنَى تَنزِيلِ نَفْسَ عَلَيْ اللّهِ مَنزِلَةَ نَفْسَ الْنَبِيّ عَلَيْ إِلَّهُ فِي قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوَا نَدْعُ أَبْنَا مَا نَا وَأَبْنَا وَأَبْنَا وَأَبْنَا وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ (١) كيف لا والرُّوح الأمري الذي هُوَ الرُّوح الأعظم والذي هُوَ حقيقة القُرآن وَهُو الرُّوح الأعظم والذي هُوَ حقيقة القُرآن وَهُو الكتاب المبين الذي نُزِّل عَلَى قلب الْنَبِيّ عَلَيْ وأوحي إليه قَدْ وَرِثه الوصي ويتنزّل عَلَيْهِ وَعَلَى ذريّته الأوصياء المِيلِيّ، فضلاً عَنْ أقوال الْنَبِيّ عَلَيْهِ الوصي ويتنزّل عَلَيْهِ وَعَلَى ذريّته الأوصياء المِيلِيّ ، فضلاً عَنْ أقوال الْنَبِيّ عَلَيْهِ اللهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

⁽١) معاني الأخبار للصدوق: ص٢٦٧.

⁽٢)سورة البقرة: الآية ١٢٥.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

⁽٤) سورة آل عمران: الآية ٦١.

فِي حَقِّ علي اللهِ النَّاس مِنْ شَجرةٍ واحدةٍ وسائر النَّاس مِنْ شَجرٍ فَي حَقِّ علي اللهِ النَّاس مِنْ شَجرٍ شَتَى» وهكذا ما وَرَدَ فِي الخصال عَنْ أمير المؤمنين اللهِ أَنَّهُ قَال: «زوروا موتاكم؛ فإنَّهم يفرحون بزيارتكم وليطلب الرَّجل حاجته عِند قبر أبيه وَأُمَّه بَعْدَمَا يدعو لهما» (١) إلى غَيْر ذَلِكَ.

وَبَعْدَ أَنْ كَانَ هُنَاك مُستنداً مُعتبراً لزيارة القبور والدُّعاء عندها والقيام عَلَى قبر الميّت الذي معناه الحضور عنده وزيارته فَلَيْسَ بشرك، كَمَا يَدَّعي أصحاب المسلك السّلفي، بَلْ هُوَ توحيدٌ وعبادَة وعظمة، هَذَا إذَا أردنا أَنْ نتمسَّك بأوامر القُرآن، فكيف أفتى الوهابيّة والسلفيّة بحرمة زيارة القبر وحرمة الدُّعاء لَهُ عنده، وما هُوَ مستندهم فِي ذَلِك؟

أَنَّهُ لا مُستند لهم إلَّا تلك الرُّوايات المُلفَّقة والمُزيِّفة الَّتِي اعتمدوها فِي أسباب النُّزول وفهمهم المُعْوَج للرُّوايات وَالَّتِي تُريد حجب نور أشعة حقائق القُرآن عَنْ عقول أجيال البشريّة لا سيّها المسلمين والمؤمنين ذو الكفاءات العلميّة العاليّة.

اتركوا الفحص والتثبت منِ أحوال الماضين

هل هم صالحون أم طالحون:

هُنَاك دعوى مِنْ مدرسة الطرف الآخر ـ العامَّة ـ يدَّعون فيها ترك تتبع أحوال الماضين أهم مِنْ الصَّالحين أم مِنْ الطالحين، ويستدلون

⁽¹⁾ الخصال للصدوق: ٦١٨/ ١١.

٣١٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث لِدعواهم هَذِهِ بظاهر الآية ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمُ وَلَا تُسَنَّلُونَ عَمَّاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ إِلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

بتقريب: أنَّهُ لا ينتفع أحدٌ بعمل غيره ولا يتضرّر به مِنْ حَيْثُ هُوَ عملُه هكذا يستدلون عَلَى دعواهم - العامّة بخلاف مدرسة أهل البيت المَيْكُ القائمة عَلَى التحقيق والفحص والتثبت.

والآية تُشير إلى مبدأ عام بأنَّ نتائج الأعمال وآثارها تعود غداً عَلَى العامل وحده، وأنَّ الله تَعَالَى سنَّ سُنَّة لعباده وَهِيَ أَنَّهُ لا يُجْزَى أحدُ إلَّا بكسبه وعمله ولا يُسأل إلَّا عَنْ كسبه، هَذَا هُوَ مَعْنَى الآية بحسب تفسير روايات أسباب النُّزول المُحرَّفة، بَلْ وَحَتّى فِي أذهان كبار مُحقّقي الخاصّة هكذا مَعْنَى مقلوب راسخ وَهُو أَنَّهُ لا يعنيك أمر الغير، وَلَيْسَ مِنْ صلاحيتك التفتيش عَنْ تاريخ الصّحابة والتابعين والأشخاص إلى غَيْر ضلاحيتك التفتيش عَنْ تاريخ الصّحابة والتابعين والأشخاص إلى غَيْر ذلك، كُلِّ ذَلِكَ جذّرته الأقلام الأمويّة ومدرسة الطرف الآخر لأجل التغطية عَلَى أفعال وتصرفات بَعْض مَنْ كَانَ يعيش مَعَ رسول الله عَيَا الله عَلَيْ وعدم كشف ملفاتهم.

بينها هُنَاك مَعْنَى آخر للآية حسب روايات أسباب النُّزول الواردة عَنْ أهل البيت المَّلِاء عكس ما تَقَدَّم ...

وحاصله: أنتم معنيّون بالتفتيش والفحص والتشبث وعدم التقليد

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٣٤.

نتيجة الدّعوى الكل يتبرأ مِنْهَا: إنَّ دعوى مدرسة الطرف الآخر _ العامَّة ـ تنتهى إلى نتيجة لا يقبل بها أيِّ عاقل وَعَلَى خلاف الموازين العقلائية ويتبرؤن مِنْهَا ألا وَهِيَ: أَنَّهُ إِذَا كُنَّا لا نفتش عَنْ تاريخ الماضين وهل هُمْ مِنْ الصَّالحين أو الطَّالحين، وأنَّ البحث والتفتيش عنهم منهى عَنْهُ فِي القُرآن الكريم، وأنَّ القُرآن الكريم ينهى عَنْ القيام عَلَى قبور المنافقين ولا تدع لهم ولا تستغفر لهم ولا ... الخ أو لَيْسَ يلزمنا القُرآن الكريم أنْ نعرف مَنْ المُنافق حَتَّى نتجنَّبه؟ وَمَنْ المؤمن؟ لكي تقوم عِنْدَ قبره وندعو لَهُ وتتعامل معه فِي حياته و ... الخ، وَعَلَيْهِ فلو التزمنا بمنهج عدم الفحص والتعرّف عَلَى أحوال الماضين كَمَا تذهب إليه أسباب النُّزول الْمُحرَّفة وَالْمُلفَّقة، لما أمكننا أنْ نُميّز بين ما أمرنا به القُرآن الكريم مِنْ تميّز المُنافق عَنْ غيره، وَحَتَّى نعرف موقفه العقائدي والسياسي وَعَلَيْهِ فمتابعة وملاحقة ملفاة الماضين مسؤولية الجميع.

وَهُنَاكَ تساؤل يُثير نفسه هُوَ أَنَّ هَذَا الذي أمرنا به القُرآن أَمَا يَلزْم مِنْهُ أَنْ يَكُون نوعاً مِنْ التجسس وَهُوَ منهيٍّ عَنْهُ؟

ويمكن الإجابة عَنْ هَذَا التساؤل: بأنَّ التجسس المنهي عَنْهُ فيها إذَا كَانَ تجسساً يلزم مِنْهُ إظهار الأُمُور الخفيّة فِي الأُمُور الفرديّة الخاصّة وَلَمْ يكن المُتجسَّس عَنْهُ لَهُ منصبٌ مهم وَلَمْ توكل إليه مسؤولية أُمَّة فذاك مُحَرَّمٌ.

بخلاف ما نَحْنُ فيه فإنَّنا نُريد أنْ نتعرف عَلَى هويته العقائدية أو

٣١٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَعَلَيْهِ فَلاَبُدَّ مِنْ يقظة وانتباه الباحث الكريم مِنْ هكذا روايات مُحَرَّفة، وأنَّ اليقظة فِي موضع مُعيّن تُؤدِّي إلى اليقظة والانتباه فِي مواضع عديدة أُخْرَى؛ لِأنَّ آيات القُرآن وموضوعاته وأحكامه مترابطة ارتباطاً منظوميًّا واحداً ـ وَهَذَا ما ركّزنا الحديث عَلَيْهِ فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات _ ولذا كَانَ هَذَا التفسير لأمومة الولاية يمتاز عَنْ باقى التفاسير الأُخْرَى مُضَافًا إلى التركيز عَلَى محوريَّة الولاية، كَذَلِكَ فيه تركيز عَلَى جانب آخر وَهُوَ النَّظر إلى المجموعيَّة والمنظوميَّة في القُرآن، وأنَّ النَّظر لا يقتصر فيه عَلَى ملاحظة قسم مِنْ الآيات دون الآخر وَإنَّما ينظر إلى المجموع كمجوع منظومي ترابطي، وَهَذَا ما يُميّز القُرآن عَنْ غيره بأنَّ حلقاته نسيجيّة وطبيعية مُترابطة يُصَدِّق بعضه بعضاً، فالذي يضرب القُرآن بعضه ببعض، أو يكذب بعضه بعضاً فمعناه إنَّهُ لَم يعرف النسيج المؤ الف بين حلقاته.

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.

فإذا ما التفت الباحث المُتبع والمُفسِّر الفَطِن إلى زيف فِي موضع مُعيِّن فَإِنَّه تلقائياً يلتفت وتنكشف أمامه أوراق الزيف فِي مواضِعَ أُخْرَى ارتُكِبت فِي تفسير القُرآن، أو فِي روايات أسباب النُّزول.

الجهة الرابعة: من قاعدة أسباب النزول

في بعدها اللفظى:

لا زَالَ البحث فِي قَواعِد نظام الاستعمال اللّفظي _ فِي قَاعدِة أسباب النُّزول فِي بعدها اللّفظي وَهُوَ:

قَاعدِة: [تعدد نزول الآية لأسباب نزول متعددة فِي مواطن مُخْتَلِفَة]

[قَدْ يَكُون للآية الواحد أكثر مِنْ سبب، أيّ هل يتكرّر سبب نزول الآية أو لا؟].

انقسم أصحاب روايات أسباب النُّزول إلى مسلكين أو أكثر: ــ

المسلك الأول: الذي يبتني عَلَى أَنَّهُ قَدْ يتكرّر نزول الآية الواحدة أو بَعْض السُّور القصيرة أو المُتوسطة فِي زمن الْنَبِي عَلَى اللهِ أيّ زمن النّص والتشريع في موارد عديدة فَقَدْ تنزل الآية فِي الموطن الأوَّل وَيَكُون ذَلِكَ الموطن سبباً لنزول الآية، ثمَّ تكرّر فِي عهد سيد الأنبياء عَلَيْ فِي موطن، وهكذا يتكرَّر نزولها، وَهَذَا المسلك هُوَ الصحيح كَمَا نزولها، وَهَذَا المسلك هُوَ الصحيح كَمَا سوف يتضح.

العسلك الثالي: وربها غَفَل هَذَا الأمر عَنْ الكثير مِنْ الباحثين والمُفسّرين

وأوقعوا التعارض بين روايات أسباب النُّزول بناءاً منهم عَلَى أنَّ سبب النُّزول إمَّا هَذَا أو ذاك، ويحصر أصحاب هَذَا المسلك بالسبب الواحد، وبالتالي إذَا تعدّد سبب النُّزول للآية عَلَى مسلكهم فَإِنَّهُ سوف يقع تعارض بين روايات أسباب النُّزول.

إِلَّا أَنَّ المسلك النَّانِي باطل وغير صحيح؛ لِأنَّ الأصل فِي أسباب النُّزول هُوَ إمكانيّة التكرّر، لا الوحدة وعدم إمكان التكرار فِي موطن وسبب النُّزول؛ ولذا فَإِنَّ جملة مِنْ كبار المُفسّرين ومحققيهم، قَدْ يقعون فِي مثل هَذِهِ الغفلة ويخوضون فِي ترجيح طائفة مِنْ الرُّوايات الواردة فِي أسباب النَّزول عَلَى طائفة أُخْرَى فِي آية واحدة أو سورة قصيرة أو متوسطة، والحال أنَّهُ لا حاجة لإيقاع هَذَا التّعارض بين الروايات ثمَّ القيام بعملية الترجيح؛ لِأنَّ الآية الواحدة يمكن أنْ تتكرّر نزولها إلى ما شاء الله مِنْ المرّات.

إنَّ الَّذِيْنَ أجروا التّعارض بين روايات أسباب النَّزول رُبّها يَكُون الدافع لهم هُوَ أنَّ سبب النُّزول - كَمَا مَرَّ - يُضفي ويؤثِّر عَلَى مفاد مَعْنَى الدافع لهم هُوَ أنَّ سبب النُّزول مِنْ القرائن المؤثّرة فِي عناصر الظهور للآية المُبَارَكة فَيَكُون سبب النُّزول لَهُ أثره عَلَى تلوين ظهور الآية.

وَعَلَيْهِ إِذَا تعدّدت أسباب النُّزول وَكَانَ للآية الواحِدَة أكثر مِنْ سبب

مِنْ الْمُفَسِّرِين إلى القول بالتعارض، والسبب فِي هَذَا التعارض هُوَ أَنَّ كُلِّ سبب نزول يُعطي طابعاً وظهوراً للآية يختلف عَنْ سبب النُّزول الآخر والحال هُوَ ظهورٌ واحد فَلابُدَّ أَنْ يَكُون لها سبب نزول واحد.

نعم لو كَانَتْ أسباب النُّرُول مُتعددة ولكن عَلَى شاكلة واحِدَة وَمِنْ طراز مُعيّن متحد، بحيث تعطي كُلِّ هَذِهِ الموارد المتعددة مِنْ أسباب النُّزول ظهوراً مُوَحَداً لأمكن آنذاك أنْ يُقال: إنَّهُ مِنْ الممكن أنْ تكون أسباب نزول مُتعددة للآية الواحِدة.

أمَّا إذَا اختلفت أسباب النُّزول وتعدّدت، فَهِيَ فِي كُلِّ سبب مِنْهَا بمثابة قرينة حاليّة للظهور فتعطي ظهوراً للآية غَيْر الذي يُعطيه سبب نزول آخر، وإنْ كَانَ الغالب هُنَاك جهة اشتراك فِي المعنى والتطبيق بين أسباب النُّزول فَيَكُون أحدها هُوَ الصّحيح مثلاً والباقي غَيْر صحيح، ولكن هَذَا مبني عَلَى أنَّ لِكُلِّ آية ظهور واحد، وتقدم فِي القَاعِدَة الرابعة قاعدِة استعمال اللّفظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى (۱) أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ اللازم أنْ يَكُون للمَّا ظهورات مُتعدّدة للرابعة الواحدة ظهوراً واحداً، بَلْ يمكن أنْ يَكُون لها ظهورات مُتعدّدة

⁽١) قَاعدِة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى فِي تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات للشيخ مُحمَّد السند: ج١، ص٥٣٩ القَاعِدَة الرّابعة.

٣٢٠...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث وكُلَّهَا حجّة _ كَمَا تَقَدَّمَ _ فِي بحث القَاعِدَة، وذكرنا لها شواهد عديدة مِنْ روايات وغيرها، وهكذا تَقَدَّمَ فِي قَاعدِة الالتفات والتعريض مِنْ أَنَّهُ لا مانع مِنْ أَنْ يَكُون للآية الواحدة ظهورات مُتعدّدة شريطة أَنْ تكون تلك الظهورات المُتعدّدة مُستندة إلى شواهد مُستقلة بعضها عَنْ البعض فآنذاك لا مانع مِنْ ذَلِكَ.

الضرق بين تعدد أسباب النزول

وبين وحدة التنزيل وتعدد التأويل:

والخلاصة: إنَّ الصَّحيح فِي أسباب النُّرول هُو أنَّ الأصل الأولي فيها إذَا وَرَدَتْ روايات مُتعدِّدة فَإنَّهُ لا مانع مِنْ أَنْ يَكُون الأصل الأولي مُتعدّداً لا متوجداً وإنْ أدَّى ذَلِكَ إلى تعدّد الظهور ولا مانع مِنْ تعدّد الظهور، فمثلاً هَذَا ظهور أوَّل منضبط مَعَ موازين الظهور فِي سبب النُّزول الأوَّل، وَهَذَا ظهورٌ ثانٍ منضبط مَعَ سبب النُّزول الثَّنِي بقرينة حالية، وثالث و ... الخ.

فالصَّحيح والأصل فِي أسباب النُّزول المُتكرِّرة هُوَ التعداد والتكرار لا الوحدة والانفرادكي نوقع المعارضة فيها بينها.

علماً أنَّ هَذَا التكرار للنزول والتعدد في أسبابه تبنّاه جملة مِنْ المُحقّقين منهم العلّامة مُحمَّد باقر المجلسي في بحار الأنوار وأنَّ الآية القُرآنية الكريمة أو السُّورة يقع مِنْهَا نزول مُتكرِّر وَلَيْسَ الأصل فِي تعدّد الرّوايات فِي

وَعَلَى أَيّ حَالَ فَإِنَّ هَذَا مِنْ البحوث المثمرة وَلَهُ تطبيقات فِي موارد كثيرة، حَتّى أَنَّ السَّيِّد العلامة مُحمَّد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان الله حَمَل أسباب النَّزول المُتعدِّدة كُلَّهَا فِي مواردَ عديدة عَلَى التأويل لا عَلَى الظّهور، بينها هِي مُتناسبة ومُتناسقة مَعَ الظهور.

أو حملها ـ السَّيِّد العلّامة الطباطبائي الله على أنَّها مِنْ باب الجري فِي التعبير لا التّطبيق، مَعَ أنَّ المعنى الذي انتهينا إليه فِي تحقيق قَاعدة الجري فِي التعبير لا التطبيق هُوَ جريٌ حَتّى فِي الاستعمال وَلَيْسَ جرياً فَقَطْ فِي تطبيق المعنى النّظري عَلَى المصداق العيني الخارجي، وَهَذَا أحد معاني الجري والتّطبيق أيّ يجري اللَّفْظ فِي ظهورات مُتعدّدة وفي استعمالات مُتكثّرة.

وَمِنْ هَذَا يُعلم وجود جملة مِنْ الْمُفَسِّرِين إِنْ لَمْ يكونوا هُمْ الأغلب يحملون روايات تعدّد أسباب النُّزول إِنْ لَمْ يروا خدشةً فيها ـ الروايات ـ عَلَى التأويل لا عَلَى الظهور.

إِلَّا أَنَّ هَذَا مبنى غَيْر سديد، والصّحيح والأصل الأولي فِي أسباب النُّزول هُوَ التعدّد وأمَّا التوحّد فَهُوَ أوَّل الكلام.

مل يتكرر تنزل الآيات النازلة سابقا وأسباب النزول بعد ليتكرر تنزل الآيات النازلة سابقا وأسباب النزول بعد رسول الله الله على أهل البيت المصداق الأجلى لتلوت الكتاب حق تلاوته:

بيان نكتة مُهمّة ولطيفة فِي تعداد أسباب النُّزول:

إذَا دقّقنا وأمعنا النَّظر فِي أسباب نزول الآيات هل تتكرّر وتعدّد أو لا؟ وهل ذَلِكَ خاص بعهد رسول الله عَيَّالِللهُ أم هُوَ مستمر إلى يَوُم القيامة وما دام القُرآن حيّاً باقياً؟!

ثُجيبنا رواية حنان بن سدير، قَالَ: سمعتُ أبا عبدالله الله يقول: «دَخَل على أُناسٌ مِنْ أهل البصرة فسألوني طلحة والزبير، فقلتُ لهم: كانا مِنْ أئمة الكفر، إنَّ علياً الله يَوُم البَصْرة لما صَفَّ الخَيْل، قَالَ لأصحابه: لا تَعْجَلوا عَلَى القوم حَتّى أعْذِرَ فيها بيني وبين الله عَزَّ وَجَلَّ وبينهم، فقام إليهم، وقَالَ: يا أهل البصرة هل تجدون عليَّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا، قَالَ: مُحيفاً في قسم؟ قالو: لا.. ثمَّ ثنَى إلى أصحابه، فقالَ: أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول في كتابه: ﴿ وَإِن لَا مَكُوا النّم مَن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دينِكُمْ فَعَنلُوا أَيْمَن مَن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دينِكُمْ فَعَنلُوا أَيْمَت الشَاهِد إنَّهُمْ لاَ أَيْمَن لَهُمْ لَعَلَهُمْ يَنتَهُون ﴿ الله عَلَا أَمِي المؤمنين على الشَاهِد والذي فلق الحَبَةُ وبرأ النسمة واصطفى محمداً عَلَيْ بالنبوة أنبَّم لأضحابُ عَذِهِ الآية، وما قوتِلوا مُذْ نزلت ﴾ فقالآية بالنبوة أنبَّم لأضحابُ عَذِه الآية، وما قوتِلوا مُذْ نزلت ﴾ أ

⁽١) البُّرهان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد هاشم البحراني: ج٣، ص٧٤ عَنْ قرب الأُسْتاذ

وفي رواية أُخْرَى: «... ما قوتِل أهلها منذُ يوم نزلت حَتّى اليوم»(١).

وهكذا فِي سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿ وَمَاۤ أَدْرَنكَ مَا لَيْلَةُ اللَّهُ وَهَا أَدْرَنكَ مَا لَيْلَةُ اللَّهُ اللَّهُ وَهَا أَدْرَنكَ مَا لَيْلَةً اللَّهُ وَهَا أَدْرَنكَ مَا لَيْلَةً اللَّهُ وَهَا أَدْرَنكَ مَا لَيْلَةً اللَّهُ وَهِ كَا لَا لَهُ مُا لَيْلَةً اللَّهُ وَهِ كَا لَا لَاللَّهُ اللَّهُ اللَّا الللَّالِي اللَّالَّلْمُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّالِي اللَّا اللَّهُ

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم ربط بين إنزال القُرآن وبين تنزل الملائكة في كُلِّ عام، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن الكريم لَهُ تنزلات فِي كُلِّ عام وَالقُرآن هُو القُرآن والسورة هِي السورة، والآية هِي الآية، فمثلاً سورة الفاتحة نزلت عَلَى رسول الله عَنَّ عُلَّهُ عُرَّات وفي مواطن عديدة، وسميت هَذِهِ السورة العظيمة بسورة السبع المثاني؛ لِإنَّهُ ثني نزولها بمعنى أنَّ نزولها قَدْ تكرّر عِدَّة مَرَّات، لا بمعنى أنَّ نزولها مرتين اثنين فَقَطْ وَإِنَّها تكرر أكثر مِنْ ذَلِك، فإذا كانَ النُّزول يتكرّر فهل معناه أنَّ الآية بنزولها الثَّانِي تحمل مَعْنَى آخر غَيْر الأوَّل أم نفسه هَذَا أوَّلاً.

وثانياً: هل يمكن فرض التنزّل أيضاً في فترة ما بَعْدَ زمان رسول الله عَيَّالَةُ، فَإِنَّ النُّزول وحيٌ الله عَيَّالَةُ، فَإِنَّ النُّزول وحيٌ نبويٌ، ولكن مَنْ يرث هَذَا الوحي أفهل يذهب سُدى؟

أَمَّا جواب السؤال الأوَّل: فبالإثبات، بمعنى أنْ يَكُون فِي النُّزول الأَوَّل للآية مَعْنَى أُوَّل وفي الثَّانِي مَعْنَى ثانٍ وفي الثَّالِث ثالث وهكذا، وَهَذَا

للحميري: ص٤٦٥.

⁽١) المصدر السابق: ص٣٧٦ عَنْ العيّاشي: ج٢، ص٨٥، ح٧٧.

⁽٢) سورة القدر: الآية ١ ـ ٢.

٣٢٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ما سيأتى التعرّض لَهُ فِي جهة أُخْرَى مِنْ بحث أسباب النَّزول.

وأمّا جواب السؤال الثّاني: فَإِنَّ النُّزُول وحيٌّ نبوي بَعْدَ رسول الله ﷺ وَهُنَاك خازن للوحي يستخلفه رسول الله ﷺ، وإنْ كَانَ موطن الجواب التفصيلي في بحث قواعِد النّظام المعنوي أو المعاني في القُرآن، وفي باب قواعِد نظام الحقائق، إلّا أنّهُ نذكر جواباً ولو مُقتضباً جدّاً لارتباطه بنظام الاستعمال اللّفظي وحاصله:

ما ذكرته سورة القدر مِنْ الربط - مثلاً - بين إنزال القُرآن وتنزّل الملائكة فِي كُلّ عام وإنْ كَانَ الإنزال - إنّا أنزلناه - هُوَ فعل ماضي وَمَعْنَى الملائكة فِي كُلّ عام وإنْ كَانَ الإنزال الآية هَذَا الإنزال الذي زمانه المضي هُوَ الفراغ عنه، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ ربطت الآية هَذَا الإنزال الذي زمانه الماضي بالفعل المضارع الذي زمانه مشترك بين زماني الحال والاستقبال (تنزل) أيّ تتنزل أيّ أنَّ هَذَا التنزل مستمرٌ إلى يَوُم القيامة، وَهَذَا معناه حصول تكرّر واستمرار التنزّل إلّا أنَّهُ بأي كيفية؟ وبنحو لا يتنافى مَعَ انقطاع النبوّة وختمها، إذْ هُنَاكُ فرق بين وراثة وحي النبوّة وبين النبوة نفسها، فَإنَّ علم وحي النبوّة لمَ يتبدد وَلَمْ يُرْفع مِنْ الأرض بَعْدَ نزولها - النبوة - بَلْ هُوَ عِنْدَ خزنته مِنْ الَّذِيْنَ اصطفاهم الله، كَمَا تشير إليه عشرات النبوة - السّور الّتِي نبّه عَلَى دلالتها أئمة أهل البيت المَيْكُ نظير قوله تَعَالَى: الآيات والسّور الّتِي نبّه عَلَى دلالتها أئمة أهل البيت المَيْكُ نظير قوله تَعَالَى:

⁽١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

تحريف أسماء سور القرآن

وقوله تَعَالَى: ﴿ بَلْ هُوَءَايَنَ اللَّهِ يَنَتُ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى ﴿ لَا يَمَشُهُ وَ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ وَمَا يَعَالَى: ﴿ وَمَا يَعَالَى: ﴿ وَمَا يَعَالَى اللَّهِ مُوا لَا يَعَالَى اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي ٱلْمِلْمِ ﴾ (٣).

إلى غير ذَلِكَ مِنْ الآيات الدَّالَّة عَلَى أَنَّ الوحي الإلهي النازل عَلَى الْنَّبِيِّ عَلَيْ الْنَازِلُ عَلَى الْنَبِيِّ عَلَى أَنَّ الوحي الإلهي النازل عَلَى الْنَبِيِّ عَلَيْكُ اللهُ الله عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ عَرْتُه وأَهل بيته عليهم صلوات الله . . .

هَذَا مُضَافَاً إلى دلالة سورة القدر والآيات المُتعرّضة لليلة القدر عَلَى استمرار تنزّل القُرآن فيها.

وَقَالَ القرطبي فِي تفسيره الجامع لأحكام القُرآن: ج٢، ص١٣٣ ـ ١٣٣ [والصحيح أنَّها باقية ... و الجمهور عَلَى أنَّها مِنْ كُلّ عام مِنْ رمضان ... وَقَالَ الفرّاء لا يقدّر الله فِي ليلة القدر إلَّا السّعادة والنِعمَ ويقدّر فِي غيرها البلايا والنَّعم].

وَقَالَ ابن كثير فِي تفسيره: [... اختلف العُلَمَاء هل كَانَتْ ليلة القدر فِي الأُمم السالفة، أم هِيَ مِنْ خصائص هَذِهِ الأُمَّة؟ فَقَالَ الزهري ... وَهَذَا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هَذِهِ الأُمَّة بليلة القدر، وَقِيلَ: أنَّهَا كَانَتْ فِي الأُمم

⁽¹⁾ سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

⁽٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

٣٢٦ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث الماضية كَمَا هِيَ فِي أُمتنا، ثمَّ هِيَ باقية إلى يَوُم القيامة وفي رمضان خاصّة](١).

وَمَنْ أراد التفصيل فليرجع إلى كتبا الإمامة الإلهية لشيخنا الأُستاذ مُحمَّد السند حفظه الله _ج٣، الفصل السَّابع ليلة القدر حقيقة الإمامة (أس المعرفة) ص٢٧٥.

وهكذا الحال في سورة الدُّخان ﴿ حَمَّ اللهُ وَالْكِتَبِ الْمُبِينِ اللهُ وَالْكِتَبِ الْمُبِينِ اللهُ تَقَدَّمَ أَنَّ مقام الكتاب المُبين هُوَ أحد المقامات الغيبية للقرآن الكريم ﴿ إِنَّا اَنزَلْنَكُ فِي لَيْلَةَ مُبَدَرِكَةً إِنَّا كُنَا مُنذِرِينَ اللهُ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ اللهُ أَمْرُ اللهُ ا

بتقريب: إنَّ هَذَا الفَرْقَ والفُرْقان والتدبير لأحداث البشر أو الكون فَإنَّ لَهُ صلة بالكتاب المُبين، وأنَّ كُلِّ ما حَدَث أو يحدث إلى يَوُم القيامة هُوَ مسطور فِي الكتاب المُبين ﴿وَلَارَطْبِ وَلَا يَاشِي إِلَّا فِي كِنَكِمُ يِمْنِينٍ ﴾(٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَامِنْ غَآبِيَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنَنْبٍ مُّبِينٍ ﴿ ﴿ وَمَامِنْ غَآبِيَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنَنْبٍ مُّبِينٍ ﴿ ﴿ وَمَا مِنْ غَآبِينَا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٥٠).

بتقريب: إنَّ الكتاب المبين الذي هُوَ مقام مِنْ مقامات القُرآن يستطر

⁽١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٦٨.

⁽٢) سورة الدخان: الآية ١ _٥.

⁽٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

⁽٤) سورة النمل: الآية ٧٥.

⁽٥) سورة النحل: الآية ٨٩.

وهكذا القضاء والقدر فَإِنَّهُ ينزل فِي كُلِّ عام وَهُوَ موجود فِي القُرآن، وَهَذَا معناه أَنَّهُ هُنَاك صلة وطيدة بين القُرآن الكريم وبين القضاء والقدر وما ينزل فِي كُلِّ عام فِي ليلة القدر.

والخلاصة مِنْ كُلِّ هَذَا: إِنَّ القُرآن كَمَا لَهُ تنزيل أَوَّل كَذَلِكَ لَهُ تنزيل مُتكرِّر ثانٍ وثالثٍ يُعْرَف بالتأويل، كَذَلِكَ للقرآن بآياته وسورة نزول وتنزل وأسباب نزول فِي كُلِّ عام.

إِلَّا أَنَّهُ يبقى التساؤل عَنْ ما هُوَ مَعْنَى حقيقة النَّزول لا سيما النَّزول المتكرّر الذي يفترق عَنْ النَّزول الأوَّل، وَهَذَا ما سيأتي الجواب عَنْهُ فِي مبحث نظام المعاني للقُرْ آن ونظام الحقائق مَعَ ملاحظة اختلاف سنخ نزول القُرآن عَلَى البيت المعمور فِي السّماء الرّابعة وَهُوَ قلب الْنَبِي عَلَيْكُ ، وتنزله مِنْ البيت المعمور إلى السّماء الدُّنيا والأرض عَلَى رسول الله عَلَى البيت المعمور إلى السّماء الدُّنيا والأرض عَلَى رسول الله عَلَى الله عَلَى البيت المعمور إلى السّماء الدُّنيا والأرض عَلَى رسول الله عَلَيْلُ .

كل ما ينزل على النبي

يعلم به وصيه علي بن أبي طالب لدنيا:

إِنَّ كُلِّمَا أُوحي إلى رسول الله عَلِيُّ علم به وصيّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لَدُنيَّا، كَمَا هُوَ مُقْتَضَى قوله تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْــُنَاۤ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾(١) أيّ نظير النسبة بين هارون وموسى، إلَّا أنَّ تلقي هارون ما يتنزّل

⁽١) سورة يونس: الآية ٨٧.

٣٧٨...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

عَلَى موسى بتوسط قناة النبوّة، وأمَّا تلقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما يتنزل عَلَى الْنَبِي عَلَيْ عَبر الإلهام وغيره مِنْ أساليب العلم اللّدني غَيْر النبوّة، وقول الْنَبِي عَلَيْ لللهِ لللهِ الله تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلَّا أَنَّكَ لست بنبي، ولكنَّك وزير وَإنَّك لعلى خير (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِثَايَنتِنَا ﴾ (٢).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَخِى هَـُـرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَــانَا فَأَرْسِلُهُ مَعِيَ رِدْءَا يُصَدِّقُنِيٍّ ﴾(٣).

وسيأتي لهذا المبحث تتمّة فِي الجهة الخامسة.

التنزيل المتكرر تأويل (١٠):

إنَّ أحد معاني التّاويل هُوَ انطباق الآيات عَلَى مصاديق مُستجدة وَعَلَى بيئات موضوعيّة فِي مواطن أُخْرَى، وَهَذِهِ المواطن الأُخْرَى هِيَ مواطن لتطبيق آيات وسور القُرآن الكريم، فَإنَّ التنزيل _ كَمَا مَرَّ _ هُوَ التطبيق، والتأويل الحقّ بالدّقة يرجع إلى التنزيل وَالنُّزول الأوَّل للآيات

⁽١) الخطبة القاصعة، نهج البلاغة.

⁽٢) سورة المؤمنون: الآية ٤٥.

⁽٣) سورة القصص: الآية ٣٤.

⁽٤) تعرّضنا مفصلاً لمبحث الظهور والتأويل في ج١، ص٣٠٣ مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات للشيخ مُحمَّد السند حفظه الله فراجع، وكذلك تعرّضنا لَهُ فِي بداية: ج٢، مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي القاعِدَة الخامسة: الجري فِي التعبير لا التطبيق، تحت عنوان هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل التفسير أم العكس؟ فراجع.

تحريف أسماء سور القرآن

والسور لا أنَّ هُنَاك آيات أو سور أُخْرَى، بَلْ الآيات هِيَ الآيات والسور هِيَ الآيات والسور هِيَ الآيات أنَّ تلك هِيَ السور إلَّا أنَّ التَّأويل يعم ويشمل تطبيقات مُستجدة، فإذا كَانَتْ تلك التطبيقات لدنيّة مِنْ الله تَعَالَى، وليست بقدرة محدودة عاجزة مِنْ ذهنيّة البشر، فَهُنَا يُعبر عنها بدوام بقاء انطباق وتطبيق وتنزّل وتنزيل القُرآن.

وَهَذَا أحد معاني أوصاف المعصوم المختصّة الواردة: «أشهدُ أنَّكَ تلوتَ الكتاب حقّ تلاوته» أيّ يتلو الآية ويُنزلها في مواطن يحقّ أنْ تتنزَّل فيه بتنزيل مِنْ الحقّ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا أحد معاني قَاعدَة الجري والتطبيق - الَّتِي كشف عنها النقاب أئمة أهل البيت المِنْ الحَيْ مَرَّ وفي القَاعِدَة الخامسة.

مِنْ تفسير أمومة الولاية.

إذَنْ دوام نزول القُرآن بمعنى أنَّ هَذِهِ النَّظرية الكبرى القرآنية تتنزل هُنَا فِي التطبيق.

وحي القرآن ذو بعدين

بعد نبوي انقطع وبعد ولوي مستمر أحد خواص ونعوت الإمام في مدرسة أهل البيت يتلو الكتاب حق تلاوته بمعنى الانطباق:

لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ التلاوة فَقَطْ التلاوة الصّوتية فِي قوله تَعَالَى ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلاَوَتِهِۦ أُوْلَتِهِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾(١) وَإِنَّمَا الْمُرَاد مِنْهَا انطباق مَعْنَى أو ولاية

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

حقيقة القُرآن وهيمنته في إدارة دفّة القضاء والقدر في كُلّ واقِعة وحادثة فالتلاوة ليست بمجرّد رتبة صوتية ولا برتبة معاني في الأفكار أو تطبيق طبقات المعاني إلى سبعين بطن في المعنى وَكُلّ درجة مِنْ درجات المعاني لها درجة مِنْ التلاوة، فَكُلّ مورد يتلوه معنى مُفَسِّرٌ ومبينٌ للأمر الإلهي فيه، بَلْ درجات ومراتب التلاوة لا تقتصر عَلَى المعاني، بَلْ العمدة فيها تلاوة الحقائق فَإنَّ الحقيقة العظمى القرآنية وَهِيَ روح القدس ما مِنْ صغيرة ولا كبيرة لا في الأرض ولا في السّماء إلَّا يحصيها روح القدس في لوح القضاء والقدر والحدوث والوقوع، وَهَذَا نمط آخر مِنْ التلاوة.

فَإِنَّ أَيِّ آية فِي القُرآن بحسب الحقائق الغيبية - كَمَا سيأتي فِي النظام الثَّالِث وَهُو نظام الحقائق - تمتد سلطتها الولائية لهذا المقام - أيّ يتلو الكتاب حقّ تلاوته بمعنى الانطباق - فَإِنَّ الجانب الولائي فِي القرآن لَمْ ينقطع بالرُّغم مِنْ أَنَّ جانب النبوّة انقطع وانتهى «... إلَّا أَنَّهُ لا نبي بعدي» ينقطع بالرُّغم مِنْ أَنَّ جانب الولائي فِي القُرآن هُوَ عبارة عَنْ استمرار الجانب الولائي فِي القُرآن هُوَ عبارة عَنْ استمرار تأويل القُرآن بمعنى تطبيق كُلّ آية مِنْ آيات الكتاب بَعْدَ معرفة موطن تنزلها، فَإِنَّ الإمام الذي يتلو الكتاب حقّ تلاوته يعلم أين هُوَ الحقّ فيطبقها الإمام عَلَى الإمام الذي يتلو الكتاب حقّ تلاوته يعلم أين هُو الحقّ فيطبقها الإمام عَلَى موطنها، فالمُعتبر هُوَ التلاوة بمعنى انطباق مَعْنَى لا تلاوة صوتية أو غيرها، كَمَا توهمه الخوارج؛ لأنَّهم أيضاً يتلوّن الكتاب ولكن طبّقوه عَلَى غَيْر موطنه لعدم علمهم وإحاطتهم بأسباب النُّزول بسبب ابتعادهم عَنْ خطّ ولاية لعدم علمهم وإحاطتهم بأسباب النُّزول بسبب ابتعادهم عَنْ خطّ ولاية آل مُحمَّد صلوات الله عليهم وشتّان بينها، فَإِنَّ الخوارج طلبوا الحقّ

وَعَلَيْهِ فَالقُرآن فيه نظام تكويني أيّ لَهُ حقيقة تكوينية، وبعبارة أُخْرَى حقائق القُرآن حقيقة تكوينية كبرى وَهُوَ روح القدس الذي هُوَ أعظم خِلْقَة مِنْ السهاوات السّبع والأرضين وَمِنْ الجنّة والنّار وَمِنْ عالم الآخرة وعالم القيامة.

فَإِنَّ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذكره قَدْ استفاده الفيلسوف الشَّيعي ملا صدرا وَرَكَّز عَلَيْهِ فِي أسفاره نتيجة اقتباسه لَهُ مِنْ بيانات أهل البيت المِيَّاثِيُّ.

يتلو الكتاب خاص بالمعصوم عليه السلام:

حصرتْ بيانات أهل البيت المنظِّ بأنَّ الذي يعلم أسباب النَّزول بَعْدَ رسول الله عَلَيُهُ هُو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله فقط؛ وَذَلِكَ لِأنَّ أسباب النَّزول ليست سبباً ومورداً واحِداً، وَإِنَّما هِيَ موارد أسباب النَّزول، فالآية الواحدة لها عِدَّة أسباب متكررة وعِدَّة مواطن ت كَما مَرَّ - وأنَّ القُرآن حَمّال لوجوه، ولا يَعْرِف هَذِهِ الوجوه إلَّا الأئمة المعصومين الملكِّ مِنْ ألل البيت الملكِّة وما عداهم مِنْ البشر فَهُوَ عاجزٌ عَنْ معرفة المواطن المناسبة لنزول الآية بالدِّقة حَتّى يتلونها ويطبقونها فيها، وإنْ كانوا يظنّون أو ليتملون أنَّ هَذَا المورد هُوَ موردُ تطبيقها، ولكن أين هَذَا بالقياس إلى علم الإمام المعصوم اللَّدُني اليقيني فِي تطبيق مورد الآية، فَإِنَّ الظنَّ مقابل اليقين لا يغني عَنْ الحَقّ، واليقين الذي زوَّدَ الله به المعصوم اللَّهُ شيئاً آخر، ولذلك

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مقام [يتلو الكتاب حَقَّ تلاوته] خاصّ بمنصب المعصوم.

والنتيجة (٢) الَّتِي نُريد أَنْ ننتهي إليها: هِيَ أَنَّ العِلم التّام الكامل الشّامل المُحيط بأسباب وموارد النُّرول سواء الَّتِي سبقت أو الَّتِي ستأتي هُوَ علم خاص بالمعصومين اللَّكِ وَهُمْ الْنَبِيّ الأكرم اللَّهِ وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب اللهِ وفاطمة الزهراء اللهُ والحسن والحسين والتسعة المعصومين مِنْ ذريّة الحسين اللهِ وما عدا المعصوم اللهِ لا يتسنّى لَهُ معرفة ذَلِكَ كُلَّهُ بالتفصيل وَعَلَى نحو اليقين حَتّى مِنْ مُفسِّري الخاصة كالذي يعلمه بالتفصيل وَعَلَى نحو اليقين حَتّى مِنْ مُفسِّري الخاصة كالذي يعلمه

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

⁽٢) وَنَحْنُ فِي أُواخر بحث أسباب النُّزول.

المعصوم، وَإِنَّمَا غاية ما لديهم ـ الْمُفَسِّرون ـ هُوَ الظن بمعرفة مواطن النُّزول الأوَّل، والتشبث بمثل ما لا يُدْرك كُلَّهُ لا يُتْرَك جُلُّه، وأنَّ الميسور لا يسقط بالمعسور وغيرها، وَهَذَا المقدار لا يوصل إلى اكتشاف حقائق القُرآن والموارد التطبيقيّة للآية، نعم غاية ما يمكن أنْ يتوصل إليه المُفَسِّر الفطن هُوَ أنَّ غاية ما يتكرَّر مِنْ مواطن قَدْ يُسمّى - بالتأويل - وسيأتي تفصيله في نظام عالم المعاني فِي القُرآن وأنَّ أحد أقسام التأويل هُوَ عبارة عَنْ مآل انطباق الآيات عَلَى مواطن عديدة مُتَّفقة فِي السنخ الواحد والجوهر جوهر مطلق؛ لذلك يتكرّر تلو الآية حقّ التِلاوة مِنْ قبل المُعَلِّم الإلهي أيّ المعصوم بفضل وإرادة وولاية مِنْ الله تَعَالَى يُطبِّق الآية عَلَى ما يُسْتَجَد مِنْ موارد وأحداث فِي بَعْض مواردها، وفي بَعْض مناطق أُخْرَى يُطبِّقها بولاية الرسول عَلَيْكُ في تبع وطول ولاية الباري، وبتبع وتفرّع ولاية الرسولﷺ تطبق ولاية أولي الأمر أو الَّذِيْنَ آمنوا ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾ (١).

⁽١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

٣٣٤.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث التفسيري أو التربوي أو الأمني أو الاجتماعي أو العسكري أو الجهادي أو الاقتصادي أو المالي وغيرها.

فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يندرج تحت منصب ومقام ومنزل يتلو الكتاب حقَّ تلاوته المُختصّ بالإمام المعصوم المُثِلِّ وَهُوَ نوعٌ مِنْ أنواع التأويل مَعيّة الثقلين ونوع مِنْ أنواع تلازم العترة مَعَ حقيقة القُرآن فِي كُلِّ مورد وموطن.

إمكانية تعدد أسباب النزول للآيات القرآنية لا ينفي وقوع

التعارض والتناقض في روايات أسباب النزول مطلقا:

هُنَاك نوع ممكن مِنْ التناقض والتّعارض كَمَا فِي التّناقض الزماني والمكاني، فمثلاً فِي بَعْض روايات أسباب النُّزول ذُكِرَ فيها أَنَّ الآية الفلانية نزلت فِي السنة الثانية للهجرة مثلاً، ورواية أُخْرَى ذُكِرَ فيها أَنَّ نفس هَذِهِ الآية نزلت قبل الهجرة فَإنَّ مثل هكذا تناقض وتعارض زماني لا يُعتبر تناقضاً؛ لإمكان تكرّر النُّزول وَإنَّمَا المُرَاد مِنْ التناقض والتعارض فِي أسباب النُّزول هُوَ فِي المعنى المُفاد وَلَيْسَ فِي التعدّد؛ لِأَنَّ الاختلاف فِي المعنى المُفاد هُوَ التناقض.

وتقدَّم أنَّ كُلِّ سبب مِنْ أسباب النُّزول هُوَ بمثابة قرينة مُؤثِّرة عَلَى ظهور وتركيب عناصر الظهور وبدلالة الآية، وأنَّ تعدد وتخالط القرائن في تركيب وبناء إطار الظهور لا يعني وجود تناقض، وَإِنَّمَا التناقض الذي نُعَوِّل عَلَيْهِ فيها إذا فُرِض وجود تناقض فِي الأحكام، وتناقض فِي إثبات

تحريف أسماء سور القرآن

شيء ونفيه، فحينئذ يَكُون تناقضاً بين روايات أسباب النُّزول حَتَّى لو كَانَ فِي المعارف والبصائر، فَهَذَا هُوَ التَّناقض والتَّعارض الذي ينبغي رفعه إنْ كَانَ عِنْدَ المُّفَسِّر والباحث لا عِنْدَ المعصوم الثَّلِا.

وأمَّا صِرْف تكرّر زمان أو مكان مورد النَّرول، فَإِنَّ مثل هَذَا لا يعني التعارض بالمعنى المصطلح كَمَا تخيله وبنى عَلَيْهِ أكثر المُفَسِّرِين، وَعَلَى ضوء هَذَا التّعارض يُعْمِلُون قَواعِد التّعارض بين روايات أسباب النُّزول المتعدّدة بحَمْلِ بَعْض الروايات عَلَى التّأويل لا عَلَى النُّزول والتّنزيل والظاهر، وَهَذَا لا موجب لَهُ إلّا موجب التنافي؛ لِإِنَّ النُّرول يمكن أنْ يتكرَّر ويتعدّد كَمَا هُوَ مختارنا في بحث أسباب النُّرول.

الجهة الخامسة: الأدلة القرآنية على استمرار

نزول القرآن بعد وفاة الرسول عَلَيْوا :

ما هي الحكمة والسر منِ تعدد النزول:

هُنَاك تساؤل يُثار وَهُوَ: _ ما مَعْنَى تكرر نزول الآية أو السورة بَعْدَ فرض تحقّق نزولها بالنزول الأوَّل إذَا كَانَ الملاحظ هُوَ المعنى الدارج للنزول وتنزل الآية بين المُفَسِّرِين مِنْ مُجَرَّد صِرْف سماع البشر لألفاظ الآية وإبلاغهم بهذه الألفاظ؟

وفي مقام الإجابة عَلَى هَذَا التساؤل: إنَّهُ إذَا كَانَ مَعْنَى النَّزول هُوَ هَذَا المعنى السّاذج والمعروف بين المُفَسِّرِين، فَإنَّ اعتراض المُعترض عَلَى تكرّر

٣٣٦......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث النُّزول في محله إلَّا إنَّهُ سنُبيِّن فِي الجهة اللاحقة أنَّ النُّزول لَهُ فوائد ومعاني كثيرة وغايات مُتعددة وآثار عظيمة فآنذاك سوف يتعقّل تكرِّر النُّزول، كَمَا تَقَدَّمَ ذكر شُطر مِنْهُ فِي ضمن الجهة الرابعة وَالنُّزول لَهُ نمطان: _

النمط الأوَّل: نزول ابتدائي: وَهُوَ خاص برسول الله عَيَا وَالذي جَمَعَ فيه ما بين الدقتين، كَمَا نقرأ ذَلِكَ النّعت الذي نُعِتَ به رسول الله عَيَا في مقدمة زيارة أمير المؤمنين الله السَّلامُ مِنْ الله عَلَى محمَّد رسول الله أمين الله عَلَى وحيه ورسالاته وعزائِم أمره ومَعْدِن الوحي والتنزيل ... الخ» أيّ التنزيل الأوَّل الذي أُنزل عَلَى رسول الله عَلَى وهُوَ المصحف الحقّ الذي لا يأتيه الباطل والتّحريف مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه ولا يزيد ولا ينقص، وَهَذِهِ هِيَ أوصاف المصحف الذي تكرّر نزوله في زمن رسول الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى ا

النمط الثَّاني: النُّزول المُتكرِّر الذي وقع فِي عهد رسول الله عَلَيْكُ ، ووقع كلامٌ كثير فِي هَذَا النَّمط وَهُوَ تكرّر النُّزول، وهل هَذَا التكرّر مستمر إلى يَوُم القيامة أو لا؟

نعم إنَّهُ نزول مستمر كَمَا ذكرته سورة القدر ﴿... نَنَزَّلُ ٱلْمَكَيَكُةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ... وربطت السورة بين تنزل الملائكة فِي كُلِّ عام وبين نزول القُرآن، وَمِنْ لطيف ما ذكرته مصادر أهل السُّنة فضلاً عَنْ أحاديث أهل البيت الملك في فضل سورة القدر أنَّهُ لو رُفعت ليلة القدر لَرُفِعَ القُرآن، وَهَذَا يُبيِّن الصِّلة الوطيدة بين استمرار ليلة القدر واستمرار بقاء القُرآن.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نزول القُرآن مُستمر ويتكرّر لا بمعنى نزول سور وآيات

تحريف أسماء سور القرآن

جديدة وَإِنَّهَا السورة هِيَ السورة، والآية هِيَ الآية، وَهِيَ بنفسها الَّتِي نزلت عَلَى رسول الله عَلَيُّة يتكرّر نزولها إلى يَوُم القيامة، كَمَا فِي سورة الفاتحة والتوحيد ـ اللّذان مُمَا محل وفاق بين المُفَسِّرين عَلَى أَنَّ نزولهما تكرّر عَلَى رسول الله عَلَيْ أكثر مِنْ مَرَّة، علماً أَنَّ النَّزول فِي المَرَّة الثَّانية والتَّالثة والرَّابعة و ... الخ أيضاً يُسَمّى نزولاً مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بنزول جديد للسُّورة أو الآية وَمَعَ ذَلِكَ تتكرَّر هَذِهِ الظاهرة لنزول القُرآن.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المُثِّة قالي الكتاب:

مِنْ النّعوت المتواترة والمُستفيضة لأمير المؤمنين للنَّخِ وأَثمة أهل البيت المَيِّكِ عِنْدَ كلا الفريقين ـ نعت [التالي للكتاب حقّ تلاوته] في مَعْنَى حقّ التلاوة.

المُرَاد _ كَمَا مَرَّ _ هُوَ انطباق مَعْنَى، وأنَّ كُلَّ آية قرآنية بحسب الحقائق الغيبية تمتد سلطتها الولاثية لهذا المقام.

﴿ وَلَوَ أَنَ مُرَّءَ انَا شُيْرَتْ بِهِ ٱلْحِبَالُ أَوْ فُلِمَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَى ﴾ (١).

بتقويب: لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ (لو) صرف امتناع لامتناع وَإِنَّهَا هِيَ شؤون القُرآن فِي الولاية التكوينية والتصرف فِي الأحداث طبق نظام القضاء والقدر والمشيئة والعلم الإلهي بها للقُرآن مِنْ حقيقة متعاظمة مُهيمنة تكويناً عَلَى ما دونها مِنْ اللّوح والقلم والقضاء والقدر.

وتقدم أنَّهُ لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ التلاوة هُوَ الإفصاح عَنْ حروف القُرآن

⁽١) سورة الرعد: الآية ٣١.

قَإِنَّهُ مَعْنَى سطحي للتلاوة، وَإِنَّمَا الْمُرَاد مِنْ التلاوة معناها الأعظم، وَهُوَ عَيْنَى سطحي للتلاوة، وَإِنَّمَا الْمُرَاد مِنْ التلاوة معناها الأعظم، وَهُوَ حين تقرأ وتتلو الآية لابُدَّ أَنْ تتمسَّك وتعمل بها فِي مواطنَ تستحق العمل بالآية لِأنَّ لِكُلِّ آية وسورة موطن لأسباب النُّزول، ولماذا لِكُلِّ آية سبب نزول؟

لِأَنَّ كُلِّ آية لها موطن تطبّق فيه بشكل حقيقي، وَهَذَا يحتاج إلى تسديد إلهي لمعرفة مواطن التطبيق يُعَبَّر عَنْهُ بمنصب أو مقام يتلو الكتاب حَقَّ تلاوته، وَهَذَا الوصف هُوَ أحد نعوت وأوصاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله فإنَّهُ العارف بمواضع تطبيق الآيات الَّتِي نزلت فيها كُلِّ آية آية.

عَنْ سليهان الأعمش، عَنْ أبيه، قَالَ: قَالَ عليٌ اللهِ: «ما نزلت آية إلَّا وأنا عَلِمتُ فيمن نزلت، وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلِقاً»(١٠).

وَهَذَا التَّطبيق هُوَ أحد معاني النُّزُول وَقَدْ مَرَّ مَعْنَى آخر ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ يَلاَوَتِهِ ﴿ وَهُوَ تصدّي روح القُدُس فِي الوقائع والحوادث التّكوينية عبر لوح القضاء والقدر بالتّصرف بها يجري عَلَى وفق سنن القُرآن لا بمعنى الإلحاء والجبر، بَلْ أمرٌ بين أمرين.

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٩٥؛ بحار الأنوار: ج٩٢، ص٩٧ ح٠٦.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل واستمرار ولايت الله وولايت الرسول وولايت أئمت أهل البيت عليهم السلام

حقيقة النزول والتنزيل للآيات

ما هي فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول:

بَعْدَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يمكن أَنْ يَكُون للآية الواحدة أو السورة الواحدة أكثر مِنْ سبب للنُّزول، وأَنَّ النُّزول يمكن أَنْ يتكرَّر، وأَنَّ السُّورة أو الآية للهُ مَنْ موطن فها مَعْنَى نزول الآية في موطن؟

إِنَّ الشَّائِع عِنْدَ الكثير مِنْ المُفَسِّرِين وللأسف أَنَّهم حصروا سبب النُّزول بمناسبة وواقعة مُعيَّنة لهذه الآية أو السورة وأنَّها نزلت عَلَى رسول اللهُ عَيَّلُهُ لمناسبة تناسبها وتناغمها مَعَ موطن مُعيِّن والرَّسول عَيَّلُهُ يُبَلِّغها للنَّاس فِي ذَلِكَ الموطن الزَّماني والمكاني المعين، وَذَلِكَ الموطن يُسَمَّى سبب النُّزول.

إِذَنْ غاية ما يمكن أنْ يُعَرِّفه جُلُّ الْمُفَسِّرِين لأسباب النُّزول: هُوَ أنَّ لها

بينها يَكُون لمعنى الآية في موطن حسب بيانات القُرآن وأهل البيت المَيْقِ حقائق وغايات وآثار أُخْرَى أحدها غَيْر الإبلاغ للبشر، وَغَيْر نزول الآية في الموطن الخاص، هُوَ نوعٌ مِنْ إنفاد وإجراء حاكمية الله تَعَالَى الولائية، فالتنزيل وَالنُّزول فِي موطن مُعيَّن حقيقته حكم تنفيذي بولاية إلهية وحاكمية مِنْ الله فِي البُعد التنفيذي والتطبيقي والولاية السياسية، وسبب النُّزول مُتمحّضٌ فِي التفسير والتبيين للمعنى الكُلِّي للآية حصراً، بَلْ هُوَ فِي الأصل طابع مِنْ الحاكمية للولاية الإلهية السياسية، سواء فِي مجال مرافق وأنشطة الدولة، أو فِي بُعد الأحوال الشّخصيّة، أو الأسرة أو التشريع المدني.

عمدة حقيقة القرآن بالولاية في النبِي النبي المالية وعترته المالية وعمدة النبوة في التنزيل:

امتناع تفسير القرآن بمجرد النبوة، بل لابد من بعد الولاية في النبي المُعَلِّلُ وعترته المِلْكِلا:

الحاكمية السياسية الولائية لله تعالى مختصة بالرسول الله المالية الله تعالى مختصة بالرسول الميت الميلانية من بعده:

إِنَّ الحاكم الأُوَّل السّياسي والعسكري والاقتصادي والتّشريعي فِي حكومة رسول الله عَيَّالِللهُ وَمِنْ محكومة رسول الله عَيَّاللهُ وَمِنْ بعده أهل البيت المِنْ ومظهر تطبيق هَذِهِ الحاكميّة السياسيّة الإلهي هُوَ موارد

أسباب النزول والتنزيل والتأويل السباب النزول والشُّؤون العسكريّة النُّزول، فمثلاً إذَا كَانَ مورد نزول الآية هُوَ الأُمُور والشُّؤون العسكريّة والحربيّة، ففي مثل هَذَا الأمر لا يحسمه ولا يُبتُّ به إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ فيأمر الله تَعَالَى رسوله عَلَيْ أَنَّ هَذَا المورد مورد حَرْب وقتال، وَهَذَا المورد مورد سِلْم ومهادنة، وهكذا.

وَهَذَا معناه إعمال لولاية الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إدارة شؤون العباد، مُضَافًا ما لإعْمال ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جانب سياسي وعسكري واقتصادي وتجاري وأمني وغيرها، مُضَافًا إلى ارتباط أكثر آيات القُرآن بجانب العقيدة والمعرفة وغيرها.

وَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى نقطة مُهمّة جدًا فِي أسباب النُّزول تعتبر مِنْ أهم معاني وحقائق التنزيل وَالنُّزول، هِيَ أنَّ:

أسباب النزول حكم:

صرَّحتْ بَعْض آيات القُرآن الكريم بأنَّ سبب النُّزول هُوَ حكمٌ كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَالِكَ أَنزَلْنَهُ حُكُمًا عَرَبِيًا ﴾(١).

بتقريب: إنَّ كثيراً مِنْ المُفَسِّرِين قَدْ يُفسِّرون _ حكماً عربياً _ أيّ لفظاً عربياً وليست أهميّة المسألة كون الحكم بلسان عربي أو غَيْر عربي بقدر أهميّة أنَّ المُرَاد مِنْ ﴿ حُكُمًا عَرَبِياً ﴾ لبيان أهميّة الولاية والحاكمية هُنَا مِنْ الله تَعَالَى فِي الشأن الشَّخصي الخطير المنعطف في مسيرة الدِّين المنشئ بلفظ عربي.

⁽١) سورة الرعد: الآية ٣٧.

وَعَلَيْهِ فَفِي آيات عديدة وصفت التنزيل بالحكم والتصديق وفسّرته روايات أسباب النُّزول الصّحيحة الواردة عَنْ أهل البيت المِيَّا أنَّها فِي مقام بيان مُعتقد حقيقي خطير فِي حقائق القرآن وَهُوَ مغفولٌ عَنْهُ حَتّى عِنْدَ جملة مِنْ مُفسِّري الخاصّة وَلَيْسَ هَذَا مُحْتصًا بالتنزيل فَقَطْ، وَإِنَّها يشمل حَتّى التّأويل فَإِنَّ فيه _ التأويل _ تصديقٌ مِنْ جهة معناه الكُلّي، وفيه حكمٌ مِنْ جهة أُخْرَى.

وهكذا الآية المُبَارَكَة: ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَنَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواً وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَى نَصْرِهِدْ لَقَدِيرُ (اللهِ) (١٠).

بتقريب: أنَّ الآية المُبَارَكَة لها مفادان عام وخاص، أمَّا العام وَهُوَ الإبلاغ للبشر وأمَّا الخاصّ فَهُوَ بُعْدُ جزئي حقيقي شخصي تطبيقي تتكفَّل العناية الإلهية بتطبيق هَذِهِ المعادلة الكُليَّة فِي الآية فِي هَذَا الموطن، فَإنَّ مثل هَذَا التّطبيق يُسَمَّى بـ (الحكم).

والحاكمية الإلهية هِيَ غَيْر المفاد العام الكُلِّي للآية، ومثل هكذا بيان لأسباب النُّزول لَمْ ولن نجده فِي غَيْر مدرسة أهل البيت المَثِلِ^(٢).

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٣٩.

⁽٢) مِنْ باب إتمامٌ للفائدة بيان الفرق بين الفتوي والحكم والحكمة والتصديق.

الفتوى: عبارة عَنْ بيان للحكم الكُلِّي بنحو عام كُلِّي أيّ تنظير وتقنين سلطة تشريعية.

الحكم: عبارة عَنْ التطبيق للحكم الكُلِّيَ عَلَى واقعة جزَّيَة فِي نزاع مُعيّن أوْ لا، وَقَدْ يُعبَّر عَنْ التّنزيل والتّأويل بالحكم، ويُرَاد به التّطبيق، إذَنْ إذَا أُريد مِنْ التّأويل التطبيق فيُعبَّر عَنْهُ بالحكم، وهكذا التّزيل، فيُعبَّر عَنْهُ بالحكم في بيانات القُرآن وروايات أهل

أسباب النزول والتنزيل والتأويل

والخلاصة: إنَّ الآية لا تنحصر فائدتها بالإبلاغ إلى البشر فَقَطْ، بَلْ هُوَ إعهال لحاكميّة الله السياسيّة الولائية إنْ كَانَتْ الآية مُرتبطة بالسياسة، وَهَذَا التّطبيق الجزئي لحاكميّة الله ولولاية الله السياسيّة، وأنَّ كُلّ المُنعطفات الَّتِي تمرُّ بها مسيرة الرسول عَيْنِ وحكومته في حياته عَلَى مُحتلف الأَصْعِدَة سواء في النظام الاجتهاعي أو الاقتصادي أو العسكري أو ... الخ فَإنَّ زمام الأمر بيد الله تَعَالَى قبل أنْ يَكُون بيد الرسول عَيْنِ الله وليَا مَرَّ - ..

وتحمل مما تَقَدَّمَ أَنَّ أسباب النُّرول لها مُضَافَاً لها مَرَّ حبنة حكم بمعنى أنَّ الباري تَعَالَى يُهارس الحاكميّة والسياسيّة وَهُوَ الولاية، والحقّ تَعَالَى وإنْ كَانَ لَهُ حقّ التشريع وحقّ الألوهيّة، وحق العبوديّة كَذَلِكَ لَهُ تَعَالَى حقّ الحاكميّة السياسيّة أيّ الولاية لله أوَّلاً، ثمَّ ولاية الرسول عَيَالُ ثانياً ثمَّ ولاية أهل البيت المَيِّلِ ثالثاً، وَهَذَا المعنى لأسباب النُّزول وَهُو حقّ إعهال الحاكميّة وَإِنَّهُ تَعَالَى حاكمٌ لا تجده إلَّا فِي مدرسة أهل البيت المَيِّلِ، فَإِنَّ المحوث المُتكلمين فِي المدارس الإسلاميَّة الأُخْرَى وَغَيْر الإسلاميَّة كاليهود بحوث المُتكلمين فِي المدارس الإسلاميَّة الأُخْرَى وَغَيْر الإسلاميَّة كاليهود والنّصارى وسائر الملل والنّحل الأُخْرَى المُنتسبة إلى السّاء، فَإِنَّهُ لَيْسَ فيها أسباب النُّزول - مَعْنَى حقّ الحاكميّة السياسية لله تَعَالَى وإنْ كانوا يُؤمنون أسباب النُّزول - مَعْنَى حقّ الحاكميّة السياسية لله تَعَالَى وإنْ كانوا يُؤمنون

البيت المنظمة بالتصديق.

الحِكْمَة: هِيَ وَضع الشّيء الكُلِّي فِي مواضعه الجزئية المُناسبة لَهُ، سواء كَانَ جزئي حقيقي أو إضافي الذي هُوَ أضيق دائرة مِنْ الكُلِّي، وأنَّ الحُكم والحاكِميّة فيها جِنبة ولاية.

التَّصَديقُ: هُوَ مَّلاحَظة الْبُعْد العامِ فِي التَّنزيل يعني المفاد الكُلِّي فِي الآية الَّتِي أبلغت للبشر وَلَمْ يلحظ موطن تطبيقهُ، فَهَذَا ما يُسمّى بالتّصديق أيّ تصديق التّنزيل.

٣٤٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث بالتوحيد أي يُؤمنون بأصل وجود الله وبأصل صفات الله هُوَ التوحيد في

كَذَلِكَ النُّبُوّة توحيد فِي التشريع قبل أنْ تكون إيهان بالأنبياء هِيَ إيهان بالله، وَهَذَا شأن آخر فِي التّوحيد، وَعَلَيْهِ فالتّوحيد لَهُ مقامات وشؤون.

ولا يكفي توحيد الله في مقام التّشريع.

المعرفة.

وغرضنا مِنْ ذكر هَذِهِ الْمُقدِّمات هُوَ لأجل تفسير حقيقة النُّزول الَّتِي خُفيت عَنْ جُملة مِنْ الْمُفَسِّرِين بسبب ابتعادهم عَنْ مدرسة أهل البيت اللَّكِامُ ومعرفة ولاية الله تَعَالَى.

التوحيد عند المدارس الإسلامية الأخرى(١):

إنَّ الاعتقاد بالتوحيد عِنْدَ بَعْض المذاهب الإسلاميَّة يُعنون به الاعتقاد بأصل وجود الله تَعَالَى، وَمِنْ الواضح حصر التوحيد بهذه المرتبة غير كافٍ لصدق التوحيد في مدرسة أهل البيت الميَّكُ؛ لِأنَّ التوحيد لَهُ مقامات وشؤون عديدة في مدرسة أهل البيت الميَّكِ، فمثلاً أحد مقامات التوحيد أنَّهُ لا موجود أزلي سرمدي إلَّا لله، وَهُنَاكُ مقام آخر للتوحيد هُوَ النبوّة، فَإنَّ النبوّة هِي توحيد وإبهان بالله تَعَالَى قبل أنْ تكون إيهان بالأنبياء،

⁽١) غرضنا مِنْ ذكر هَذَا المطلب هُوَ لأجل تفسير البُعد الآخر لأسباب النُّزول، وأنَّ هُنَاك حقيقة خُفيت عَنْ المُفَسِّرِين بسبب ابتعادهم عَنْ مدرسة أهل البيت اللَّيُّ وعدم معرفة ولاية أهل البيت اللَّيُّةِ.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل السباب النزول والتنزيل والتأويل وهكذا هُنَاك مقام ثالث وَهُوَ: إنَّهُ لا مُشرِّعَ إلَّا الله تَعَالَى عِبْرَ أنبياءه ورسوله، وَمَنْ يخوّلهم الله في التشريع، فَإنَّ لا إله إلَّا الله عَلَى مراتب كَمَا فِي الرّواية عَنْ الإمام علي بن موسى الرضا اللهِ: «لا إله إلَّا الله حصني فَـمَنْ دخل حصني أمِنَ مِنْ عذابي فلها مَرَّت الراحلة نادانا بشروطها، وأنا مِنْ دخل حصني أمِنَ مِنْ عذابي فلها مَرَّت الراحلة نادانا بشروطها، وأنا مِنْ

بتقریب: أنَّ لا إله إلَّا الله ها درجات وولایة الأئمة المعصومین وأحدهم الإمام الرضا الله لله ولا مُشَرِّع إلَّا الله ولا حكم إلَّا لله ولا ... الخ موجود سرمدي أزلي إلَّا الله ولا مُشَرِّع إلَّا الله ولا حكم إلَّا لله ولا ... الخ كذَلِكَ النبوّات والإمامة والولاية عبارة أُخْرَى عَنْ شأن توحيدي، فَإِنَّهُ لا نبوّة ولا إمامة ولا ولاية بالأصالة إلَّا لله تَعَالَى، فَإِنَّ مبحث الولاية مِنْ أعظم أركان فروع الدِّين وَالفِقْه وَلَمْ يُنادَ بشيء أعظم مما نودي بالولاية؛ لأنَّ الولاية بالأصل هِيَ ولاية الله، وَعَلَيْهِ كيف يَقِرِّ البعض بوجود الله الأزلي السرمي، ولكن يجحد ولاية الله تَعَالَى؟

ومثل هؤلاء وصفهم أمير المؤمنين الله بأنّهم تمسّكُوا بالشّجرَة وضيّعوا الثّمرة فَإنَّ أصل شجرة التّوحيد فِي الوجود الأزلي السَّرمدي هُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ وثمرته ـ التّوحيد ـ أنَّهُ لا ولاية إلَّا لله وَهِيَ الأصل ثمَّ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ ولاية أئمة أهل البيت المَيِّ الَّتِي هِيَ مظهر لولاية الله تَعَالَى، فالله موجود أزلي سرمدي لَهُ حاكميّة التّشريع والحاكميّة السياسيّة، كَذَلِكَ نبوّة

شروطها»^(۱).

⁽١) الأمالي، الشَّيْخ الصَّدوق: ص٣٠٦.

الأنبياء فَإِنّها مَظْهر وقناة لتشريع الله وَمِنْهَا ولاية الرسول عَلَيْهُ وولاية أئمة أهل البيت المِنْ هِي قناة الإيصال إرادات الله، ولا أحدُّ يطّلع عَلَى إرادات الله إلّا مَنْ اصطفاهم وَهُمْ الْنَبِي عَلَيْهُ وأهل بيته المِنْهِ الَّتِي أحد نعوتهم المِنْ الله إلّا مَنْ اصطفاهم وَهُمْ الْنَبِي عَلَيْهُ وأهل بيته المِنْ التِي أحد نعوتهم المِنْ أنّهم مهبط مشيئة الله، وإرادات الله تنزل في بيوتكم يعني بيوت الأرواح والنفوس، ولذلك فَإنَّ معتقد الإمامة وولاية أهل البيت المِنْ هُو شأن توحيدي، ولذا نعتقد بان مَنْ أخفق وخُذِل في هَذَا المعتقد فَقَدْ أخفق وجَحَدَ في مقام مِنْ مقامات توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا المعاد يعني لقاء وجَحَدَ في مقام مِنْ مقامات توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا المعاد يعني لقاء الله وَلَيْسَ المُرَاد اللقاء الجسماني ـ هُو مظهر توحيدي، ومثل هكذا مقام لا تجده إلّا في مدرسة أهل البيت المِنْ أَن التّوحيد الكامل والحالص لَمْ ولن نجده إلّا في مدرسة أهل البيت المِنْ لَهُ نكن مبالغين وَإنّا هُو لِبيان الواقع والحقيقة.

ملحمة الحكم والحاكمية في قاعدة أسباب النزول:

تَقَدَّمَ سَابِقاً أَنَّ الْمُرَاد مِنْ الولاية يعني حاكمية الله السياسيّة وَالَّتِي لا تجدها فِي أَيِّ مذهب مِنْ المذاهب الإسلاميّة إلَّا فِي مذهب أهل البيت المَّكِلِ، وَهَذِهِ الولاية مظهرها وترجمانها هُو تنفيذ الْنَّبِيّ للأوامر الإلهيّة فِي مورد نزول الآية الَّتِي يأمر بها الله تَعَالَى نبيّه عَيَّا الله في هَذَا المورد أعقد السِلْم، وفي مورد آخر أُخرج للحرب، وفي ثالث أعقد هدنة ورابع فداء وضريبة ماليّة أو أخذ الخمس، أو الإدارة الاقتصادية، وَهَذِهِ وغيرها مِنْ المهام الَّتِي تلقى عاتق النَّبِي عَلَيْ فَهُ أَلِيها هِي بصلاحيّة مِنْ الله نظير عَلَى عاتق النَّبِي عَلَى الله نظير

أسباب النزول والتنزيل والتأويل السباب النزول والتنزيل والتأويل التشريعات الإلهية الَّتِي فِي بعضها مساحة فرائض الله، وفي بعضها الآخر مساحة لسنن الْنَبِي عَلِيه أو سنن المعصومين المَيْكِ، وبالتّالي فَإنَّ هَذِهِ التّشريعات لا تنسب إلى الْنَبِي عَلِيه أو الأئمة وَإنَّما تُنسب إلى الله وأنَّ الله تعالى رخص الْنَبِي عَلِيه وأعطاه صلاحيات مُعينة وهكذا الأئمة المَيْكِ.

فالأحداث الخطيرة والعصيبة فتدبير شأنها مِنْ قسم ولاية الله تَعَالَى، وما كَانَ دون ذَلِكَ أيضاً هُوَ مِنْ ولاية الله إلّا أنَّها فِي ضمن صلاحيّة ولاية النّبِي عَيَالَيْهُ، وما دون ذَلِكَ يدخل فِي صلاحيّة المعصومين المي كحسم المنتق السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو المالي أو الحربي أو ... الخ.

والخلاصة: إنَّ الحاكميّة إذَا وصلت إلى منعطف خطير فتكون لله عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا الذي يُعْبَر عَنْهُ بالبُعْد الآخر لأسباب النُّزول وَإنَّهَا تجلّي وبروز وتطبيق للحاكميّة السياسيّة لله تَعَالَى في الأصعدة المختلفة.

ولا يُعْقل انحسار وتقوّض هَذِهِ الحاكميّة السياسيّة برحيل رسول الله عَلَيْلَةُ إلى الرفيق الأعلى وَإِنَّمَا لا زالت موجودة، بَلْ وَمِنْ مُخْتصّات أهل البيت المَيْكِةُ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أسباب النُّزول لا تنحصر بجهة مُعيَّنة، بَلْ لها جهات وحقائق أُخْرَى مُهمّة ومؤثِّرة.

الولاية لا تتقزم في البعد السياسي والتنظيم الحربي:

إنَّ حقيقة ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وولاية الرسولَ اللَّهِ أَوْ وَلاية أَئْمَة أَهْل

٣٤٨..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

البيت المَيُظِرُ^(۱)لا تنحصر ولا تتقزَّم بالبُعْد السياسي والتنظيم الحربي وغيرهما وَإِنَّمَا الولاية لها دور أساسي فِي جميع العلوم والمعارف والشؤون العسكريّة والأمنية والاقتصاديّة والتّجارية والاجتهاعية والتربويّة والثقافيّة وغيرها.

فَإِنَّ أحد دعائم الولاية هُوَ الهداية، فالبشر بمفرده وبمعزل عَنْ ولاية الله وولاية الرسول عَلَيْ وأهل بيته المَيْلِا لا يستطيع أَنْ يُحقّق النتائج المُثمرة والنَّاجحة سواء النظرية أو العمليّة إلَّا بإعمال الولاية الإلهية وَالَّتِي أحد دعائمها الهداية لا سيّما الهداية الملكوتيّة والهداية الإيصاليّة ـ والهداية غَيْر الحاكمية السياسيّة ـ فَإنَّ الهداية عَلَى قسمين:

الأول: هداية إراءة _ الهداية الأرائية هِيَ التعريف بالمطلوب و الغاية وتشخيصه وتنجيز _ أيّ والإعلام به _ وإقامة الحجّة عَلَيْهِ، فَهِيَ بالتالي إراءة وإنارة للطريق مِنْ دون اصطحاب وأخذ للمُسترشد بيده إلى الغاية.

الثاني: هداية إيصالية: وَهِيَ الإيصال إلى المطلوب والهَدَف، فَإِنَّ الله تَعَالَى هُوَ الهَادي، فَإِنَّ فِي بَعْض منعطفات الهداية سواء الأرائية أو الإيصاليّة الَّتِي تنير لنا الطريق وتوصلنا إلى الباري هِيَ مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ آهْدِنَا الْمِسَرَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسَالِيّةِ الْمُعَرِّطَ الْمُسَالِيّةِ فَيْرِالْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الشَّكَ آلِينَ ﴾.

بتقريب: إنَّهُ لابُدَّ أنْ نطوي الطريق مَعَ ثلة الهداة المهدين الذي يُنيرون لنا الطريق، وَهَذِهِ الهداية مُتمثِّلة بمقام النبوّة والإمامة المُمهِّدين

⁽١) كَمَا بيَّنه الشَّيْخ مُحمَّد السَّند في كتابه: الإمامة الإلهية: ج٣، ص٥٧٩.

أسباب النزول والتنزيل والتأويلوالآخِذين والكفيلين بإيصالِك إلى الولاية الحقّة وَهِيَ ولاية الله تَعَالَى بطريق نيّر.

والهداية الإيصالية هِيَ محطّ غرض إلهي وَإنَّها - الهداية الإيصالية - هِيَ مِنْ غايات الهداية التشريعية، وأنْ يَكُون المجتمع البشري مجتمعاً فاضلاً تكامليّاً وإصلاحياً لجميع البشر، والوصول إلى الحقيقة وَهِيَ العبوديّة الخالصة لله تَعَالَى والوصول إلى الأغراض والأهداف والمطلوبة.

وَالقُرآن الكريم عَبَّر عَنْ الولاية والإمامة في عشرات الآيات وبعشرات العناوين كالإمامة والولاية والملك والخليفة والهادي والشّاهد والولي.

﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَّا ﴾ (١). ﴿ إِنَّهَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (١) وفي آية أُخْرَى عَبَّر عَنْ الإمامة بالملك ﴿ وَءَاتَكُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ (١) ﴿ فَقَدُ ءَاتَيْنَا أَنْهُمُ مُلَكًا عَظِيمًا ﴿ اللَّهِ الْمَاكِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

بتقريب: أنَّ آل إبراهيم اللهِ ملكوا ملكاً عظيماً وَهُوَ منصب ومقام الولاية الذي هُوَ مِنْ أعظم المناصب.

والهداية ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيِمَةُ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأُوحَيْنَاۤ إِلَيْهِمْ ﴾(٥).

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

⁽٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

⁽٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

⁽٤) سورة النساء: الآية ٥٤.

⁽٥) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

٣٥٠..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث والمودّة ﴿ قُلُلاً الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَيُّ ﴾ (١).

وما وَرَدَ فِي كلمات أهل البيت الكِلانِ: «ما نودي بشيء أعظم ممّا نودي بالولاية» أو لَمْ تنادَ بشيء ما نودي بالولاية (٢).

مما تَقَدَّمَ تَحَصَّل أَنَّ منصب الولاية لا يتقزَّم ببُعْدِ مُعيَّن كالبُعد السياسي والتنظيم الحربي وَإِنَّمَا الولاية لها شؤون وجوانب مُخْتَلِفَة فمثلاً ولاية الرسول عَلَيْ تشتمل عَلَى جوانب كثيرة.

وَمِنْهَا: تدبيره ﷺ للأموال العامّة كقوله تَعَالَى: ﴿ يَسْنَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِّ قُلِ ٱلْأَنْفَالُ بِلَهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمُ ۗ وَٱطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿ اللهِ ﴿ (٥).

وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِـمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ مُمْسَكُ. وَلِلرَّسُولِ

⁽١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

⁽٢) المحاسن للبرقي: ج١، ص٢٨٦.

⁽٣) سورة النور: الآية ٤٨.

⁽٤) سورة النور: الآية ٥١.

⁽⁰⁾ سورة الأنفال: الآبة ١.

وَمِنْهَا: الجانب السياسي والتنظيم الحربي فلقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَرَ َ مِنْهَوْمٍ خِيَانَةُ فَالْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ ﴾ (٢).

وقوله تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَائِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْصُفَّادِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِن جَنَحُ ٱلِلسَّلِّمِ فَأَجْنَحُ لَمَا ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ مَا كَاكَ لِنَبِيِّ أَن يَكُونَ لَهُۥ أَسْرَىٰ حَقَّىٰ يُثْخِكَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٥).

وقوله تَعَالَى: ﴿ يَثَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيَ أَيْدِيكُم مِّرَ ٱلْأَسْرَى إِن يَمْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ (٦).

وقوله تَعَالَى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْلَا نَنَّخِذُواْ ٱلْكَفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧).

وَمِنْهَا: الجانب الاجتماعي والتقنين الأسري، فلقوله تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا

⁽١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

⁽٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

⁽٤) سورة الأنفال: الآية ٦١.

⁽٥) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

⁽٦) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

⁽٧) سورة النساء: الآية ١٤٤.

. تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَكُهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَجِ

أَدْعِيَآيِهِمْ (١).

وَمِنْهَا: الجانب الأمني كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿ لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ أَحَقُّ أَنْ تَـعُومَ فِيدِ اللهِ اللهُ

فضلاً عَنْ الآيات الَّتِي تحدّثت عَنْ إقامة أحكام الحدود مثل الزِّنا والسّرقة وغيرها.

كَمَا أَنَّ الولاية العامّة وغيرها ليست مرتبطة بالنبوّة، بَلْ بإمامة الْنَّبِيَّ عَيَّةً اللَّهِ وولايته لقوله تَعَالَى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِمِمٌّ ﴾ (٣) بتقريب: إنَّ الآية الْمُبَارَكَة فِي مَعْرِض بيان صلاحيته عَلَيْكُ فِي إقامة المعاهدات مَعَ أهل الكتاب، أو قتالهم وحقوق المسلمين وما يتعلَّق بشؤونهم.

إِذَنْ فالموارد الَّتِي مارسها الْنَّبِيَّ ﷺ وأقامها وأجراها فِي حكومته تنفيذٌ للإرادة الإلهية فيها.

وأنَّ أوامر الله تَعَالَى للنبي عَلِيلَهُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي القُرآن الكريم كَانَتْ بمستوى التنفيذ والتنجيز لا عَلَى مستوى التنظير الكُلِّي فَقَطْ، وَهِيَ تشريعات لإقامة الدولة، حَتَّى أنَّ المسلم ليشعر أنَّ الإسلام لَهُ دخلٌ فِي كُلِّ تفاصيل حياته اليوميّة فضلاً عَنْ كُلّيات أحكامها، وَالْنَّبِيِّ عَيَّا الله كَانَ أُوَّل مصداق فِي

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

⁽٢) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

⁽٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل.......ت ٣٥٣ تطبيق هَذِهِ العلاقة القُرآنيّة.

وبعبارة أخرى: فَإِنَّ أسباب النُّزول فِي التَّشريعات القُرآنيَّة فِي دولة الرسول عَلِيُّ وحكومته لَيْسَ مفاد سبب النُّزول وثمرته الَّتِي هِيَ بيان المعنى الكُلِّي للتشريع وتوضيحه فَقَطْ، بَلْ هُنَاك بُعْدٌ هام بالغ الخطورة أيضاً فِي مَعْنَى أسباب النُّزول لتلك التشريعات القُرآنية: هُو أَنَّ تلك الموارد لأسباب النُّزول تصدي مِنْ الله تَعَالَى لتدبير الحكم السياسي فِي المجالات المُختلفة بإرادة نبويّة.

فَمِنْ ثُمَّ التَّصرف الحكومي والحاكمي يسند إليه تَعَالَى، فالحاكم الأوَّل فِي حكومة الرسول عَيَالًا لَمْ يكن الْنَبِي عَيَالًا ، بَلْ هُوَ الله تَعَالَى يتصدّى فِي المُنعطفات الخطيرة السياسيّة والعكسريّة والاقتصاديّة والأمنيّة والقضائيّة والاجتماعيّة وغيرها فِي دولة وحكومة الرسول عَيَالًا ، والحاكم الثَّانِي هُوَ الرسول عَيَالًا ، وكذلك الحال فِي حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فَإنَّ الحاكم الأوَّل فِي المُنعطفات الخطيرة هُوَ الباري تَعَالَى، ثمَّ الرسول عَيَالًا والحاكم الثَّالِث هُوَ أمير المؤمنين الحَيالِ كَمَا فِي الأمر بقتال الناكثين والقاسطين والخارقين في برنامج حكومته الحِيالية ، وكذلك في حكومة الحسنين المُهالِي عَلَى العراق وحكومة الإمام المهدي وحكومة سائر الأئمة المَيَالُ.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: أَنَّ ممارسة القضاء وإدارة السياسات الماليّة والاجتماعيّة وغيرها هِيَ مِنْ قبل الله تَعَالَى، وثانياً الْنَبِيَ عَلَيْ إِذْ ولاية الرسول عَلَيْ اللهُ الَّتِي مِنْ خلالها يهارس صلاحياته فِي الحكم والقضاء هِيَ فرع

ففي دولة الرسول التجليل فَإِنَّ الحاكم المباشر هُوَ الله تَعَالَى لا بمعنى التجسيم والتشبيه، بَلْ بمعنى أنَّ إرادته تَعَالَى تتنزَّل عَلَى رسوله فينفذها مِنْ دون أنْ يَكُون التّصرف الحكومي منبعثاً مِنْ إرادة الرسول عَلَيْلُهُ، فإرادة الله تَعَالَى متنزّلة فِي القرارات الجزئية التفصيليّة مِنْ معاهدات وحروب وعلاقات كَذَلِكَ.

والإمامية تستشهد بذلك عَلَى الإمامة، وهل أنَّ الله تَعَالَى يُعْمِل حاكميّته السياسيّة فِي فترة مُعيّنة دون غيرها مِنْ الفترات بغضّ النّظر عَنْ ولايته تَعَالَى التّكوينيّة؟

هل ولاية وحاكمية الله للبشر انقطعت

برحيل رسول الله عَيْشَا أو لا؟

فإذا كَانَ المصدر الرئيسي للأحكام الجزئية التنفيذيّة التفصيليّة فِي المُنعطفات الخطيرة وممارستها مِنْ قبل الله تَعَالَى، فهل هَذِهِ المهارسة هِيَ لفترة محدودة تقتصر عَلَى الحقبة النبويّة المُبَارَكَة أيّ مِنْ خلال وجود الْنَبِيّ عَلَيْكُ للهُ الشريف فَقَطْ دون فترة ما بَعْدَ رحيله الشريف، ثمَّ تنقطع بَعْدَ ذَلِكَ ولاية الله تَعَالَى مِنْ الاستمرار والدّوام والبقاء؟

فإنْ قُلْنا بِالأَوَّلِ: وَهُوَ انقطاع ولايته تَعَالَى عِنْدَ وفاته عَلِيَّا الزمنا أنفسنا

أسباب النزول والتنزيل والتأويل بالتعطيل وانحسار إرادته تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ عجزه تَعَالَى ـ والعياذ بالله ـ عَنْ الامر، وبالتالي عزل إرادته عَنْ الحاكمية عَلَى خلقه، تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علوّاً كبيراً، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾(١) بتقريب: إنَّ الألف واللام في (الحكم) للجنس أيّ كُلّ حكم سواء عَلَى صعيد التشريع أو التنفيذ أو التنظير [فالولاية لله الحَقّ] وَعَلَيْهِ فحتّى أمر التنفيذ وحسمه هُوَ لله تَعَالَى، وما عَلَى الرسول إلَّا التنفيذ؛ ولذا عِنْدَمَا يقول القُرآن ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١) بتقريب: لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ جعل الله تَعَالَى للخليفة فِي الأرض بمعنى استخلاف عُزْلة عَنْ الله تَعَالَى، فَإِنَّ الله تَعَالَى لا يعزل أحداً عَنْ قدرته، وَإِنَّمَا الْمُرَاد مِنْ جعل الله خليفة بمعنى استخلاف تجلِّي وظهور لقدرة الله وولايته تَعَالَى فِي تصرفات هَذَا الخليفة، وأنكر عَلَى اليهود قولهم ﴿ وَقَالَتِ ٱلَّهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً عُلَّتَ ٱيَّدِيهِمْ وَلُعِنُواْ إِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٣) فيدُ تصرّفه تَعَالَى مبسوطة لا مغلولة، بتقريب: أنَّ قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ

ولاية الله عز وجل في دولة الرسول هي ظهور وتجلي لحاكمية الله تعالى على يد الرسول الله في أسباب النزول:

أمَّا إذَا قلنا بالقول الثَّانِي ـ وَهُوَ عدم انحسار ولاية الله وحاكميته ـ كَمَا هُوَ الصَّحيح والذي عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت اللَّهِ مِنْ أنَّ ولاية الله تَعَالَى

انحسرت_والعياذ بالله_

⁽١) سورة الأنعام: الآية ٥٧.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

⁽٣) سورة المائدة: الآية ٦٤.

مُستَمِرة إلى أبد الآباد وليست مُختصة بفترة زمان الْنَبِيَّ عَلَيْهُ وما قبله وما بعده، بَلْ حاكميّة الله تَعَالَى لا توصف بالفترة الزمنيّة، ولا تأخذ بُرْهة وفترة وجيزة، فلا يمكن القول بها بحسب معتقدات مدرسة أهل البيت المَيْعُ، وإذا أخذنا بالقول الثَّانِي معناه استمرار ولايته وبقاؤها، فَعَنْ أيّ طريق تمرّ ولا وتتنزّل إرادته وولايته تَعَالَى وَمِنْ أيّ قناة ستكون؟ إذْ هُوَ تَعَالَى لا يُحسّ ولا يُجسُ ولا يُجسُ ولا يُجسُ ولا يُجبه.

فالقول بولايته تَعَالَى فِي الحاكمية السياسّة فِي النّظام البشري يلزم مِنْهُ القول بوجود المعصوم فِي كُلّ وقت، وَهُوَ مَعْنَى قوله تَعَالَى بنحو دائم كُلّي عام ﴿إِنّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١).

وقولُ أمير المؤمنين اللهِ: «إنَّ الأرض لا تخلو مِنْ حجّة» فَالمُراد بالحجّة أيّ القناة المعصومة الَّتِي مِنْ خلالها إمرار ولايته تَعَالَى وإنفاذها عَلَى الخلق، وَهُوَ ما يدعو إلى القول بوجود الإمام المعصوم فِي كُلِّ آنٍ مِنْ آنات الخلق، فَهُوَ ... المعصوم سفير الله فِي خلقه.

فَمُبَاشَرَة الله تَعَالَى للتفاصيل السياسيّة فِي حاكميّة التّدبير لجزئيات الأُمُور نصَّ عَلَيْهَا القُرآن الكريم، كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم اللَّهُ مُبْتَلِيكُم اللَّهُ مُنْبَتَلِيكُم اللَّهُ مُنْبَتَلِيكُم (٢).

إِذْ هَذَا الاختبار لأصحاب طالوت لَيْسَ باختياره، بَلْ هُوَ بأمر الله

⁽١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

والخلاصة: المقصود مِنْ حاكمية الله تَعَالَى فِي أسباب النَّزول، سواء كَانَتْ فِي القُرآن أو الإنجيل أو التوراة غَيْر اللُحرَّفة هِيَ حاكميّة ولاية لله تَعَالَى وأبديّة مُستمرة دائمة.

وَمِنْ الطبيعي أَنَّ ولاية الله تَعَالَى وحاكميته تقتضي وصايا إلهية بوجود خليفة مِنْ قبل الله تَعَالَى، وَهَذَا الوصي يمثِّل استمرار ولاية الله وحاكميته وكيفية ظهور وتجلّي حاكميته تَعَالَى الماضية في الكون والمكان والمكين والأكوان والزّمان، تظهر عَلَى يد الملائكة، فَإِنَّ أفعال جبرائيل اللهِ هِيَ ظهور ومظهر لقدرة الله تَعَالَى؛ لِأَنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذي أقدر جبرئيل عَلَى تلك القدرة والأفعال.

وهكذا فِي أفعال ملك الموت عزرائيل اللهِ: ﴿ قُلْ يَنُوفَا كُمُ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

بنقريب: إنَّهُ لَيْسَ المُرَاد مِنْ (وُكِّل) بمعنى أنَّ الله تَعَالَى أعطى لعزرائيل المَيْلِا وَكَالة عزلة وتجافي وَأَنَّهُ تَعَالَى معزول عَنْ عمل ملك الموت، كلا لَيْسَ هَذَا هُوَ المقصود وَإنَّمَا المقصود مِنْ (وُكِّل) بمعنى تجلّي وظهور لقدرة الله تَعَالَى، وما يفعله عزرائيل المَيْلا هُوَ ظهور وتجلّي لعظمة فعل الله تَعَالَى عَلَى يديه.

⁽١) سورة السجدة: الآية ١١.

وهكذا نفس الكلام مَعَ ميكائيل اللهِ المُوكَّل بالأرزاق وعنده تقاديرها، وإسر افيل اللهِ الذي يسري إلى الأبدان وينفخ في الأرواح، فَإِنَّ هَذِهِ وغيرها كُلَّهَا مظاهر فعل الله عَزَّ وَجَلَّ.

فمثلاً تظهر أفعال الله تَعَالَى عَلَى يد الملائكة العظام وغيرهم مِنْ طبقات الملائكة، كَذَلِكَ ولاية الله تَعَالَى فِي دولة الرسول عَلَيْ هِي بالحقيقة حاكميّة الله تظهر عَلَى يد الرسول عَلَيْ بأسباب النُّزول، وهكذا ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ فِي دولة وحكومة سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبي طالب النَّلِا.

إِذَنْ حاكميّة الله تَعَالَى السياسيّة مُستمرة إلى قيام السَّاعة، ولو رُفعت هَذِهِ الحاكميّة وليلة القدر لرُفع القُرآن؛ لوثاقة الصِّلة _ والربط بين نزول القُرآن وبين ليلة القدر، وبها أنَّ ليلة القدر لها ارتباط وثيق بأهل البيت المِيِّكُ ا فَهَذَا معناه أنَّ أهل البيت المِثَلِا هُمْ تجلَّى وقناة لنزول ولاية الله ومشيئته: «إنِّي تاركُ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» «... أهل بيتي حبل ممدود بين السّماء والأرض» وإنْ كَانَ بعضهم كالمأمون العبّاسي يستفهم مُشككاً مِنْ الإمام الرضاليِّ عَنْ الحسن بن الجهم، قَالَ: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضاء الله وَقَدْ اجتمع الفُقَهاء وأهل الكلام مِنْ الفرق المختلفة فسأله بعضهم، فَقَالَ لَهُ: يا بن رسول الله بأيِّ شيء تصحّ الإمامة لمُدّعيها؟ قَالَ: «بالنَّص والدّليل»، قَالَ لَهُ: فدلالة الإمام فيها هِيَ؟ قَالَ: «في العلم واستجابة الدّعوة»، قَالَ: فما وجه أخباركم بما يَكُون؟

أسباب النزول والتنزيل والتأويل....... قَالَ: «ذَلِكَ بعهد معهود إلينا مِنْ رسول اللهَ عَلِيلُهُ»، قَالَ فما وجه أخباركم بما فِي قلوب النَّاس؟ قَالَ اللَّهِ لَهُ: «أَمَّا بلغك قول رسول الله عَلَيْكُ اتَّقُوا فراسة المؤمن فَإِنَّهُ ينظر بنور الله»، قَالَ: بلي، قَالَ: «وما مِنْ مؤمن إلَّا وَلَهُ فراسة ينظر بنور الله عَلَى قدر إيهانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وَقَدْ جمع الله الأئمة مِنَّا فرقة فِي جميع المؤمنين، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي محكم كتابه ﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَأَيَنتِ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ٧٠٠ ﴿ فَأُولَ المتوسمين رسول اللهَ عَيَّا اللهُ عَلَّا أُمير المؤمنين مِنْ بعده، ثمَّ الحسن والحسين والأئمة مِنْ ولد الحسين السلام إلى يَوُم القيامة»، قَالَ: فنظر اليه المأمون، فَقَالَ لَهُ: يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت اللَّهِ اللهِ اللَّهِ الله فَقَالَ الرضاء اللَّهِ: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَيَّدنا بروح مِنْهُ مقدسة مطهرة ليست بملك لَمْ تكن مَعَ أحد ممّن مضى إلّا مَعَ رسول اللهَ عَيَّا اللهُ عَيَّا اللّهُ عَلَّا اللّهُ عَمَّا تسددهم وتوفّقهم وَهُوَ عمود مِنْ نور بيننا وبين الله عَزَّ وَجَلَّ »(١).

: «إنَّكم تدعون العلم ببعض المغيبات فأجابه الإمام الرضاطَّةِ: بأنَّ المؤمن ينظر بنور الله».

بتقريب: إنَّ المؤمن كُلّما زيد فِي إيمانه وكَمُل كُلّما زيد لَهُ فِي ذَلِكَ النُّور فيرى ما لا يَرَى غيره، وَهَذَا يكشف أنَّ الأئمة الأطهار اللَّيُ مِنْ أمير المؤمنين على بن أبي طالب اللِهام الثَّانِي عشر الحجّة بن الحسن اللَّه ملّكهم سلك وقناة ارتباط إلهي خاص وَهُوَ العلم اللَّذي.

⁽١) عيون أخبار الرضا ﷺ، الشَّيْخ الصدوق: ج٢، ص٢١٦_٢١٧.

٣٦٠.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث استمرار حاكمية الرسول المسلط المسلمة المسل

والأئمة المَيْكُ بعد رحيلهم:

ثمَّ إنَّ الاستمراريّة بالحاكميّة - كَمَا هِيَ حقيقة فِي حاكميّة الله عَزَّ وَجَلَّ _ لا تنقطع ولا تزول، فكذلك هِيَ حقيقة فِي حاكميَّة الرسولﷺ الَّتِي هِيَ ظل وتبع لحاكميَّة الله عَزَّ وَجَلَّ فها فِي عشرات الأوامر القُرآنيَّة ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ مِنْ الأمر بإطاعة الله وإطاعة الرسول عَلَيْكُ وكذلك ما فِي الآيات مِنْ بيان لولاية الرسول عَيْالُهُ، فَإِنَّ هَذِهِ الولاية والحاكميّة ولزوم الطاعة لَمْ تنقطع برحيل الْنَّبِيّ عَلَيْكِاللهُ إلى البرزخ، بَلْ لا زالت حاكميته وولايته عَلَى الأئمة الأثنى عشر اللَّائي فضلاً عَنْ ولايته عَلَى بَقيَّة الأنبياء والرُّسل وجميع البشر لَمْ تنقطع، بَلْ هِيَ مستمرة، فَالْنَبِيِّ الخاتمَ لَيَظِّللهُ شاهدٌ عَلَى الشُّهداء إذْ ولايته عَلِيُّكُ المقام الأوَّل الذي صَرَّحَ بها القُرآن في آيات ثلاث ﴿ إِنَّآ أَرْسَلَنَكَ شَنِهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ۞﴾(١)، و ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَكَ شَنِهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُو رَسُولًا شَنِهِ دًا عَلَيْكُونَ ﴾(٣).

بَلْ فِي جَمِّ مِنْ الرُّوايات أَنَّهُ عَلَيْهُ شاهدٌ عَلَى الإشهاد والشُّهداء عَلَى الأعمال، فَهُوَ ولِي الأولياء والرَّاعي للولاة، فَهَذِهِ الولاية لَهُ عَلَيْهُ لَمُ تنقطع فِي

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

⁽٢) سورة الفتح: الآية ٨.

⁽٣) سورة الْمُزَّمَل: الآية ١٥.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل

حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله فكما أنَّ الحاكم الأوَّل في حكومة أمير المؤمنين الله هُوَ الله تَعَالَى، فَإِنَّهُ فِي ظل حاكميّة الله عَزَّ وَجَلَّ حاكميّة الرسول عَلَيْكُ هُو الله تَعَالَى الحال فِي عهد إمامة بَقيَّة أئمة أهل البيت الميك وولاية فاطمة الله وحكومات دولتهم الإلهية الحفيّة فَإِنَّهَا فِي تبع وطول ولاية وحاكميّة الرسول عَلَيْكُ فَإِنَّهَا لَمْ تنقطع برحيل أمير المؤمنين الله إلى البرزخ بَلْ هِي باقيّة مستمرة، وإنَّ الموت لَيْسَ حجاباً عَنْ ممارستهم لدور الولاية، كَمَا أنَّ غيبة وخفاء الإمام الثَّانِي عشر ليست حجاباً عَنْ ممارسته لدور الولاية.

الفرق بين التشريع والتنزيل:

تبيه هام: إنَّ بَعْض المُفَسِّرِين لَمْ يتبلور ويتميّز لديه الفرق بين التَّشريع والتنزيل مِنْ جهة، وبين مورد النُّزول ومورد التَّنزيل مِنْ جهة أُخْرَى، إذْ جعلوا مورد النُّزول والتّنزيل مُجُرَّد شاهد ومبينٍ لمعنى التّنزيل المُحُرَّد شاهد ومبينٍ لمعنى التّنزيل الكُلِّي أيّ التّشريع العام لا أكثر مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا بَخْسٌ لحقيقة التّنزيل.

فَبَعْض المُفَسِّرِين فَهِمَ أَنْ التَّنزيل دوره تفسيري أيضاحي للآية دون أَنْ يَكُون لَهُ دوراً آخراً، فِي حين أَنَّ التَّنزيل هُوَ نوع ممارسة فعليّة لحاكميّة الله تَعَالَى السياسيّة، ومفاد هَذَا الله تَعَالَى السياسيّة، ومفاد هَذَا غَيْر مفاد التّشريع، وَقَدْ ذهب أهل سنة الجتماعة إلى هَذِهِ الشّبهة الَّتِي تؤول إلى ما اعتقده اليهود مِنْ الله تَعَالَى شرَّعَ فَقَطْ وَلَمْ يُهارس الحاكميّة والسّلطة

٣٦٢...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

السياسيّة التفصيلية فِي تدبير النّظام السياسي الاجتهاعي والحكم التنفيذي وَهُوَ قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْمَهُودُ يَدُ ٱللّهِ مَغْلُولَةً غُلَتَ ٱيَّدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلّ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُكَيْفَ يَشَآهُ ﴾(١).

بتقريب: إنَّ التعطيل الذي تصوّرته اليهود في حقّه تَعَالَى، قَدْ أنجرً إلى بعضهم حَتّى عَطَلّوا إرادته، إيهاماً منهم بأنَّ الله تَعَالَى لَم يُهارس ولايته إلَّا فِي حدود التّشريع الكُلِّي فَقَطْ، أي فِي السّلطة التّشريعية دون السّلطة السياسية التنفيذية والقضائية فِي حين لو تتبّع الباحث الكريم آيات القُرآن يجد مِن خلالها تصدي الإرادة الإلهيّة لوقائع وأحداث كبرى ولوقائع قرآنية سواء في منعطفات حكومة الْنَبِي عَيْنِ ومسير دعوته، وَهَذَا سُلطانُ الإرادة الإلهية وغيرها لمَ وإعهال للحاكميّة التّشريعيّة أو الماليّة أو السياسيّة أو القضائيّة وغيرها لمَ تنفرد فيها إرادة النّبي عَلَي الله ون إرادة الله تَعَالَى.

فالتنزيل: لَيْسَ هُوَ لألفاظ التشريع الكُلِّي فَقَطْ لا غَيْر كَمَا هُوَ رائج، هَذَا التعريف لدى الكثير مِنْ المُفَسِّرِين والمُتكلمين، بَلْ هُوَ أحد جهاته والتنزيل حقيقةً: هُوَ إعمال ولايته تَعَالَى السياسيّة المُبَاشَرة عَلَى جميع الدقائق والجزئيات التفصيلية الخطيرة فِي منعطفات الحياة الاجتماعية والسياسيّة وغيرها مِنْ مجالات البشر، كَمَا أَنَّ التنزيل هُوَ تطبيق التشريع الكُلِي عَلَى مصاديقه، أيّ استمرار حاكمية الله تَعَالَى السياسيّة التفصيليّة فِي كُلّ الموارد.

⁽١) سورة المائدة: الآية ٦٤.

أسباب النزول والتنزيل والتأويلنقطتا اشتراك وافتراق بين التنزيل والتأويل:

هُنَاكَ جنبة مُشتركة بين التّنزيل والتأويل وَهِيَ أَنَّ كُلاً منهما هُوَ عبارة عَنْ انطباق الحكم الكُلِّي عَلَى مصاديقه، إلَّا أَنَّ الفرق بينهما هُوَ أَنَّ التّنزيل: هُوَ بدء نزول الأحكام، والتّأويل: _ هُوَ استمرار نزول الأحكام وَالقُرآن وحاكميّة الله.

فحاكمية الله تَعَالَى هُوَ تنزيل إرادته فِي تفاصيل الجزئيات الخطيرة، إذْ لا تستند إلى الْنَبِيَ ﷺ أو الوصي الطِّلِ، وَهَذِهِ موجودة فِي دول الأنبياء إذْ هُمْ محطّات.

وَهَذِهِ الإرادة الإلهيّة تُمارس مِنْ قِبَل المعصوم اللّهِ، وَحَيْثُ وَرَدَ أَنَّهُم أُوعية لمشيئات الله تَعَالَى، مما يعني أَنَّ الإرادة الكُلِّيّة تتوزع وتتفصّل عَلَى كُلّ الإرادات الجزئيّة إلى الإرادة الإلهية الكلية، أيّ رجوع كُلِّ الإرادات إلى الإرادات الله تَعَالَى.

وَعَلَيْهِ فالذي تتنزّل عَلَيْهِ الآيات والسُّور بَعْدَ الْنَبِيَ عَلَيْهُ هُوَ الإمام المعصوم اللهِ وتستمر إلى يَوُم القيامة؛ لضرورة استمرار ولاية الله تَعَالَى فِي الحاكمية والسلطة السياسيّة عَلَى البشر، وفي زماننا هُوَ الإمام المهدي حَيْثُ يُدبِّر ويُدير النّظام البشري عبر خفاء الغيبة وسريتها إلى أنَّ يئنّ آن الإعلان والظهور (١١).

⁽١) الإمامة الإلهية: ج٣، ص٥٧٥ للشيخ مُحمَّد السَّند حفظه الله.

٣٦٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث المدارس الإسلامية تعتقد أن الحاكم والمسؤول

عن تفهم وتطبيق القوانين الإلهية للبشر هو نفس البشر:

وممّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أَنَّ هَذَا البيان كأدبيات سياسيّة أو عقائدية في تفسير النظام السياسي غَيْر موجود في المدراس الإسلاميّة الأُخْرَى عدا مدرسة أهل البيت المهيّة؛ ولذا جُعِلَ التوحيد ـ وللأسف ـ في المدارس الإسلاميّة الأُخْرَى بمنزلة تنظير مُجَمَّدٌ ويُحْبَس في جَنْبة تنفيذيّة أو إجرائية إذَا كَانَتْ صلاحية الباري تَعَالَى فَقَطْ في مقام التشريع والتنظير الكُلِّي، فالمدارس الإسلاميّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت المهيّق تعتقد وللأسف كما هي عَلَيْهِ الآن، أنَّ مَعْنَى ودور الدولة الإسلاميّة والنظام الإسلامي هُو تشريع القوانين وتقنينها فَقَطْ مِنْ الله تَعَالَى، وأنَّ الحاكم والمسؤول عَنْ تفهيم وتطبيق هذه القوانين الإلهية للبشر هُو نفس البشرن وَهذَا معناه أنَّ النظام والقانون صار نظاماً بشرياً لا إلهيًا، هكذا تعتقد المدارس الإسلاميّة الأُخْرَى.

وأمَّا مدرسة أهل البيت اللَّيْ فتعتقد بأنَّ نظام الدولة الإلهية شيء آخر، وأنَّ الحاكم في يوميات تلك الدولة ومنعطفاتها الخطيرة وحوادثها العصيبة هُوَ الله تَعَالَى وَمِنْ الواضح والطبيعي عِنْدَ كافة العقلاء أنَّ رئيس كُلّ دولة يتدخل في كُلّ التفاصيل المصيريّة الَّتِي تجري في دولته، ففي نظام الدولة المشروع الإلهي فَإنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذي يتدخّل في كُلّ التفاصيل والمنعطفات ومثل هَذِهِ الحقيقة يتواجد في دولة الرسول الأكرم عَلَيْ ودولة وصيّه أمير المؤمنين على بن أبي طالب الله ولله إلى الحجّة بن الحسن

إن قلت: كيف يستعلم أمير المؤمنين النَّالِ التدبيرات الجزئية المُتشخّصة مِنْ الله تَعَالَى فِي منعطفات دولته بَعْدَ رحيل رسول الله عَلَيْكُ ؟

قلت: إنَّ أمير المؤمنين على بن أبي طالب السَّلِا هُوَ الوحيد مِنْ أصحاب الرسول عَيْكِ اللهُ عنده علمٌ لَدُني دون غيره مِنْ الصّحابة، وَهَذَا العلم اللَّدُني عبارة عَنْ حبل ممدودٍ بين الأرض والسّماء، وَهُوَ الرسول الأكرم عَيَّا اللهِ فَإِنَّهُ عَيْرًا اللَّهُ عَلَيْهِ المشيئات الإلهية الخاصَّة، والرسول عَلَيْكُ أُخبر وعَلَّمَ سيد الأوصياء علي بن أبي طالب المِلْهِ بأمر مِنْ الله تَعَالَى كُلِّ تلك الأَمُور، ثمَّ مِنْ بعده ولده الإمام الحسن ثمَّ الإمام الحسين ثمَّ التَّسعة المعصومين مِنْ ذريّة الحسين المَيْكِثُ، فالحاكم الأوَّل فِي دولة الإمام الحسين النَّهِ هُوَ الله ولذا ذكر للطِّلا هَذَا المعنى فِي كلامه عِنْدَمَا خرج مِنْ مدينة جدَّه رسول اللهَ عَلِمَاللَّهُ المدينة المنوّرة إلى كربلاء: «شاء الله أنْ يراني قتيلاً» بتقويب: شاء الله لا بمشيئة الرسول ولا بمشيئة أمير المؤمنين على بن أبي طالب اللِّهِ أنْ يراني قتيلًا، وَإِنَّمَا بِمشيئة إلهية، وهكذا شاءت الحكمة الإلهيَّة أنْ ترى النِّساء سبايا «شاء الله أنْ يراهُنَّ سبايا»، ولذا عِنْدَمَا سمع صحابة رسول اللهﷺ أمثال عبدالله ابن عبَّاس وغيره هَذَا الكلام مِنْ الإمام الحسين الثِّلا لَمْ يعترضوا عَلَيْهِ ويناقشوه لأنَّهم يعلموا أنَّ أهل بيت النبوّة اللِّكِيُّ ومنهم الإمام الحسين اللِّهِ عَلَى اتَّصال بالمشيئة الإلهية والعلم اللَّدُني الذي زوَّدهم الله به، وَهَذِهِ حقيقة

٣٦٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث عظيمة لطيفة ينبغى الالتفات إليها.

وهكذا الحال في كُلّ إمام حيِّ حاضر يدير دولته بأوامر إلهية بتنفيذ خاص، ثمَّ أوامر رسول الله عَلَيْ ثمَّ أوامر أمير المؤمنين اللهِ بَلْ وَحَتَى إدارة الإمام المهدي الله الدولة الإلهية والمجتمعات البشريّة ولو بشكل خفي وسرّي للدولة الخفيّة، بَلْ وَحَتّى لدولة الظهور فَإنَّ الحاكم الأوَّل هُو الله تَعَالَى وأنَّ الأوامر الإلهية هِيَ الحاكمة في الحسم القضائي والحسم الأمني والحسم العسكري والحسم التدبيري والمالي وغيرها، ثمَّ الحاكم الثَّانِي هُوَ رسول الله عَيَّا أمير المؤمنين المَّا ثمَّ الحسن ثمَّ الحسين ثمَّ التسعة المعصومين مِنْ ذريَّة الحسين المَا السين المَا المَا المَا الله عَنْ الله المَا الله عَلَيْ اللهُ الله المُعَالِي اللهُ الله

أسباب النزول لها معنى اعتقادي ولائي

خطير ولصيق بحقيقة تنزيل القرآن:

إنَّ لأسباب نزول الآيات الكريمة مَعْنَى اعتقادي خطير وعظيم ولصيق بحقيقة تنزيل القُرآن الكريم وَهُو مَعْنَى الولاية، فَإنَّ مَعْنَى التنزيل وَالنُّزول والإنزال هُو فاعليّة وتفعيل لولاية الله فِي إدارة جميع ملفات شؤون المخلوقات لا سيّها البشر، وتدخل في التطبيق الجزئي لَيْسَ فَقَطْ عَلَى صعيد التنظير والتقنين الكُلِّي والتشريع العام، لا كَمَا فهمته بَعْض المدراس الإسلاميّة وأنَّ حاكميّة الله تَعَالَى وصلاحيته وولايته تقف عِنْدَ السّلطة التشريعية العامّة فَقَطْ، وَهَذَا مفهوم خاطئ، وَإنَّما ولايته وحاكميته تَعَالَى تتنزّل حَتّى الماجّة فَقَطْ، وَهَذَا مفهوم خاطئ، وَإنَّما ولايته وحاكميته تَعَالَى تتنزّل حَتّى الماجزئي الخاص والحدث الشّخصي.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل

وَعَلَيْهِ فالنتيجة الَّتِي تنتهي إليها بيانات بَقيَّة فرق المسلمين: هِيَ أَنَّ صلاحيّة الله تَعَالَى محدودة بالسلطة التشريعية كتشريع التّوحيد والنبوّة، أمَّا السّلطة التنفيذيّة فبياناتهم _ العامّة _ خُلُوٌ مِنْهَا، وهكذا السّلطة القضائية فإنَّهم _ العامَّة _ لَمُ يبيّنوا في بياناتهم أنَّ الحاكم والقاضي الأوَّل هُوَ الله، بخلاف ما عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت المَيِّلِيُّ مِنْ أَنَّ الحاكم الأوَّل والآخر في كُلِّ صعيد في الدُّنْيَا والآخرة هُوَ الله تَعَالَى.

تشريعات وولاية وحاكمية الله على درجات:

وممّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أَنَّ أسباب النَّزول تعطي وتبيِّن لنا طابعاً وحقيقة مِنْ الحقائق العظيمة ألا وَهُوَ تدخُّل السّهاء واليد الإلهية، وأنَّ التصرّف والقدرة الإلهية تتنزل إلى أدق التفاصيل وتفاصيل التفاصيل والحدث الشّخصي الذي فيه انعطافة خطيرة ومصيرية، ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أنَّ الأحداث الشّخصية والتفاصيل غَيْر الخطيرة لا تتدخل فيها يد السَّهَاء، بَلْ تتدخل ولكن بتنزلات أُخْرَى شبيهة بسنن الْنَبِي عَيْمِ فَلَمُ الشريعات إلهية إلَّا أنَّها بتنزلات أقل درجة مِنْ الفرائض.

ولذا تُقَسَّم الأحكام الشرعيّة إلى فرائض وسنن، والفرق بين الفريضة الإلهية والسُّنة النبويّة أنَّ الأولى - الفريضة الإلهية - أنشأت بآية قرآنية وبكلام مِنْ الله أو بحديث قدسي، وأنَّ الثَّانية - السنة النبويّة - هِيَ الشَّاها النَّبِي عَلِيْ وأمر بها عَلِيْ وأنَّ سنن النَّبِي عَلِيْ كُلَّهَا أحكام وجزء مِنْ الله ربعة، وَهَذَا أمر مُتّفق عَلَيْهِ ﴿ وَمَا ءَانَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَحُدُوهُ وَمَانَهَ كُمُ

٣٦٨ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث عَنْهُ فَأَنْهُواً ﴾ (١).

و ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ﴾ (٢).

فَكُلّ مِنْ الفريضة الإلهية والسنة النبوية تشتركان في جهة الانتساب إلى الشريعة ويفترقان في أنَّ فرائض الله أكبر أهميّة وامتثالها مُقدَّم عَلَى سنن الْنَبِي عَيَّا لله الله مالا هِي أوامر الله، النبي عَيَّا لله الأهميّة ركنيتها، وإنْ كَانَتْ سنن الْنَبِي عَيَّا الله مالا هِي أوامر الله ولكن هَذِهِ الأوامر الإلهيّة تارةً تتجلّى بألوهيّة الله المحضة وتُسمّى فرائض الله كَما في تشريع الركعتين الأوليين في فريضة الصَّلاة الرُّباعية اليوميّة، ولهما أحكامهما الخاصة بأنْ لا يدخلهما الشّك وغيره.

وَأُخْرَى تتجلّى عَنْ طريق سيد الأنبياء عَلَيْهُ وتُسَمّى بسنن الْنَبِي عَيَّلِهُ، كَمَا فِي الركعتين الأخيرتين مِنْ فريضة الصَّلاة الرُّباعية اليوميّة ولا مانع مِنْ دخول الشّك عَلَيْهَا، ويمكن المُعالجة ولها صور.

وثالثة تتنزّل وتتجلّى التشريعات الإلهية بمظهر أقل رتبة وَهِيَ ما تُسَمّى بسنن أهل البيت اللهي وسنن أولي الأمر الهيكي، كَمَا فِي بيان وتوضيح جملة مِنْ الأحكام الَّتِي يُطلق عَلَيْهَا تشريع ـ بتحفّظ ـ كَمَا فِي مسألة تشريع الخمس فِي عَيْر الأنفال وغنائم الحرب وباقي الأُمُور الأُخْرَى، أو بيان وتوضيح أولي الأمر لبعض موانع الصَّلاة كَمَا فِي مثل: _ مانعية الصَّلاة بجلد ما لا يؤكل لحمة فَإنَّهُ وَرَدَ فِي الحديث الولوي عَنْ أئمة أهل البيت المهيكي وَلَمْ يرد فِي

⁽١) سورة الحشر: الآية ٧.

⁽٢) سورة المائدة: الآية ٩٢.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل السباب النزول والتنزيل والتأويل السباب النزول والتنزيل والتأويل المجادات الحديث النبوي، وهكذا في باقي الأبواب الأُخرَى سواء في باب العبادات أو المعاملات، ولهذا دأب الفُقهاء إلى التفكيك بين الفرائض الإلهية والسنن النبوية وسنن المعصومين مِنْ أئمة أهل البيت المنظي وَكُلَّها أحكام مِنْ الله تَعَالَى ولكنّها عَلَى درجات مِنْ الأهمية.

وإطاعة أهل البيت ذكرها القُرآن الكريم ﴿ يَمَا يَهُا اللَّذِينَ ءَامَنُوا اَطِيعُوا السَّولَ وَأُولِي اللَّهَ وَاللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ مَعْدَ الرسول عَلَيْ اللَّهِ وَاللَّهِ مُمْ أهل بيت النّبِي عَيَا الله وأوهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله وآخرهم المحجة بن الحسن المهدي المنتظر الله الله الله وطهارتهم وطهارتهم وعلمهم و ... الخ.

إذَنْ تشريعات وولاية وحاكمية الله عَلَى درجات فَمِنْهَا تشريعات الله عَلَى مستوى الفرض لخطورته وأهميّته أوصله الباري إلى حَدِّ الإلزام لئلا يقع المُكَلَّف فِي مخالفة ما فرضهُ الله عَلَى العباد، وَمِنْهَا: دون الفرض وَالَّتِي هِيَ سنن الْنَبِي عَلِيْ ودونها تشريعات أولي الأمر - أئمة أهل البيت المِيَلِيْ.

كَذَلِكَ الحال فِي الحاكمية والولاية فَعِنْدَمَا تكون هُنَاك حاكمية لله تَعَالَى فَهَذَا معناه أَنَّ أسباب النُّزول للآيات القرآنية فيها بُعْد مهم وخطير وفيه حسمٌ وحَتْمٌ مِنْ الإرادة الإلهيّة فِي الحادثة حَتّى الشخصيّة الجزئيّة، وَهَذَا ما يُعَبَر عَنْهُ بالوَلاية.

⁽١) سورة المائدة: الآية ٩٢.

.٣٧..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

فالتنزيل يُعَبِّر عَنْ ولاية وإمامة إلهية يتلقى فيها الرسول عَلَيْهُ تدخلات مصيرية حتميّة فيها حسم مِنْ الله في شؤون مُعيّنة خطيرة، واما التدابير الَّتِي هِيَ دون ذَلِكَ فالله عَزَّ وَجَلَّ يوكلها ويجريها عَلَى يد سيد الأنبياء لا بمعنى توكيل عزل عَنْ القدرة الإلهية بحيث تكون القدرة الإلهية معزولة _ والعياء بالله _ كَمَا مَرَّ.

نزول القرآن جملت ونجوما لا ينحصر بعمليت وحقيقت الأنباء والنبوة، بل ولها حقيقت الحاكميت والولايت مستمرة إلى يوم القيامت

فقدِ بفقدك التنزيل والتأويل:

تَقَدَّمَ أَنَّ قَاعِدِة أسبابِ النُّزُولِ لا تنحصر فائدتها بتبيين وإبلاغ الْنَبِي عَلَيْكُ للأحكام والأوامر الصادرة مِنْ الله تَعَالَى إلى البشر، وَإِنَّما فِي التّنزيل كَذَلِكَ حُكمٌ وحاكميّة وولاية، وَهَذَا معناه أَنَّ أسبابِ النُّزُولِ يبزغ لها مَعْنَى فِي تفسير القُرآن، بَلْ وسائر الكتبِ المُنزَلة عَلَى الأنبياء المَثِيَّا، وَهَذَا المعنى لأسبابِ النُّزُولِ لَهُ جنبتان جنبةٌ نبويّة تنزيليّة مرتبطة بالمعنى العام للآية الكريمة فِي أَى سورة وَهُوَ التّصديق بالنبوّة.

وجنبةٌ أُخْرَى مُرتبطة بالولاية وأنَّ التّنزيل نوع مِنْ تحكيم حاكمية الله تَعَالَى بمعنى أنَّ الولاية لها بُعْدٌ تطبيق تنفيذي إجرائي لمفاد الآية.

وَعَلَيْهِ فَيَكُون بُعْدُ الولاية وإنْ لَمْ يكن موطنه مِنْ الصعيد الاجتهاعي أو السياسي أو الاقتصادي أو القضائي، فَقَدْ يَكُون مِنْ الصعيد الرُّوحي

٣٧٣...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

والاعتقادي؛ لِأنَّ ولاية الله وولاية الرسول الله وأهل البيت المَلِيُّ لا تنحصر في صعيد مُعيَّن، بَلْ تشمل جانب تربية وتكامل النفوس والأرواح حَتّى في بُعْدِها الفردي فضلاً عَنْ بُعْدِها المجتمعي.

كَمَا أشار إليه السَّيِّد العلَّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي (١) في تعريف حقيقة الإمامة والولاية وَأنَّها رئاسة سياسيّة، أو أنَّ الإمام رائد مسيرة قافلة النّفوس للوصول إلى المقامات والأبواب المعنوية أيّ التكامليّة مِنْهَا، وأنَّ هُنَاك جذب وهداية وارتباط نفساني روحي يجذبه الإمام إلى النفوس مِنْ خلال بياناتهم.

إلَّا أنَّ ما ذكره السّيّد العلّامة الطباطبائي في مِنْ تعريف لحقيقة الإمامة غيرُ تامّ وَإِنَّها يشير إلى فصل ووظيفة مِنْ فصول ووظائف الإمامة، وإنْ كَانَ هَذَا الفصل عظيم وَلَمْ يذكره المُتكلِّمون _ بَعْدَ ملاحظة الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية الواردة عَنْ أهل البيت الميّلِيّ في تعريف حقيقة الإمامة أو الولاية، وَإِنَّها لا تنحصر ولا تقتصر عَلَى جانب مُعيّن كجانب الرئاسة السياسيّة أو الاجتهاعيّة وما شابه ذَلِكَ.

والشَّاهِد عَلَى ذَلِكَ ما ذكره الشَّيْخ الكليني ... عَنْ أَبِي خالد الكابلي، قَالَ: هُوَ فَامِنُوا بِاللهِ عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: هُوَ فَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ نور الأَثمة مِنْ وَرَسُولِهِ وَاللهُ نور الأَثمة مِنْ

⁽١) الميزان لِلْسَّيِّد الطباطبائي: ج١/ ٢٧٤.

⁽٢) سورة التغابن: الآية ٨.

نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية

آل مُحمَّد عَنِي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الله الذي أنزل، وَهُمْ والله نور الله في السموات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنورُ مِنْ الشّمس المُضيئة بالنّهار؛ وَهُمْ والله ينوّرون في قلوب المؤمنين، ويحجب الله عَزَّ وَجَلَّ نورهم عمَّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبُّنا عبدٌ ويتولانا حَتّى يُطهّر الله قلبه، ولا يُطهّر الله قلب عبد حَتّى يُسلِّم لنا، فإذا كَانَ سلماً لنا سَلمًا لنا مَنْ شديد الحساب وآمنه مِنْ فزع يَوُم القيامة الأكبر»(١).

بتقريب: أنَّ الإمامة فيها فصول مُتعدِّدة وَحَتَّى لو كَانَتُ الآية النازلة خاصة بمقام أو نظام معين كنظام الفِقْه السياسي أو العسكري أو الأمني أو الاجتهاعي أو العقائدي وغيرها، فَإنَّ الهداية النبويّة فيها إراءة الطريق.

وأمَّا الهداية الولائية هِيَ هداية حركة وسيرٍ وطي الصراط واهدنا الصراط لَيْسَ بمعنى إضاءة الصراط وَإنَّما اهدنا الهداية الإيصاليّة ومتابعة المأموم للإمام فِي حركته والسير معه وجذبه لَهُ مِنْ دون جبر.

إذَنْ عَلَى الْمُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يضع منهج تفسيره أو خطّة بحثه فِي أسباب النُّزول عَلَى بُعْدَين.

البعد الأول: بُعْدُ النبوّة: وَأَنَّهَا خُتِمَت فِي القُرآن، وَأَنَّهُ لا نبي بَعد، وأَنَّ جانب انتُزول والتنزيل انتهى بلحاظ الآيات والسور فالآية هِيَ الآية والسورة هِيَ السورة هِيَ السورة هِيَ السورة كُمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي المصحف الشريف المحفوظ ما بين

⁽١) الكافي: ج١، ص ٢٥٠ ب٧٠ مِنْ كتاب الحجّة أنَّ الأثمة اللَّا الله عَزَّ وَجَلَّ : ح١.

٣٧٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث الدفّتين وما به مِنْ المعلومات الكلية والعامّة.

البعد الثاني: بُعْد الولاية سواء كَانَتْ الولاية في هداية النفوس أو الولاية في الحاكمية السياسيّة، أو فِي أيّ مجال مِنْ المجالات الوسيعة للولاية، وَأَنَّهَا مستمرة فِي الجانب التطبيقي في القُرآن تطبيقاً بإشراف إلهي لا بشرى محدود، وَلَيْسَ الْمُرَاد مِنْ استمرار التطبيق بإشراف إلهي هُوَ لأجل إحداث مَعْنَى عام جديد أو نزول آية أو سورة جديدة، وَإِنَّمَا هُوَ نفس التطبيق الوحياني اللَّدُني الذي لا يصيبه إلَّا الوحي الإلهي لأجل تنفيذ مضامين القُرآن الَّتِي أنباً عنها الْنَبِّي عَلِيُّكُ وأنَّ هَذَا التَّطبيق وَهَذَا البُعد مِنْ النُّزول لا زال مستمراً، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى ليلة القدر، فَإِنَّ ما يتنزّل مِنْ القُرآن مِنْ تأويل فِي جانب التطبيق غَيْر تنزيل القُرآن وإنَّ التأويل الوحياني هُوَ تلاوة القُرآن حقّ تلاوته؛ لِأنَّ الحاكم الأوَّل هُوَ الله الذي تتنزَّل مشيئته وإراداته فِي إدارة شؤون البشر، أو تربية كُلّ فرد فرد منهم _ البشر _ ثُمَّ حاكمية وولاية الرسول عَلَيْهُ ثمَّ ولاية الأئمة المعصومين المِيْكُ مِنْ أهل البيت اللِّيِّا، وَهَذِهِ الولاية لَمْ تنحسر وَلَمْ تنقطع وَأَنَّهَا حبلٌ ممدود وَلَيْسَ بمنقطع بدليل حديث رسول الله عَيْلِيُّ: ﴿إِنِّي تَارِكٌ فَيَكُمُ النَّقَلِينَ كَتَابِ اللهُ وعتري أهل بيتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» «كتاب الله حبلٌ ممدود بين السَّمَاء والأرض وعترتي أهل بيتي وأنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنَّها لن يفترقا حَتّى يردا عليَّ الحوض فانظروا ماذا تخلفوني»(١).

⁽١) إكمال الدِّين للصدوق: ص ٢٢٥.

هَذَا كُلَّهُ بحسب ما تعتقد به مدرسة أهل البيت المَكِلان، وَهُوَ بخلاف ما تذهب إليه المدارس الإسلاميَّة الأُخْرَى الَّتِي تعتقد بأنه برحيل رسول الله عَيْمَا اللهُ انقطعت العلقة وانقطع الحبل وَذَلِكَ لازم الانقطاع بين السَّمَاء والأرض، إلَّا أنَّ الصحيح وَكَمَا هُوَ عَلَيْهِ الواقع خلاف ذَلِكَ وَأَنَّهُ بحسب بيانات القُرآن وأهل البيت المِيلا أنَّ الجانب الولائي وبُعْد الولاية في القُرآن لَمْ ينقطع ولا زال مستمراً، والذي هُوَ عبارة عَنْ تأويل القُرآن بمعنى أنَّ مَنْ وُصِفَ بوصْف أَنَّهُ [يتلو الكتاب] يَعْرِف مآل كُلِّ آية آية وأين موطنها الْمُنَاسِب وَالْحَقّ، وَإِلَّا فكثير ممّن ينسب إلى الإسلام بالاسم فَقَطْ دون الفعل كالخوارج أيضاً يتلون الكتاب إلَّا أنَّهُ لَيْسَ بوصف حَقَّ تلاوته؛ فَإنَّ هَذَا الوصف مِنْ مُحْتصّات الإمام المعصوم الذي يشمل الرسول الأكرم عَيَّاللَّهُ وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب الله والأئمة المعصومين مِنْ ذريَّته ـ عليهم أفضل الصَّلاة وَالسَّلامُ..

إذَنْ التنزيل لا ينحصر ببعد النبوّة وَإِنَّمَا فيه بُعْدٌ آخر ألا وَهُو بُعد الولاية والحاكميّة، الولاية والحاكميّة وأنَّ النُّزول هُو نوع مِنْ التفصيل فِي الولاية والحاكميّة، كَمَا وَرَدَ فِي زيارة الناحية المقدّسة «... لقد قتلوا بقتلك الإسلام ... ونقضوا السُنَن والأحكام ... وحَرَّفوا آيات القُرآن ... وعاد كتاب الله مهجوراً ... وفُقِدَ بفقدك التنزيل والتأويل».

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ موارد الولاية لا تتم إلَّا بالنزول والإنزال الذي هُوَ نوع مِنْ أعمال الولاية مِنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا هُوَ المفاد العقيدي والمعتقد المهم في القُرآن الكريم الذي غفلت عَنْهُ المدارس والمذاهب الإسلاميَّة الأُخْرَى عَيْر مدرسة أهل البيت المَيِّكِيُّ.

حقيقة النزولين للقرآن نبوة وإمامة:

النزول الجملي والنزول النجومي:

مَرَّ أَنَّ هُنَاكَ لَعْطٌ كبير بين المُفَسِّرِين فِي تفسير تعدد النُّزول الثنائي للقرآن أيّ نزول القُرآن جملةً واحِدة عَلَى البيت المعمور، ونزول ثانٍ وَهُوَ النُّزول النجومي فرقاناً، وَقَدْ تقدّمت عِدَّة تفسيرات أو أقوال أو نظريات في ذَلِكَ، إلَّا إنَّهُ بقي تفسير لهذا التعدّد يمكن إبداؤه وَهُوَ تفسير النُّزول النجومي بأنَّ نزول يرتبط بالولاية والحاكميّة، بينها النُّزول الجُملي مرتبط في شأن مِنْهُ بالنبوّة والأنباء، كَمَا تبيَّن ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ فِي بحث أسباب النُّزول والتنزيل.

إن حقيقة وحقائق القرآن جلها مرتبط ببعد الولاية في النبي النب

فإنه مشتمل على البعدين. كما تقدم:

نماذج قرآنية تقرن بين النبوة والولاية:

هُنَاك جملة مِنْ الموارد فِي سور متعدّدة قرن فيها القُرآن بين النبوّة والولاية فِي أسباب النُّزول:

بتقريب: أنَّهُ وَرَدَتْ فِي روايات كلا الفريقين أنَّ ليلة القدر لها ارتباط ببدء نزول القُرآن عَلَى الْنَبِيَ عَلَيْ دُفعَة ونجوماً واستمرار ليلة القدر إلى يَوُم القيامة لها ارتباط ببقاء القُرآن، وأنَّ ليلة القدر لو رُفِعت لَرُفع القُرآن، وأنَّ ليلة القدر لو رُفِعت لَرُفع القُرآن، وأنَّ البُعد الثَّانِي القُرآن الكريم فِي تنزله بُعْدان بُعْدُ النبوّة وبُعْدُ الولاية، وأنَّ البُعد الثَّانِي مستمر بَعْدَ النبوّة إلى يَوُم القيامة كَمَا تَقَدَّمَ.

ليلة القدر في أقوال أهل وجماعة سنة السلطان:

قَالَ الفخر الرازي فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ أجمع المُفَسِّرون عَلَى أَنَّ الْمُرَاد هُوَ: أَنَّا أَنْزلنا القُرآن فِي ليلة القدر، ولكنَّه تَعَالَى ترك التصريح بالذكر؛ لِأنَّ هَذَا التركيب يَدُلِّ عَلَى عِظَم القُرآن وأنَّ حذف المتعلِّق يَدُلِّ عَلَى تعظيم شأن المُتعلَّق المحذوف وَهُوَ القُرآن.

للقرآن نزولين: إنْ قِيلَ ما مَعْنَى إنَّهُ أُنزِلَ فِي ليلة القدر مَعَ العلم بأنه أنزِل نجوماً؟ قُلنا فيه وجوهاً نذكر مِنْهَا اثنين:

الأول: قَالَ الشعبي: أُبْتُدِأً بإنزاله؛ لِأنَّ البعث كَانَ فِي رمضان.

الثاني: قَالَ ابنُ عباس: أُنْزِل إلى سهاء الدُّنْيَا جملة ليلة القدر، ثمَّ إلى الأرض نجوماً (٢).

⁽١) سورة القدر: الآية ١.

⁽٢) الإمامة الإلهية، للشيخ مُحمَّد السَّند: ج٣، ص٢٧٥.

٣٧٨..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَمَعْنَى القدر: اختلفوا فِي أَنَّهُ لِمَ سُمِّيت هَذِهِ الليلة ليلة القدر عَلَى وجوه:

احدها: إنَّا الله تقدير الأُمُور والأحكام، قَالَ عطاء عَنْ ابن عبّاس: إنَّ الله قدَّر ما يَكُون فِي تلك السنة مِنْ مَطَرٍ ورزقٍ وإحياء وإماتة إلى مثل هَذِهِ الليلة مِنْ السنة الآتية، ونظيره قوله تَعَالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ واعلم أنَّ تقدير الله لا يحدث في تلك السنة، فَإنَّهُ تَعَالَى قدَّر المقادير قبل أنْ يخلق السّموات والأرض في الأزل(١) بَلْ المُرَاد إظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بأنْ يكتبها في اللّوح المحفوظ (٢).

بقاء ليلة القدر في كُلّ عام: وَهَذَا القول اختيار عامَّة العُلَمَاء ... هَذِهِ اللّيلة هل هِيَ باقيَّة أو لا؟ قَالَ الْخليل: مَنْ قَالَ إِنَّ فضلها لنزول القُرآن فيها يقول انقطعت وَكَانَتْ مَرَّة، والجمهور عَلَى أنَّها باقية.

وَعَلَى هَذَا، هل هِي مختصة برمضان أم لا؟ روي عَنْ ابن مسعود إنَّهُ قَالَ: مَنْ يُقِم الحول يصيبها، وفسّرها عِكرمة بليلة البراءة فِي قوله ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَهُ فِي لَيْلَةَ الْبِراءة فِي قوله ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَهُ فِي لَيْلَةَ الْمِرَمَان، واحتجوا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةَ مُبْرَرَكَةً ﴾ (٣) والجمهور عَلَى أنَّها مختصة برمضان، واحتجوا عَلَيْهِ بقوله تَعَالَى: ﴿ فَمُ مُرَرَمَضَانَ اللَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القَرْدَانُ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لِنَلَةِ القدر فِي رمضان لئلا يلزم أَنزَلْنَهُ فِي لِنَلَةِ القدر فِي رمضان لئلا يلزم

⁽١) لا يخفى أنَّ الرازي قَدْ خلط بين علم الباري الأزلي بالأشياء ومقاديرها، وبين نفس فعل التقدير في اللّوح والقلم والقضاء وإبرامه، فَإنَّ هَذِهِ أَفعالٌ حادِثَةٌ فِي عالم المخلوقات كَمَا هُوَ صريح روايات الفريقين في شأن ليلة القدر.

⁽٢) وَهَذَا التصريَّح مِنْ الفخر الرازي متدافع مَعَ قوله السابق فِي نفي حدوث التقدير السابق. (٣) سورة الدخان: الآية ٣.

إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أقوال أهل سنة الجماعة.

ليلة القدر في روايات أهل سنة الخلافة (١)

دوام ليلة القدر في كل عام إلى يُوم القيامة:

١ - فَقَدْ روى عبدالرزّاق الصنعاني في (المصنَّف) بسنده عَنْ مولى معاوية،
 قَالَ: قلت لأبي هريرة: زعموا أنَّ ليلة القدر قَدْ رُفعت، قَالَ: كذَّب مَنْ قَالَ ذَلِكَ،
 قلت: فَهِيَ كُلِّ شهر رمضان استقبله؟ قَالَ: نعم ... الحديث] (٢).

ورواه عَنْهُ بطريق آخر (٣) ورواه كنزل العُمَّال أيضاً (٤).

وروى عبدالرزاق الصنعاني في المصنف بسنده عَنْ ابن عبّاس، قَالَ: «ليلة فِي كُلّ رمضان ياتي، قَالَ: وحدّثني يزيد بن عبدالله بن الهاد: إنَّ رسول الله عَنْ ليلة القدر، فَقِيلَ لَهُ: كَانَتْ مَعَ النبيين ثمَّ رُفعت حين قبضوا، أو هِيَ فِي كُلّ سنةٍ؟ قَالَ بَلْ هِيَ كُلّ سنة، بَلْ هِيَ فِي كُلّ سنةٍ»(٥).

٣ ـ وروي عَنْ ابن جرير، قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ شيخاً مِنْ أهل المدينة
 سأل أبا ذر بمنى، فَقَالَ رُفِعَت ليلة القدر أم هِيَ فِي كُلِّ رمضان؟ فَقَالَ أبو

⁽¹⁾ الإمامة الإلهية: ج٣، للشيخ مُحمَّد السند: ص٢٩٧.

⁽٢) المصنّف: ٣/ ٢١٦ ح ٥٥٨٦.

⁽٣) المصنف: ٤/ ٢٥٥ ح ٧٧٠٨.

⁽٤) كنز العمال: ٨/ ٦٣٤ ح ٢٤٤٩٠.

⁽٥) المصنّف: ٤/ ٢٥٥ ح٧٧٠٨.

٣٨٠......تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

ذر: سألتُ رسول الله عَلَيْ فقلت يا رسول الله عَلَيْ رَفعَت ليلة القدر؟ قَالَ: بَلْ هِيَ كُلِّ رمضان (١١).

النزول في ليلة القدر

وحي للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء:

٤ ـ قَالَ ابن خزيمة في صحيحه (٢) باب ذكر أبواب ليلة القدر والتأليف بين الأخبار المأثورة عَنْ الْنَبِي عَلَيْكُ فيها ما يحسب كثيراً مِنْ حملة العلم ممّن لا يفهم صناعة العلم أنّها متهاترة متنافية وَلَيْسَ كَذَلِكَ، هِيَ عندنا بحمد الله ونعمته، بَلْ هِيَ غُتُلِفَة الألفاظ متفقة المعنى عَلَى ما سأبينه إنْ شاء الله.

قَالَ أيضاً: باب ذكر دوام ليلة القدر فِي كُلّ رمضان إلى قيام السّاعة، ونفي انقطاعها بنفي الأنبياء.

٥ ـ وروى بسنده ـ ابن خزيمة ـ إلى أبي مثرَد، قَالَ: ـ قَالَ لقينا أبا ذر وَهُوَ عِنْدَ الجمرة الوسطى فسألته عَنْ ليلة القدر، فَقَالَ ما كَانَ أحد بأسأل لها منّي: قلتُ يا رسول الله ليلة القدر أنزلت عَلَى الأنبياء بوحي إليهم فيها ثمَّ ترجع؟ فَقَالَ بَلْ هِيَ إلى يَوُم القيامة ... الحديث (٣).

٦ - وفي صحيح ابن حبّان، قَالَ فِي باب ذكر البيان بأنَّ ليلة القدر

⁽١) المصدر السابق: ح٩٠٧٠، وأخرجه هق: ٤/ ٣٠٧، والطحاوي: ٢/ ٥٠.

⁽۲) صحيح ابن خَزيمة: ۳: ۳۲۰.

⁽٣) المصدر السابق.

نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية ثمّ روى بسند مُتّصل تكون في العشر الأواخر كُلّ سنة إلى أنْ تقوم الساعة، ثمّ روى بسند مُتّصل رواية أبي ذَر الرُّواية المتقدِّمة وَاللَّفْظ فيها: «تكون في زمان الأنبياء ينزل عليهم الوحي، فإذا قُبضوا رُفِعت؟ فَقَالَ عَلَيْهِمُ الوحي، فإذا قُبضوا رُفِعت؟ فَقَالَ عَلَيْهُمُ اللهِ عَيْ إلى يَوُم القيامة»(١).

ثانيا: سورة الدخان: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْـلَةِمُّبَـنَرَكَةً إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ ثَا يُعَالِمُن اللَّهُ اللَّهُ مَا يُعَالُمُ اللَّهُ اللَّ

بتقريب: إنَّهُ يفرق فيها كُلِّ أمر حكم أيِّ بحكمه فِي التدبير ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّاكُنَا مُرْسِلِينَ ﴿ أَمْرا مِن مأمورين ومُرسَلين بتنفيذ برامج إلهية لهداية البشر.

ثالثًا: سورة الرعد: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُّ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿ اللَّهُ ﴿ ").

بتقريب: أنَّ الإنذار نبوّة والهداية إمامةٌ وأنَّ سيد الأنبياء عَيَّا للهُ هُوَ منذِرٌ وَهُوَ هادي أيضاً وَمِنْ بعده أئمة أوصياء هداة وبالتالي يوجد مقامان مقام نبوّة ومقام إمامة.

هل يوجد فرق بين أضافة الضمير (عبده)

لسيد الأنبياء عَلِيلًا وبين (عبدنا) لسائر الأنبياء:

وابعا: سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَتِمِكَةَ بِٱلرُّوجِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ

⁽١) صحيح ابن حبّان: ٨/ ٤٣٨.

⁽٢) سورة الدّخان: الآية ٣_٥.

⁽٣) سورة الرَّعد: الآية ٧.

٣٨٢ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث عِبَادِهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ عَبَادِهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المِلمُلِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المِلمُ الم

بتقريب: إنَّهُ تَعَالَى يُنزِّل الملائكة _ فِي ليلة القدر _ وما شابه ذَلِكَ عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده بامرة الرُّوح الطاهرة وَلَيْسَ هَذَا التنزيل خاصاً بخاتم الأنبياء مُحمَّد عَنِيْ، وَإِنَّها هُنَاك مجموعة مِنْ العباد _ أنبياء وأئمة وعبادٌ صالحون _ شاءت المشيئة الإلهية أنْ يكونوا مُتعلقاً ومُهبطاً لها وَبَعْدَ رسول الله عَنِيْ أَمْم أئمة أهل البيت المَيْكِ، وفي إضافة الضمير (عبده) واختصاص ذَلِكَ بسيد الأنبياء ينبغي الالتفات إلى أُمُور نذكر مِنْها أمرين:

الأمر الأول: لو تتبعنا تعابير القُرآن حسب الاستقراء فَإِنَّهُ لَمْ يرد التعبير عَنْ أحد الأنبياء السّابقين _ عدا الخاتم عَنْ أحد الأنبياء السّابقين _ عدا الخاتم عَنْ أحد الأنبياء عَتَّسُ بالنبي عَلَيْ الله بسيّد الأنبياء عَنْ فإضافة العبوديّة إلى ضمير الهاء الغائب مختصٌ بالنبي عَلَيْ وأمّا سائر الأنبياء فورد التعبير عنهم بـ (عبدنا)، والتعبير بـ (عبده) أعظم مِنْ التعبير بـ (عبدنا)، أو (عبدالله).

وَقَدْ يعترض بأنَّ إضافة العبد إلى الضمير المفرد الغائب، قَدْ وَرَدَ فِي شَان الْنَبِيّ زكريا اللهِ فِي سورة مريم ﴿كَهيعَصَ ﴿ فَكُرُرَ حَمَتِ رَبِكَ عَبَدَهُ, زَكِرِيا اللهِ فِي سورة ملا يُعَد ذَلِكَ مُحتصًا بسيد الأنبياء، مَعَ أنَّ زكريا اللهِ لَيْسَ مِنْ أُولِي العزم.

فيُجاب: بأنَّ الضمير هُنَا فِي عبده فِي شأن زكريا يعود إلى اسم الرّب

⁽١) سورة النَّحل: الآية ٢.

⁽٢) سورة مريم: الآية ١_٢.

نعم، بَعْض ما وَرَدَ فِي سور أُخْرَى مِنْ وصف عبده لرسول الله عَلَيْ اللهِ الله عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ الفيل الفيب المطلق كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿ الْحَمْدُ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ الْمُحَدِّدِهِ اللهُ اللهُ مِكَافِ عَبْدَهُ أَنَّهُ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ اللهُ اللهُ مِكَافِ عَبْدَهُ أَنَّهُ اللهُ اللهُ مِكَافِ عَبْدَهُ أَنَّهُ اللهُ اللهُ

بتقريب: إنَّ الضمير فِي الآيات الْمُبَارَكَة يعود إلى الاسم الإلهي.

الأمر الثاني: إنَّ التعبير عَنْ خاتم الأنبياء عَيَّا ب (عبده) بإضافة العبوديّة إلى ضمير الغائب (الهاء) فيها تعظيم للمضاف، وشرافة المضاف تأتي مِنْ شرافة المضاف إليه. وَهَذَا معناه أنَّ عبوديّة سيد الأنبياء الخاتم عَيَّا أنَّ عبوديّة سيد الأنبياء الخاتم عَيَّا أنَّ عبوديّة سيد الأنبياء الخاتم عَيَّا أنَّ معام الأعظم الأعظم الأعظم لأنَّ مقام واسم وصلت إلى مقام الاسم العظيم الأعظم الأعظم الأعظم متكثرة والمسمى فالأسماء متكثرة والمسمى

⁽١) سورة النجم: الآية ١٠.

⁽٢) سورة الحديد: الآية ٩.

⁽٣) سورة الكهف: الآية ١.

⁽٤) سورة الفرقان: الآية ١.

⁽٥) سورة الزمر: الآية ٣٦.

٣٨٤...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

واحد وإنْ كَانَ كلاهما اسماً للذات الإلهية، كَما فِي سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللّ

وَعَلَيْهِ فَهَذَا الكمال مِنْ العبودية ينزله الله عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده كَمَا تَقَدَّمَ فِي سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمُلَتَمِكَةَ بِٱلرُّوجِ مِنْ آَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمُلَتَمِكَةَ بِٱلرُّوجِ مِنْ آَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ ﴿ كَالَهُ مِنْ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِهِ ﴾ (٧).

خلمساً: سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِئَ لَآ إِلَاهُ إِلَّاهُوَ ٱلْمَاكُ ٱلْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ (٣).

بتقريب: أنَّ الأسهاء الَّتِي ذُكرت فِي الآية هِيَ فِي الأسهاء الإلهية وأنَّ اسم (هُوَ) أعظم مِنْ اسم (الله) كَمَا تَقَدَّمَ.

ساحسا: سورة الشورى: ﴿ وَكَذَالِكَ أَوْحَيْنَاۤ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ مَذَرِى مَا الْكِنَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَذِكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ عَمَن فَشَآهُ مِنْ عِبَادِنَاْ وَإِنّك لَتَهْدِى إِلَى حِمَا فَشَآهُ مِنْ عِبَادِنَاْ وَإِنّك لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيعٍ (الله) .

بتقريب: إنَّ الرُّوح هُوَ حقيقة القُرآن التكوينيّة، الَّتِي جعلناها يا مُحمَّد عَيَّظِيُّهُ

⁽١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

⁽٢) سورة النحل: الآية ٢.

⁽٣) سورة الحشر: الآية ٢٣.

⁽٤) سورة الشورى: الآية ٥٢.

نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية

مِنْ بعدك لِـمَنْ نشاء، وَالرُّوح الأمري هُوَ الكتاب، والذي يمسُّ الكتاب هُوَ الذي يتلقى تنزّل الرُّوح الأمري كُلِّ عام فِي ليلة القدر، والمطهّرون الَّذِيْنَ يتوارثون الكتاب، المَّكنون هُمْ الأئمة اللَّيْنَ اللَّذِيْنَ يتوارثون الكتاب، وَهُوَ الرُّوح الأمري، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثَنَا ٱلْكِنَابُ ٱلَّذِيْنَ ٱصَطَفَيْنَا وَهُوَ الرُّوح الأمري، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثَنَا ٱلْكِنَابُ ٱلَّذِينَ ٱصَطَفَيْنَا وَهُوَ الرُّوح الأمري.

وكذلك فِي قوله تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثَنَا ٱلْكِنَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٢).

بتقريب: إنَّ الَّذِيْنَ اصطفاهم وأصفاهم الله هُمْ أهل آية التطهير، فَهَذِهِ الآيات تتشاهد لبعضها البعض لتدلِّ عَلَى أنَّ الأئمة المطهّرون المصفّون الَّذِيْنَ يمسون الكتاب ويرثوه ويتلقون حقيقة الكتاب، وَهُوَ الرُّوح الأمري والذي يتنزل في ليلة القدر في كُلِّ عام عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده.

وَهَذَا يَدُلّ أَيضاً عَلَى عدم حصر أسباب النَّزول ببُعْدِ واحدٍ وَهُوَ بُعْد النبوّة وَإِنَّهَا يتعدّى إلى مرحلة الولاية والحاكميّة مِنْ بَعْدَ رسول الله عَيْشَا إلى أَمْمة أهل البيت المِيْكِ وعَبَّر بالآية بـ (عبادنا) لا (عباده).

سابعا: سورة غافر: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَنَتِ ذُو ٱلْعَرَّشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ آمَرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ٤ ﴾ (٣).

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآية تدل عَلَى بقاء تنزل ذَلِكَ الرُّوحِ كُلِّ عام عَلَى

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

⁽٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

⁽٣) سورة غافر: الآية ١٥.

حمّ يشاء مِنْ عباده، فَكَمَا أَنَّ تنزل الرُّوح الأعظم فِي ليلة القدر دائم فِي كُلِّ سنة بالضرورة، فكذلك ليلة القدر تعني وراثة ولي الله تَعَالَى لمقام الْنَبِي عَلَيْكُ فِي تنزّل الرُّوح عَلَيْهِ.

مُضَافاً إلى أنَّ إضافة عبودية النَّبِيَّ عَلَيْلَا وأهل البيت المَيَّلِا إلى الضمير (هُوَ) اسم للذات الإلهية لَهُ مدلولات كثيرة يأتي التعرض إليها في بحث التفسير الإشاري إنْ شاء الله تَعَالَى.

محصل ما تقدم:

وتحصل مِنْ خلال استعراض هَذِهِ الشُّواهد والنهاذج القرآنية ما يلي:

أَوْلاً: إنَّ أسباب النُّزول لا تنحصر بِبُعْد واحد وَهُوَ بَعْدَ النبوة فَقَطْ، وَإِنَّمَا تتعدّى إلى منصب ومقام الولاية والحاكميّة للإمامة، إلَّا أنَّهُ للأسف غفل مفسروا المذاهب الإسّلاميَّة عَنْ هَذَا البُعد الآخر للقُرْآن إلَّا أنَّ أئمة أهل البيت المَيِّلِيُّ بيّنوه ونبّهوا عَلَيْهِ.

ثانيا: هُنَاك انطباع لدى كثير مِنْ مفسري المذاهب الإسلاميَّة أنَّ القُرآن كتابُ تنظير فَقَطْ وفيه نظريات تجريدية بحتة لَيْسَ لها ارتباط ومساس وطيد بمجريات واقع مسيرة البشر، إلَّا أنَّ هَذِهِ قراءة قاصرة وناقصة. وسيأتي التعرّض للمزيد تحت العنوان اللاحق [القُرآن الكريم نظام تكويني حقائقي لإدارة شؤون الموجودات] فانتظر.

ثالثًا: هَذِهِ النهاذج والشواهد القرآنية الَّتِي ذكرناها آنِفاً وغيرها الكثير

نزول القرآن جملة و نجوما لا ينحصر بعملية والتّرون للروح عَلَى وَالتّري ترتبط بقاعدة أسباب النّزول تُدلّل عَلَى أنّ إنزال القُرآن للروح عَلَى غَيْر سيد الأنبياء مرتبط به (مَنْ يشاء مِنْ عبادنا) وَالقُرآن الكريم ينبّه المسلمين عَلَى أنّهُ لا نبي بَعْدَ نبوة سيد الأنبياء وهؤلاء الّذِيْنَ يتنزّل الرُّوح عليهم هُمْ أولياء وخلفاء وأوصياء للرسول عَيْنَ وأنّ تنزيل القُرآن لَهُ صلة بنبوّة سيد الأنبياء، وبوصاية سيد الأوصياء مِنْ أئمة أهل البيت المَيْلِيُ بَعْدَ ولا يَقْلُ الرسول عَيْنَ اللهُ الله اللهُ الله اللهُ الله اللهُ ولا يَقْلُ اللهُ ال

رابعاً: كَذَلِكَ غفلت المدارس الإسلاميَّة _ عدا مدرسة أهل البيت المَّكِ _ عَنْ الوجه الآخر للقُرْآن الذي طالما صَرَّح به رسول الله عَلَيْ اللهِ وَقَدْ وَرَدَ مِنْ طرق الفريقين: «أنا أقاتِل عَلَى التنزيل وعلي يُقاتل عَلَى التنزيل وعلي يُقاتل عَلَى التأويل»(١).

بتقريب: أنَّ سنخ تبليغ الْنَبِي عَلَيْ الله وأهل بيته المَهِلِيُّ عَنْهُ عَلَيْ الله وأهل بيته المَهِلِيُّ عَنْهُ عَلَيْ الله يقف عِنْدَ حدّ التنزيل والألفاظ، بَلْ يتسع إلى التأويل وما لا يحصى مِنْ مدارج المعاني وبيان الحقائق، فالحاجة إلى تبليغهم وأداءهم عَنْ الله ووساطتهم بين الله وخلقه تمتد إلى يَوُم القيامة فِي دار التكليف ونشأة الامتحان، ما دام البشر يحتاجون فِي كُلّ بيئة إلى رؤية كونية عقائدية أعمق للحقائق والمعارف، ويحتاجون إلى هداية مِنْ الشريعة إلى أطوار نظامهم الاجتماعي والسياسي وحقوله.

⁽١) الخصال للصدوق: ٦٥٠.

فتلخص أنَّ ما تسالم عَلَيْهِ المسلمون مِنْ وجود الظهور والبطون فِي الكتاب العزيز وكون علومه وحقائقه وكلماته لا تتناهى، يستلزم دوام الحاجة إلى تبليغ الْنَبِيَ عَلِيْهُ وأهل بيته الله مِنْ بعده، وعدم سدّ الحاجة بخصوص الظاهر بَعْدَ كون الإيمان بباطن القُرآن عَلَى حذوا الإيمان بظاهره.

خامسا: أنَّ الْنَبِيّ الأكرم عَيَّالَ اللهُ بَيَّن أنَّ مرحلة التنظير لها صلة وارتباط بالنبوّة والأنباء وأنَّ مرحلة التّطبيق لها صلة بالولاية والحاكميّة والتنفيذ، والذي يتولّى التنظير هُو الله عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ تَعَالَى يُنبئ نبيّه الذي ينفّذ حاكمية الله تَعَالَى بإرادة مِنْهُ تَعَالَى، ويؤيِّد ذَلِكَ ما وَرَدَ فِي زيارة الإمام الحسين الأولى وهِي صحيحة السند «... إرادة الربانية مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر مِنْ بيوتكم والصادر عمّا فُضِّل مِنْ أحكام العباد ...»(۱).

إذَنْ القُرآن الكريم فيه تنزيل أنبائي أيّ ما يخصّ النبوّة ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْـلَةٍ مُبْدَرِينَ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْـلَةٍ مُبْدَرِكَةً إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ ﴾ (٢).

وفيه تنزيل ولائي مرتبط بالإمامة والولاية ﴿ فِهَا يُفَرَقُ كُلُّ أَمَّرٍ حَكِيمٍ اللهِ اللهِ اللهُ الفُراَن ما يرتبط بولاية النَّبِيِّ عَلِيلًا مولاية النَّبِيِّ عَلِيلًا ولاية سيد الأوصياء الله والأئمة الملك .

⁽١) مفاتيح الجنان: ص٤٩٦.

⁽٢) سورة الدخان: الآية ٣.

⁽٣) سورة الدخان: الآية ٤.

القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي لإدارة شؤون الموجودات

إِنَّ فِي القُرآن الكريم بيانات أكِّدتها الآيات الْمُبَارَكَة، وهكذا اكِّدتها بيانات أهل البيت المِيُّ حاصلها:

إِنَّ القُرآن الكريم أُنزِل ليقود البشر والملائكة والجن وأنَّ الجنَّ مثلاً موجودات مِنْ نمط فيزيائي خاص وَمِنْ أيّ بيئة هُمْ، وكيف تُدار شؤونهم كُلِّ ذَلِكَ بيّنه القُرآن الكريم، وكذلك بيَّن القُرآن شأن الموجودات غَيْر المرئية وَهِيَ ما يُعبر عنها بالعلوم الغريبة، وكيف تُدار شؤونهم وما هُوَ المُناسِب لهدايتهم وبأي طريقة.

وأكَّدت وركَّزت بيانات أهل البيت المُثِلِا أنَّ قيادة القُرآن للبشر وغيره لا تقتصر عَلَى الجانب النظري والتنظيري، وَإِنَّهَا تتعدَّى قيادته إلى تبيان الجانب العملي لإدارة البشر وغيره تفصيلياً، وسيأتي التعرِّض في محله إلى قَاعدِة مُهمّة جدًا في نظام المعاني في القُرآن الكريم تحت عنوان: [هل القُرآن فيه تبيان لِكُلِّ شيء أو لا؟] ويجيب القُرآن عَنْ هَذَا التساؤل بقوله:

.٣٩. تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ﴿ وَمَامِنْ عَالِيمَ قِلْ السَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنْبِ مُبِينٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَالَمَ اللَّهُ السَّمَاءَ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنْبِ مُبِينٍ ﴿ اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّا اللَّالَّةُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّ

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم مودَعٌ فيه إدارة وتنظيم شؤون جميع الموجودات بها فيها البشر وغيره، إلَّا أنَّهُ مَنْ لَهُ القُدرة عَلَى استخراج ذَلِكَ؟ أنَّها ليست منهلاً لِكُلِّ ناهل، وَإِنَّها هِيَ مُشرَّعة ﴿ لَايمَشُهُ وَإِلَّا ٱلمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢) لأهل آية التطهير وَهُمْ مُحَمَّد وآل مُحمَّد المِيَّالِيْ.

نعم، صحيح أنَّ القُرآن الكريم مِنْ حَيْثُ الألفاظ المكتوبة أيّ مِنْ عَيْثُ اللفاظ المكتوبة أيّ مِنْ وَيْثُ ألفاظ التنزيل لا يزيد عَلَى ما بين الدفّتين في المصحف الشريف ولكن حقائق القُرآن ومنازله ومقاماته لا تنحصر بالمصحف الشّريف لألفاظ تنزيل القُرآن وَإِنَّما هُنَاك حقائق تكوينية غيبية كثيرة للقُرْآن، وكونه ذا حقيقة غيبية وَالَّتِي هِيَ الكتاب المبين، وأم الكتاب واللوح المحفوظ، والكتاب المكنون كَما في قوله تَعَالى: ﴿إِنَّهُ القُرْانُ كُرِيمٌ ﴿ ﴿ وَكُنْ مِ مَكْنُونِ وَالكتاب المكنون كَما في قوله تَعَالى: ﴿إِنَّهُ القُرْانُ كُرِيمٌ ﴿ ﴿ وَكِنْ مَكُنُونِ مَنْ لَا يَمَسُهُ وَاللَّهُ وَلَا تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ مِنْ أَنْ يَلُونُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَيْسَ هُوَ مَنْ الذَوب والرجس، وأنَّ المن الدفّتين مِنْ القُرآن تنزيلٌ ونزول مِنْ ذَلِكَ المقام العلوي لَهُ وَلَيْسَ هُوَ مَا يَنْ اللَّهُ الحقائق.

⁽١) سورة النمل: الآية ٧٥.

⁽٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٣) سورة الواقعة: الآية ٧٧_٨١.

١ _ فِي قوله تَعَالَى: ﴿ بَلْ هُوَقُرُ ءَانُّ تَجِيدٌ ١ ﴿ فِي لَوْجٍ تَحْفُوظٍ ١ ﴿ ١ ﴾ (١).

فوصف القُرآن بالمجد والعظمة لكينونته العلوية، أيّ أنَّ المجد والعظمة وصف لذلك الوجود ولا يُغرِق الباري تَعَالَى فِي وصف موجود بالعظمة إلَّا لخطورة موقعيته فِي عالم الأمر والخلقة، وتلك الكينونة هِيَ المسهّاة باللوح المحفوظة، والوصف بلفظ المحفوظ مَعَ لفظ المكنون مترادف.

٢ _ في قوله تَعَالَى: ﴿ حمّ () وَالْكِتنبِ الْمُبِينِ () إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَ الْاعْرَبِيَّا لَعَلَيْهُ مَّرَءَ الْعَرَبِيَّا لَعَلَيْهُ مَعْقَلْنَهُ قُرْءَ الْعَرَبِيَّا لَعَلَيْ عَلَيْهُ () ﴿ الْعَلَيْمُ اللَّهُ ﴿ الْعَلَيْمُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ الْعَلَيْمُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

فوصف القُرآن بان لَهُ كينونة فِي أُمّ الكتاب وَهِيَ وجود علوي لَدُني عنديَّ لدى الباري تَعَالَى، وَهَذَا الوجود موصوف بالعلوِّ والإحكام فِي قبال التفصيل الذي طرأ عَلَى القُرآن حين النُّزول، كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِثْنَهُم بِكِئَبِ فَصَّلْنَهُ عَلَى عِلْمِ هُدًى وَدَحْتَ لَي لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى عِلْمِ هُدًى وَدَحْتَ لَي لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

٣ فَصِلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ
 خَبِيرٍ (١٠٠٠).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ هَلَاا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَئ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ

⁽١) سورة البروج: الآية ٢٥.

⁽٢) سورة الزخرف: الآية ٤.

⁽٣) سورة الأعراف: الآية ٥٢.

⁽٤) سورة هود: الآية ١.

٣٩٧ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِنْبِ لَا رَبِّ فِيهِ مِن زَبِّ ٱلْعَلَمِينَ (اللهُ اللهُ اللهُ عَلَمَ اللهُ اللهُ

فَالقُرآن النازل هُوَ تفصيل ونجوم للكتاب العلوي، ويشير إلى الوجودالعلوي للقُرْآن قوله تَعَالَى: ﴿حَمْ اللهُ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ اللهُ الْمَانِينِ اللهُ الْمَانِينِ اللهُ الْمَانِينِ اللهُ اللهُ

وقوله تَعَالَى: ﴿ قُل لَوْكَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَٰتِ رَقِّ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن نَنفَدَ كَلِمَنتُ رَبِّ وَلَوْجِنْنَا بِمِثْلِهِ عَمَدَدًا ﴿ الْنَا ﴾ (٣) إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الآيات.

وبالتالي فَإنَّ حقائق القُرآن ومنازله لا تنحصر بألفاظ التنزيل المتمثلة بها يقرب مِنْ سبعة آلاف آية بـ (١١٤) سورة وَإِنَّها ذاك مقام غيبي ـ أيّ حقائق القُرآن.

فَإِنَّ تلك المنازل والمقامات العديدة في القُرآن عبارة عَنْ نظام وكيان تكويني حقيقي لإدارة شؤون البشر وغيره ولا تنحصر بالتنظير وإبراز النظريّات، بَلْ القُرآن عبارة عَنْ منظومة إلهية حاكمة وهيكل تكويني منظومي لحكومة إلهية عَلَى الأرض تشمل الجانب التنظيري والتطبيقي العملي وغيرهما.

وأنَّ هَذَا الفهم الذي بيَّنته روايات أهل البيت الكِلْمُ (١) مِنْ فَهُمْ

⁽١) سورة يونس: الآية ٣٧.

⁽٢) سورة الدخان: الآية ١ ـ٣.

⁽٣) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

⁽٤) والذي بيّناه في ج١ مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى الْمُحْكَمات فِي القُرآن فضلاً عَنْ المُتشابهات، للشيخ مُحمَّد السند (حفظه الله) وأنَّ القُرآن كتاب هداية قيادية للموجودات، وَأَنَّهُ لِيُسَ مُجَرَّد تنظير فَقَطْ.

القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي المذاهب الإسلاميّة الأُخْرَى الَّتِي آمنت بأنَّ القُرآن الكريم مُجرَّد مصحف شريف ولا يزيد عَلَى ما بين الدفّتين، وَلَمْ تؤمن تلك المذاهب الإسلاميّة وَلَمْ تعتقد بحقائقه ومقاماته الغيبيّة ومنازله الملكوتيّة، وسبب هَذَا الفهم السقيم هُوَ الابتعاد عَنْ مدرسة أهل البيت اللَّيِ الَّتِي بيَّنت أنَّ حقائق القُرآن ومقاماته كثيرة - كَمَا مَرَّ - يظهر مدى خطورة الولاية فِي قاعدة أسباب النُّزول وَهُوَ مما يرسم ويمثل خطورة الولاية فِي منهج التفسير أيّ منهج أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي تفسير القُرآن فيُبيِّن مَدَى تأثير محور الولاية فِي أعراء هُوَاعِد هَذَا المنهج التفسيري.

وَكَهَا مَرَّ أَنَّ الغرض مِنْ التأكيد عَلَى منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَهَاتِ فِي تفسير القُرآن؛ لِإِنَّهُ منهج ذو أبعاد وتداعيات مُهمّة جدًا وخطيرة وأحد قواعده قَاعدة أسباب النُّزول؛ لِإِنَّهُ إِذَا لَمْ نجعل نظام تفسير القُرآن هُوَ فَهُمْ ومعرفة القُرآن، وأنَّ القُرآن فيه مقامات مِنْهَا مقام ولاية الله وولاية الرسول عَنِي والله البيت المَيِّنِ، وأنَّ الحاكمية بمعنى أنَّ قدرة سلطة القُرآن تكوينية وليست تصديقية فَقَطْ، فَقَدْ يُصَدِّق بها الإنسان أو يجحدها بدليل ما جاء في سورة الدخان ﴿حَمْ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ وحكمة وتقسيم الأرزاق وكتابة الآجال والحوادث تَعَالَى لَهُ حكم وإدارة وحكمة وتقسيم الأرزاق وكتابة الآجال والحوادث التي ستحدث عَلَى البشر والملائكة والجن والشجر والحيوان وغيرها؛ فَإنَّ

⁽١) سورة الدخان: الآية ١ ـ٣.

٣٩٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث كُلّ تلك الملفات تُقدَّر في ليلة القدر، وأنَّ إدارة الأحداث التكوينية للموجودات لها صلة بالقرآن الكريم.

القرآن يمتنع تفسيره بمجرد النبوة

مِن دون بعد الولاية في النبي وعترته:

ولذا لو لَمْ نفهم حقيقة القُرآن سنظنّ بأنَّ مغزى أسباب النُّزول فِي القُرآن هِيَ غايات تنظيرية فَقَطْ.

وَعَلَيْهِ فلا يستطيع أيُّ مُفسِّر أنْ يخوض فِي بيان المقامات التكوينية الغيبية فِي القُرآن إذَا اقتصر عَلَى الجانب الأوَّل، وَهُوَ التنظير ـ النبوّة ـ بَلْ لابُدَّ لَهُ ولأجل أنْ يُبيِّن أكبر عدد مِنْ المقامات الغيبية أنْ يخوض فِي الجانب الثطبيقي أو الحقائقي. الثَّانِي، وَهُوَ بَعْدَ الولاية سواء بالجانب التطبيقي أو الحقائقي.

إذْ لا يتسنى لَهُ معرفة أيّ مقام أو منزل فِي القُرآن، أو يعرف علم إدارة الدول أو علم إدارة الوزرات أو العلم النظري وغيرها إلّا بملاحظة البُعد الثّاني.

ولذا فَإِنَّ القُرآن كتاب جامع مانع _ إِنْ صحَّ التعبير _ فلا تُحصّر قيادته وتنظيمه بالبشر وحصره بذلك عَلَى ما تظنّ أو تتوهمه بَعْض المذاهب أو المدراس الإسلاميَّة نتيجة ابتعادهم عَنْ مدرسة أهل البيت المَيِّكُ ﴿ وَلَوَ أَنَّ قُرْءَ انَا سُيِّرَتَ بِهِ ٱلْمَوْتَيُّ ﴾ (١).

⁽١) سورة الرعد: الآية ٣١.

القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي

بتقريب: لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ (لو) حرف امتناع وَإِنَّمَا هَذِهِ شؤون القُرآن وربط تسيير الجبال، وتقطيع الأرض أو تكليم الموتى أو ... الخ بالقرآن ما ذاك إلَّا دليلٌ عَلَى أنَّ القُرآن لَهُ ارتباط بكُلِّ هَذِهِ الأُمُور ﴿ تِبْيَكَنَا لِكُلِّ هَنِهِ الْأُمُور ﴿ تِبْيَكَنَا لِكُلِّ هَنْءٍ ﴾ وتقديره وتدبيره.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ لَوَ أَنزَلْنَاهَذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلِ لَرَأَيْتَهُۥ خَشِعًا مُتَصَدِعًا مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَيَلْكَ ٱلْأَمْثُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَفَكَرُونَ (١٠) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مِعَكَلَهُ دَكَا ﴾ (٢) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مِعَلَهُ وَكُلَّهُ مَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ الللَّهُ الللَّلْمُ الللَّا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

بتقريب: أنَّ الصِّلة بين خشوع وتصدّع الجبل وجعله دكاً وإرسال الرياح لواقح وغيرها مِنْ الحقائق الَّتِي يُبيّنها القُرآن الكريم فِي مجالات شتّى، وسواء فِي الأرض أو السّهاء أو عوالم أُخرَى ما ذاك إلَّا لبيان وتأكيد ارتباط القُرآن بتلك الأُمُور وهدايتها، وأنَّ هداية القُرآن التكوينيّة وَهِيَ الولاية غَيْر مقتصرة وَغَيْر مختصّة بالبشر فَقَطْ، وَإِنَّها تتعدّى إلى سائر المخلوقات، وَلَمْ تتبيّن هَذِهِ النكات العلميّة والصناعيّة بشكل واضح إلَّا مِنْ خلال معرفتها مِنْ بيانات أهل البيت المِيَّلِ، وقطع ثمرتها بواسطة أومن خلال المنهج التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المتشابهات ولا يُفهم مِنْ هَذَا أننا نريد تشطيب وتهميش باقي المناهج

⁽١) سورة الحشر: الآية ٢١.

⁽٢) سورة الاعراف: الآية ١٤٣.

⁽٣) سورة الحجر: الآية ٢٢.

٣٩٣...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

التفسيرية، وَأَنَّهَا لا ثمرة فيها كالتفسير الموضوعي، أو تفسير القُرآن بالقرآن، أو التفسير التجزيئي أو الأدبي أو الإشاري أو اللطائفي أو الأنفسي أو تفسير أسباب النُّزول وغيرها، بَلْ لها فوائد وثهار تستثمر، ولكن مِنْ الخطأ أنْ نجعلها هِيَ المدار وَأَنَّها هِيَ المنهج المُهيمن.

وَإِنَّمَا إِذَا أَرِدِنَا أَنْ نَعْرِفُ المَدَارُ وَعَمُودُ خَيْمَةً فَضَاءَ القُرآنُ كَمَنْهُجِ فَهُوَ كَمَا بِينَهُ مُسَعِدَةً بِنَ صَدَقَةً عَنْ الإمامُ الصَّادِقَ لِللَّٰإِ: "إِنَّ الله جعلُ ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستديرُ محكم القُرآن وبها نوّهت الكتب ويُستبين الإيهان»(١).

والمُلفت في بيان هَذِهِ الرُّواية الشَّريفة أنَّهَا لَمْ تجعل النبوّة فِي الْنَبِيَّ عَلَيْكُ وَعَمَرته هُوَ قطب الرحى، وَهَذَا أَمر بالغ العظمة والخطورة فِي حقيقة القُرآن، وإذا كَانَ هَذَا الحال فِي القُرآن، فَإذا كَانَ هَذَا الحال فِي القُرآن، فكذلك الحال فِي قطبيّة الولاية للكتب السّهاوية السابقة.

وعنوان أهل البيت الله ينطبق بالمرتبة الأولى عَلَى سيد الأنبياء عَلَى أُمير المؤمنين الله سيد الأوصياء على بن أبي طالب الله مثم الحسنين ثمَّ المستعة المعصومين الله وقد أسند الولاية إلى أهل البيت الله وقال: «ولايتنا أهل البيت الله وأنَّ الله جعل الولاية المجموعيّة لأهل البيت المهل البيت القرآن الله بعل الولاية المجموعيّة لأهل البيت المهل عن اختلاف مراتبهم قطب القُرآن وقطب جميع الكتب الساوية السبع، وعَلَيْهَا يدور محكم القُرآن أيّ النقطة وقطب جميع الكتب الساوية السبع، وعَلَيْهَا يدور محكم القُرآن أيّ النقطة

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ باب فضل القُرآن.

القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي المركزية فيه ونظم نظام المحكم هُوَ بتوسّط ولاية أهل البيت المهلا و إلّا لا نفرط وتشتت محكم القُرآن.

كُمَا أَنَّ ظَاهِرِ كَلَامِهُ اللَّهِ، أَنَّ الكتب السهاوية السابقة عمدة ما نوّهت به هُوَ ولايتهم وأنَّ الإيهان إنَّما يستبين بولايتهم وَكُلِّ ذَلِكَ بيان لركنيّة ولاية الْنَبِي عَيِّلِهُ وعترته اعظم مِنْ جهة الأنباء والنبوّة فِي الْنَبِي عَيِّلِهُ.

وبذلك يتحصّل أنَّ قوام حقيقة القُرآن بولاية الْنَبِي عَلَيْلُهُ وعترته أعظم مِنْ حيثية النبوّة والأنباء فِي الْنَبِيّ عَلَيْلُهُ

وَهَذَا سُواءٌ فُسِّرت النبوّة بأنباء الْنَبِي عَيَّا لِلآخرين فالأمر واضح وأنَّ ولاية الْنَبِي عَيَا لَهُ أعظم رتبة مِنْهُ مِنْ مقام إنبائه للآخرين، أو فُسِّرت النبوّة بمقام تلقي الْنَبِي عَيَا لَهُ للوحي فِي بُعد البصر الباطن، فَإنَّ التلقي، إنَّما هُو مِنْ الدرجات العاليّة مِنْ ذاته عَيَا لَهُ وَأَمَّا الدرجات العاليّة مِنْ ذاته عَيَا لَهُ فَهُو فِي مقام التمكين والقدرة وَهُو ولاية، أو فُسِّرت بالتلقي فَإنَّ التلقي يَكُون بالإلهام ونحوه أوسع مدى مِنْ الرؤية البصرية.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قُولُه تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحَيُّ يُوحَىٰ ﴿ اَعْظُم مَقَاماً فِي شَأْنَ النَّبِي ﷺ مِنْ الوصف الآخر ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ اَيَنتِ رَبِهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿ اللَّهُ وَالَّهُ مِنْ الوصف الآخر ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ الوحي أعظم وأعلى شأناً مِنْ وَالَّتِي هِيَ النبوّة، فَإِنَّ بَقيَّة أَنهاط وأنواع الوحي أعظم وأعلى شأناً مِنْ الرؤية، وينطوي فيها ما لا ينطوي فِي الرؤيا، ألا ترى أنَّ الْنَبِيّ إبراهيم اللَّهِ الرؤية، وينطوي فيها ما لا ينطوي فِي الرؤيا، ألا ترى أنَّ الْنَبِيّ إبراهيم اللَّهِ

⁽١)سورة النجم: الآية ٤.

⁽٢) سورة النجم: الآية ١٨.

٣٩٨..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث نال النبوة أوَّلاً ثمَّ الخلَّة والرسالة ثانياً، ثمَّ الإمامة ثالثة.

والخلاصة إنَّ منهج الأمومة التفسير المختار لَيْسَ فَقَطْ هُوَ مركز لمعاني عديدة، وَإِنَّهَا هُوَ أصل منظومي تناسجي مترابط وفيه تلاحقٌ وتعاقبٌ لمعادلات هندسية كثيرة، كُل ذَلِكَ تحت عنوان أمومة ﴿ هُو ٱلَّذِى ٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِنْبَ مِنْهُ ءَايَنَ ۗ مُحَنَّ هُنَّ أُمُ ٱلْكِنْبِ ﴾ (١) فمثلما المُحْكَمات لها أمومة عَلَى ما دونها وَهِي المتشابهات كَذَلِكَ المُحْكَمات لها أمَّ وَهِي الولاية، فحينئذِ نستطيع أَنْ نفهم أَنَّ القُرآن كتابٌ نبوّة - تنظير - أيّ يريهم الطريق، وكتاب ولاية - تطبيق - أيّ يأخذ بيدهم وحاكم وَأَنَّهُ كتاب هداية أرائية للبشر، وكتاب هداية إيصاليّة أيّ يوصلهم إلى السّعادة المنشودة.

نعم، القُرآن فيه تَعَرِّضُ لبنود كثيرة جدًّا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها ﴾ (٢).

وبذلك تبيَّن أنَّ حقيقة القُرآن بالولاية وتنزيله فِي أحد بعديه بالنبوة وتبيَّن سابقاً الفرق بين الولاية فِي الْنَبِيَّ عَلَيْلًا وبين النبوّة فيه عَلَيْلًا هِي فرق الحقيقة والتنزيل، وَهَذِهِ الولاية الَّتِي عِنْدَ الْنَبِيِّ عَلَيْلًا ورّثها عترته مِنْ أهل بيته المِيُكُا.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

⁽٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.

القاعدة التاسعين(١)

قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر تأويل كل شيء نهايته وغايته وما يؤول إليه طبقات المعنى التأويلي كلها تندرج في الظهور

التفسير التأويلي لأهل البيت جله معالجة للظهور:

تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِة أسبابِ النَّزول إنَّ اختلاف مدرسة أهل البيت المَيْكِ عَنْ بَقيَّة المدارس الإسلاميَّة فِي حقيقة مورديّة مورد النَّزول أوقع الكثير مِنْ الباحثين فِي الخلط بسبب المزج بين المنهاجين، وعدم إحاطة المدارس الإسلاميَّة الأُخرَى بحقيقة مورديّة النُّزول، كَمَا تعيه مدرسة أهل البيت المَيْكِ وابتعاد المدارس الإسلاميَّة الأُخرَى عَنْ منهاج مدرسة أهل البيت المَيْكِ وَلَد توهمٌ فِي تفسير الآيات والسِّياق فِي أسبابِ النُّزول، كَذَلِكَ الحال فِي وَاعِدَة قابليّة ظهور الكلام الواحد للتعدّد والتكثُّر، وإنَّ جُلُّ التفسير قاعية

⁽١) تَقَدَّمَ فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحكمات للشيخ مُحمَّد السَّند ص٣٠٣، والمقام الثَّالِث مبحث الظُّهور والتَّاويل، وَمِنْ باب إتمام الفائدة، نذكر هَذِهِ القَاعِدَة تتمَّة لما تقدَّم.

التأويلي لأهل البيت المَيِّلِا هُوَ فِي مُعالَجة الظُّهور، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الآيات لها عِدَّة ظهورات، بَلْ الآية الواحد لها ظهور مُتكثِّر، بَلْ لَعَلَّهُ فِي بَعْض الآيات يَكُون صدرها لَهُ ظهور فِي مَعْنَى ووسطها ظاهر فِي مَعْنَى ثانٍ، وذيلها لَهُ ظهور فِي مَعْنَى ثالث، بَلْ فِي جُملة منا لموارد الكلمة الواحدة مِنْ الجُملة لها ظهور فِي مَعْنَى يُختلف عَنْ بَقيَّة مُفردات الآية والجُملة الواحدة.

وهكذا الكلام في التأويل فَلَعَلَّ الآية الواحدة فضلاً عَنْ السورة لها عِدَّة تأويلات بُلْ اللَّفظة الواحدة مِنْ الجُملة لها تأويلات مُتعدّدة، ولَعَلَّ هَذَا مِنْ غرائب الأمور عَلَى مَنْ لَمْ يأنس بألوان وأنواع الاستعال التركيبي القُرآني بحسب ما نبَّه عَلَيْهِ أهل البيت المَيِّا، وبيَّنوا أنَّ مِنْ أكبر العوائق أمام البشر في فَهُمْ كلام الله تَعَالَى هُوَ البناء عَلَى أنَّ الكلام أو المفردة لها ظهور واحد أو تأويل واحد، وما وَرَدَ فِي الرُّوايات عكس ذَلِكَ تماماً فَإنَّهُ يمكن أنْ يتعدّد الظهور بلحاظ الآية وكلماتها، وَهُنَاك جُملة مِنْ الرُّوايات أكَّدت هَذَا المعنى.

مِنْهَا: رواية الفضل بن يسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفر النَّلِا عَنْ هَذِهِ الرُّواية: ما فِي القُرآن آية إلَّا ولها ظهرٌ وبطنٌ، وما فيه حرفٌ إلَّا وَلَهُ حدُّ، وَلِكُلِّ حدًّ مُطّلع، ما يعني بقوله: لها ظهرٌ وبطنٌ؟ قَالَ: ظهرُه وبطنه تأويله، مِنْهُ ما مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بعدُ يجري كَمَا تجري الشَّمس والقمر، كُلّما جاء مِنْهُ شيء وقع، قَالَ الله تَعَالَى ﴿ وَمَا يَمْ لَمُ تَأْوِيلُهُ وَ إِلّا اللهُ وَالرَسِحُونَ فِي الْمِنْهِ (١) نَحْنُ نعلمه.

⁽١) تفسير العياشي: ج١، ص٨٦ ح٥.

قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر......

وَمِنْهَا: رواية جابر، قَالَ: سألتُ أبا جعفر الله عَنْ شيء فِي تفسير القُرآن فأجابني ... وَهُوَ كلام يتصرَّف عَلَى وجوه (١٠).

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنين الله في احتجاجه عَلَى الزنديق .. وَمِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يَكُون تأويله عَلَى غَيْر تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به إنْ شاء الله تَعَالَى، ﴿ وَقَالَ إِنِي اللهِ عَلَى عَنْ إبراهيم اللهِ حَيْثُ قَالَ: فذهابه ذَاهِبُ إِلَى رَبِي ﴾ وَهُوَ حكاية الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إبراهيم اللهِ حَيْثُ قَالَ: فذهابه إلى ربِّه توجّهه إليه في عبادته واجتهاده ألا ترى أنَّ تأويله غَيْر تنزيله، وقَالَ ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِن اللهَ نَعْم مِن اللهَ عَلْم عَنْ اللهُ عَلْم مَن المُخَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ ﴾ وقَالَ: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِن اللهَ ذَلِكَ: خلقه إيّاه.

وكذا قوله ﴿ قُلَ إِن كَانَ لِلرَّمْـَانِ وَلَدُّ فَأَنَا ۚ أَوَّلُ ٱلْعَادِينَ ﴾ أيّ الجاحدين، والتَّأويل فِي هَذَا القول باطنه مضادٌ لظاهره.

وَمَعْنَى قوله ﴿ هَلَ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَكِكَةُ أَوْ يَأْتِى رَبُّكَ أَوْ يَأْتِى رَبُّكَ أَوْ يَأْتِى رَبِّكَ ﴾ (٢)، فَإِنَّما خاطب نبينا مُحمَّد الله هل ينتظر المُنافقون والمشركون إلَّا أَنْ تأتيهم الملائكة، فيعاينونهم، أو يأتي بَعْض آيات ربِّك يعني بذلك: أمر ربِّك والآيات هِيَ العذاب فِي دار الدُّنْيَا، كَمَا عَذَّب الأُمم السَّالفة والقرون الخالية، وَقَالَ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوُا أَنَا نَأْتِي ٱلأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ الطَرون فسيّاه إتياناً، وَقَالَ: ﴿ فَنَلَهُمُ اللَّهُ أَلَلُهُ مُأَلِلَّهُ أَلِلْهُ أَلِياناً، وَقَالَ: ﴿ فَنَلَهُ مُأَلِلَّهُ أَلِلًا اللَّهُ الللَّهُ الللَّا الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّ

⁽١) المصدر السَّابق: ص٨٧ ح٦.

⁽٢) سورة الأنعام: ١٥٨.

٤٠٢...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَقَدْ يَكُون بَعْض ظن الكافر يقيناً، وَذَلِكَ قوله ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّواْ أَنَهُم مُوَاقِعُوهَا ﴾ أيّ تيقنوا أنهم مواقعوها.

وأمَّا قوله فِي المُنافقين ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿ الْأَلَٰ اللَّهُ الْطَالُ () ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بيقين ولكنَّه شكُّ، فاللَّفظ واحِدٌ فِي الظَّاهر ومُخالف فِي الباطن (^() .

روى العيّاشي عَنْ أبي جعفر السَّلا، قَالَ: لَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية ينزل أولها فِي شيء ووسطها فِي شيء وآخرها فِي شيء، ثمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنصُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

(١) سورة التّوبة: الآية ٣٠.

⁽٢) سورة عبس: الآية ١٧.

⁽٣) سورة المُطفّفين: الآية ٤_٥.

⁽٤) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

⁽٥) الاحتجاج للطّبرسي: ج١، ص٣٠٢ و ٣٠٣ في احتجاج أمير المؤمنين عَلَى الزّنديق، وكذا المحاسن للبرقي: ص٣٠٠.

روى العيّاشي بسنده عَنْ جابر، قَالَ: سألتُ ابا جعفر السَّلِا عَنْ شيء في تفسير القُرآن فأجابني، ثمَّ سألتُه ثانية فأجابني بجوابِ آخر، فقلتُ جُعلتُ فداك كنتُ قَدْ أجبتَ فِي هَذِهِ المسألة بجوابِ آخر غَيْر هَذَا قبل اليوم، فَقَالَ لي يا جابر: إنَّ للقُرآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر لَيْسَ شيءٌ أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية لتكون أولها فِي شيء وآخرها فِي شيء، وَهُوَ كلام مُتّصِلٌ يتصرَّف عَلَى وجوه (٢).

وفي بصائر الدِّرجات .. عَنْ هشام عَنْ الهيثم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله اللهِ يا هيثم إنَّ قوماً آمنوا بالظَّاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظّاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا أيهان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر (٣).

وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُقدِّمة:

مَنْ يتتبَّع كلمات المُفَسِّرِين _ خاصَّة الإماميّة منهم _ فِي كيفية التّعامل مَعَ طبقات المعنى التّأويلي فِي الرُّوايات، سوف يجد منهجان أو مسلكان:

المسلك الأوَّل: وَهُوَ مسلك المشهور أو الأشهر، وتعامله مَعَ الرُّوايات الَّتِي تبدي معاني خفيّة أو باطنه الخفاء للآيات عَلَى أنَّها معاني تأويليّة محضة

⁽١) العيّاشي: ج١، ص٩٥ باب مَنْ فسَّر القُرآن بِرأيه: ح١.

⁽٢) المصدر السَّابق: ص٨٧ ح٨، باب تفسير النَّاسَخ والمنسوخ والظَّاهر والباطن.

⁽٣) تفسير البُرهان للفتوني: ص٢٢ عَنْ بصائر الدّرجات.

المسلك الثَّانِي: إنَّ المعاني التَّأُويليَّة تندرج فِي الظُّهور غاية الأمر أنَّ الظُّهور عَلَى مراتب وَهُوَ ما نعتمده (١) فِي علم أُصُول الفِقْه، وَأَنَّهُ لابُدَّ مِنْ التَّعامل مَعَ الرُّوايات التَّأويليَّة أنَّها محوريَّة وليست هامشيَّة وأنَّ المعنى التَّنزيلي ظلِّي وتبعي للمعنى التَّأويليِّ ثبوتاً، وإنْ كَانَ إثباتاً المعنى التَّنزيلي طريق للوصول إلى المعنى التّأويلي، وبعبارة أُخْرَى المعاني التّأويليّة تندرج في الظُّهور، غاية الأمر أنَّ الظُّهور عَلَى مراتب، كَمَا تقدَّم مُفصَّلاً (٢) وأنَّ تعدّد الظُّهور أمر لَيْسَ بغريب، كَمَا قرّره عُلَمَاء البلاغة والأدب وَالأُصُول وغيرها، منهم الشَّيْخ المفيد والطوسي وَالسَّيِّد المُرتضي والمُحقِّق الحلِّي وغيرهم، فَالسَّيِّد الْمُرتضى فِي كتابه الشافي ذكر ما حاصله: مِنْ أنَّ دلائل القُرآن يقينيَّة وقطعيَّة عَلَى إمامة أمير المؤمنين اليُّلَّا بنصَّ التَّنزيل فضلاً عَنْ التَّأُويلِ الذي هُوَ مِنْ ظهورِ القُرآن بنحو قطعي، وإنْ كَانَ هُنَاك جماعة مِنْ الصُّوفية يُؤمنون بإمامة أمير المؤمنين اللهِ وَأنَّها تأويليّة وليست تنزيليّة، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي زيارة الإمام الهادي اللِّهِ لجدّه أمير المؤمنين اللَّهِ يَوُم الغدير، وأنَّ إمامة جدّه أمير المؤمنين المُثِلا نزل بها التّنزيل، أو نَصَّ عَلَيْهَا التّنزيل [... وأشهدُ أنَّكَ أمير المؤمنين الحقّ الذي بو لايتك التنزيل ...].

⁽١) أيّ مسلك شيخنا الأُستاذ مُحمَّد السند حفظه الله فِي علم اصول الفِقْه.

⁽٢) رَاجع تفسير أمومة الولاية والمُحكمات فِي القُرآنَّ ج١ للشيَّخ مُحَمَّد السند حفظه الله مبحث التَّأويل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ السَّيِّد المرتضى حكم بإسلام المُخالف رغم أَنَّهُ لا يقرّ بولاية أمير المؤمنين اللهِ في حين إنّنا نقول بيقينيّة نصّ تنزيل القُرآن الكريم بإمامته وولايته اللهِ وَمَعَ ذَلِكَ لا يُحْكَم بكفر الذي لا يَقرُّ بإمامة ولاية أمير المؤمنين اللهِ بلانَّة تلبيس مِنْ الظّالمين الَّذِيْنَ استولوا عَلَى الحكم في بيئة النقافة الإسلامي هُو الذي سَبَّبَ في محاولة الثقافة الإسلاميّة والسجال العلمي الإسلامي هُو الذي سَبَّبَ في محاولة طمس هَذِهِ الأنوار البينة الناصعة في القُرآن؛ لا أنَّها زالت، بَلْ هِيَ لا تزال تلك الأنوار موجودة ومُستمرة إلى يَوُم القيامة، إلَّا أنَّ البعض يحاول بائساً وضع العراقيل ويصنع عقبات وسُحُب سوداء تحجب النَّظر عَنْ الآخرين.

هَذَا مُضَافَاً إلى أَنَّ الولاية ليست مَعْنَى ظاهر أولي فِي هَذَا الوقت مِنْ السنين وإنْ كَانَ كَذَلِكَ عِنْدَ نزول القُرآن، باعتبار أَنَّ أُسس الدِّين تُبِنى بالحكم الأولي لا بالحكم الثانوي، وإنَّ دور الحكم الثانوي شبيه بحالات الطواري والمُعالجات في حالة الطواريء ليست مُؤسسة عَلَى الدُّوام لا تكويناً ولا تشريعاً، ولأجل إلقاء الشُّبهة مِنْ الغاصبين والمُلبسين وعدم ترتيب سور وآيات القُرآن كَمَا أُنزِل، وَإنَّها رتبت آياته مكيّاً ومدنيّاً وما شابه ذَلِكَ.

عَنْ داود بن فَرْقَد، عمّن أخبره، عَنْ أبي عبدالله اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ أنزل، لألفيتنا فيه مُسمّين (١).

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٩ باب ما عنى به الأثمة اللِّي مِنْ القُرآن ح٤؛ بحار الأنوار: ج٩٢ ص٥٥.

٤٠٦..... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

وَقَالَ سعيد بن الحسين الكندي، عَنْ أبي جعفر النَّلِا _ بَعْدَ مُسَمَّين _ كَمَا سُمِّي مَنْ قبلنا (١٠).

وبالتّالي فَإِنَّ إلغاء الشُّبه ضيَّع هَذَا التِّرتيب للظُّهور بحسب النُّزول عَلَى كثير مِنْ المسلمين، فَمِنْ أُدلَّة ولاية أمير المؤمنين الطِّلِا هُوَ بنصّ القُرآن، وبالظُّهور إلَّا أَنَّهُ خُفي أُو أُخفي، ولكن لا مانع مِنْ أَنْ يَكُون قطعيًا وضروريًا رغم أَنَّهُ خفي.

والغرض مِنْ استعراض هَذَا المطلب لِلْسَّيِّد الْمُرتضى فِي كتابه الشَّافي ـ هُوَ لأجل الإشارة إلى أنَّ الباحث الكريم إذَا لَمْ يُتقِن هَذِهِ المطالب والبحوث مِنْ عِدَّة زوايا كزاوية قَاعدِة علم التّفسير، واصول الفِقْه، والكلام وغيرها فَإنَّهُ لَمْ يُخرج بنتيجة رصينة ومقبولة وأنَّ الظُّهورات عَلَى مراتب.

توضيح أكثر:_

لو أخذها مثالاً عَلَى صعيد قالب الظُّهور فَقَطْ فسوف نجد لَهُ عِدَّة مداليل قَدْ تصل إلى الخمسة مداليل أو الستّة، وَقَدْ لا تكون هَذِهِ المداليل المتعددة متطابقة فنحتاج إلى تكلف التأويل، فلو أُريد التعريض بإنسان بخيل فنلاظ وجود عِدَّة مداليل وعِدَّة دلالات:

١) دلالة ومدلول تصوري.

⁽١) المصدر السابق: ح٥.

- ٢) دلالة ومدلول استعمالي.
- ٣) دلالة ومدلول تفهيمي.
- ٤) دلالة ومدلول جدّي وَهِيَ عَلَى أقسام.
 - ٥) دلالة مدلول جدّي مطابقي.
- ٦) دلالة مدلول جدّي التزامي، والالتزامي عَلَى أقسام.

وَهَذِهِ المداليل قَدْ تكون مطابقتها وأمثلتها واضحة فِي علوم البلاغة، وَقَدْ لا تكون واضحة.

فإذا عُرَّض بالبخيل بإنْ يُقَال لَهُ: زيد كثير الرَّماد، فنلاحظ عِدَّة مداليل:

1) المدلول التصوري وَهُوَ الرماد، وَلَيْسَ الْمُرَاد إفهام مَعْنَى الرَّماد، وَإِنَّمَا الْمُرَاد هُوَ إفهام معناه التصوري، بَلْ أَنَّ باب الاستعمال فِي أكثر مِنْ مَعْنَى يبتدأ مِنْ صوت الكلمة، كَمَا فِي الشِّعر الشَّعبي الدارج ـ المعروف بالحسجه ـ مثل «يراعي الثار ما يظهر علامه ** وينشر لليتانونه علامه» فضلاً عَنْ الاشتراك فِي الوضع، فَيكُون مِنْ تعدد الاستعمال للصوت الواحد فِي اصوات مُتعددة، وَمِنْ باب استعمال الصُّوت فِي أسماء كلمات عديدة، أو مِنْ باب الاشتراك اللَّفظي فَيكُون مِنْ باب استعمال اللَّفظ فِي عددة معاني تصوريّة، أو مِنْ باب استعمال المعنى التصوري فِي عِدَّة معاني عِدَّة معاني استعماليّة، وَهُوَ المبحث المعروف لدى الأصوليين استعمال اللَّفظ فِي أكثر منْ معنى كَمَا نصَّ البلاغيون عَلَى جوازه فِي مبحث الكفاية ونحوها فِي منْ معنى كَمَا نصَّ البلاغيون عَلَى جوازه فِي مبحث الكفاية ونحوها فِي

8.4.....تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث التّعريض.

فضلاً عَنْ استعمال المعنى الاستعمالي فِي عِدَّة معاني تفهيمية، وَكُلَّ هَذَا التعدّد فِي الصُّوت والمعنى التّصوري والتّفهيمي فِي عَرَضٍ واحد.

وكذلك استعمال المعنى التّفهيمي فِي عِدَّة معاني جديّة فِي عرض واحد فضلاً عَنْ الاستعمال المُتكثِّر طوليّاً.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تعدّد تركيب الظُّهور مِنْ هَذَا الباب الواسع.

٢) المدلول التّصوري الاستعمالي، وَهُوَ آلة الطّبخ.

٣) المدلول التّصوري التّفهيمي، وَهُوَ الكرم.

٤) المدلول التّصوري الجدّي: أنَّ زيداً بخيلٌ.

٥) المدلول الجدّي المطابقي وما وراءه مِنْ طبقات جديّة ورائيّة خفيّة.

٦) المدلول الجدّي الالتزامي وَهُوَ عَلَى درجات.

وبناءاً عَلَى قَاعدِة استعمال اللَّفظ فِي أكثر مِنْ معنى (١) فَإِنَّ الكلام والحد - كَمَا مَرَّ - يتحمّل مداليل مُتعدِّدة كُلِّ مِنْهَا مُستعمل فِي صعيد طبقة المعنى التصوري، أو المعنى الاستعمالي، أو المعنى التفهيمي، او الجدي وغيرها.

وَكُلَّ هَذَا التَّعدّد فِي اختلاف معاني الطّبقات مُتباينٌ فيها بينها بنحو أنَّ

⁽١) تَقَدَّمَ بحثها فِي تفسير أمومة الولاية: ج١ للشَّيخ مُحمَّد السند.

كيف يكون المعنى التأويلي من الظهور:

هُنَاكَ تساؤلٌ مِنْ قبل أصحاب المسلك الأوَّل ـ القائلين بأنَّ المعاني التَّأويليّة غَيْر مُرتبطة بشؤون قالب الظُّهور ـ عَنْ كيفية ارتباط المعنى التَّأويلي بالظُّهور مَعَ أنَّ التَّاويل خفيٌّ.

الجواب: إنَّ ذَلِكَ خَفي عَلَى مَنْ لَمْ يعلم القرائن وَلَمْ يقف عَلَى الشواهد المُؤدّية مِنْ الظُّهور الأولي إلى المعنى الخفي، وَأَنَّهُ ظهور تعبدي بخلاف مَنْ وقف عَلَى الشَّواهد والقرائن المؤدّية مِنْ مَعْنَى الظُّهور الأوَّلي إلى المعنى الثَّاني والنَّالث والرَّابع و ... الخ فَإنَّهُ يَكُون ظاهراً، وأنَّ هَذِهِ مِراتبٌ فِي الظُّهور والامتناع فِي تعدّد مراتب الظُّهور، بَلْ يتعدّى ويتوسّع الأمر إلى علم الفِقْه والاصول والتّفسير وغيرها مِنْ أنَّ الظُّهور - كَمَا هُوَ الصّحيح عَلَى ما نختاره ونبني عَلَيْهِ قابل للتعدّد، وأنَّ المعنى التّأويلي بالدقّة الصّحيح عَلَى ما نختاره ونبني عَلَيْهِ قابل للتعدّد، وأنَّ المعنى التّأويلي بالدقّة من الظُّهور، غاية الأمر أنَّ المعنى التّأويلي هُوَ مِنْ طبقات الظُّهور - كَمَا سوف يتّضح بَعْدَ ذَلِكَ - .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الكلام (١) فِي بحث عِدَّة قَواعِد: _

⁽١) تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات: ج١، الشَّيْخ مُحمَّد السَّند.

. ٤١ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

مِنْهَا: قَاعدِة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى.

وَمِنْهَا: قَاعدِة مَعْنَى التّأويل والباطن والظَّاهر.

وَمِنْهَا: قَاعدِة الجري فِي التّعبير لا التّطبيق وَالَّتِي تدلُّ عَلَى أنَّ الآية تجرى في المعاني كَمَا تجري المصاديق كَمَعْنَى وكمُراد لا أنَّهُ شيء أجنبي عَنْ المُرَاد، خلافاً لما ذهب إليه السَّيِّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي في الميزان وَالسَّيِّد الخوتي في تفسيره البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزواري في مواهب الرحمن وغيرهم فسّروا قَاعدِة الجري في التّعبير لا التّطبيق وأنَّ الْمُصداق خارج عَنْ شؤون قَالَب المعنى والدِّلالة، وَأَنَّهُ تطبيق مصداق لا صلة لَهُ بقالب المعنى، وبعبارة أُخْرَى إنَّ قَاعدِة الجري لَيْسَ هُوَ الجري في التطبيق كَمَا فسَّره ذَلِكَ أعلام هَذَا العصر، وَهِيَ قَاعِدِة فِي الأصل مأثورة عَنْ أئمة أهل البيت الطُّلاِ، وَهُمْ الأعلام قَدْ فسّروها فِي التّطبيق أيّ جري قالب المعنى الواحد في مصاديق مُتعدِّدة، بينها قَاعدِة الجري المأثورة هِيَ فِي الحقيقة جريٌّ فِي التَّعبيرِ أيِّ العبور مِنْ مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، وجري اللَّفْظ مِنْ مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، أو مِنْ حقيقة إلى حقيقة، أو مِنْ حقيقة إلى مَعْنَى، أو مِنْ حقيقة إلى مصداق، فتكون قَاعدِة الجري باب واسع لكثرة استعمال اللَّفْظ فِي المعاني.

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ الغاية الكبرى للمُتكلِّم هُوَ الحقيقة الكبرى، وباعتراف هؤلاء الأعلام (رحمهم الله) الثلاثة وغيرهم فكيف يَكُون المصداق الاكبر خارج عَنْ مراده مِنْ الكلام، وتقدم كُلِّ ذَلِكَ مُفَصَّلاً فِي

وَمِنْ مجموع ما تَقَدَّمَ مِنْ القَوَاعِد اتَّضح التأكيد والتَّركيز فيها عَلَى أَنَّ الرُّوايات التَّأويليّة لا تُشير إلى مَعْنَى أجنبي عَنْ ظهور الكلام، وَإِنَّمَا تشير إلى أنَّ المعاني التَّأويلية وكيفية استخراجها وانتزاعها مِنْ اللَّفْظ وشؤونه المُختلفة هِيَ أحد درجات الظُّهور ومراتبه، فَهِيَ بالتَّالِي تُعالج مراتب الظُّهور، كَذَلِكَ مُعالجة المعنى التَّأويلي لِكُلِّ آية لا يشير إلى مَعْنَى أجنبي عَنْ اللَّية، فمثلاً ما يذهب إليه السَّيِّد العلّامة الطباطبائي مِنْ أَنَّ المُرَاد بالتَّأويل اللَّية، وَأَنَّهُ لا صلة لَهُ بقالب مَعْنَى الآية. هُوَ التَّحقّق الخارجي العيني لمعنى الآية، وَأَنَّهُ لا صلة لَهُ بقالب مَعْنَى الآية.

فيُلاحظ عَلَيْهِ: إِنَّ غاية غايات المُتكلِّم هُوَ المُصداق الأعظم والأهم في مقام تحقّق هويّة المعنى، وإذا كَانَ أكمل المصاديق هُوَ أهم شيء عِنْدَ المُتكلِّم فكيف نجعله بعيداً عَنْ محوريّة الكلام، وَلَيْسَ هُوَ أَسُّ الأساس، بَلْ حَتّى لو تنزّلنا مَعَ ما يذهب إليه السَّيِّد العلّامة الطباطائي مِنْ الجمُود عَلَى الإطار العام وعدم إرادة الوجود العيني الخارجي لمعنى الآية بإنْ كَانَ المعنى مرآةُ للفظ، وَاللَّفْظ مرآةً للمعنى وبالتالي يَكُون فِي عالم الدلالة أراءة للخارج، وحينئذِ يَكُون للمعنى صلة بالدلالة.

وَمِنْ كُلِّ هَذَا يُعْلَم أَنَّ الحقيقة الخارجيّة ليست خارجة عَنْ الدلالة والمدلول _ كَمَا هُوَ الصحيح _ ولو بتوسّط الأراءة والوجود الحكائي الذّهني.

وَمِنْ خلال مَا تَقَدَّمَ كُلَّهُ يُعْلَم أَنَّ التّأويل بدرجاته الْمُترامية عرضاً

وطولاً عَنْ شؤون الظهور المُتكثّرة والمتنوّعة لَيْسَ خارجاً عَنْ حاق قالب الظُّهور، بَلْ هُوَ ـ التأويل ـ مِنْ مراتب ومدارج الظُّهور.

فمثلاً: المرآة الواحدة يمكن أنْ ينعكس فيها حكايات عَنْ أوجه عديدة للشّاخص في مقابلها، وَكُلّما لاحظت زاوية تجد وجها مُختلفاً للحكاية والمحكي غَيْر الزاوية الأُخْرَى، هَذَا فضلاً عمّا لو كَانَت المرآة ذَاتَ تكعّبات عديدة، فَإِنَّ انعكاس الصور يتكاثر بتنوّعها، وكذلك التكثّر في المرآة الواحدة في المشهد الواحد بلحاظ الأنوار المُنعكسة فيها فتتعدّد وتتكثّر الحكايات والمحكيات.

فائدة كون التأويل درجة من درجات الظهور:

والغاية مِنْ الخوض في بيان أن التّأويل الحَقّ الموزون لمورد أنّه درجة مِنْ درجات الظُّهور، وأنَّ تأويل كُلِّ شيء نهايته وغايته وما يؤول إليه، وبالتالي فَإنَّ ما يؤول إليه هُو لونٌ وطابعٌ لنفس التّنزيل، هُو لأجل الردّ عَلَى موقف مَنْ يذهب إلى أنَّ التّفسير التّأويلي هُو منهج باطني ولا علاقة لَهُ بالحياة وَاللَّغَة الاجتهاعية ولدفع جملة مِنْ الأوهام المنهجية المنكرة للمنهج التّأويلي والجاحِدة لَهُ المتجنبة عَنْ مُراعاته فِي خطوات التفسير، حَيْثُ فعّلُوا هَذَا المنهج ومنهم صاحب تفسير المنار رشيد مُحمَّد رضا.

وهؤلاء يزعمون: إنَّ التَّأُويل منهجٌ باطنيّ وتبنته الصَّوفية وأصحاب المُناهج الرُّوحيّة، وَهُوَ باطل ولا علاقة لَهُ بالحياة وَاللَّغَة الاجتماعية ممّا

ألقت هَذِهِ النَّظرة للمعنى التأويلي مِنْ قبل زعم هؤلاء بظلالها عَلَى المناهج التفسيرية الأُخْرَى، وانعكس سلباً، وبالتالي صارت هُنَاك ظاهرة قلّة اكتراث بالتفسير التَّأويلي.

نظير ما ذكرنا سابقاً مِنْ وجود غاية أُخْرَى لهذا البحث وَهُوَ التنبيه عَلَى أَنَّ جعل المعنى التَّأُويلي مِنْ درجات الظُّهور، فَإِنَّهُ لا يتنافى ولا يتدافع مَعَ المعاني الأُخْرَى لمراتب الظهور ولا يُفنِّدها، كَمَا أَنَّ تقرير تلك المعاني للظهور لا يُفنِّدُ ولا يدفع المعنى التَّأُويلي مِنْ كلا الطّرفين.

نموذج تطبيقي للتأويل:

مِنْ النَّاذِج التَّطبيقية للتأويل قوله تَعَالَى ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلُوةَ وَإِنَّهَالَكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ ﴿ ثَالَ اللهِ عَالَى اللهِ وَالسَّعِينَ الْكَالِيَةِ السَّالُ

بتقريب: أنَّ المعنى التّأويلي للصَّبر هُوَ رسول الله عَيَّالَهُ، وَالصَّلاة هِيَ ولاية أو إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب التَّلِا، وَلَيْسَ غرضنا مِنْ هَذَا الاستعراض نبذ وتفنيد المعاني الحقّة الأُخْرَى للآية، بَلْ المعاني الأُخْرَى المقتمة للآية، بَلْ المعاني الأُخْرَى المقتمة للآية باقية عَلَى حالها، وَأنَّها احتمالات موجودة، وكذلك المعنى التّأويلي باقي عَلَى حاله، وَعَلَى ضوء هَذَا وجدت التّجاذبات بين المناهج التفسيرية، وَعَلَى المُفسِّر الحاذِق الإلمام بالمناهج التفسيرية المختلفة.

وَمِنْ خلال هَذَا وغيره عرفنا دواعي المناهج التّفسيرية الَّتِي لا تكترث

⁽١) سورة البقرة: الآية ٥٥.

٤١٤ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

بالمنهج التّأويلي وتُبْعِّدَه كمنهج التّفسير الاجتهاعي ذو الصَّفة المُعيّنة كالتّقوى والذي انتهجه صاحب تفسير المنار مُحمَّد رشيد رضا، ورمى المنهج التّأويلي بانه منهج باطني مُعَطَّل.

ويُثار تساؤل: هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْمُبررات الَّتِي ذكرتها المناهج التّفسيرية الأُخْرَى تّجاه المنهج التأويلي وَالَّتِي أَدَّت إلى قِلَّة الاكتراث به، هل لها مُبرراتٌ موضوعيّةٌ عمليّةٌ، أو أنَّ ذَلِكَ إخفاقٌ مِنْهَا تّجاه حقيقة التّأويل؟

الجواب:

أَوَّلاً: لَيْسَ الغرض مِنْ تصحيح المنهج التَّأُويلي هُوَ تصحيح لِكُلِّ التَّأُويلي هُوَ تصحيح لِكُلِّ التَّأُويلات الَّتِي ارتكبت مَعَ المُفَسِّرِين ذو النَّزعة التَّأُويليَّة ونفي إخفاقاتهم فِي هَذَا المنهج عِنْدَ عدم تقيدهم بالموازين والضَّوابط والشَّواهد.

ثانياً: هُنَاك إخفاقات مُعيَّنة في المنهج التفسيري ذو البُعد الاجتهاعي والذي أعطى طابعاً ثقافياً للسّلفية والوهابيّة، هُوَ مِنْ أحد الأسباب الَّتِي دعت السَّيِّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي إلى تاليف تفسير الميزان في القُرآن الكريم والذي هُوَ مِنْ منبع أهل البيت المَيِّ لإنقاذ الفكر الإسلامي والإيهاني مِنْ ذَلِكَ الاستقطاب الذي أحدثه التفسير الآنف الذكر، إلَّا أنَّ الأكمل والأوسط هُوَ الجمع بين جميع ومجموع المناهج مَعَ تفادي سلبياتها المنهجية، لأجل معالجة وتلافي الإخفاقات الَّتِي واجهت كلا المنهجين.

أمَّا بلحاظ المنهج التَّفسيري التَّأويلي فيمكن إجمال إخفاقاته بما يلي:

١ ـ إنَّ هَذَا المنهج جعل القُرآن مُعطَّلاً وَلَمْ يَسْتخرج مِنْ القُرآن ما هُوَ
 دواءٌ ونورٌ وهداية لمعالجة الواقع المُعاصِر.

 ٢ ـ لَمْ يُعالج الظَّواهر الاجتماعية الَّتِي يكابدها البشر؛ ولذا صارت هُنَاك نفرة مِنْ التّفسير التأويلي.

٣- لَمْ يقتصر فِي هَذَا التّعطيل عَلَى تفسير القُرآن، بَلْ حصل نظير ذَلِكَ فِي كيفية إحياء الشّعائر الحُسينيّة ومقتل سيد الشُّهداء الحسين بن علي المَيْكِ بالتعامل معها ـ الشّعائر ـ كتاريخ محضٌ فَقَطْ، بَلْ حصل نظير ذَلِكَ لسيرة الأئمة المَيْكِ مِنْ دون ربطها بالواقع الرَّاهن المُعاش لمعالجته واستخراج أنوار الهداية للاسترشاد بها، وَهَذَا معناه تعطيل للدين ولشعائر سيد الشُّهداء الإمام الحسين المَيْلِ وأحداث عاشوراء الأليمة، بَلْ عطّلت حَتّى المعرفة النبويّة بقراء تها كتاريخ محض لا كعقيدة لها التزاماتها فِي الواقع المُعاصر والحياة الراهنة.

٤ ـ عدم انضباط مُمارسة التّأويل بموازين وضوابط وشواهد، بَلْ
 انفلات القريحة والاستذواق هياماً في كُلّ واد، ممّا أدّى إلى طابع الهلوسة والأوهام المُترامية.

لهذه الأسباب مِنْ الإخفاقات وغيرها حصلت رِدَّة فعل عِنْدَ

الكثيرين عِبْرَ قرونٍ مُتعدِّدة، وولَّدت نفرة مِنْ التّفسير التّأويلي بسبب هَذِهِ الْمُهارِسات مِنْ قبل بَعْض مَنْ لا خبرة لَهُ بمهارسة المنهج التّأويلي، وَلَمْ يتقيّدوا بالموازين والضَّوابط الَّتِي بيَّنها أهلُ البيت المِيَّا فِي ذَلِكَ.

وَهَذَا مَا سَبَّبَ اندفاعاً قويّاً حول التفسير في بُعْده الاجتهاعي، وحسبان أصحاب المنهج الاجتهاعي في التفسير أنَّ منهجهم يتطلّب الابتعاد عَنْ المنهج التّأويلي والتّأويلات وما شابه ذَلِكَ، وَيَكُون التّركيز في منهجهم عَلَى البُعد الاجتهاعي فَقَطْ عَلَى البُعد التنزيلي مِنْ التفسير.

وهكذا يُثار تجاذب هَذِهِ الجدليّة في المنهج الاستنباطي في علم الفِقْه، ولا يقتصر فيه عَلَى علم النقسير، فمثلاً إذا اقتصرنا في علم الفِقْه عَلَى عقد البيع، أو المُزارعة والمُساقاة والشركة وغيرها عَلَى النّمط القديم، فَهَذَا معناه أنَّ الفِقْه صار تُراثاً تأريخيًا مِنْ دون شمولية لضّوابط العمومات المعامليّة للهيات المُعاملات المُستحدثة المركبة ذَاتَ الأطوار الجديدة، وَلَمْ يكن نظاماً قانونياً شمولياً للواقع المُعاش والمُعاصر الرَّاهن، وما هَذَا إلَّا عزلٌ للفقه عَنْ الواقع المُعاش الراهن.

ونفس الكلام يأتي بالنِّسبة إلى علم الكلام والعقائد، إذْ مِنْ الصَّعب الاقتصار فِي التَّعامل عَلَى المُصطلحات العلميّة القديمة الَّتِي مضت عَلَيْهَا قرون مِنْ السّنين مَعَ ما عَلَيْهِ الذّهنيّة البشريّة فِي الواقع المُعاصر وما حصل فيه مِنْ نضوج للمطالب العلميّة وللمُصطلحات.

ولا يفهم مِنْ هَذَا أَنْ التّعامل مَعَ المُصطلحات العلميّة القديمة مُمتنع،

قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر العلمية وَإِنَّمَا لا يَنْبَغِي الاقتصار عَلَيْهِ مِنْ دون أَنْ تُترجم تلك المُصطلحات العلمية القديمة بلغات عصرية يسهل فهمها عَلَى الجيل الرَّاهن والمُعاصر، إذْ لِكُلِّ زمانٍ لسانٌ، وَلِكُلِّ أوان بيانٌ، فاستعمال اللَّغَة العلمية المعاصرة فِي كُلِّ علم وفنٍ تُسُلِس وَتُسَهِّل تَفَّهُم وتأثر الإنسان المعاصر وتجعله يتأثر ويتفاعل ويتعاطى شيئاً ملموساً، فيمكن تبيان علم واحد بلغات علمية مُتعدِّدة فِي عِدَة علوم فيمكن قراءتها قانونياً وفقهياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً، كَمَا ويمكن تبيان العقائد مثلاً بلغة فقهيّة، كَمَا استعملها النَّبِي عَلَيْكُ وسياسياً، كَمَا ويمكن تبيان العقائد مثلاً بلغة فقهيّة، كَمَا استعملها النَّبِي عَلَيْكُ الله مَنْ منع ولعن الله مَنْ أَبقَ عَنْ مواليه، ولعن الله مَنْ منع

أجيراً أجرته» وَهَذَا وغيره يمكن عَدُّه نموذجاً للإخفاق في التّفسير التّأويلي.

الإخفاقات التي واجهت التفسير الاجتماعي:

إِنَّ أَحَدَ أَكِبر مشاكل التفسير ذو البُعد الاجتهاعي أنها تقتصر وتنحبس عَلَى مَعْنَى الجانب التّنزيلي للقُرآن الكريم ومعالجة الظُواهر الاجتهاعية بأفق معاني التّنزيل بنحو تجزيئي، وإِنْ كُنَّا لا ننكر أهمية وعظمة معالجة المشاكل الاجتهاعية الرّاهنة الَّتِي يُعاني مِنْهَا البشر بمعاني قدسيّة تنزيلية للقُرآن، إلَّا أَنَّ هَذَا حلَّ جزئي للمُشكلة، فالقُرآن حبلُ ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الله، وطرف مِنْهُ عِنْدَ الله عليه واله وسلم عِنْدَمَا سألوه وما الثقلين يا رسول الله؟ النَّقل الأكبر: كتاب الله سبب طَرَفه بيدي سألوه وما الثقلين يا رسول الله؟ النَّقل الأكبر: كتاب الله سبب طَرَفه بيدي الله، وطرَف فِي أيديكم فاستمسكوا به ولا تَضِلوا ولا تذِلُّوا، ألا وعترتي

218...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث أهل بيتي ... (١).

وأنَّ القُرآن لَهُ تنزيل وَهُو الطَّرف الذي عِنْدَ النَّاس، وطرفٌ تأويلي، وتركيز الحديث النَّبوي عَلَى أنَّ القُرآن حبلٌ ممدود يعني أنَّ القُرآن ذو طبقات، فإذا أردت مُعالجة المشكلة سواء الاجتهاعية أو غيرها مِنْ القُرآن، فلا تقتصر في حلَّها عَلَى الجانب التّنزيلي بالنَّمط التجزئيي، فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ مُلاحظة طبقات جانب التّأويل كَذَلِك، أمَّا مُلاحظة أحد الجانبين دون الآخر في حلّ مشكلة فَهُو أمر مُشْكِلٌ، وَحَلُّ غَيْر جامع.

وكذلك الحال في نهضة سيد الشُّهداء الإمام الحسين اللَّهِ والشَّعائر الحُسين اللَّهِ والشَّعائر الحُسينيَّة فَمَنْ يستعرض المشاكل الرَّاهنة مِنْ دون أَنْ يقتبس الحلول مِنْ سنن الحسين اللَّهِ فِي واقعة كربلاء فَهَذِهِ مُعالجة بعيدة عَنْ الرُّؤية الشَّرعية، ولا يكتب لها الرشاد.

وهكذا نفس الكلام في مُعالجات العقائد وَالفِقْه بلغة مُستحدثة مِنْ دون أَنْ يربطها باللَّغة التقليدية القديمة، ويقطع التّجديد عَنْ الأصالة فَلَيْسَ بصحيح، بينها هِيَ أصالة وتجديد؛ لِأنَّ اللَّغَة المعاصرة مهما بلغت في معالجة المشاكل فَإنَّها ليست بالضرورة تُوفي بكُلِّ الحقائق ودقائق المعارف.

ما هو المنهج التفسيري الأمثل في الأتباع:

وَبَعْدَ استعراض جانب المؤاخذة عَلَى كلا المنهجين التفسيريين:

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٧، باب فضل القُرآن ح٣.

إنَّ النّموذج الأمثل والمُعالجة الحقيقية هُوَ أَنْ لا نبتعد عَنْ التفسير ذو البُعد الاجتهاعي، أو التفسير التّنزيلي، كَذَلِكَ لا نبتعد عَنْ التفسير التّأويلي، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ المنهج التفسيري الأمثل والملائم هُوَ الجمع بين المنهجين مَعَ تفادي السّلبيات المتقدِّمة، لا سيّها تحت ظل نظام منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكهات فضلاً عَنْ المُتشابهات في القُرآن الرّابط بين التّنزيل والتّأويل.

مقارنة المنهج التفسيري التأويلي مع باقي المناهج التفسيرية الأخرى، كالتفسير الموضوعي والاجتماعي وتفسير القرآن بالقرآن، وأسباب النزول وغيرها:

مِنْ الضروري جدّاً بيان منظومة كيفية الجمع بين مناهج التفسير، وأمَّا بحث موضوع جهات الامتياز والاشتراك، والإيجابيات والسلبيات لِكُلِّ منهج فَلَسْنا فِي مقام تفصيلها ها هُنَا حَتّى تبحث، وَإِنَّا نُحاول تسليط الأضواء عَلَى بيان كيفية الجمع بين المناهج التفسيرية، كَمَا ونحاول تسليط الأضواء عَلَى دراسة أسباب العزوف عَنْ المنهج التفسيري التّأويلي خاصة في القرنين الأخيرين، وهل هَذَا بمثابة ردَّة فعل نتيجة وجود نقص فِي القرنين الأخيرين، وهل هَذَا بمثابة ردَّة فعل نتيجة وجود نقص فِي الفراغ صار عزوفاً عَنْ التفسيري التّأويلي، ولأجل سدِّ هَذَا النقص ومل الفراغ صار عزوفاً عَنْ التفسير التّأويلي والاهتمام بغيره كالتفسير ذو البُعد الاجتماعي وغيره، ولكن لا عَلَى حساب إحداثِ نقصٍ فِي جهات أُخرَى أم ماذا؟

لَعَلَّ أحد أهم أسباب قلة الاهتهام بالتفسير التَّأُويلي هُوَ أَنَّ الموجود فِي أغلب التفاسير، بها فِي ذَلِكَ تفاسير الخاصة _ الإمامية _ مسالة الإلحاح فِي تغدية الجانب الاجتهاعي، وملء الفراغ برؤى قرآنيّة، وإنْ كَانَ هَذَا الأمر لا ريب فِي الحاجة إليه.

وَهَذَا السبب متينٌ وقويمٌ إِلَّا أَنَّ الابتعاد عَنْ التّفسير التّأويلي بالمرة ينتج عَنْهُ إخفاقات _ كَمَا مَرَّ _ نظير ما حدث لبعض المدارس الكلاميّة، بَلْ حَتّى عِنْدَ مشارب عِدَّة مِنْ عُلَمَاء الإماميّة، فَهُنَاك مسالك مُتعدِّدة رغم أنّها مِنْ مذهب واحد، واختلاف المسالك لديها في تفسير التّوحيد الذي هُوَ مبحث حسَّاس وخطير، وَكَانَتْ لديهم كثيراً مِنْ البحوث تجريديّة، وَلَمْ تلحظ تداعياتها عَلَى أرض الواقع الاجتماعي، وَمِنْ ثمَّ صارت تجريديّة، وإنْ كَانَ البعض يصفها بأنّها بحوث نظريّة تنظيريّة.

ولذا لَمْ يشغل كثير مِنْ المُفَسِّرِين مساحات كثيرة فِي مبحث التَّوحيد إلَّا بمقدار ما لَهُ مِنْ تداعيات مثلاً عَلَى مستوى البُعد الاجتهاعي، أو السياسي أو التشريعي وغيرها، وَمِنْ ثَمَّتَ سُجِّلَت مؤاخذات وإشكالات عَلَى المنهج التفسيري ذو البُعد الاجتهاعي.

المؤاخذات التي رصدت على المنهج التفسيري

ذو البُعد الاجتماعي:

المؤاخنة الأُولى: قراءة كُلِّ بُعْدٍ ملكوتي غيبي عقائدي بقراءة اجتهاعية، ولازم هَذَا أَنَّهُ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ بُعْدٍ غيبي أثر اجتهاعي، وَإلَّا يَكُونَ البُعد

وهكذا الحال فِي مباحث الرُّوح وغيرها، وكيف تقرأ المباحث العقائدية الغيبيّة بلغة اجتماعية محضة كمعرفة الذَّات الإلهية الأزلية السّرمديّة وأنَّ صفاته عين ذاته مَعَ أنَّ استكشاف الآثار الاجتهاعيّة مِنْ المباحث العقائديّة لا يُصابُ استقصاؤه وإنْ كَانَ هُنَاك حقيقة ارتباط جَمُّ بين العقيدة والعقائد وتداعياتها الاجتهاعية الَّتِي لا تُحْصَى، إلَّا أنَّ اكتشاف ذَلِكَ الارتباط بنحو كامل تامّ عَلَى غَيْر المعصوم شيء فِي غاية الصّعوبة، بَلْ مُمتنع؛ لِأَنَّ دين الله لا يُصاب كُلّ محيطه بالعقول، فَإِنَّ هُنَاك أموراً لا أحد يستطيع اكتشاف بيان مدى الارتباط العميق بين البُعد الغيبي والأثر الاجتماعي، إلَّا أنَّ الذات المعصومة كَمَا وَرَدَ فِي بيان أمثال ذَلِكَ فِي بيانات أهل البيت المَيِّكُ ، مِنْهَا ما وَرَدَ فِي تفسير الصمد فِي سورة التوحيد عَنْ الإمام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِنَابُ وَٱلْمِيزَاتَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِبَأْسُ شَدِيدُ وَمَنكِفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَصُرُهُ, وَرُسُلَهُ بِإِلَّغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ فَوِئُّ عَزِيزٌ ١٠٠٠ ﴿ وَالشَّر الْعَ مِنْ الصمد ... (١١).

بتقريب: أنَّ الإمام اللهِ زوَّده الله بقدرة عَلَى أنْ يستخرج كُلّ ما لَهُ ارتباط بالدِّين مِنْ لفظة الصَّمد فِي سورة التوحيد بها فِي ذَلِكَ الفروع

جملة منهم_والعياذ بالله_

⁽١) التَّوحيد للصّدوق: ص٩٢.

٤٢٢ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

المُرتبطة بالبُعد الاجتماعي وغيره، بَلْ بها فِي ذَلِكَ تداعي أيّ فقرة فِي الدِّين سواء كَانَتْ مِنْ الطَّبقة العُليا أو المُتوسّطة أو الدُّنْيَا مَعَ بعضها البعض.

وهكذا قوله عَلَيْكُ: «إنَّما العلم ثلاثةٌ؛ آية مُحكمةٌ، أو فريضةٌ عادِلَة، أو سُنَّة قائمة، وما خلاهن فَهُوَ فضلٌ».

بتقريب: أنَّ الآية المُحكمة بلحاظ عالم الرُّوح والسُنة القائمة بلحاظ عالم الاُوح والسُنة القائمة بلحاظ عالم الاخلاق والفريضة العادلة بلحاظ عالم الفروع، وَهَذَا يُدَلِّل عَلَى أنَّ كُلِّ صفة أخلاقية لها تداعيات عَلَى عمل الإنسان، وكذلك كُلِّ عمل لَهُ تداعيات فِي توليد صفات أخلاقية لدى الإنسان، وَكُلِّ صفة أخلاقية لدى الإنسان، وَكُلِّ صفة أخلاقية لدى الإنسان ﴿ ثُمَّ كَانَ الإنسان ﴿ ثُمَّ كَانَ عَنِيبَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

والنتيجة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أَنَّ اكتشاف الصِّلة بين عالَم الغيب والأثر الاجتهاعي وغيره واقع موجود، إلَّا أَنَّ اكتشافه لَيْسَ بمتناول كُلّ البشر إلَّا المعصوم، فَإِنَّ دين الله لا يُصاب بعقول عادي البشر، واكتشاف وارتباط الحلقات مَعَ بعضها البعض وارتباطها بعقول ما وراءها مهيمنة عَلَيْها ولها ارتباط لا يستطيع اكتشاف هَذَا الارتباط التَّام والعميق والدقيق إلَّا المعصوم.

وعدم معرفتنا بغالب الارتباط العميق لاينفي واقع التّأثير والارتباط،

⁽١) سورة الروم: الآية ١٠.

وهكذا منظومة عقائد مدرسة أهل البيت الملكي وَمِنْهَا ما يرتبط بشعائر سيد الشُّهداء أبي عبدالله الحسين الله والتي لم تتضح كُل أسرار صورتها - إلى الآن - أمام كثير مِنْ العُلَمَاء وذوي اللَّب، حَتى بَعْدَ مرور ما يقرب مِنْ ال (١٤) أربعة عشر قرناً، فإنْ لم يَتِمُ الالتفات إلى تمام وكمال الارتباط وتداعيات منظومة عقائد مدرسة أهل البيت اللهي وتأثير شعائر الإمام الحسين الله على البُعد الاجتماعي والبُعد السياسي والأخلاقي وغيرها، بَعْدَ كون كُل مِنْ الكتاب وسنة المعصومين قولاً وفعلاً وتقريراً لها ظاهر وطبقات مِنْ الباطن، بَلْ وسبعين بطناً، بَلْ طبقات لا تُحصى مِنْ الباطن، وعدم علمنا بكيفية الارتباط والتأثير لا يدعو إلى التنكر لتلك الحقيقة الدِّينية.

المؤاخذة الثّانية: تأثير البُنية الأخلاقية الَّتِي يدعو لها الإسلام لحلّ الأزمات الاقتصادية، وَهَذِهِ أحد الوصايا الَّتِي أمر بها رسول الله عَلَيْ وَهُوَ التزام الجانب الأخلاقي فِي حَلِّ مشاكل وعُقد الاقتصاد، فَإنَّ الحرص والشره والتبذير والإسراف والبخل والطّمع والاستئثار والدناءة وغيرها مِنْ الرذائل الأخلاقية بخلاف ما يقابلها مِنْ الفضائل هِيَ فِي قمَّة التّأثير عَلَى البناء المعاملي والاقتصادي للبشر، بَلْ ما يجرَّه الفساد الاقتصادي مِنْ تداعيات وأمواج سلبية عَلَى الأمن والسِّلم البشري والحرب والعدوان تداعيات وأمواج سلبية عَلَى الأمن والسِّلم البشري والحرب والعدوان والجناية والتعدي والفاحشة والخطيئة بالغ التأثير.

وهكذا تأثير ارتباط الأُسرة المُسلمة وَالَّتِي يدعو الإسلام إلى المُحافظة عَلَيْهَا لأنَّها لَبَنَة أساسيّة فِي بناء مجتمع إسلامي وتزويد المجتمع بأفراد صالحين يُقَلِل وقوع الجرائم فِي المجتمع، علماً إنَّ نظام تأسيس الأُسرة الصالحة الذي جذَّره الإسلام هُو أكبر لَبَنة فِي بناء الحضارة، وما كَانَ لبشرٍ أنْ يفهمها سيّما المدّ العلماني رغم الدّراسات والبحوث الكثيرة فِي هَذَا المجال.

وَهَذَا مَا أَشَارِ إِلَيه رَسُولَ اللهَ عَلَيْكُ بَقُولُه: «مَا استَفَادُ امْرَءٌ مَسَلَمُ فَائدَةُ بَعْدَ الإسلام، أَفْضَلَ مِنْ زُوجة مَسَلَمَة تَسُرُّه إِذَا نَظْرِ إِلَيْهَا، وتطيعه إِذَا أَمْرِهَا، وتحفظه إِذَا غاب عنها فِي نفسها وماله»(١).

إِلَّا أَنَّهُ وَإِلَى الآن هُنَاكَ مشاكل كثيرة تواجه أصحاب المدّ العلماني وَلَمْ يَحاولوا حَلَّها خاصَّة المجتمع الغربي، كمسألة تجارة الرقيق الأبيض وَالَّتِي عالجها الإسلام وحَلَّ عُقَدَها بحلول جذريّة قبل أكثر مِنْ (١٤) أربعة عشر قَرْناً، بَلْ عَلَى العكس الآن هُمْ يحاولوا أنْ يعتموا عَلَى هَذِهِ المسألة _ الرقيق الأبيض_وغيرها لمنفعة تعود إليهم.

البُعد التأويلي له هيمنة محورية

في نظم ما دونه من طبقات البيئات والعلوم:

يتمتع كُلّ مِنْ المعنى التّأويلي وَمَعْنَى الولاية بأنَّ لِكُلِّ منهما أمومة نظم كُلّ معاني القُرآن وأنواره وهداياته.

⁽١) الكافي: ج٥، كتاب النكاح: ب١٩٨ مَنْ وفق لَهُ الزوجة الصالحة، ص٣٣١ ح ١. والفقيه ج٣، باب ١١٠ ما يُستحب ويحمد مِنْ أخلاق النِّسَاء: ح٧.

المؤاخذة الثّالثة: إنَّ المشكلة الَّتِي أبداها أصحاب المنهج التفسيري ذو البُعد الاجتماعي هِيَ تركيز النَّظر وَالرُّواية عَلَى المركز مِنْ دون الالتفات إلى شجون ومعاناة المجتمع، وَهَذَا أشبه ما يَكُون بالبحث التجريدي السفسطي، نعم يوجد ارتباط بين البُعْد الغيبي والبُعْد الاجتماعي - كَمَا مَرَّ - إلَّا أنَّ اكتشاف تمام ذَلِكَ الرَّبط لا يَكُون إلَّا للمعصوم.

وهكذا نموج آخر لبيان عمق الارتباط بين التفسير الاجتماعي والبُعْد التّأويلي وهيمنة المعنى التّأويلي هُو مسألة حصر زكاة النقدين في الذَّهب والفضَّة وتساؤل جماعة مِنْ أَنَّهُ لا مَعْنَى للحصر بها _ النقدين _ وأنَّ المُشرِّع لَمَ لا يُعمم ذَلِكَ لِكُلِّ نقد، إلى أنْ جاء الردّ عَلَى تساؤلات البعض عَنْ طَريق العاصفة الماليّة الَّتِي اجتاحت الاقتصاد العالمي لأكثر مِنْ عقد مِنْ الزَّمان، وأُغْفِل أنَّ الحصر النبوي للزّكاة فِي النقدين _ الذَّهب والفضَّة _ لَهُ مغزى عَلَى أساس أنَّ التّعدي فِي صدق النقد إلى غَيْر الذَّهب والفضَّة كالنَّقد الورقي فضلاً عَنْ الورق الالكتروني الفضفاض كبيئة خصبة والفضَّة كالنَّقد الورقي فضلاً عَنْ الورق الالكتروني الفضفاض كبيئة خصبة للتّلاعب والتمويه عَلَى الآخرين، عمّا يُؤدّي بالتالي إلى أكل المال بالباطل، ويُسبِّب فِي سَرِقةِ أموال المواطنين، أو سرقة دولة مال دولة أُخرَى وهكذا.

إِنْ قُلْتَ: قَدْ يتخيل البعض إنَّ حصر زكاة النقد بالذهب والفضة بأنَّها أحكام زمانيّة ومكانيّة مضت فِي وقتها، وَقَدْ أكل الدَّهر عَلَيْهَا وشرب؟

قُلْتُ: إِنَّ هَذَا التَّصور ناشئ مِنْ عدم الالتفات إلى ارتباط طبقة علم التَّشريع مَعَ بحث المعارف، أو أمومة الولاية، والآن تبلورت براهين تزيل مثل هَذِهِ التَّصورات والتخيِّلات، فَإِنَّ التشريعات القُرآنيَّة والنبويَّة لا

٤٢٦ تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

يتصوّر فيها عدم إحاطة المشروع الإلهي بجميع الأزمنة والأمكنة، وكذلك الحال في التّشريعات الولوية غَيْر الراجعة إلى التّدبير الزّماني المُؤقت.

وصية منهجية لأجل مراعة المعنى التأويلي

في كل آيات القرآن الكريم:

إنَّ المعنى التَّأُويلي فِي كُلِّ آية هُوَ المحور الأساس، ولكن لا يعني هَذَا إغفال لطبقات المعاني الأُخْرَى للآية الواحِدَة، وعدم الاهتهام بها والذي مِنْهَا المعاني التَّنزيليّة، وَلَيْسَ فِي المسألة إفراط فِي كلا الطّرفين، بَلْ هِيَ عملية استكشاف الارتباط بين الحلقات والمنظومة مَعَ محوريّة المعنى التَّأُويلي كأصل تشريعي فوقي مما يكشف أنَّ المعنى التَّأُويلي لَيْسَ معننى سفسطيّاً ولا ترف تخيليّ بَلْ هُوَ أصل محوري ناظم ونظم النِّظام يجب اكتشافه وإنْ لَمْ يكن اكتشافاً وعيطاً، إلَّا أنَّ ما لا يُدرك كُلَّهُ لا يترك جُلَّه أو كُلَّهُ.

وسبب التركيز عَلَى المنهج التّأويلي الموزون بَعْدَ أهميته وخطورته البالغة هُوَ هجرانه بدرجة بالغة مِنْ التقصير لا تتناسب مَعَ خطورته، علمًا أَنَّهُ كَانَ معمولاً به عِنْدَ جُملة مِنْ أعلام القُدماء وغيرهم أمثال الشَّيْخ المُفيد وَالسَّيِّد المُرتضى والشَّيْخ الطّوسي والمُحقّق الحلّي ـ قدست أسرارهم جميعاً ـ وغيرهم.

لا تدافع بين آيات القرآن الكريم

تناسق وتوالف آيات القرآن وسوره:

ممَّا تَقَدَّمَ يُعلَم أَنَّهُ لا تدافع بين آيات القُرآن وسورة، بَلْ يوجد تناسق وتوالف تامُّ بنصّ القُرآن الكريم ﴿ هُوَ ٱلَّذِي َ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِئنَبَ مِنْهُ ءَايَكُ

تُحْكَمَتُ هُنَ أُمُّ الْكِنْبِ وَأُخُرُ مُتَشَهِهَتُ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ذَيْعٌ فَيَتَبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ التَّخَكَمَتُ أَنْ اللهُ وَالْرَسِخُونَ فِي الْمِلْمِ (١٠).

إِنَّ القُرآن الكريم يقسم نفسه إلى قسمين: محكمٌ ومتشابه، بينها فِي موضع آخر فِي سورة العنكبوت يصف القُرآن نفسه بأنه كُلَّهُ بيِّنٌ ﴿ بَلَ هُوَ ءَايَـٰتُ الْبِيَّنَ الْأَبُلُو اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

بتقريب: إنَّ المُرَاد الأعظم والجَلِي مِنْ الآية المُباركة ﴿ بَلَ هُوَ ءَايَكَ اللَّهِ الْبَارِكة ﴿ بَلَ هُوَ ءَايَكَ اللَّهِ الْبَارِكة ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَكَ اللَّهِ الْمَدَدُورِ اللَّذِينَ أُوتُوا الْمِلْرَ ﴾ هُمْ أئمة أهل البيت المعصومين، فَإنَّهُ لَيْسَ عندهم اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَا اللّه

الخطاب القرآني على درجات:

انطلاقاً ممّا وَرَدَ فِي بيانات أهل البيت المِيكِ "إنَّما يُعرف القُرآن مَنْ خُوطِبَ به» فَإِنَّ الخطاب القرآني فِي آية واحِدَة مُتعدِّد والظهور النّسبي عِنْدَ عقول البشر المُخاطبين مُتفاوتٌ، فَإِنَّ بَعْض عقول البشر يَكُون خطاب القُرآن فِي حَقِّها كُلَّهُ جَليٌّ وبَيِّنٌ، فأمثال هؤلاء لا محالة مخاطبون بكُلِّ مراتب القُرآن فِي حقّه مُجملاً وَغَيْر بَيِّن، فَيكُون القُرآن فِي حقّه مُجملاً وَغَيْر بَيِّن، فَيكُون خطاب القُرآن فِي حقّه مُجملاً وَغَيْر بَيِّن، فَيكُون خطابه لَهُ بالظّاهر، أو يُخاطب بها هُوَ مقدورٌ لَهُ ولو بالسَّعي لكي يشمل المُقطّر، وَهَذَا خيرُ دليل عَلَى أنَّ خطاب القُرآن عَلَى درجات وطبقات.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

⁽٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

ولا يتوهم أنَّ القُرآن بكُلِّ طبقاته وبطونه وأسراره خُوطِبَ به الكل، وَلَيْسَ هَذَا إِفْراطٌ فِي القول، وَمِنْ ثمَّ اعترف المُفَسِّرون مِنْ الفريقين أنَّ القُرآن لَهُ نزولان:

نُزُولٌ نجوميٌّ: نزل به جبرئيل وَهُوَ نزول مُتفرِّقٌ بحسب أزمان أسباب النُّزول.

ونُزُول دفعي جُمَلي: لحقائق القُرآن، وَلَمْ يكن لجبرئيل النَّلِ فيه وساطة، بَلْ مرتبته _حقائق القُرآن _أعلى مِنْ توسِّط جبرائيل النَّلِ وأنَّ أهل البيت النَّلِيُ ممّن اختُصَّ بخطاب طبقات حقائق القُرآن فِي النُّزول الحقائقي الجُمَلي الدُفعي.

المعانى التأويلية والتنزيلية على طبقات

الظهور على طبقات ودرجات:

يُعْلَم ممّا تَقَدَّمَ أَنَّ تعدد الظّهور لَيْسَ بالأمر الغريب، بَلْ هُوَ مِنْ لدُن عليم حكيم طبق موازين يقدر عَلَيْهَا مَنْ يمتلك سعة وعاء الرُّوح والقلب والنُّفوس والعقل بالعلم، وَأنَّها تزداد كُلّما تزيد فيه، بحسب قدرة الإنسان وبسعة وعائه لتحمُّل العلم، وهكذا المعاني التّأويليّة هِيَ الأُخْرَى عَلَى طبقات ووفق ضوابط وموازين، وبحسب قدرة عَلَى الأخذ مِنْهَا وبسعة وعائه لتحمُّل العلم، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ كُلاً مِنْ المعاني التّأويليّة والتنزيليّة ليست خارجة عَنْ موازين الأدلَّة أبداً، بَلْ داخلة لكنَّ غاية الأمر يحتاج إلى سعي علمي للفحص عَنْ تلك الموازين الموجودة، إلَّا أنَّ الفحص غالباً غيرُ موجودة، وَهُناك فرق بين عدم وجود الميزان والطريق لحل تلك المسائلة والمشكلة في علم مِنْ العلوم، وبين الفحص والطريق لحل تلك المسألة والمشكلة في علم مِنْ العلوم، وبين الفحص

واكتشاف ذَلِكَ الطريق، وفي العلوم الحديثة الآن وَبَعْدَ السَّعي والفحص اكتشفت الحل في جُملة مِنْ الموارد الذي كَانَ مجهولاً، وبالتّالي فَإنَّ الطريق موجود إلَّا أَنَّهُ مجهول، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك فرقٌ بين المقولتين والتّصورين بين القول أنَّ الطّريق أصلاً غَيْر موجود ثمَّ وُجِدَ، وَهَذَا ما يُعَبَّرُ عَنْهُ بالمصطلح بالاختراع، وبين الطريق موجود غاية الأمر هُوَ مجهول ويحتاج إلى سعي وفحص علمي حَتّى يكتشف، وَهَذَا ما يُسمّى بالمصطلح بالاكتشاف.

وَهَذَا نظير المُعجزة الَّتِي يَكُون لها طرقٌ وأسبابٌ لكنَّها مجهولة ولا يستطيع أحدٌ اكتشاف أسبابها إلَّا الْنَبِيَّ عَلَيْكُ صاحب المُعجزة وغيره لا يستطيع وإنْ كَانَ نبيًاً.

وبالتالي فَإِنَّ الأسباب إلى الاكتشاف يجب أنْ تقع ضمن موازين وضوابط مُعيّنة، وبالتّالي فَإِنَّ ما يكتشف مِنْ طبقات الظُّهور لدى الأجيال العلميّة اللاحقة لَيْسَ وليد تكوِّن السَّاعة، بَلْ هُوَ مُتقرِّرٌ فِي شؤون طبقات معاني الألفاظ وتركيباتها وَإِنَّما اكتشفت بَعْدَ ذَلِكَ.

كَذَلِكَ الحال بالنّسبة إلى المعنى التّأويلي فَإِنّهُ طيلة القرون الأثنى عشر الماضية كَانَتْ المدارس الإسّلاميَّة توجه الطعن إلى منهج مدرسة أهل البيت المي الله منهج باطني، الآن وَبَعْدَ أَنْ تبيّن أَنَّ هَذَا الباطن الذي كَانَ يُطعن به عَلَى منهاج مدرسة أهل البيت المي وَأَنّهُ مَثلَبةٌ ونقصٌ تبيّن أَنّهُ شموخ عظمة وبنيان عملاق، وعَلَيْهِ فَلا بُدّ مِنْ الالتفات إلى جُملة موارد:

مِنْهَا: تعدّد القراءات.

وَمِنْهَا: الالتفات إلى وجود مَعْنَى تأويلي وبطون وتنزيل وظهور،

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ يَتبيَّن أَنَّ التَّعدد فِي طبقات المعاني لَهُ نظام وموازين اكتشفها مَنْ اكتشف، وَقَدْ بيَّن أئمة أهل البيت المَيِّ طرقها - إلَّا أَنَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ اكتشفها مَنْ اكتشف تلك الطرف الَّتِي بيَّنها أئمة أهل البيت المَيِّ وَمِنْ قبلهم القُرآن، وَهَذَا يحتاج إلى تظافر جهود أجيال مِنْ البشر جيلاً بَعْدَ جيل، والسَّابق منهم يُمَهِّدُ للاحِقِ ويتحمَّل جزء مِنْ مسؤوليّة الاكتشاف كَذَلِكَ فِي المعنى التَّأويلي.

التأويل منهج قرآني عظيم، والمعنى التأويلي هو الأم الآية الواحدة من آيات القرآن فيها درجات من الظهور:

تتمتّع الآية الواحدة مِنْ آيات القُرآن الكريم بدرجات ظهور ومحوريّة مُتعدِّدة، وكذلك المعنى التَّأويلي لَيْسَ مُجُرَّد سعة وتعدّد موازين، وَإِنَّما الأمومة والمحوريّة والمركزيّة للمعنى التَّأويلي؛ لِأَنَّ المعنى التَّأويلي مشيّ، والمعنى التنزيلي محوريٌّ مركزي، كَمَا هُو مبنى جُملة مِنْ أعلام العصر (۱) بينها العكس هو الصَّحيح الذي نتبنّاه فِي منهجنا التّفسيري المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن فضلاً عَنْ المُتشابهات، مِنْ أَنَّ المعنى التَّأويلي كُلّما ازداد خفاءً وغموضاً كُلّما ازداد محوريّة وأمومة ومركزيّة، وَهُو المحور ويُعْرَض عَلَيْهِ لا العكس، وَهَذَا منهج قُرآني عظيم.

نعم، المعنى التّنزيلي حبل ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ النَّاس ومُرتبط بطبقات المعاني التّأويليّة والحقائق الَّتِي هِيَ طرف عِنْدَ الله، وَمَعْنَى ممدود أيّ غَيْر مُتناهي،

⁽١) كالسيد مُحمَّد حسين الطباطبائي ﴿ صاحب تفسير الميزان فِي القُرآن، وَالسَّيِّد الخوثي ﴿ فِي السِينَ اللهِ عَ البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزواري ﴿ فِي مواهب الرحمن و ... الخ.

قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر......

والمعنى التنزيلي هُوَ الفرع والظهر والمعنى النازل، بخلاف المعنى التأويلي الذي هو الأُم والمحور والبطن، كَمَا قَالَ الإمام الصَّادق اللهِ لهيشم التَّميمي: «يا هيشم أنَّ قوماً آمنوا بالظّاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظّاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا إيهان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر »(۱).

بتقريب: أَنَّهُ لاَبُدَّ فِي كُلِّ علم مِنْ ظاهر وباطن، وأنَّ البطن والباطن هُوَ الأصل.

أسباب التأكيد والتركيز على طبقات المعنى التأويلي ومحوريته في علم التفسير:

إنَّ أحد أهم أسباب التَّركيز عَلَى المعنى التَّأُويلي وأهميَّته وهيمنته ومركزيَّته بناءً عَلَى التَّوصية الأكيدة فِي بيانات أهل البيت التَّكِيُّ وقبلها بيانات القُرآن الكريم مِنْ التَّاكيد عَلَى المعنى التَّاويلي، مُضَافًا إلى أسباب أُخر:

مِنْهَا: إِنَّ نظرة بَعْضِ الْمُسَرِينِ والباحثينِ غَيْرِ واقعية عَنْ المعنى التَّأُويلي فِي المنهج التفسيري، والواقع أَنَّ الأمر عَلَى العكس تماماً، فَإِنَّ الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَيِّلِيُّ فِي خصوص بيان المعنى التَّأُويلي هِي عَلَى موازين وضوابط _ كَمَا مَرَّ _ اكتشفها مَنْ اكتشف، والتّعبير عَنْ ذَلِكَ فِي المصطلح الأُصولي تعبدٌ ظنّي يعني إدراك أجمالي مبهم، أيّ لَمْ يستطع إدراك تفصيل الحال، وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ فِي علم التفسير، بَلْ فِي سائر العلوم تفصيل الحال، وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ فِي علم التفسير، بَلْ فِي سائر العلوم

⁽١) مقدمة تفسير البُرهان للعلامة الفتوني: ص٢٢.

كالكلمة مِنْ كلامنا لتنصرف عَلَى سبعين وجهاً لنا مِنْ جميعها المخرج» الثالث الكلمة مِنْ كلامنا لتنصرف عَلَى المحتلف المستخرج» المستحديث المحديث الكلمة مِنْ كلامنا التنصرف على سبعين وجهاً لنا مِنْ جميعها المخرج» (١٠).

أمَّا اعتبار السَّند ـ سند الحديث ـ فَقَطْ فَإِنَّ هَذَا منهج إبهامي إجمالي في معرفة الحديث، وَهُوَ المُعبِّر عَنْهُ برواية الحديث لا درايته، وأين مرتبة الظَّن والمُبهم الإجمالي مِنْ مرتبة اليقين والعلم التفصيلي فهل يستويان في المرتبة أم لا؟.

نموذج تطبيقي للمعنى التأويلي

التأويل مرتبة من مراتب الظهور:

قوله تَعَالَى: ﴿ وَأَسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةَ وَإِنَّهَالَكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى ٱلْخَشِعِينَ ﴾ (٧).

فَإِنَّ جُملة مِنْ الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَيِّلِيُّ فِي تفسير هَذِهِ الآية الْمَباركة _ وَالَّتِي هِيَ وصيّة مِنْ وصايا الباري عَزَّ وَجَلَّ لبني إسرائيل _ تدلُّ عَلَى أَنَّ تفسير الصَّبر هُوَ رسول الله ﷺ، وَالصَّلاة هِيَ ولاية أمير المؤمنين المَيِّالِيُّ، أو الولاية فتشمل الأئمة المِيَّالِيُّ.

⁽١) معاني الأخبار للصَّدوق، الكافي للكليني: ج٨، خاتمة المُستدرك للمحدِّث النوري: ج١.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٤٥.

قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر......

وإنْ كَانَ الغالب فِي منهج جملة مِنْ المُفَسِّرِين يتعاطى مَعَ الرُّوايات الَّتِي تُبدي معاني خفيَّة أو باطنة الخفاء للآيات أنَّها معاني تأويليَّة محضة، أو تطبيقيَّة وليست معاني مرتبطة بشؤون قالب الظهور للآية.

إلفات نظر: إنَّ تأويل الصَّبر في الآية المُباركة برسول الله عَلَيُهُ الذي يعني قوَّة التّحمل لا يعني هَذَا ترك مَعْنَى الصَّلاة المُتبادر إليه في النِّهن، ولا ترك مَعْنَى الصَّبر المُتبادر إليه في الذهن، ولا نعني بذلك ترك البحث عَنْ كيفية ملاحظتها المعاني وكيفية ملاءمتها وائتلافها مَعَ هَذَا المعنى التأويلي.

إِنْ قُلْتَ: ما هِيَ الشَّواهد عَلَى تفسير الصَّبر برسول الله عَلَيُّ فِي الآية، وَالصَّلاة بالولاية؟

قُلْتُ: هُنَاكَ قَاعدِة تَقَدَّمَ بحثها (۱) [خُذ الغايات واترك المبادئ]، أو أنَّ الألفاظ موضوعة لأرواح المعاني، بتقريب: إنَّ الصَّبر فيه خاصية قدرة تحمُّل رؤية إجمالية للغيب بلحاظ غاية مُعيّنة ورجاء، وَبِهَذَا يفترق مَعْنَى الصَّبر عَنْ مَعْنَى اليأس وَقَدْ حصل فيه خلط والتباس لدى الكثير في التفريق بينها فَإنَّ اليأس فيه نمط مِنْ التجرّع الرُّوحي إلَّا أنَّهُ لا بلحاظ غاية مُعيّنة ورجاء.

مُضَافًا إلى ما وَرَدَ فِي زيارة الْنَّبِي عَلَيْكُ إلى أَنَّ صَبْرَه عَلَيْكُ أَعْظَم _ مِنْ صبر علي، وصبر علي أعظم مِنْ صبر فاطمة، وأنَّ صبر فاطمة اعظم مِنْ صبر الحسنين أعظم مِنْ صبر الأئمة المِنْكُ وصبر الحسنين أعظم مِنْ صبر الأئمة المِنْكُ وبالتالي فَإِنَّ الصَّبر عَلَى درجات.

⁽١) الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي القُرآن للشيخ السند.

٤٣٤ تفسير أمومة الولاية والمكمات الجزء الثالث

ثمَّ إِنَّ لِكُلِّ آية مِنْ آيات القُرآن لها طبقات مِنْ المعاني حَتَّى تصل إلى المعنى التأويلي ولا يلزم مِنْ هَذَا التعدّد فِي الطَّبقات حصول تدافع أو تناقض بين كون الآية واحدة، وبين تكثُّر وتعدُّد معاني الآية الواحِدَة.

وَقَدْ يعترض: أوليس هَذَا تلاعبٌ بقواعد اللَّغَة وعلوم الأدب وغيرها؟ ويُجابُ: إنَّهُ دِقّة ومتانة فِي تطبيق تلك القواعد⁽¹⁾ عَلَى ما سيتضح خلال البحث، وبالتالي يمكن الحكم بالصَّحة سواء كَانَ الظهور نسبياً أو لا.

وَقَدْ يعترض: إنَّ المقرر فِي الظهور ثابت ومطلق للجميع، وَلَيْسَ نسبياً لبعض دون بَعْض، فكيف يحكم بصحَّة المعنى التَّأويلي بحسب ظهور الكلام.

ويُجابُ: الحكم بالصّحة معناه أنَّ المراتب الأوليّة مِنْ الظهور واضحة، فَهُو لَيْسَ نسبيّاً بالنسبة إلى الآيات والرّوايات، وَإلى طرف دون طرف، وأمَّا كون الظّهور نسبياً أيّ أنَّ الالتفات وقدرة الفهم والوصول إلى المراتب الخفيّة مِنْ معاني الآيات والروايات فَإنَّها -أيّ القدرة والفهم - نسبيّة، وأمَّا نفس المعاني والموازين التركيبية الموصّلة إليها فَهِيَ ثابتةٌ ومُطلقة، وليست نسبيّة، ويتوسّط إليها بالموازين فَهِيَ جليّة واضحة وظاهرة لبعض مَنْ عِندَه قدرة، وخفيّة عَنْ بَعْض آخر.

⁽١) وَالَّتِي تَقَدَّمَ بحث قسم مِنْهَا الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى الْمُحْكَمات ــ فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الكريم، للشيخ مُحمَّد السند.

وليست من السفسطة كما تخيله البعض:

تنبيه: إنَّ الحكم بالصّحة سواء كَانَ الظُّهور نسبياً أو لا، فَهذَا شأنٌ لا يُختص بالقُرآن الكريم، والحديث النبوي الشَّريف وبيانات أئمة أهل البيت المَّيِّ فحسب، بَلْ هُوَ شأن كُلّ العلوم الَّتِي يتعاطاها البشر سواء علم الفيزياء، أو علم الرياضيات وغيرها، فَإنَّهُ فِي كُلِّ علم تجد طبقةً مُبَدَّهَةً وظاهِرَةً عِنْدَ الجميع، وَهُنَاك كَذَلِكَ طبقات غَيْر مُبَدَّهة ونسبيّة، فإحاطة الطبقة الأعلى مِنْ كُلِّ علم تختلف عَنْ إحاطة الطبقة المتوسّطة وما دونها.

وهكذا الكلام بالنسبة إلى علم اللُّغَة، فَإِنَّهُ توجد ثلة مِنْ عُلَمَاء أيّ لغة يدركون ما لا يدركه الآخرون، فالأمر بالنِّسبة لِلَّذِيْنَ يدركون جليٍّ وواضِحٌ، ولغيرهم خفيٌّ.

مُضَافاً إلى أنَّ جلاء هَذَا المطلب عِنْدَ النوابغ مِنْ ذَلِكَ العلم كعلم الرِّياضيات والفيزياء وغيرها لا يزعزع حقانية التيجة الرِّياضية أو الفيزيائية التيجة الرِّياضية أو الفيزيائية التي يكتشفها الروَّاد القادرون، وَلَيْسَ هَذَا الكلام مِنْ قسم السفسطة، فَإنَّ نظام النِّسبة والنسبية فِي قدرة البشر ودرجات فهمه، ودرجات قابلية إدراكه لا في الموازين نفسها، وَإِنَّهَا الظُّهور مبتن عَلَى ضوابط وموازين، فَإنَّ القدرة بين عقول البشر متفاوتة، فواقع الصّرح العلمي ثابت حقيقي، لا كَهَا قَدْ يتخيّله البعض مِنْ الحداثويين، أو أصحاب مسلك القراءات والفلسفات يتخيّله البعض مِنْ الحداثويين، أو أصحاب مسلك القراءات والفلسفات الألسنيّة الحديثة مِنْهَا والقديمة، مِنْ أنَّ النسبيّة سفسطيّة ولا واقع علمي

٤٣٦...... تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث

لها، فالامر لَيْسَ كَمَا تخيّلوه، فَإِنَّ واقع الصّرح العلمي أمرٌ ثابتٌ فِي الواقع، ولكن القدرات الَّتِي أودعها الله تَعَالَى فِي عقول البشر متفاوتة وَمُخْتَلِفَة باختلاف قدرات البشر، ولذا نشأت مسألة أنَّ ظهور النتائج أمرٌ نسبيٌّ عِنْدَ بَعْض، وجليٌّ عِنْدَ آخرين فِي كُلِّ علم مِنْ العلوم.

تساؤل: هل أن هذا التأويل للآية المباركة

بعيد عن الظهور أو لا؟

والإجابة عَنْ هَذَا التّساؤل عَلَى منهجنا التّفسيري المُختار فِي الظّهور والتّأويل تختلف عَنْ مسلك الأعلام، ومنهم السَّيِّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي فَنَّ فَعَلَى مسلكهم يَكُون تأويل الآية تعبدٌ ظنّيٌ، وَعَلَى مسلكنا المُختار فِي التّأويل وأنَّ التّأويل هُوَ أحد مراتب الظُّهور، بَلْ التّأويل هُو المُختار فِي التّأويل وأنَّ التّأويل هُو المُؤاد الأصلي مِنْ الظُّهور، وَهَذَا ما غفل عَنْهُ المُغزى للظُّهور ولبُّ لُبابه، وَهُو المُؤاد الأصلي مِنْ الظُّهور، وَهَذَا ما غفل عَنْهُ مُلة مِنْ أعلام المُفسِرين، وغفلوا كَذَلِكَ عَنْ أنَّ التّأويل كُلّما ازداد بطوناً كُلّما كَانَ هُو المعنى الأصلي الأساس مِنْ غايات كلام المُتكلِّم، والذي لأجله تكلّم حتى يصل إلى تلك الغاية النَّهائية وَالمُؤاد الجدي، ومداعبة ذهن السَّامع بتصوّرات ويحسّمه بمشاعرة تفهيميّة حَتّى يصل إلى المعنى النّهائي الذي هُو أعظم مِنْ كُلّ مراد، وَلَيْسَ مُرَاد المُتكلِّم الوصول إلى غاية مُتوسّطة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ التَّأُويل بحقٍ هُوَ مِنْ مُحكم المُحكمات فِي القُرآن الكريم، ولا ينحصر المُحكم فِي القُرآن الكريم بخصوص التَّنزيل.

وَبَعْدَ أَنْ عرفنا أهميّة ومركزيّة التّأويل وَأَنَّهُ لُبُّ اللّباب وغاية الغايات فكيف نجعله بعيداً عَنْ شؤون الدلالة والكلام.

وخيرُ شاهدِ عَلَى ذَلِكَ ما ذكره الإمام الكاظم اللهِ فِي رواية .. عَنْ يعقوب بن جعفر، قَالَ كُنْت عِنْدَ أبي إبراهيم اللهِ وأتاه رجلٌ مِنْ اهل نجران اليمن مِنْ الرُّهبان، فَقَالَ لي: وهل تعرف بين المَقْدِس؟ قلتُ: لا أعرف إلَّا بيت المُقَدِس ولكنَّه البيت أَعرف إلَّا بيت المُقَدِس ولكنَّه البيت المُقدِس، وَهُوَ بيت آل مُحمَّد عَلَيْهُ، فقلتُ لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومي هَذَا المُقدِس، وَهُوَ بيت آل مُحمَّد عَلَيْهُ، فقلتُ لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومي هَذَا فَهُوَ بيت المَقْدِس، فَقَالَ لي: تلك محاريب الأنبياء، وَإِنَّا كَانَ يُقَالَ لها: حضيرة المحاريب (١).

بتقريب: إنّهُ مِنْ خلال جواب الإمام الكاظم اللّهِ قُرِّرت قَاعدِة مُهمّة وحيويّة، وَهِيَ: «أَنَّ القُرآن الكريم أو الكتب السّهاوية المنزّلة، الظهر مِنْهَا فِي شيء، والبطن فِي شيء آخر، وَهُوَ أَنَّ البطن يؤول كُلَّهُ بمُحمَّد وآل مُحمَّد قَلَ البطن يؤول كُلَّهُ بمُحمَّد وآل مُحمَّد قَلَ المغزى وغاية الغايات» وهكذا ما جاء فِي رواية مسعدة بن صدقة عَنْ الإمام الصادق اللهِ: «إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القُرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيهان»(٢).

هَذَا وغيره يكشف عَنْ محوريّة ومركزيّة التّأويل، وَلابُدَّ أَنْ نتعامل مَعَ الرُّوايات التّأويليّة أنَّها محوريّة وليست هامشيّة، وأنَّ ذَلِكَ المعنى التّنزيلي ظِلِّيٌ تبعي للمعنى التّأويلي ثبوتاً وإنْ كَانَ إثباتاً المعنى التّنزيلي طريق للوصول إلى المعنى التّأويلي، وَهَذَا هُوَ الذي نتبنّاه، وَهُوَ مختارنا، عَلَى عكس

⁽٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ ح٨.

عملية الأعلام. في المومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث ما بنى عَلَيْهِ الأعلام.

تنقيح التأريخ منِ خلال الكتاب والسنة:

تَقَدَّمَ فِي أبحاث سابقة فِي تأريخ أسباب النُّرول، إنَّهُ إِذَا أردنا معرفة مصير الأُمَّة الإسلاميَّة وَهُدَاها وصراطها، فيجب أنْ نعتبر بها جرى مِنْ سنن إلهيَّة، وما ذكره القُرآن الكريم مِنْ الملاحِم عَنْ بني إسرائيل وغيرهم مِنْ سائر الأمم والأقوام السَّابقة هِيَ سنن إلهيّة بعينها جرت فِي هَذِهِ الأُمَّة الإسلاميَّة، وَيَكُون عِبْرَة وعِظَةً لها.

فهرس الموضوعات

القاعدة الثامنة
القاعدة الثامنة
أسباب النزول قاعدة تفسيرية
أسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقامية
تنبیهان
الوجوه البلاغية لاستعمال كل كلمة
الترتيب داخل الأية الواحدة
ليس المراد من ترتيب السور ترتيبها حسب ما أنزل
التأريخ وطمس وتحريف الوقائع
تصوير المشهد الثالث من معركة أحد
تنقيح حقائق تاريخ الإسلام والسيرة النبوية
لماذا تُغَيِّبُ أسباب النزول
كيف نقرأ السيرة النبوية والولوية والتأريخ
ارتباط قاعدة أسباب النزول بقاعدة ترتيب آيات القرآن الكريم

. 22 تفسير أمومة الولاية والمحكمات الجزء الثالث
في السورة الواحدة فضلا عن سائر سوره
التأريخ يحتاج إلى آلات متعددة لتمحيصه
نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد
أمثلة وشواهد قرآنية
محكمات القرآن والسنة والعقل والوجدان
أسباب النصر لا تقتصر على الجانب المادي
الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني
قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية
تحريف أسماء سور القرآن
أسباب النزول والتنزيل والتأويل
نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية
القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي
القاعدة التاسعة"
قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر
فهرس الموضوعات